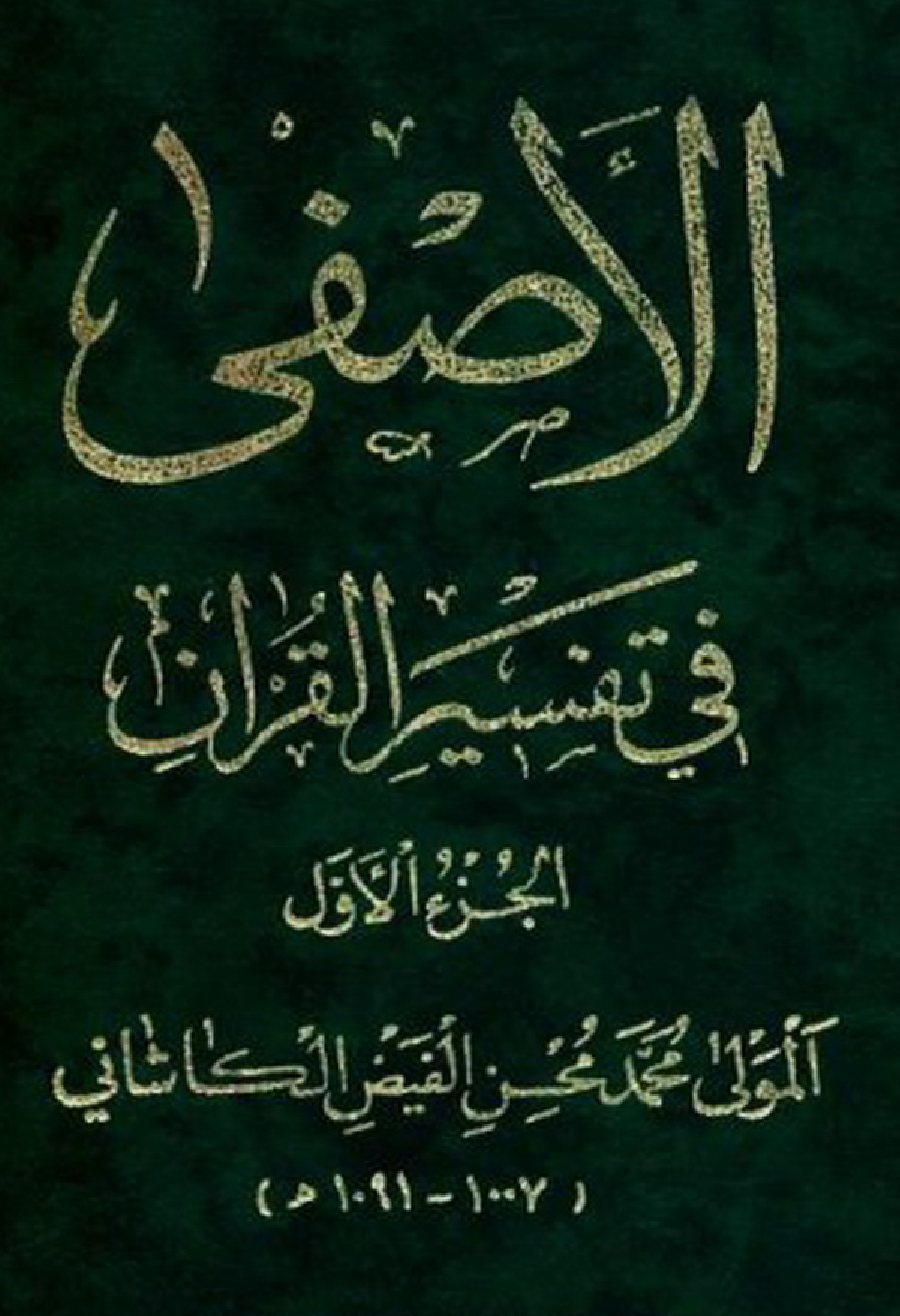


مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحیم
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأصفى

في تفسير القرآن

المولى محمد محسن الفيض الكاشاني
(١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ)

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

الفيض الكاشاني، المولى محمّدمحسن، ١٠٠٧ - ١٠٩١ق.
الأصفىٰ في تفسير القرآن / ملامحسن فيض؛ حقّقه مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. - قم: مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر؛ ١٣٧٦ -
ج. - نمونه. - (دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميهٔ قم، مركز انتشارات؛ ٥٠٠ : كتابهاى مركز مطالعات و تحقيقات اسلامى؛ ٦٥)
كتابنامه: [٧٠٣] - ٧١٣؛ همچنين به صورت زيرنويس.
١. تفاسير شيعه. الف. دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميهٔ قم، مركز مطالعات و تحقيقات اسلامى. مصحّح. ب. دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميهٔ قم، مركز انتشارات. ج. عنوان.
٦الف ٩ف ٩٧/٥٨ BP ٢٩٧/١٧٢٦

فهرست نويسى پيش از انتشار توسط مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى

شابك ٢ - ٢٥٧ - ٤٢٤ - ٩٦٤ ISBN 964 - 424 - 257 - 2



الكتاب: الأصفىٰ في تفسير القرآن/ ج١
المؤلّف: المولى محمّدمحسن الفيض الكاشاني
التحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية
المحقّقان: محمّدحسين درايتي و محمّدرضا نعمتي
الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي
المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي
الطبعة: الأولى / ١٤١٨ق، ١٣٧٦ش
الكمية: ١٥٠٠ نسخة
السعر: ٢٠٠٠ تومان

قم، شارع شهداء (صفائية)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي،
ص ب: ٩١٧، هاتف: ٧ - ٧٤٢١٥٥، فاكس: ٧٤٢١٥٤، توزيع: ٧٤٣٤٢٦

Printed in the Islamic Republic of Iran

دليل الجزء الأوّل


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم، وجعله تبياناً لكل شيء ورحمة وهدى للمتقين. والصلاة والسلام على المصطفى الأمين أبي القاسم محمد وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين.

وبعد، فإن المهتمين بشؤون التراث الإسلامي بشكل عام والتراث القرآني بشكل خاص، يُدركون جيداً أنّ المكتبة الإسلامية ـ التي تحوي على نفائس المخطوطات وبشتّى المعارف الإسلامية والإنسانية ـ زاخرة بذلك التراث العظيم الذي يكاد أو كاد ان يندثر لولا قيام أهله واضطلاعهم بمسؤولية حفظه وبعث الحياة فيه من جديد، وهذا لايعني أنّ التراث باجمعه قد وصل إلينا، فكم من عالم من العلماء تُنقل عنه اقوال ولاتجد له كتاباً لتوثيق مايُنقل عنه، وكم هي آثار من السلف الصالح فُقِد ولم يصل إلينا ولاتوجد منها أثر في المكتبات.

والأدهى والأمرّ من ذلك وقوع تلك النفائس من المخطوطات بيد الجهّال، فربما مزّقها وربما باعها بابخس الأثمان.

ومن المؤسف جداً انّ ما تمّ طبعه على الحجر مملوء بالأخطاء، دون أيّ اهتمام بفنون التصحيح والتحقيق، بل ولابابسط مستلزمات الكتاب، الأمر الذي أدّى إلى ابتعاد الجيل الناشئ عن مطالعة الكتب الاسلامية.

والدعوة إلى إحياء التراث ـ عزيزي القارئ ـ ليست ترفاً فكرياً أو بدعاً من الأمر، وإنما هي دعوة لإعادة بناء الإنسانية من خلال رسم خط سيرها الفكري، ولاكتشاف تلك الذخائر التي من خلالها يتم إعادة بناء الإنسان.

ولذا كثُرت الدعوات في العقود الأخيرة من هذا القرن من أجل بعث هذا التراث وتأصيله، وخصوصاً بعد نجاح الثورة الإسلامية وقيام دولتها في إيران بقيادة الإمام الراحل الخميني العظيم. فحدثت كثير من التحولات التي لبّت طموح الآملين في إحياء آثار الإسلام والمسلمين، فانشئت كثيراً من المؤسسات التي عنيت بإحياء التراث، ومنها: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية ـ قم. الذي انبرى العلماء والفضلاء المحقّقين فيه وشمّروا عن ساعد الجدّ لإحياء تراث الشيعة بدءاً بمصنفات الشهيدين ومروراً بآثار العلّامة وغيرهم من الأفذاذ الذين لازالت مصنّفاتهم تنتظر أن تُكسى الحلّة الجديدة لتخرج بأبهى صورة وأجمل هيئة.

وبما أنّ القرآن هو المصدر الرئيسي في التشريع الإسلامي وأقدس كتاب لدى المسلمين على شتى مذاهبهم، و به ثبتت نُبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله، وهو معجزة الإسلام الخالدة، وهو المصدر الوحيد «القطعي الثبوت» باتفاق المسلمين وإجماعهم، لم تطاله يد التحريف ولم تطرأ عليه زيادة أو نقصان، ومع كل ذلك فهو الكتاب المهجور الذي غفل عنه المسلمون وراحوا يلهثون وراء الأفكار الدخيلة التي هي أبعد ماتكون عن توفير حلول ناجعة لمشاكل الإنسانية.

ولاغرابة إذا قلنا: إنّ السبب الرئيسي في انحطاط المسلمين هو جهلهم بقيمة هذا الكتاب وماحواه من ثروات تشريعية وأخلاقية تكفل سعادة الإنسان إلى نهاية الشوط.

مضافاً إلى أن التعرف على القرآن الكريم له دور كبير في فهم العلوم الإلهية واستخراج الأحكام والقوانين الإسلامية العامة التي تعتبر حجر الأساس في صرح الدولة الإسلامية.

ولذا قرّر *«مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية»* تحقيق ونشر كتاب *«تفسير الأصفى»* للشيخ الفقيه والفيلسوف العارف والمفسّر المحدّث المولى محسن المعروف بـ*«الفيض الكاشاني»* من أعلام القرن الحادي عشر الهجري.

ويتميّز تفسير *«الأصفى»* عن باقي التفاسير بالإيجاز والاختصار، مضافاً إلى كونه تفسيراً روائياً جامعاً لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير آيات القرآن الحكيم.

نبذة عن حياة المفسّر:

كان المولى محمدبن المرتضى المدعو بـ*«محسن»* والمعروف بـ*«الفيض الكاشاني»* أحد نوابغ العلم والمعرفة في القرن الحادي عشر، وكان ـ مضافاً إلى علمه وفضله ـ حكيماً متكلماً محدّثاً مفسّراً عارفاً أديباً متبحراً في جميع العلوم والمعارف.

ولد رحمه الله في سنة (١٠٠٧) في مدينة قم المشرّفة ونشأ فيها، ثم انتقل إلى كاشان ليشدّ الرحال بعدها إلى مدينة شيراز للانتهال من العلمين: السيد ماجدبن عليّ البحراني وصدرالمتالهين الشيرازي، حيث تزوّج من ابنة الأخير، وما إن ارتوى من تلك المعارف عاد إلى مدينة كاشان ليكون هناك مرجعاً فذاً لاندّ له إلى أن توفّي فيها سنة ١٠٩١ وهو ابن الأربع والثمانين عاماً ودفن فيها، وقبره هناك مشهور يقصده العلماء والعارفون.

أما ترجمته فقد وردت في كثير من كتب التراجم وفي مقدمة كتبه التي حُقّقت وطُبعت أخيراً، وقد تصدّى في بعض كتبه لترجمة نفسه بنفسه، وقد ألّف الفيض الكاشاني ثلاث رسائل في فهرس مؤلفاته، طبعها المرحوم السيد محمد المشكاة في مقدمة المجلّد الثاني من كتاب «المحجّة البيضاء»، ولنكتف بهذا القدر على أنّا نحيل من يريد الاطلاع على ماذكرنا آنفاً.

أقوال العلماء فيه:

نعته المحدّث الشيخ الحرّ العاملي بقوله: «كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدّثاً

فقيهاً محققاً شاعراً أديباً حسن التصانيف ... »[1].

وقال عنه الرجالي الكبير محمدبن علي الأردبيلي: «محسن بن المرتضى رحمه الله العلّامة المحقق المدقّق، جليل القدر، عظيم الشان، رفيع المنزلة، فاضل كامل أديب، متبحّر في جميع العلوم»[2].

وقال صاحب الروضات: «أمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والأصول وكثرة التاليف مع جودة التعبير والتوصيف اشهر من انْ يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد»[3].

وقال المحدّث القمي: «وأمره في الفضل والأدب وطول الباع وكثرة الاطّلاع وجودة التعبير وحسن التحرير والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول أشهر من أن يخفى»[4].

وقال العلّامة الأميني في ترجمة علم الهدى ابن المؤلف:

«هو ابن المحقق الفيض علم الفقه، وراية الحديث، ومنار الفلسفة، ومعدن العرفان، وطود الأخلاق، وعباب العلوم والمعارف، وهو ابن ذلك الفذّ الذي قلّ ماانتج الدهر بمثيله، وعقمت الأيام ان تاتي بمشابهه»[5].

ونُقل عن العلّامة الطباطبائي صاحب الميزان قوله: «هو ممّن جمع العلوم وقلّ نظيره في العالم الإسلامي»[6].

مصنّفاته:

صرف المولى محسن الفيض عمره الشريف في ترويج الآثار المرويّة والمعارف الإلهيّة

١ـ «أمل الآمل» ٢ : ٣٠٥.

٢ـ «جامع الرواة» ٢ : ٤٢.

٣ـ «روضات الجنّات» ٦: ٧٩.

٤ـ «الكنى والألقاب» ٣ : ٣٥.

٥ـ «الغدير» ١١ : ٣٦٢.

٦ـ «مهر تابان» ٢٦.

تدريساً وتأليفاً، فخلّف ثروة علميّة عظيمة في شتّى أنحاء العلم والمعرفة من الفقه والحديث والحكمة والعرفان والأخلاق والتفسير والأدعية والأشعار وغيرها، ناهزت المائة والعشرين مصنَّفاً، منها: «الصافي» و«الأصفى» في التفسير، و«الوافي» و«النوادر» في الأخبار، و«معتصم الشيعة» و«مفاتيح الشرائع» في الفقه، و«عين اليقين» و«علم اليقين» في الحكمة والكلام، و«المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء».

وقد امتازت تأليفاته بجودة التحقيق وحسن البيان والتأليف وسلامة الألفاظ ومتانة المباني ودقّة المعاني وعلوّ المقاصد.

لقد أولى الفيض اهتماماً متزايداً وعناية بالغة بالقرآن والحديث، واستدلّ على آرائه في جميع مصنفاته بأدلّة من الكتاب العزيز وبالحديث الصادر عن الرسول وآله الطاهرين، وله في التفسير مسلك خاص، جمع فيه بين الطريقة والشريعة، ألّف في الحقائق القرآنية التي أُسّست على أصول الفطرة والحكمة المتعالية ـ التي تنطبق على نواميس الطبيعة والعرفان الصحيح الذي يلائم الفطرة والعقل ـ تفسيريْه «الصافي» و«الأصفى».

مؤلفاته في التفسير:

(١) «الصافي» وقع الفراغ من تأليفه في خمس وسبعين بعد الألف[1]، وقد طُبع في عشرة مجلّدات سنة ١٩٧٩ بتصحيح الشيخ حسين الأعلمي.

(٢) «الأصفى» وهو منتخب من الصافي، وقع الفراغ منه بعد الصافي بسنتين[2].

(٣) «تنوير المواهب»، قال في الفهرس: «وهو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي الموسوم بـ«المواهب العلية»، تنبّه على ماخالف الإمامية في تفسير الآيات وشأن النزول وبما ليس على طريقة أهل البيت عليهم السلام، وتورد ماورد عنهم عليهم السلام في ذلك، يقرب من ثلاثة آلآف بيت»[3].

١ـ «رسالة المصنّف في فهرست تآليفه» ضمن «المحجة البيضاء» ٢ : ٥.

٢ـ نفس المصدر السابق.

٣ـ نفس المصدر، ص١٢.

وذكره في «الذريعة» ٤: ٤٧١، الرقم: ٢٠٩١ باسم «تنوير المذاهب في تعليقات المواهب». ولم نعثر على نسخة منه في حدود مالدينا من فهارس المكتبات.

(٤) «تفسير آية الامانة»[1] رسالة في جواب من سأل عن تفسير هذه الآية، والنسخ الخطّية الموجودة منه كالتالي:

أ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٧١٢) ضمن مجموعة من صفحة (٢٥٤ ـ ٢٥٦)[2].

ب ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٧١٣) مع «أصول المعارف»[3] للمصنّف.

٤ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (٤٧٠٢) ضمن مجموعة من الورقة (١٢٠ إلى ١٢٨)[4].

٥ ـ مخطوطة مكتبة مدرسة الشهيد المطهّري المرقّمة (٦٣٢٧)[5].

٦ ـ مخطوطة مكتبة كلّية الإلهيات والمعارف الإسلامية في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، المرقّمة (١٣٣٥).

ما نُسب إليه من التفاسير فهي:

١ ـ «مجمع المطالب ومنتهى المآرب» في تفسير سورة الحمد والتوحيد. نسبه إليه في «الروضات» ٦: ٥٤٥، وفي «الذريعة» ٢: ١٢٤؛ ٢٥٥؛ ٢٠: ٤٤ و«ريحانة الادب» ٦: ٣٦٩. وفي فهرست مكتبة ملك الوطنية ٦: ١٤٤، المرقّمة (٦٧٠٨) ذكر أنّه «في تفسير سورة الحمد والتوحيد، كتبه في أربعين عمره»، وهذا سهو قطعاً؛ وذلك لأنّه لم يَرِد ذكره

١ـ «المحجة البيضاء»، ج ٢، ص ٢٠.

٢ـ «فهرست نسخه هاى خطّى مجلس شوراى اسلامى» ج ٥، ص ٥٦.

٣ـ نفس المصدر السابق، ج٥، ص ٥٧.

٤ـ نفس المصدر السابق، ج ١٣، ص ٨٥.

٥ـ فهرست نسخه هاى خطّى مدرسه سپهسالار (سابقاً) ١: ١٦٠؛ ٣: ١٥٥.

في أحد من الرسائل الثلاث للمصنف، مع أنّ النسخة الموجودة في مكتبة ملك الوطنية قد تمّ تاليفها في سنة (١٢٧٠)، وهي لشخص كان يُدعى بـ«ملّا محسن».

٢ ـ «المصفّى» في تلخيص «الأصفى»، نسب إليه في «ريحانة الأدب» ٦: ٢٤٢ و«روضات الجنات» ٦: ٥٤٥. وقال الطهراني في «الذريعة» ٢: ١٢٤، الرقم: ٤٩٦ تحت عنوان «الأصفى»: «إن هذا أوسط التفاسير الثلاثة التي ألّفها الفيض.»

وعلّق السيد المشكاة على ذلك قائلاً: «هذا هو المشهور ... ولكنّي لاأعرف للفيض أكثر من تفسيرين، وليس لهذا التفسير الثالث الذي يسمّى بـ«المصفّى» أثر في المكتبات ولافي شيء من فهارسه لتاليفاته»[١].

وقفة مع «الأصفى»:

تفسير «الأصفى» واحد من الآثار التفسيرية القيّمة للمولى محسن الفيض الكاشاني، وهو منتخب من تفسيره الكبير «الصافي»، يتألف من جزئين، يشتمل الجزء الأول على خمسة عشر جزءاً ابتداءً من سورة الفاتحة حتى سورة بني إسرائيل، والجزء الثاني من سورة الكهف حتى آخر سورة من القرآن الكريم.

وامتاز «الأصفى» ـ كما هو عليه «الصافي» ـ بأنّه تفسير مزجت فيه الرواية مع الدراية، وللاختصار حُذفت أسانيد الروايات، فكان تفسيراً موجزاً غاية الإيجاز مع شموله لجميع القرآن.

قال المصنف في خطبة الكتاب: «هذا مااصطفيت من تفسيري القرآن المسمّى بـ«الصافي»، راعيتُ فيه غاية الإيجاز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع التوضيح، مقتصراً على بيان مايحتاج إلى البيان من الآيات دون مايستغنى عنه من المحكمات الواضحات، فبالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفى».

طبع الأصفى قبل هذه الطبعة ثلاث طبعات: الأُولى عام ١٢٧٤، والثانية عام ١٣١٠

١ـ «المحجّة البيضاء» ٢: ٢٤.

في حاشية «الصافي»، والثالثة على الحجر في عام ١٣٠٣ ـ ١٣٥٤ في مجلد واحد كبير.

منهجية التحقيق:

أولاً: النسخ المعتمدة في التصحيح والتحقيق، وهي:

أ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٢١٦)، تمّ تحرير الجزء الأول في عام ١٠٩٠، والثاني في عام ١٠٨٩، أي قبل سنتين من وفاة المصنف في ٢٣٥ ورقة.

وناسخها: ابن عليّ بن عليّ الشهير بنوروز الدين محمد نصير، وهي نسخة كاملة مصححة جميلة الخط، وفي حواشيها علائم التصحيح والبلاغ، وفي بعض الحواشي هناك تعليقات لاتخلو من فائدة برمز «منه دام ظلّه» و«منه دام فيضه» و«منه»، ورمزنا لهذه المخطوطة بـ«ألف».

ب: مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة في مشهد والمرقمة (١١٦٢) في ٣٠٦ ورقة من المجموعة المهداة من قبل المرحوم الشيخ محمد صالح، العلامة الحائري المازندراني، تمّ تحريرها في شهر جمادى الثانية عام ١٠٨١هـ، وكتب في حاشية الصفحة الأخيرة: «بلغ سماعه على سماع تفهّم وتدبّر واستبصار واستكشاف، وفّقه الله للعمل به، وبلّغه أقصى مراتب الكمال، وكتبه الفقير إلى الله أحمدبن محمدحسن عفا الله عنه وأيّده الله لما يرتضيه».

وهي نسخة كاملة مظبوطة قيّمة، مصحّحة على نسخة المؤلّف، جميلة الخط، وفي حواشيه علائم التصحيح، وتعليقات نافعة برمز «منه سلّمه الله» و«منه دام ظلّه»، ورمزنا لها بـ«ج».

وكتب المرحوم الشيخ محمد صالح العلّامة الحائري المازندراني في الورقة الملصقة باول النسخة: «هذا التفسير المسمّى بـ«الأصفى» كلّه بخطّ المولى محمدهادي سبط أخي المصنف، وخطّه الشريف موجود عندي على ظهر الجزء الرابع والخامس عشر من أجزاء «الوافي»، وهو إجازته لابن أُخته المولى محمد رفيع».

إلى أن قال: «ولمّا وصل التحرير إلى هذا الكلام ذكرت أنّه وقع بيدي تفسير مسمّى

بالمؤلّف [كذا] بخط المؤلف من أهل هذا البيت، ففتحته فإذا فيه: يقول المتمسّك بحبل الله المتين «محمدبن المرتضى» المدعو بـ«نور الدين»، ثمّ قال في جملة كلام: ومن أراد الاطلاع على متون الأخبار والكتب المأخوذة هي منها، فليرجع إلى التفسير «الصافي» المنسوب إلى عمي «المحسن» الأستاذ ومن عليه فيما استفدته المعوّل والاستناد». وتفسير هذا خلاصة «الأصفى» بطرز بديع. وفرغ منه سنة تسعين وألف. والنسخة هي المسودة الأولى. وقد (شخط) على بعض عباراته، لمبالغته في الإيجاز. وأنا... العلّامة الحائري المازندراني».

هذا ولا يبعد أن يكون هذا التفسير هو التفسير الثالث المنسوب إلى الفيض المذكور في «الذريعة» وغيرها من المصادر كما تقدم.

ج: النسخة المطبوعة على الحجر عام ١٣٥٣ ـ ١٣٥٤ بخط محمد علي المصباحي النائيني والمتخلّص بـ«عبرت» وقد أضاف الكاتب في أوائل السور بعض الفوائد ورمزنا لها بـ«ب».

ثانياً: في موارد وجود اختلافات بين النسخ، أعرضنا عن إثباتها في الهوامش إلا ماقتضت الضرورة إثباته، مع بذل الجهد في اختيار ماهو الأنسب والأصحّ، معتمدين في ذلك أسلوب التلفيق بين النسخ.

ثالثاً: خرّجنا الأحاديث والآثار والأقوال والآراء التي أوردها المصنف ـ تصريحاً أو تلميحاً ـ وبذل الجهد في تخريجها وإحالتها إلى مصادرها الأصلية، وأشرنا إلى بعض الاختلافات في الهامش، وفي حالة اقتضاء السياق للزيادة، وضعنا تلك الزيادة بين معقوفتين[].

رابعاً: عمدنا إلى ضبط وإعراب بعض الكلمات في الموارد اللازمة وموضع الحاجة.

خامساً: اعتمدنا في الرسم القرآني على المصحف الشريف المكتوب بخط (عثمان طه)، وبالنظر لتعذر ضبط الآيات بهذا الرسم على أجهزة الكمبيوتر، فقد عمدنا إلى تجزئة الآيات وبالرسم العثماني ووضع كل آية في موضعها المناسب.

سادساً: اتبعنا في الترقيم والإملاء القواعد الحديثة والمتداولة.

النار لسبعين الف دار في كل دار سبعون الف بيت في كل بيت سبعون الف اسود في جوف كل اسود سبعون الف
جرة سم لا بد لاهل النار ان يمروا عليها. الفلق الفلق جب في جهنم يتعوذ اهل النار من شدة حره سأل الله ان
يأذن له ان يتنفس فأذن له فتنفس فأحرق جهنم. من شر ما خلق كائنا ما كان. ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه
اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء. ومن شر النفاثات في العقد من شر النفوس او النساء السواحر اللواتي يعقدن
عقداً في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق. ورد ان يهوديا سحر النبي في احدى عشرة عقدة في وتر
في بئر فنزلت المعوذتان واخبره جبرئيل عليه السلام بموضع السحر فبعث عليا عليه السلام فجاء به فقرأهما عليه
فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة فقوي. وقال كان النبي صلى الله عليه وآله يرى انه يجامع وليس يجامع وكان يريد الباب
ولا يبصره حتى يلمسه بيده والسحر حق وما يسلط الساحر الا على العين والفرج. اقول ولا ينافي الاخبار انه مسحور
فارادوا به انه مجنون بواسطة السحر. ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود
ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره. قال اما رأيته اذا فتح عينيه وهو ينظر
اليك هو ذاك. قيل خص الحسد بالاستعاذة منه لانه العمدة في الاضرار وورد كاد الحسد ان يغلب القدر

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس يعني
الموسوس عبر عنه بالوسواس مبالغة. الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه
القمي الخناس اسم الشيطان. الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم. من الجنة والناس
بيان للوسواس. قال ما من مؤمن الا ولقلبه اذنان في جوفه اذن ينفث فيها الوسواس الخناس واذن ينفث
فيها الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله وايدهم بروح منه. وفي رواية لكل انسان شيطان
وقيل الناس [illegible] العاصي كاصل الشيطان من الجن وقد سبق تفسير شياطين الانس في سورة الانعام

تم كتاب الاصفى بتيسير الله بعد تمام الصافي والحمد لله
اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على محمد وآله
[illegible] الطاهرين
وسلم

الصفحة الأخيرة من نسخة «الف»

وقم

علام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا للتمسك بالثقلين وجعل لنا القرآن هدى والمودة في القربى عترة وعينين من اهل بيت
نبيه المرسل بنور كتابه المنزل وكشف عن سر كتابه المنزل بعترة نبيه المرسل جعل الكتاب والعترة بينه
وبيننا حبلين ممدودين وحبلين مصطحبين غير مفترقين لم يزالا الى يوم القيامة طرف منهما بيده وطرف
بايدينا ما ان تمسكنا بهما لن نضل وما اعتصمنا بهما لن نزل فصل اللهم على محمد وعترته واسقنا من كأسهم
الاصفى ما يروينا وآتنا من فهم القرآن وتأويله الاوفى ما يغنينا اما بعد فيقول الفقير الى الله في كل
حال وموطن محمد بن مرتضى المدعو بمحسن زوده الله في دنياه معاده وجعل اخراه خيرا من اولاه هذا
ما اصطفيت من تفسيري للقرآن المسمى بالصافي راعيت فيه غاية الايجاز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع
التوضيح مقتصرا على بيان ما يحتاج الى البيان من الآيات دون ما استغنى عنه من المحكمات الواضحات
فالحري ان يسمى بالاصفى وعسى ان يفي ببيان اكثر ما لا يفهم ظاهره بدون البيان من القرآن وان كان
الصافي هو الاوفى وانما معولي فيه على كلام الامام المعصوم من آل الرسول لانهم اهل بيت القرآن المقصود لفهمهم وما
الى القشر لهم اذ لا يوجد معالم التنزيل الا عند قوم كان ينزل في بيوتهم جبرئيل ولا كشاف عن وجوه
عرائس اسرار التأويل الا من خوطب بانها التنزيل ولا يأتي تيسير تفسير القرآن الا من لديه مجمع البيان والتبيان
فلي من يقول لا اعلم ولي من يصير الى انهم لا والله لا اتبع الا اخبارهم ولا اقتفي الا آثارهم فطفقت التقط لبابه
فيما يفتقر الى التنبيه من الاحاديث ما وجدت اليه سبيلا اما بالفاظه وصورته او بمعانيه ومضمونه فضربت
لم اذكر قائله بخصوصه اذ حديثهم واحد وحديثهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول
الله صلى الله عليه وآله قول الله تبارك وتعالى كما ورد عنهم عليهم السلام فكل ما كان من الفاظهم عليهم السلام
صدرته بقال او ورد او في رواية فان تصرفت في شيء منه للتلخيص بتغيير او اتيت بمعانيه نبهت عليه
ان احتاج الى التنبيه ليعرف ان المنقول بمضمونه ومعانيه واكثر ما نبهت به على ذلك تعبيري بكلا او نحوه فانه
من اوجز الالفاظ لهذا التنبيه وما نقلته من تفسير علي بن ابراهيم القمي مما لم يخبر الى المعصوم وظاهره انه مسند
الى المعصوم سنده من التقي لم يتأن عن المعصوم وما رويت من طريق العامة صدرته بروي ليتأتى عما رويت من
طريق الخاصة ما لم اسنده الى حديث المعصوم سبيلا او لم اعتمد على او وجدت منه وهو ما يشير الى السماع وصحح

الصفحة الاولى من نسخة «ج»

الصفحة الأخيرة من نسخة «ج»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي هدانا للتّمسّك بالثّقلين، و جعل لنا القرآن هدًى، والمودّة في القربىٰ قرّة عين. أبلج عن هدى نبيّه المرسل بنور كتابه المنزل، و كشف عن سرّ كتابه المنزل بعترة نبيّه المرسل. جعل الكتاب و العترة بينه و بيننا حبلين ممدودين، و صاحبين مصطحبين غير مفترقين، لم يزل أقامهما فينا، طرفٌ منهما بيده و طرفٌ بأيدينا، ماتمسّكنا بهما لن نضلّ، و ما اعتصمنا بهما لن نزلّ. فصلّ اللّهمّ على محمّد و عترته، واسقنا من كأسهم الأصفى ما يروينا، و آتنا من فهم القرآن و علمه الأوفىٰ ما يُغنينا.

أمّا بعد، فيقول الفقير إلى الله في كلّ مسلك و موطن، محمّد بن مرتضى المدعوّ بمحسن ـ زوّده الله في دنياه لعقباه، و جعل آخرته خيراً من أُولاه ـ: هذا ما اصطفيت من تفسيري للقرآن المسمّىٰ بـ«الصّافي» راعيت فيه غاية الإيجاز مع التّنقيح، و نهاية التّلخيص مع التّوضيح، مقتصراً على بيان ما يحتاج إلى البيان من الآيات، دون مايستغنى عنه من المحكمات الواضحات؛ فبالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفىٰ».

و عسى أن يفي ببيان أكثر ما لايفهم ظاهره بدون البيان من القرآن، و إن كان «الصّافي» هو الأوفىٰ، و إنّما معوّلي فيه على كلام الإمام المعصوم من آل الرّسول، إلاّ فيما يشرح اللّغة و المفهوم و ما إلى القشر يؤول؛ إذ لايوجد معالم التّنزيل إلاّ عند قوم كان

ينزل في بيوتهم جبرئيل، و لا كشّاف عن وجوه عرائس أسرار التّأويل إلاّ من خوطب بأنوار التّنزيل. و لايتأتّىٰ تيسير تفسير القرآن إلاّ ممّن لديه مجمع البيان و التّبيان. فعلى من نعوّل إلاّ عليهم؟ و إلى من نصير إلاّ إليهم؟ لا والله لانتّبع إلاّ أخبارهم، و لانقتفي إلاّ آثارهم.

و لهذا ما أوردت فيما يفتقر إلى السّماع إلاّ حديثهم ما وجدت إليه سبيلاً، إمّا بألفاظه و متونه، أو بمعانيه و مضمونه؛ غير أنّي لم أذكر قائله بخصوصه، إذ حديثهم واحد، و حديثهم حديث رسول الله، و حديث رسول الله ﷺ قول الله تبارك و تعالى، كما ورد عنهم عليهم السّلام[1].

فكلّ ما كان من ألفاظهم عليهم السّلام صدّرته بـ«قال»، أو «وَرَدَ»، أو «في رواية».

فإن تصرّفت في شيء منه لتلخيصٍ يستدعيه، أو لتوضيح معانيه، نبّهت عليه إن احتاج إلى التّنبيه، ليُعْرَف أنّه المنقول بمضمونه و معانيه؛ و أكثر ما نبّهتُ به على ذلك تذييله بـ«كذا وَرَدَ»، فإنّه من أوجز ألفاظ هذا التّنبيه.

و ما نقلته من «تفسير عليّ بن إبراهيم القُمّي» ممّا لم ينسبه إلى المعصوم و ظاهره أنّه مسند إلى المعصوم، صدّرته بـ«القُمّي» ليمتاز عن المجزوم.

و ما رويت من طريق العامّة، صدّرته بـ«رُوِيَ» ليمتاز عمّا رويت من طريق الخاصّة.

و مالم أجد فيه إلى حديث المعصوم سبيلاً، أو لم أعتمد على ما وجدت منه، وهو ممّا يفتقر إلى السّماع ـ و عسى أن يكون قليلاً ـ أوردت من سائر التّفاسير ما هو أقوم قيلاً. و الله المستعان، نفعنا الله به و سائر الإخوان، بحقّ العترة و القرآن، إنّه الجواد المنّان.

١ ـ الكافي١: ٥٣، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

مقدّمة :

ينبغي لمن أراد فهم معاني القرآن من الأخبار من دون توهّم تناقض و تضادّ، أن لا يجمد في تفسيره و معناه على خصوص بعض الآحاد و الأفراد، بل يعمّم المعنى والمفهوم في كلّ ما يحتمل الاحاطة والعموم، كما ورد في بعض الآيات من الرّوايات. فإنّ وهم التّناقض في الأخبار المخصّصة إنّما يرتفع بذلك، و فهم أسرار القرآن يبتني على ذلك، و إنّ نظر اهل البصيرة إنّما يكون على الحقائق الكلّيّة، دون الأفراد الجزئيّة.

فما ورد في بعض الأخبار من التّخصيص، فإنّما ورد للتّنبيه على المنزّل فيه، أو الإشارة إلى أحد بطون معانيه، أو غير ذلك. و ذلك بحسب فهم المخاطب على سبيل الاستئناس، إذ كان كلامهم مع النّاس على قدر عقول النّاس[1].

و قد عمّم مولانا الصّادق عليه السلام الآية الّتي وردت في صلة رحم آل محمّد عليهم السّلام صلةَ كلِّ رَحِمٍ، ثمّ قال: «و لاتكوننّ ممّن يقول في الشّيء: إنّه في شيء واحد»[2].

و عليه نبّه عليه السلام في حديث المُفَضَّل بن عُمَر، حيث فسّر له قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «عليٌّ قسيم الجنّة و النّار»، و قد ذكرناه في مقدّمات «الصّافي»[3].

كيف و لو كان المقصود من القرآن مقصوراً على أفرادٍ خاصّة و مواضعَ مخصوصة، لكان القرآن قليلَ الفائدة، يسيرَ الجدوى و العائدة؛ حاشاه عن ذلك فإنّه «بحر لايُنْزَفُ»[4]،

١ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ؛ و قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا ان نُكلّم النّاس على قدر عقولهم». «الكافي ١: ٢٣، الحديث: ١٥».

٢ـ الكافي ٢: ١٥٦، الحديث: ٢٨. و يأتي ايضاً في ذيل الآية: ٢١ من سورة الرّعد.

٣ـ الصافي ١: ٢٢، المقدّمة الثالثة. و الحديث في علل الشّرايع ١: ١٦١، الباب: ١٣٠، الحديث: ١.

٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٣١٥، الخطبة: ٣١٨. و فيه: «بحرٌ لايَنْزِفُهُ المُسْتَنْزِفُونَ». نَزَفْتُ ماء البئر نزفاً: نزحتُه كلّه. الصّحاح ٤: ١٤٣٠ (نزف).

ظاهره أنيق[١]، و باطنه عميق، لا تُحْصى عجائِبُه، و لا تبْلى غرائِبُه». كما ورد[٢].

و قد تبيّن ممّا ذكرنا معنى التّأويل؛ فإنّه يرجع إلى إرادة بعض أفراد معنى العامّ، و هو ما بطن عن أفهام العوامّ، و يقابل التّنزيل[٣]. و الله يقول الحقَّ و هو يهدي السّبيلَ.



١ـ شيء أنيق، أي: حَسَنٌ معجب. الصّحاح ٤: ١٤٤٧ (أنق).

٢ـ الكافي ٢: ٥٩٩، الحديث: ٢، عن رسول الله ﷺ.

٣ـ في «ب» و «ج»: «بالتّنزيل».

سورة فاتحة الكتاب

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ قال: «الله هو الّذي يتألّه إليه كلّ مخلوق عندالحوائج و الشّدائد، إذا انقطع الرّجاء من كلّ مَنْ دونه و تقطّع الأسباب من جميع مَنْ سواه، يقول: «بسم الله»؛ أي: أستعين على أُموري كلّها بالله الّذي لاتحقّ العبادة إلّا له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دُعي»[1].

أقول: معنى يتألّه إليه: يفزع إليه و يلتجأ و يسكن. و في رواية: «يعني: بهذا الاسم أقرأ، أو أعمل هذا العمل»[2]. و في أخرى: «يعني: أَسِمُ نفسي بِسِمَةٍ من سِمات الله و هي العبادة. قال: و السِّمَة: العلامة»[3]. و يأتي حديث آخر في معنى «الله» في تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله.

﴿الرَّحْمٰنِ﴾ قال: «الّذي يرحم ببسط الرّزق علينا»[4]. و في رواية: «العاطف على خلقه بالرّزق، لايقطع عنهم موادّ رزقه، و إن انقطعوا عن طاعته»[5].

١ـ التّوحيد: ٢٣١، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.

٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥.

٣ـ التّوحيد: ٢٢٩، الباب: ٣١، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٤ـ المصدر: ٢٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.

٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٤.

أقول: الرّزق يشمل كلّ ما به قوام الوجود و الكمال اللائق به.

﴿الرَّحِيمِ﴾ قال: «الرّحيم بنا في ديننا ودنيانا و آخرتنا، خفّف علينا الدّين و جعله سهلاً، و هو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه»[١]. و في رواية: «الرّحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، و بعباده الكافرين في الرّفق في دعائهم إلى موافقته»[٢].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: «قال الله: قُولوا: الحمدلله على ما أنعم به علينا»[٣]. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال: «يعني: مالك الجماعات من كلّ مخلوق، و خالقهم، وسائق رزقهم إليهم من حيث يعلمون و من حيث لايعلمون، يقلّب الحيوانات في قدرته، و يغذوها من رزقه، و يحوطها[٤] بكنفه، و يدبّر كلاًّ منها بمصلحته، و يمسك الجمادات بقدرته ما اتّصل منها عن التّهافت[٥]، و المتهافت عن التّلاصق، و السّماء أنْ تقع على الأرض إلاّ بإذنه، و الأرض أن تنخسف إلاّ بأمره»[٦].

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. لعلّ تكريرهما للتّنبيه بهما في جملة الصّفات المذكورة على استحقاقه الحمد.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. قال: «يعني: القادر على إقامته و القاضي فيه بالحقّ. والدِّينُ: الحساب»[٧].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قال: «قال الله تعالى: قُولوا يا أيّها الخلق المُنْعَم عليهم: إيّاك ـ أيّها المُنعِمُ علينا ـ نطيع، مخلصين، موحّدين مع التّذلّل و الخشوع، بلا رياء و لاسُمعة»[٨].

١ ـ التّوحيد: ٢٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين، عن امير المؤمنين عليهم السّلام.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٤.
٣ ـ المصدر: ٣٠.
٤ ـ الحياطة: الحفاظة. مجمع البحرين ٤: ٢٤٣ (حوط).
٥ ـ التّهافت: التّساقط قطعةً قطعة. الصّحاح ١: ٢٧١ (هفت).
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام. ٣٠؛ و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٨٢ـ٢٨٣، الباب: ٢٨، الحديث: ٣٠.
٧ـ المصدر: ٣٨.
٨ ـ المصدر: ٣٩.

وفي رواية: «لانريد منك غيرك»[١].

أقول: إنّما انتقل العبد من الغيبة إلى الخطاب؛ لأنّه كان بتمجيده لله سبحانه يتقرّب إليه متدرّجاً، إلى أن بلغ في القرب مقاماً كأنّ العلم صار له عياناً، و الخبرَ شهوداً، و الغيبةَ حضوراً.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: «على طاعتك و عبادتك، و على دفع شرور أعدائك»[٢].

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. قال: «يعني: أدِمْ لنا[٣] توفيقك الّذي أطعناك به في ماضي أيّامنا، حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا»[٤]. و في رواية: «يعني: أرْشِدْنا للزوم الطّريق المؤدّي إلى محبّتك، و المبلّغ إلى جنّتك، و المانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب[٥]، و ان ناخذ بآرائنا فَنَهْلِكَ»[٦]. و في أُخرى: «الصّراط المستقيم في الدّنيا ما قصر عن الغلوّ، و ارتفع عن التّقصير، و استقام؛ و في الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة»[٧].

وفي أُخرى: «هي الطّريق إلى معرفة الله، و هما صراطان: صراط في الدّنيا و صراط في الآخرة، فامّا الصّراط في الدّنيا فهو الإمام المفترض الطّاعة؛ من عرفه في الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، و من لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه على الصّراط في الآخرة فتردّى[٨] في نار جهنّم»[٩]. و ورد: «الصّراط أدقّ من الشّعر

١ ـ تفسير القرآن الكريم، للسيّد مصطفى الخميني١: ٤١٩، نقلاً من تفسير الإمام عليه السلام. و لم نجده فيما كان بأيدينا من تفسير الإمام عليه السلام و نقله في الصّافي١: ٧٢ بلفظة: و في رواية عاميّة عن الصّادق عليه السلام.

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤١.

٣ ـ لمّا كان العبد محتاجاً إلى الهداية في جميع أموره آناً فآناً و لحظةً فلحظةً، فإدامة الهداية هي هدايةٌ أخرىٰ بعد الهداية الأولىٰ؛ فتفسير الهداية بإدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللّفظ. «منه في الصّافي ١: ٧٢».

٤ ـ معاني الأخبار: ٣٣، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.

٥ ـ العَطَب: الهلاك. الصّحاح ١: ١٨٤ (عطب).

٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤.

٧ ـ معاني الأخبار: ٣٣، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.

٨ ـ أي: سقط في جهنّم. مجمع البحرين ١: ١٨١ (ردا).

٩ ـ معاني الأخبار: ٣٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و أحدّ من السّيف. فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، و منهم من يمرّ عليه مثل عَدْو الفرس، و منهم من يمرّ عليه ماشياً، و منهم من يمرّ عليه حَبْواً[1]، و منهم من يمرّ عليه متعلّقاً، فتأخذ النّار منه شيئاً و تترك شيئاً»[2]. وفي رواية: «إنّه مُظْلِمٌ، يسعى النّاس عليه على قدر أنوارهم»[3].

أقول: مآل الكلّ واحدٌ؛ لأنّ الصّراط المستقيم ما إذا سلكه العبد أوصله إلى الجنّة، و هو ما يشتمل عليه الشّرع، كما قال الله تعالى: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[4]. و هو صراط التّوحيد و المعرفة، و التّوسّط بين الأضداد في الأخلاق، و التزام صوالح الأعمال.

و بالجملة: صورة الهُدى الّذي أنشأه المؤمن لنفسه مادام في دار الدّنيا مقتدياً فيه بهدى إمامه، ينتقل فيه من معرفةٍ إلى معرفةٍ أُخرى فوقها، و من خُلقٍ محمودٍ إلى أحمد، و من عملٍ صالحٍ إلى أصلح، حتّى يلتحق بأهل الجنّة. و هو أدقّ من الشّعر و أحدّ من السّيف في المعنى، مُظلم لايهتدي إليه إلّا من جعل الله له نوراً يمشي به في النّاس، يسعى النّاس عليها على قدر أنوارهم في المعرفة. و ورد: «إنّ الصّورة الإنسانيّة هي الطّريق المستقيم إلى كلّ خير، و الجسر الممدود بين الجنّة و النّار»[5].

و يتبيّن من هذا كُلّه أنّ الصّراط و المارّ عليه شيءٌ واحدٌ، في كلّ خُطْوَةٍ يضع قدمه على رأسه؛ أعني يعمل على مقتضى نور معرفته الّتي هي بمنزلة رأسه؛ بل و يضع رأسه على قدمه؛ أي: يبني معرفته على نتيجة عمله الّذي كان بناؤه على المعرفة السّابقة، حتّى يقطع المنازل و يصل إلى الجنّة؛ و إلى الله المصير.

١ـ حَبا الصَّبيُّ حَبْواً: إذا مشى على اربع. مجمع البحرين ١: ٩٤ (حبا).
٢ـ القمّي ١: ٢٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الصّافي ١: ٧٣؛ و نوادر الأخبار: ٣٤٦، الباب: ٩١، في الصّراط.
٤ـ الشّورى (٤٢): ٥٢.
٥ـ الصّافي ١: ٧٣، عن الصّادق عليه السلام.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: «أي قولوا: صراط الّذين أنعمت عليهم بالتّوفيق لدينك و طاعتك لا بالمال و الصحّة؛ فإنّهم قد يكونون كفّاراً أو فسّاقاً. قال: وهم الّذين قال الله تعالى: "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً"»[1].

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: «هم اليهود الذين قال الله فيهم: "مَنْ لَعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ"»[2].

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: «هم النّصارى الّذين قال الله فيهم: "قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً". ثمّ قال: كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه و ضالّ عن سبيل الله»[3].

و في رواية: «المغضوب عليهم: النّصّاب؛ و الضّالّين: اهل الشّكوك الّذين لايعرفون الإمام»[4].

أقول: و يدخل في صراط المُنْعَم عليهم: كُلُّ وسط و استقامة في العقائد والأخلاق و الأعمال، و هم: "الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا"[5]؛ و في صراط المغضوب عليهم: كُلُّ تفريط و تقصير، و لا سيّما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود بموسى وعيسى و نبيّنا صلوات الله عليهم؛ و في صراط الضّالّين: كُلُّ إفراط و غُلُوٍّ، و لا سيّما إذا كان عن جهل، كما فعلت النّصارى بعيسى عليه السلام؛ و ذلك لأنّ الغضب يلزمه البعد والطّرد، و المُقَصِّرُ هو المُدْبِر المُعْرِض فهو البعيد المطرود، و الضّلال هو الغيبة عن المقصود، و المفرط هو المقبل المجاوز، فهو الّذي غاب عنه المطلوب.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧ ـ ٤٨، و الآية في النّساء(٤): ٦٩.
٢ـ المصدر: ٥٠. و الآية في المائدة(٥): ٦٠.
٣ـ المصدر: ٥٠. و الآية في المائدة(٥): ٧٧.
٤ـ القمّي١: ٢٩: عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ فصّلت(٤١): ٣٠؛ و الأحقاف(٤٦): ١٣.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة البقرة

[مدنيّة، و هي مائتان و ستّ و ثمانون آيةً][1]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. قد مرّ تفسيرها.

﴿الٓمٓ﴾. قال: «هو حرف من حروف اسم الله الأعظم، المقطّع في القرآن، الّذي يؤلّفه النّبيّ أو الإمام عليهما السّلام، فإذا دعا به أُجيب»[2]. و في رواية: «و إذا عدّ أخبر بما يغيب»[3].

أقول: فهو سرّ بين الله و بين الحبيب، لم يقصد به إفهام غيره و غير الرّاسخين في العلم من ذرّيّته. و فيه الأعاجيب؛ و التّخاطب بالحروف المفردة سنّة الأحباب في سنن المحابّ.

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ قال: «يعني القرآن الّذي افتتح بـ"الم"، هو "ذلك الكتاب" الّذي أخبرت به موسى و من بعده من الأنبياء، و هم أخبروا بني إسرائيل أنّي سأُنزله عليك يا محمّد»[4]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال: «لا شكّ فيه لظهوره عندهم»[5]. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال:

1ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

2ـ معاني الاخبار: 23، الحديث: 2، عن أبي عبدالله عليه السلام.

3ـ لم نعثر على نصّه في الرّوايات، راجع: مجمع البيان 1ـ2: 33؛ والتبيان 1: 47.

4و5ـ تفسير الإمام عليه السلام: 62.

«الّذين يتّقون الموبقات، و يتّقون تسليط السَّفَه[1] على أنفسهم، حتّى إذا علموا ما يجب عليهم علمه، عملوا بما يوجب لهم رضا ربّهم، فإنّهم يهتدون به و ينتفعون بما فيه»[2].

﴿ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ قال: «بما غاب عن حواسّهم من توحيد الله، و نبوّة الأنبياء، و قيام القائم، و الرّجعة، و البعث، و الحساب، و الجنّة، و النّار، و سائر الأُمور الّتي يلزمهم الإيمان بها ممّا لايعرف بالمشاهدة، و إنّما يعرف بدلائل نصبها الله عزّ و جلّ عليه»[3]. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ قال: «بإتمام ركوعها و سجودها، و حفظ مواقيتها و حدودها، و صيانتها ممّا يفسدها أو ينقصها»[4]. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ قال: «من الأموال و الأبدان و القُوىٰ و الجاه و العلم»[5]. ﴿يُنفِقُونَ﴾: يتصدّقون.

«يحتملون الكَلّ[6]، و يؤدّون الحقوق لأهاليها، و يقرضون، و يُسْعِفُونَ[7] الحاجات، و يأخذون بأيدي الضّعفاء، يقودون الضّرائر[8] و يُنجونهم من المهالك، و يحملون المتاع عنهم، و يحملون الرّاجلين على دوابّهم، و يؤْثِرون من هو أفضل منهم في الإيمان على أنفسهم بالمال و النّفس، و يساوون من كان في درجتهم فيه بهما، و يعلّمون العلم من كان أهله، و يروون فضائل أهل البيت عليهم السّلام لمحبّيهم و لمن يرجون هدايته». كذا ورد[9].

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن و الشّريعة ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ قال:

١ـ السَّفَه: ضدّ الحلم. مجمع البحرين ٦: ٣٤٧ (سفه).
٢ـ معاني الأخبار: ٢٥، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.
٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٧و٧٣.
٥ـ المصدر: ٧٥.
٦ـ الْكَلّ ـ بفتح الكاف ـ الثقل والعيال. الصّحاح ٥: ١٨١١؛ و مجمع البحرين ٥: ٤٦٤ (كلل).
٧ـ الإسعاف: الإعانة و قضاء الحاجة. مجمع البحرين ٥: ٧٠ (سعف).
٨ـ الضّرائر: المحاويج (المحتاجون). الصّحاح ٢: ٧٢٠ (ضرر).
٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٧٥.

«من التّوراة و الإنجيل و الزّبور و صحف إبراهيم و سائر كتب الله المنزّلة»[١]. ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ ﴾ قال: «الدّار الّتي بعد هذه الدّار الّتي فيها جزاء الأعمال الصّالحة بأفضل ممّا عملوه، وعقاب الأعمال السّيّئة بمثل ما كسبوه»[٢]. ﴿ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ قال: «لايشكّون»[٣].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ قال: «على بيان وصواب و علم بما أمرهم به»[٤].

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ قال: «النّاجون ممّا منه يوجلون، الفائزون بما يؤمّلون»[٥].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ قال: «بالله و بما آمن به هؤلاء المؤمنون»[٦]. ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ قال: «خوّفتهم»[٧]. ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. قال: «أخبر عن علمه فيهم»[٨].

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾. قال: «وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته و أوليائه إذا نظر إليها بأنّهم الّذين لايؤمنون»[٩]. «عقوبةً على كفرهم»[١٠].

﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾: غطاء. قال: «و ذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النّظر فيما كلّفوه و قصّروا فيما أُريد منهم، جهلوا ما لزمهم الإيمان به، فصاروا كمن على عينيه غطاء، لايبصر ما أمامه؛ فإنّ الله عزّ و جلّ يتعالى عن العبث و الفساد، و مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه»[١١]. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال: «يعني في الآخرة العذاب المعدّ للكافرين، و في الدّنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه، بما ينزّل به من عذاب الاستصلاح لينبّهه على طاعته، أو من عذاب الاصطلام ليصيّره إلى عدله و حكمته»[١٢].

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٨٨.
٤و٥ـ المصدر: ٩٠.
٦، ٧و٨ـ المصدر: ٩١.
٩ـ المصدر: ٩٨.
١٠ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٣، الباب: ١١؛ الحديث: ١٦.
١١و١٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٩٨.

أقول: الاصطلام ـ بالمهملتين ـ الاستئصال.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾. «نزلت في المنافقين و النّاصبين العداوة لآل الرّسول، من الّذين زادوا على الكفر الموجب للختم. والغشاوة: النّفاق». كذا ورد[1]. ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: «يعاملون الله معاملة المُخادع». كذا ورد[2]. و في رواية: «يخادعون رسول الله بإبدائهم له خلاف ما في جوانحهم»[3].

أقول: وجه التّوفيق أنّ مخادعةَ الرّسول مخادعةُ الله، كما قال عزّ و جلّ: «إنَّ الَّذينَ يُبايِعُونَكَ إنَّما يُبايِعُونَ اللّه»[4]. و قال: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطاعَ اللّه»[5]. وقال: «وَ ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللّهَ رَمى»[6].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: و يخادعون الّذين آمنوا ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: «ما يضُرّون بتلك الخديعة إلّا أنفسهم؛ لأنّ الله غنيّ عنهم و عن نصرتهم، و لولا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم وطغيانهم»[7]. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: «أنّ الأمر كذلك، وأنّ الله يُطْلِعُ نبيّه على نفاقهم»[8].

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: نفاق و شكّ تغلي على النّبيّ و آله، حقداً و حسداً و غيظاً

١ـ راجع: تفسير الإمام عليه السلام: ١١١ـ١١٣.

٢ـ و يدلّ عليه ما رواه العيّاشي عن الصّادق عليه السلام: «انّ النبيّ صلى الله عليه وآله سُئل: فيما النّجاة غداً؟ قال: إنّما النّجاة أن لا تخادعوا اللّه فيخدعكم؛ فإنّ من يخادع الله يخدعه و يخلع منه الإيمان و نفسه يخدع لو يشعر. قيل له: و كيف يخادع الله؟ قال: يعمل ما أمره الله عزّ و جلّ ثمّ يريد به غيره؛ فاتّقوا الله و الرّيا، فإنّه شرك بالله». «عنه في الصّافي١: ٨٢ـ٨١». و الحديث مذكور في تفسير العيّاشي١: ٢٨٣ مع اختلاف يسير.

٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٤، و فيه «بإيمانهم».

٤ـ الفتح(٤٨): ١٠.

٥ـ النّساء(٤): ٨٠.

٦ـ الانفال(٨): ١٧.

٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٤.

وخنقا[1] ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: «بحيث تاهت قلوبهم»[2]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع غاية الإيجاع. و هو العذاب المعدّ للمنافقين، و هو أشدّ من عذاب الكافرين؛ لأنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بسبب كذبهم أو تكذيبهم، على اختلاف القرائتين[3].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ «بإظهار النّفاق لعباد الله المستضعفين، فتشوّشوا عليهم دينهم و تحيّروهم». كذا ورد[4]. ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؛ «لأنّا لانعتقد ديناً، فنرضى محمّداً في الظّاهر و نعتق أنفسنا من رقّه في الباطن، و في هذا صلاح حالنا». كذا ورد[5].

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ قال: «بما يفعلون أُمور أنفسهم، لأنّ الله يعرّف نبيّه نفاقهم، فهو يلعنهم و يأمر المسلمين بلعنهم و لايثق بهم أعداء المؤمنين؛ لأنّهم يظنّون أنّهم ينافقونهم أيضاً كما ينافقون المؤمنين، فلا يرتفع لهم عندهم منزلة»[6].

أقول: و لهذا ردّ عليهم أبلغ ردّ. ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾ قال: «قال لهم خيار النّاس»[7]. ﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾. قال: «المؤمنون كسلمان و المقداد و أبي ذرّ و عمّار»[8].

أقول: يعني إيماناً مقروناً بالإخلاص، مبرّأً عن شوائب النّفاق.

﴿قَالُوا﴾ قال: «قالوا في الجواب لمن يفيضون إليه، لا لهؤلاء المؤمنين، فإنّهم لايجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب»[9]. ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: «المذلّون أنفسهم

١ـ خَنَقَه: إذا عصر حلْقه. أساس البلاغة: ١٧٦ (خنق).

٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٧.

٣ـ فإنّه قرأ أهل الكوفة: «يَكْذِبُونَ» بفتح الياء، مخففاً، و الباقون «يُكَذِّبُونَ». راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧؛

٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٨.

٦، ٧، ٨و٩ـ المصدر: ١١٨ـ١١٩.

لمحمّد، حتّى إذا اضمحلّ أمره أهلكهم أعداؤه». كذا ورد[١]. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ قال: «الأخفّاء العقول و الآراء، الّذين لم ينظروا حقّ النّظر، فيعرفوا نبوّته و ثبات أمره»[٢]. ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: «أخدانهم[٣] من المنافقين المشاركين لهم في تكذيب الرّسول»[٤]. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: في الدّين والاعتقاد كما كنّا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بالمؤمنين.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: «يجازيهم جزاء من يستهزئ به، أمّا في الدّنيا ففي إجراء أحكام المسلمين عليهم، و أمره الرّسولَ بالتّعريض لهم حتّى لايخفى مَن المراد بذلك التّعريض، و أمّا في الآخرة فبأن يفتح لهم ـ و هم في النّار ـ باباً إلى الجنّة فيسرعون نحوه، فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، و ذلك قوله تعالى: "فَالْيَوْمَ الَّذين آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ"». كذا ورد[٥]. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ قال: «يمهلهم و يتأنّى بهم برفقه»[٦]. ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: في التّعدّي عن حدّهم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيّرون؛ والعمه في البصيرة كالعمى في البصر.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ قال: «باعوا دين الله و اعتاضوا منه الكفر بالله»[٧]. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ قال: «ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة، لأنّهم اشتروا النّار و أصناف عذابها بالجنّة الّتي كانت معدّة لهم لو آمنوا»[٨]. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ قال: «إلى الحقّ و الصّواب»[٩].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٨ـ١١٩.
٢ـ المصدر: ١١٩ـ١٢٠.
٣ـ جمعُ خِدْن، و الخدْن: الصّديق. الصّحاح ٥: ٢١٠٧؛ و مجمع البحرين ٦: ٢٤٣ (خدن).
٤، ٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٢٣. و الآية في الرّقم الخامس، في المطفّفين(٨٣): ٣٤.
٧، ٨و٩ـ المصدر: ١٢٥ـ١٢٦.

﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: حالهم العجيبة. و إنّما يضرب الله الأمثال للنّاس في كتابه لزيادة التّوضيح و التّقرير، فإنّها أوقع في القلب و أقمع للخصم. ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: «ليبصر بها ما حوله»[1]. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ «بإرسال ريح أو مطر أطفأها؛ و ذلك أنّهم أبصروا بظاهر الإيمان الحقّ و الهدى، و أُعطوا أحكام المسلمين، فلمّا أضاء إيمانُهم الظّاهرُ ما حولهم، أماتهم الله و صاروا في ظلمات عذاب الآخرة». كذا ورد[2]. ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ قال: «بان منعهم المعاونة واللّطف، و خلّى بينهم وبين اختيارهم»[3].

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ قال: «يعني في الآخرة، كما قال عزّ و جلّ: 'وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمّاً'»[4].

أقول: و في الدّنيا أيضاً في بواطنهم من أمور الآخرة، لأنّهم سدّوا مسامعهم من الإصغاء إلى الحقّ، و أبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، و أن يتبصّروا الآيات بأبصارهم. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضّلالة الّتي اشتروها إلى الهُدَى الّذي باعوه وضيّعوه.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ﴾: أو كمطر من العلا. قيل: يعني مَثَلُ ما خوطبوا به من الحقّ و الهدى كَمَثَلِ مطر؛ إذ به حياة القلوب، كما أنّ بالمطر حياة الأرض[5]. ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَٰعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾. مثّل الشّبهات و المصيبات بالظّلمات، و التّخويفَ و الوعيدَ بالرّعد، و الآياتَ الباهرةَ المتضمّنة للتّبصير و التّسديد بالبرق، و تصامُمَهُم عمّا يسمعون من الوعيد، و ما يطرقون به من النّكايات[6] بحال من يهوله الرّعد فيخاف صواعقه فيسدّ أُذنَه عنها، مع أنّه لاخلاص له

١و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٠.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٣؛ الباب: ١١، الحديث: ١٦.
٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٠ ـ ١٣١. والآية في الإسراء(١٧): ٩٧.
٥ـ جوامع الجامع ١: ٢٥؛ والتفسير الكبير (للرّازي) ١: ٧٨.
٦ـ نكيتُ في العدوّ نكاية: إذا أكثرت الجراح. أساس البلاغة: ٦٥٥ (نكى).

منها. ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ قال: «مقتدر عليهم؛ إن شاء أظهر لك نفاق منافقيهم و أبدى لك أسرارهم و أمرك بقتلهم»[1].

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾: يذهب بها. و ذلك لأنّ «هذا مثل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق، لم يغضّوا عنه أبصارهم، و لم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألئه، و لم ينظروا إلى الطّريق الّذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق. فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدّالّة على صدق النّبيّ ﷺ الّتي يشاهدونها و لايتبصّرون بها، و يجحدون الحقّ فيها، يبطل عليهم سائر ما علموه[2] من الأشياء الّتي يعرفونها، فإنّ من جحد حقّاً أدّاه ذلك إلى أن يجحد كلّ حقّ، فصار جاحده في بطلان سائر الحقوق عليه، كالنّاظر إلى جرم الشّمس في ذهاب بصره». كذا ورد[3].

﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾: وقفوا و تحيّروا. «فهؤلاء المنافقون إذا رأوا ما يحبّون في دنياهم، فرحوا و تيمّنوا ببيعتهم و إظهار طاعتهم، و إذا رأوا ما يكرهون في دنياهم، وقفوا و تشأموا بها». كذا ورد[4].

قيل: مثّل اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه، أو رفد تطمح إليه أبصارهم، بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلّما أضاء لهم، و تحيّرهم و توقّفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة، بتوقّفهم إذا أظلم عليهم[5]. و إنّما قال مع الإضاءة «كُلَّما»، و مع الإظلام «إذا»، لأنّهم حرّاص على المشي، كلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها، و لا كذلك التّوقّف[6].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٣.

٢ـ في المصدر: «عملوه».

٣ و ٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٣ـ ١٣٤.

٥ـ البيضاوي ١: ١٠٤.

٦ـ المصدر: ١٠١.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ قال: «حتى لايتهيأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم أنت و أصحابك، فتوجب قتلهم»[1]. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : لا يعجزه شيء.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

قال: «لها وجهان: احدهما: خلقكم و خلق الّذين من قبلكم لتتّقوه، كما قال: "وَ مَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإِنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونَ"[2]. و الآخر: اعبدوه لعلّكم تتّقون النّار. و "لَعَلَّ" من الله واجب؛ لأنّه أكرم من أن يُعَنِّي[3] عبده بلامنفعة و يطمعه في فضله ثمّ يخيّبه»[4].

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ قال: «جعلها ملائمةً لطبايعكم، موافقةً لأجسادكم، مطاوعةً لحرثكم و أبنيتكم و دفن موتاكم، لم يجعلها شديدةَ الحرارة فتحرقكم، و لاشديدة البرودة فتجمدكم، و لا شديدة طيب الرّيح فتصدع هاماتكم[5]، ولاشديدة النّتن فتعطبكم، و لا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم، و لاشديدة الصّلابة فتمتنع عليكم في حرثكم و أبنيتكم و دفن موتاكم؛ و لكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به في كثير من منافعكم»[6]. ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ قال: «سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها و قمرها و نجومها لمنافعكم»[7].

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ قال: «يعني: المطر، ينزله من العلا ليبلغ قُلَلَ

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٣ـ١٣٤.

٢ـ الذّاريات (٥١): ٥٦.

٣ـ بالنّون على بناء التّفعيل، اي: يكلّفه ما يشقّ عليه، و في بعض النّسخ «يُعيي» ـ بالياء ـ من قولهم: أعيى السّيرُ البعيرَ اي: اتعبه و أكلّه. و الاول اظهر.

٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٠ـ١٤٢. و «لعلّكم» على المعنى الاول متعلّق بـ «خَلَقَكُمْ»، و التّقوىٰ بمعنى العبادة. و على الثّاني متعلّق بـ «اُعْبُدُوا»، و التّقوى بمعنى الحذر. «منه في الصّافي ١: ٨٧».

٥ـ الهامَةُ: الرّأس. الصّحاح ٥: ٢٠٦٣ (هيم).

٦و٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٢؛ و عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٣٧، الباب: ١١، الحديث: ٣٦.

جبالكم و تلالكُم و هضابكُم و أوهادكم، ثمّ فرّقه رَذاذاً و وابلاً و هَطلاً وطَلاً[١] لتنشفه[٢] أرضوكم، و لم يجعل نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم و أشجاركم وزروعكم و ثماركم»[٣]. قال: «قال رسول الله ﷺ: ينزل مع كلّ قطرةٍ ملَكٌ يضعها في موضعها الّذي أمره به ربُّه جلّ و عزّ»[٤]. ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أي: لمطعمكم و مشربكم و ملبسكم و سائر منافعكم.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: «أشباهاً و أمثالاً من الأصنام الّتي لا تعقل و لا تسمع و لاتبصر و لاتقدر على شيء»[٥]. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «أنّها لاتقدر على شيء من هذه النّعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم»[٦].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ قال: «حتّى تجحدوا أن يكون محمّد رسولَ الله، و أن يكون هذا المنزّل عليه كلامي، مع إظهاري عليه بمكّة من الآيات الباهرات، كالغمامة المظلّلة عليه و الجمادات المسلّمة عليه و غير ذلك»[٧]. ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: «من مثل ما نزّلنا مماثلةً لهذا القرآن في البيان الغريب و حسن النّظم والبلاغة، أو[٨] من مثل عبدنا ممّن هو على حاله، من كونه لم يقرأ الكتب و لم يأخذ من العلماء». كذا ورد[٩]. ﴿وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: «أصنامكم و شياطينكم و من

١ ـ الهضاب: أعالي الجبال؛ و الرّذاذ: المطر الضّعيف؛ والوابل: المطر الشّديد؛ والهطل: المطر الضّعيف الدّائم و تتابع المطر؛ والطّلّ: أخفّ المطر و أضعفه.
٢ ـ النّشف: ذهاب الماء في الأرض والثّوب. يقال: نشفت الأرضُ الماءَ: شربته. النّهاية ٥: ٥٨ (نشف).
٣ ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٤٣.
٤ ـ المصدر: ١٥٠. في المصدر و «ج»: «عزّ وجلّ».
٥ و ٦ ـ المصدر: ١٤٣.
٧ و ٩ ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٥١ ـ ١٥٤ بالمضمون.
٨ ـ في التّرديد في التّفسير دلالة على أنّ القرآن ذو وجوه و أنّ حمله على الجميع صحيح، كما مرّ نظيره في قوله ـ سبحانه: «يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم» الآية. و ليس التّرديد في مثل ذلك من قبيل التّرديد في معناه. «منه في الصّافي ١: ٨٨».

تطيعونه و تعبدونه من دون الله، و تزعمون أنّهم شهداؤكم يوم القيامة، يشهدون لكم بعبادتكم عند ربّكم، ليشهدوا لكم بأنّ ما آتيتم مثله». كذا ورد[1]. و قيل: لينصروكم على معارضته، فيكون الشّهيد بمعنى النّاصر[2]. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: «بأنّ محمّداً تقوّله من تلقاء نفسه لم ينزّله الله عليه»[3].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: الاتيان بما يساويه أو يدانيه ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ قال: «و لا يكون هذا منكم أبداً، و لن تقدروا عليه»[4]. ﴿فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا﴾ قال: «حطبها»[5]. ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: «حجارة الكبريت، لأنّها أشدّ الأشياء حرّاً»[6]. و قيل: المراد بها الأصنام الّتي نحتوها و قرنوا بها أنفسهم و عبدوها طمعاً في شفاعتها، كما في قوله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ"[7]. ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: «المكذّبين بكلامه و نبيّه»[8].

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ قال: «من تحت أشجارها و مساكنها»[9]. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ «في الدّنيا؛ فأسماؤه كأسمائه، و لكنّها في غاية الطّيب، غير مستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدّنيا من الفضلات و الأخلاط إلّا العرق الّذي يجري في أعراضهم أطيب ريحاً من المسك». كذا ورد[10].

أقول: العِرْض ـ بالكسر ـ: الجسد.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥١ ـ ١٥٤ بالمضمون.

٢ـ البيضاوي ١: ١١٣.

٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥٤.

٤، ٥ و ٦ـ المصدر: ٢٠٢، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

٧ـ البيضاوي ١: ١١٦. والآية في سورة الأنبياء (٢١): ٩٨.

٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥٤.

٩ و ١٠ـ المصدر: ٢٠٢.

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ قال: «يشبه بعضه بعضاً بأنّها كلّها خيار لارَذْل[١] فيها، و بأنّ كلّ صنف في غاية الطّيب و اللّذة، ليست كثمار الدّنيا الّتي بعضها نَيّ[٢]، و بعضها متجاوز حدّ النّضيج[٣] والإدراك إلى حدّ الفساد، من حُموضة ومرارة وسائر صنوف المكاره، ومتشابهاً أيضاً: متّفقات الألوان، مختلفات الطّعوم»[٤].

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ «من أنواع الأقذار و المكاره لا يَحضْنَ و لايُحْدثْنَ ولايَصحنَ و لايتغايرن و لايتباغَضْنَ و لايَغشُشْنَ و لايَعبِنَ و لايَخْدَعْنَ و لايُكثرْنَ الطَّرْف والاختيال». كذا ورد[٥]. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قال: «لأنّ نيّاتهم في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنّيّات خُلّدوا»[٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ قال: «للحقّ، يوضحه لعباده المؤمنين»[٧]. ﴿مَا﴾ يعني: أيَّ مَثَلٍ كان، فإنَّ «ما» تزاد لزيادة الإبهام و الشّيوع. ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾. قال: «و هو الذّباب. ردّ بذلك على من طعن في ضربه الأمثال بالذّباب والعنكبوت، و بمستوقد النّار والصّيّب، في كتابه». كذا ورد[٨].

أقول: وجه الرّدّ أنّ المعتبر في المَثل أن يكون على وفق الممثّل له في الصِّغَر و العِظَم و الخِسّة و الشّرف، ليبيّنه و يوضحه حتّى يصير في صورة المشاهد المحسوس، دون الممثّل.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾. قال: «"أَنَّهُ": المثل المضروب،

١ـ الرَّذْل: الدّون الخسيس. الصّحاح ٤: ١٧٠٨؛ و مجمع البحرين ٥: ٣٨٢ (رذل).
٢ـ النَّيّ: الفاكهة او اللّحم الّذي لم يطبخ، أو طُبِخ أدنى طَبْخ و لم يَنْضَج. النّهاية ٥: ١٤٠ (نيأ).
٣ـ في المصدر و«ب»: «النُّضج». نَضِج اللّحم والفاكهة: استوى و طاب أكله. مجمع البحرين ٢: ٣٣٢ (نضج).
٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٣. والاختيال: التّكبّر. مجمع البحرين ٥: ٣٦٧ (خيل).
٦ـ علل الشّرائع ٢: ٥٢٣، الباب: ٢٩٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٨ـ المصدر: ٢٠٥.

"الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ" أراد به الحقّ و إبانته، و الكشف عنه و إيضاحه»[1]. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً﴾: أيّ شيء أراد به من جهة المَثَل ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾. قال: «يعني: يقول الّذين كفروا: إنّ الله يُضِلّ بهذا المثل كثيراً و يهدي به كثيراً، أي: لا معنى للمَثَل. لأنّه و إن نفع به مَنْ يهديه فهو يضرّ به من يضلّ به، فردّ الله عليهم بقوله»[2]: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: «الخارجين عن دين الله، الجانين على انفسهم بترك تأمّله و بوضعه على خلاف ما أمر الله بوضعه عليه»[3]. و قيل: بل قوله: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً" جواب "ماذا" أي: إضلال كثير بسبب إنكاره، و هداية كثير بسبب قبوله[4].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ قال: «المأخوذ عليهم لِلّه بالرّبوبيّة، و لِمحمّد بالنّبوّة، ولعليّ بالإمامة، ولشيعتهما بالمحبّة والكرامة»[5]. ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ قال: «إحكامه وتغليظه»[6]. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قال: «من الأرحام و القرابات أن يتعاهدوهم و يقضوا حقوقهم. و أفضلُ رَحِمٍ و أوجبُهُمْ حقّاً رَحِمُ محمّدٍ؛ فإنّ حقّهم بمحمّد، كما أنّ حقّ قرابات الإنسان بأبيه و أمّه، و محمّدٌ أعظم حقّاً من أبويه، و كذلك حقّ رَحِمِه أعظمُ، و قطيعتُه أفظع و أفضح»[7].

أقول: و يدخل في الآية التّفريق بين الأنبياء و الكتب في التّصديق، و ترك موالاة المؤمنين، و ترك الجمعة و الجماعات المفروضة، و سائر ما فيه رفض خيرٍ أو تعاطي شرٍّ، فإنّه يقطع الوصْلَة بين الله و بين العبد، الّتي هي المقصودة بالذّات من كلّ وصل و فصل.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ «بسبب قطع ما في وصله نظام العالم وصلاحه». كذا

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٦.
٤ـ البيضاوي ١: ١٢٧ـ ١٢٦، و فيه: «إهداء كثير».
٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٦.
٧ـ المصدر: ٢٠٧.

ورد[1]. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قال: «الّذين خسروا أنفسهم لمّا صاروا إلى النّيران، وحُرِموا الجنان»[2].

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ قال: «الخطاب لكفّار قريش و اليهود»[3]. ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ قال: «في أصلاب آبائكم و أرحام أُمّهاتكم»[4]. ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ قال: «أجرىٰ فيكم الرّوح وأخرجكم أحياء»[5]. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ قال: «في هذه النّشأة و يقبركم»[6]. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ قال: «في القبور، و ينعّمُ فيها المؤمنين و يعذّب الكافرين»[7]. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال: «في الآخرة، بأن تموتوا في القبور بعد الإحياء، ثمّ تحيوا للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى الثّواب أو العقاب»[8].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قال: «لتعتبروا به و تتوصّلوا به إلى رضوانه، و تتوقّوا من عذاب نيرانه»[9]. ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قال: «أخذ في خلقها و إتقانها»[10]. ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: عدّلهنّ مصونةً عن العوج و الفطور. ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولهذا خلق ما خلق، كما خلق لمصالحكم على حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ قال: «الّذين كانوا في الأرض مع إبليس و قد كانوا طردوا عنها الجنّ بني الجانّ و خفّفت عليهم العبادة»[11]. و ورد: «إنّ الجنّ كانوا يفسدون في الأرض، فبعث الله إليهم الملائكة، فقتلوهم و أسروا إبليس من بينهم وكان حاكماً فيهم»[12]. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال: «بدلاً منكم، ورافعكم منها، فاشتدّ ذلك عليهم؛ لأنّ العبادة عن رجوعهم إلى السّماء تكون أثقل

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٧.
٣ إلى ٨ ـ المصدر: ٢١٠.
٩ و١٠ ـ المصدر: ٢١٥.
١١ ـ المصدر: ٢١٦.
١٢ ـ القمّي ١: ٣٦ ـ ٣٧.

عليهم»[1]. و في رواية: «خليفة تكون حجةً لي في أرضي على خلقي»[2].

﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال: «كما فعلته الجنّ؛ بنوالجانّ الّذين قدطردناهم عن هذه الأرض»[3]. ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ﴾ قال: «ننزّهك عمّا لايليق بك من الصفات»[4]. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ قال: «نطهّر ارضك ممّن يعصيك»[5]. «فاجعل ذلك الخليفةَ منّا، فإنّا لانتحاسد و لا نتباغض و لانسفك الدّماء»[6]. و في رواية: «إنّهم منّوا على الله بعبادتهم إيّاه، فأعرض عنهم، و إنّهم قالوا في سجودهم في أنفسهم: ما كنّا نظنّ أن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا، نحن خُزّان الله و جيرانه، و أقرب الخلق إليه»[7]. و في أُخرى: «فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عامٍ، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم فتاب عليهم»[8].

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: «من الصّلاح الكامن[9] فيه، و من الكفر الباطن فيمن هو فيكم، و هو إبليس لعنه الله»[10]. ورد: «إنّه لمّا خلق الله آدم بقي أربعين سنةً مصوّراً، و كان يمرّبه إبليس و يقول: لأمرٍ مّا خُلقتَ؟ و قال: لئن أمرني الله بالسّجود لهذا عصيته»[11].

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: «أسماء المخلوقات من الجبال و البحار و الأودية والنّبات و الحيوان و غيرها»[12]. و في رواية: «أسماء أنبياء الله و أوليائه و عتاة أعدائه»[13].

١، ٣، ٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٦.
٢و٦ـ القمّي ١: ٣٦ـ٣٧.
٧ـ العيّاشي ١: ٣١، الحديث: ٧، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٨ـ علل الشّرايع ٢: ٤٠٦، الباب: ١٤٣، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٩ـ في المصدر: «الكائن فيمن اجعله بدلاً منكم».
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٦.
١١ـ القمّي ١: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.
١٢ـ المصدر: ٤٥.
١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.

أقول: وجه التّوفيق أنّ المراد بالأسماء، أسماء الله الحسنى الّتي بها خلقت المخلوقات كما أُشير إليها في أدعية أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ بقولهم: «و بالإسم الّذي خلقت به العرش، و بالإسم الّذي خلقت به الكرسيّ، و بالإسم الّذي خلقت به الأرواح»[1]؛ إلى غير ذلك. و إنّما اختصّ كلّ مخلوق باسم، بسبب غلبة ظهور الصّفة الّتي دلّ عليها ذلك الإسم فيه، كما أُشير إليه في الحديث القدسيّ: «يا آدم هذا محمّد و أنا الحميد المحمود في فعالي، شققت له اسماً من اسمي؛ و هذا عليّ و أنا العليّ العظيم، شققت له اسماً من اسمي»[2] الحديث. و إنّما أُضيفت في الحديث تارةً إلى المخلوقات كلّها، لأنّها كلّها مظاهرها الّتي فيها ظهرت صفاتها متفرّقة؛ و أُخرى إلى الأولياء و الأعداء، لأنّهما مظاهرها الّتي فيها ظهرت صفاتها مجتمعة، أي ظهرت صفات اللّطف كلّها في الأولياء، و صفات القهر كلّها في الأعداء. و المراد بتعليمها آدمَ كلّها، خَلْقُه من أجزاء مختلفة وقوىً متباينة، حتّى استعدّ لإدراك أنواع المدركات، من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات، وإلهامُه معرفةَ ذوات الأشياء وخواصّها وأُصول العلم وقوانين الصّناعات وكيفيّة آلاتها والتّمييز بين أولياء الله وأعدائه؛ فتأتي له بمعرفة ذلك كلّه مظهريّته لأسماء الله الحسنىٰ كلّها، و جامعيّته جميع كمالات الوجود اللاّئقة به، حتّى صار منتخباً لكتاب الله الكبير الّذي هو العالَم الأكبر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وفيك انْطَوَى العالَمُ الأكْبَرُ»[3].

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي: عرض أشباح المخلوقات جميعاً المدلول عليها بالأسماء كلّها. وفي الرّواية الأخيرة: «إنّه عرض أشباحهم حين كونهم أنواراً في

---

١ ـ البلد الأمين: ٤١١ـ ٤١٢؛ و البحار ٩٠: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، و هو دعاء الأسماء الحسنىٰ.

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٠.

٣ ـ ديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: ٤١. و المصرع الأوّل: «و تحسب أنّك جرمٌ صغيرٌ».

الاظلّة»[١]. ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني حقايقها الّتي هي أسماء الله الّتي بها خُلقت هذه الاشباحُ الّتي هي مظاهرها. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ «بأنّ تركّكم هٰهنا أصلح من إيراد من بعدكم بأنّكم أحقّ[٢] بالخلافة من آدم». كذا ورد[٣].

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: «بكلّ شيء»[٤].

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ قال: «المُصيب في كلّ فعل»[٥].

أقول: اعترفوا بالعجز و القصور لما قد بان لهم من فضل آدم ولاحت لهم الحكمة في خلقه، فصَغُر حالهم عند أنفسهم و قلّ علمهم لديهم و انكسرت سفينة جبروتهم، فَغَرَقُوا في بحر العجز وفوّضوا العلمَ والحكمةَ إلى الله؛ وذلك لعدم جامعيّتهم وكونهم وحدانيّةَ الصفة، إذ ليس في جبلّتهم خلط وتركيب، ولهذا لايفعل كلُّ صنف منهم إلاّ فعلاً واحداً، فالرّاكع منهم راكع أبداً، و السّاجد ساجدٌ أبداً، والقائم قائمٌ أبداً، كما ورد في الحديث[٦]. وقد حكى الله تعالى عنهم بقوله: "وَمَا مِنَّا إلاّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ"[٧]. فكلّ صنف منهم مَظْهرٌ لاسم واحد من الاسماء الإلٰهيّة لايَتَعَدّاه؛ ففاقهم آدمُ بمعرفته الكاملة و مظْهريّته الشاملة. و تمامُ بيانِ هذا التّأويل يُطلب من تفسيرنا الكبير[٨].

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾.

أقول: يعني أخْبِرْهُم بالحقائق المكنونة عنهم، والمعارف المستورة عليهم، ليَعْرِفوا جامعيّتك لها، وقُدرةَ الله على الجمع بين الصّفات المتباينة و الاسماء المتناقضة في مخلوق

١، ٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.
٢ـ في «ب» و «ج»: «و بأنّكم أحقّ».
٥ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢١٧.
٦ـ راجع: نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤١، الخطبة: ١.
٧ـ الصّافّات(٣٧): ١٦٤.
٨ـ الصّافي ١: ١٠٠.

واحد. ﴿ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ قال: «فعرفوها»[١]. ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال: «سرّهما»[٢]. ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ قال: «من ردّكم عليّ»[٣]. ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ قال: «من اعتقادكم أنّه لايأتي أحد يكون أفضلَ منكم، و عزم إبليس على الإباء على آدم إنْ أمر بطاعته، فجعل آدمَ حجّةً عليهم»[٤].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾. «وذلك لما كان في صُلبه من أنوار نبيّنا، وأهل بيته المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ وكانوا قد فُضِّلُوا على الملائكة باحتمالهم الأذىٰ في جنب الله، فكان السّجود لهم تعظيماً و إكراماً، ولِلّه ـ سبحانَه ـ عبوديّةً، ولآدم طاعةً». كذا ورد[٥].

﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾. ورد: «إنّه كان بين الملائكة يعبد الله في السّماء، وكانت تظنّه منهم فلمّا استكبر علمت أنّه لم يكن منهم، وإنّما دخل في الأمر، لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم»[٦]. ﴿ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ قال: «أخرج ما كان في قلبه من الحسد»[٧]. ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾. ورد: «إنّه أوّل من كفر و أنشأ الكفر»[٨].

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ورد: «إنّها كانت من جنان الدّنيا تطلع فيها الشّمس والقمر، و لو كانت من جِنان الخلد لم يدخلها إبليس ولاخرج منها آدم أبداً»[٩]. ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ قال: «واسعاً بلاتعب»[١٠]. ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ

١، ٢و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.
٣ـ العيّاشي ١: ٣١، الحديث: ٧، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٩ـ٢٢٠.
٦ـ القمّي ١: ٣٥ـ٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٤١ـ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٤، الباب: ٢٤، الحديث: ١.
٩ـ القمّي ١: ٤١ـ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢١ـ٢٢٢.

ٱلشَّجَرَةَ﴾ قال: «شجرة علم محمّدٍ و آل محمّد، الّتي آثرهم الله بها دون سائر خلقه، لايتناولُ منها بأمر الله إلاّ هم. قال: وكانت شجرةً تحمل انواع الثّمار والفواكه والأطعمة، فلذلك اختلفت الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: بُرَّة؛ وقال آخرون: عنَبَة، وقال آخرون: عنّابَة. وهي الشّجرة الّتي من تناول منها بإذن الله أُلهِمَ علمَ الأوّلين والآخرين من غير تعلّم، ومن تناول بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربّه»[1].

وفي رواية: «أنّها شجرة الكافور»[2]. وفي أُخرى: «أنّها شجرة الحسد»[3]. وفي أُخرى: «أنّ كلّها حقٌّ وانّ آدم قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضلَ منّي؟ فأراه الله أشباح آل محمّدٍ»[4]. وفي رواية: «أراه أسماءهم من العرش وقال: هٰؤلاء من ذرّيّتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولا هم ما خلقتك ولاخلقت الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الارض، فإيّاك ان تنظر إليهم بعين الحسد وتتمنّىٰ منزلتهم. فتسلّط عليه الشّيطان، حتّى أكل من الشّجرة الّتي نُهِيَ عنها، وتسلّط على حوّاء، فنظرت إلى فاطمة بعين الحسد، حتّى أكلت من الشّجرة كما أكل آدم»[5].

اقول: كما انّ للبدن غذاء من الحبوب والفواكه، كذلك للرّوح غذاء من العلوم والمعارف؛ وكما انّ لذلك الغذاء أشجاراً تثمرها كذلك لهذا، و لكلّ صنف من النّاس ما يليق به من الغذاء، ولكلّ فاكهةٍ في العالم الجسماني مثال في العالم الرّوحاني، ولهذا فسّرت الشّجرة تارةً بشجرة الفواكه، وأُخرى بشجرة العلوم. وكانّ شجرة علم محمّد إشارة إلى المحبوبيّة الكاملة المثمرة للتّوحيد الخالص المستجمع للكمالات الإنسانيّة قاطبةً،

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢١ـ٢٢٢.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣و٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٦، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٧.

٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٧، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٧.

فإنّ فيها من ثمار المعارف كلّها. وشجرة الكافور إشارة الى بَرْد اليقين الموجب للطُّمأنينة التامّة المقتضية للخلق العظيم الّذي كان لنبيّنا ﷺ. فلا تنافي بين الرّوايات، ولا بينها وبين ما قاله أهل التّأويل: إنّها شجرة الهوى والطّبيعة. لأنّ قربها إنّما يكون بالهوى والشّهوة الطّبيعيّة. وهذا معنى ما ورد إنّها شجرة الحسد، فإنّ الحسد إنّما ينشأ منها.

﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال: «بمعصيتكما والتماسكما درجةً قد أوثر بها غيرُكما إذا رمتما بغير حكم الله»[١].

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ «بوسوسته وخديعته وإيهامه وعداوته وغروره، بأن دخل بين لحيي الحيّة فأراهما أنّ الحيّة تخاطبهما» كذا ورد[٢]. ويأتي تمام القصّة في سورة الأعراف إن شاء الله[٣]. ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ قال: «من النّعيم»[٤].

﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ ﴾ قال: «يا آدم ويا حوّاء ويا إبليس ويا حيّة اهبطوا»[٥].
﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾. قال: «آدم وحوّاء وولدهما عدوٌّ للحيّة وإبليس، وإبليس والحيّة وأولادهما أعداؤهم. قال: وكان هبوط آدم وحوّاء والحيّة من الجنّة، فإنّ الحيّة كانت من أحسن دوابّها، وهبوط إبليس من حواليها، فإنّه كان يحرم عليه دخول الجنّة»[٦].

أقول: لعلّه إنّما يحرم عليه دخول الجنّة بارزاً بحيث يُعْرَف، وذلك لأنّه قد دخلها مختفياً في فم الحيّة ليُدلّيهما بغرور كما مرّ. وبهذا يرتفع التّنافي بين هذا الحديث وبين الّذي مرّ: أنّها لو كانت من جنان الخُلد لم يدخلها إبليس، أراد به دخولها وهو في فم

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٢.
٣ـ الأعراف (٧): ١٩ إلى ٢٣.
٤، ٥ و٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

الحيّة. فتدبّر.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ قال: «منزل و مقرّ للمعاش»[١]. ﴿ وَمَتَاعٌ ﴾ قال: «منفعة»[٢]. ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ قال: «حين الموت»[٣]. وفي رواية: «يوم القيامة»[٤]. ولعلّ وجه التّوفيق، حديث: «من مات فقد قامت قيامته»[٥].

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾. قال: «يقولها، فقالها»[٦]. ورد: «هي لاإلهَ إلاّ أنْتَ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فاغْفِرْلي وَأنْتَ خَيْرُ الْغافِرينَ. لاإلهَإلاّ أنْتَ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فاغْفِرْلي وارْحَمْني، إنَّكَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ. لاإلهَإلاّ أنْتَ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فَتُبْ عَلَيَّ إنَّكَ أنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ»[٧]. وفي رواية: «بحقّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ»[٨]. وفي أخرى: «بحقّ محمّد وآل محمّد»[٩].

وقيل: هي: "رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا" ـ الآية[١٠]. ﴿ فَتَابَ ﴾ الله ﴿ عَلَيْهِ ﴾ بها ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ ﴾ قال: «القابل للتّوبات»[١١] ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ قال: «بالتّائبين»[١٢].

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾. قال: «أُمروا أوّلاً بالهبوط، وثانياً بأنْ لايتقدّم أحدهم الآخرين»[١٣]. ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. قيل: «ما» مزيدة لتأكيد الشّرط. ولذلك حسن النّون من غير طلب؛

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

٤ـ القمّي١: ٤٣.

٥ـ كنز العمّال١٥: ٥٤٨، الحديث: ٤٢١٢٣.

٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

٧ـ الكافي٨: ٣٠٤، الحديث: ٤٧٢، عن احدهما عليهما السّلام.

٨ـ معاني الأخبار: ١٢٥، الحديث: ٢؛ و الكافي٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٢، مرفوعة.

٩ـ الاحتجاج١: ٥٥، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

١٠ـ البيضاوي١: ١٤٣. والآية في الأعراف (٧): ٢٣.

١١، ١٢و١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

والشّرط الثّاني مع جوابه جواب الشّرط الأوّل[١].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: دلالاتنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: «أولاد يعقوب»[٢]. ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «أن بعثت محمّداً و أقررته في مدينتكم و لم أُجَشِّمْكم الحطّ[٣] والتّرحال إليه، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه، كيلا يشتبه عليكم حاله»[٤]. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قال: «الّذي أخذته على أسلافكم، بلسان أنبيائهم، وأمرتهم أن يؤدّوه إلى أخلافهم، ليؤمننّ بمحمّد العربيّ المؤيّد بالمعجزات»[٥]. ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: «الّذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة»[٦]. ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ قال: «في مخالفة محمّد فإنّي القادر على صرف بلاء مَنْ يعاديكم على موافقتي، وهم لايقدرون على صرف انتقامي عنكم، إذا آثرتم مخالفتي»[٧]. وفي رواية: «أوفوا بولاية عليّ، فرضاً من الله، أُوف لكم بالجنّة»[٨].

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ قال: «فإنّ مثل هذا الذّكر في كتابكم»[٩]. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾. قيل: فيه تعريض بأنّ الواجب أن تكونوا أوّل مؤمن به، لأنّهم كانوا عالمين بشأنه، مستفتحين به، مبشّرين بزمانه[١٠]. ورد: «إنّ هؤلاء يهود المدينة، جحدوا نبوّة محمّد وخانوه بعد ما عرفوه، وقالوا: نحن نعلم أنّ محمّداً نبيّ وأنّ

١ـ البيضاوي ١: ١٤٤.
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٧.
٣ـ اجشمني فلان أمراً و جشّمنيه: كلّفني، والحطّ: النّزول و وضع الأحمال عن الدّوابّ. لسان العرب ١٢: ١٠٠ و٧: ٢٧٢ (جشم، حطط).
٤، ٥، ٦، ٧ و٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٧ـ٢٢٨.
٨ـ العيّاشي ١: ٤٢، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ البيضاوي ١: ١٤٨.

عليّاً وصيّه؛ ولكن لستَ أنت ذلك. ولا هذا، ولكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة»[١].

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾. قال: «كان لهم مأكلة على قومهم في كلّ سنة فكرهوا بطلانها بأمر النّبيّ، فحرّفوا لذلك آياتٍ من التّوراة، فيها صفته وذكره؛ فذلك الثّمن الّذي أُريد به في الآية»[٢]. ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ قال: «في كتمان أمر محمّد وأمر وصيّه»[٣].

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: «لاتخلطوه به بأن تقرّوا به من وجه وتجحدوه من وجه»[٤]. ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ قال: «من نبوّة هذا وإمامة هذا»[٥]. ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال: «إنّكم تكتمونه؛ تكابرون علومكم وعقولكم»[٦].

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ قال: «المكتوبة الّتي جاء بها محمّد ﷺ، وأقيموا أيضاً الصّلاة على محمّد وآله»[٧]. ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ قال: «من أموالكم إذا وجبت، ومن أبدانكم إذا لزمت، ومن معونتكم إذا التمست»[٨]. وفي رواية: «هي الفطرة الّتي افترض الله على المؤمنين»[٩]. قال: «نزلت الزكاة وليست للنّاس الأموال، وإنّما كانت الفطرة»[١٠].

﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ قال: «تواضعوا مع المتواضعين؛ لعظمة الله في الانقياد لأولياء الله»[١١]. وقيل: صلّوا في الجماعة[١٢].

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ قال: «بالصّدقات وأداء الأمانات»[١٣]. ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾: تتركونها ﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ قال: «التّوراة الآمرة لكم بالخيرات،

١ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٢٩.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٩٥، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ إلى ٨ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٢٩.
٩ـ العيّاشي ١: ٤٢، الحديث: ٣٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
١٠ـ المصدر: ٤٣، الحديث: ٣٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
١١ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٣١.
١٢ـ البيضاوي ١: ١٥٠.
١٣ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٣٤.

النّاهية عن المنكرات»[1]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال: «ما عليكم من العقاب في أمركم بما به لاتأخذون، وفي نهيكم عمّا أنتم فيه منهمكون ـ قال: ـ نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم»[2]. وفي رواية: «نزلت في الخطباء والقصّاص»[3].

أقول: وهي جارية في كلّ من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ «عن الحرام؛ على تأدية الأمانات، و عن الرّياسات الباطلة على الاعتراف بالحقّ واستحقاق الغفران والرّضوان ونعيم الجنان». كذا ورد[4]. وفي رواية: «إنّ الصبرَ الصيام»[5]. ﴿وَالصَّلَوٰةِ﴾ قال: «الصّلوات الخمس والصّلاة على محمّد و آله»[6]. وفي رواية: «كان عليّ عليه السلام إذا هاله شيء، فزع إلى الصّلاة، ثمّ تلا هذه الآية»[7]. و روي مثله عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً[8]، فتشتمل غير الخمْس. ﴿وَإِنَّهَا﴾ القمّي: يعني الصّلاة[9]. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ قال: «عظيمة»[10].

أقول: يعني ثقيلة شاقّة، لقوله تعالى: "كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ"[11].

﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ قال: «الخائفين عقاب الله في مخالفته في أعظم فرائضه»[12].

قيل: وذلك لأنّ نفوسهم مرتاضة بأمثالها، متوقّعة في مقابلتها ما يستخفّ لأجله مشاقّها ويستلذّ بسببه متاعبها، كما قال نبيّنا صلى الله عليه وآله: «جعلت قرّة عيني في الصّلاة»[13].

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٤.
٣ـ القمّي ١: ٤٦، و فيه: «الخطّاب» بدل «الخطباء».
٤و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
٥ـ الكافي ٤: ٦٣، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر ٣: ٤٨٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٩٩.
٩ـ القمّي ١: ٤٦.
١٠ و١٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
١١ ـ الشّورى (٤٢): ١٣.
١٣ـ البيضاوي ١: ١٥١.

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ ﴾ قال: «يوقنون أنّهم يبعثون»[1]. وفي رواية: «يقدّرون ويتوقّعون أنّهم يلقون ربّهم، اللّقاء الّذي هو أعظم كرامته لعباده ـ قال ـ: وإنّما قال "يظنّون" لأنّهم لايدرون بماذا يختم لهم، لأنّ العاقبة مستورة عنهم، لايعلمون ذلك يقيناً، لأنّهم لا يأمنون أن يغيّروا ويبدّلوا»[2]. ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ قال: «إلى كراماته ونعيم جنّاته»[3].

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: «أن بعثت موسى وهارون إلى أسلافكم بالنّبوّة، فهدياهم إلى نبوّة محمّد و وصيّة عليّ وإمامة عترته عليهم السّلام، وأخذا عليهم بذلك، العهود، إن وفوا بها كانوا ملوكاً في الجنان»[4]. ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ ﴾ قال: «فضلّت أسلافكم في دينهم بقبول ولاية محمّد وآله، وفي دنياهم بتظليل الغمامة، وإنزال المنّ والسّلوى، وسقيهم من الحَجَرِ ماءً عذباً، وفلق البحر لهم، وإنجائهم من الغَرَقِ، وغرق أعدائهم»[5]. ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: «عالَمي زمانهم الّذين خالفوا طريقتهم وحادوا عن سبيلهم»[6]. «وإنّما خاطب اللهُ الاخلافَ بما فعل بالأسلاف أو فعلوه هم، لرضاهم به، ولأنّ القرآن نزل بلغة العرب وهم يتخاطبون بمثل ذلك»[7]. كذا ورد.

﴿ وَٱتَّقُوا يَوْمًا ﴾ قال: «وقت النّزع»[8]. ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ قال: «لاتدفع عنها عذاباً قد استحقّته»[9]. ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ قال: «بتأخير الموت»[10]. ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ قال: «فداء، بان تمات وتترك

١ـ العيّاشي ١: ٤٤، الحديث: ٤٢، عن امير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يوقنون أنّهم مبعوثون».
٢ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
٤ـ المصدر: ٢٤٠، و فيه نسبة فعل الهداية و الأخذ إلى الله تعالى.
٥ و٦ـ المصدر: ٢٤٠ـ٢٤١.
٧ـ المصدر: ٢٧٢.
٨، ٩ و١٠ـ المصدر: ٢٤٠ـ٢٤١.

هي. قال: هذا يوم الموت، فإنّ الشفاعة والفداء لايغني عنه، فأمّا في القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء»[١]. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني في دفع الموت والعذاب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ قال: «واذكروا إذ أنجينا أسلافكم»[٢].

أقول: هذا تفصيل لما أجمله في قوله: "اذكروا نعمتي".

﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «و هم الّذين كانوا يؤلون إليه بقرابته وبدينه ومذهبه»[٣].

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ قال: «كانوا يعذّبونكم»[٤].

أقول: من سامه الأمر: كلّفه إيّاه، وأكثرما يستعمل في العذاب والشرّ.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال: «شدّة العذاب. و كان من عذابهم الشّديد انّه كان فرعون يكلّفهم عمل البناء والطّين و يخاف أن يهربوا عن العمل، فأمر بتقييدهم، وكانوا ينقلون ذلك الطّين على السّلاليم إلى السّطوح، فربّما سقط الواحد منهم فمات أو زمن[٥]، ولا يحفلون[٦] بهم»[٧]. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾. قال: «و ذلك لمّا قيل لفرعون: إنّه يولد في بني إسرائيل مولود، يكون على يده هلاكك و زوال ملكك»[٨]. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ قال: «يبقونهنّ ويتّخذونهنّ إماء»[٩]. ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾: في الإنجاء ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «نعمة»[١٠]. ﴿عَظِيمٌ﴾ قال: «كبير»[١١].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٠ـ٢٤١.
٢، ٣و٤ـ المصدر: ٢٤٢ـ٢٤٣.
٥ـ رجل زَمِن: مبتلى بيّن الزّمانة، و الزّمانة: العاهة. لسان العرب ١٣: ١٩٩ (زمن).
٦ـ الحفل: المبالاة. يقال: ما أحفل بفلان: اي ما أبالي به. لسان العرب ١١: ١٥٩ (حفل).
٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٣.
٩، ١٠و١١ـ المصدر: ٢٤٤.

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ قال: « واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض»[1]. ﴿ فَأَنجَيْنَاكُمْ ﴾ قال: «هناك»[2]. ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ قال: «فرعون وقومه»[3]. ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ قال: «إليهم وهم يغرقون»[4].

﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾: «وعده الله أن يعطيه التّوراة بعد هلاك فرعون، وضرب له ميقاتاً ثلاثين يوماً، فاستاك بعد مضيّ ثلاثين، فذهب طيب فمه فأتمّه بعشر». كذا ورد[5]. ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ إلهاً ومعبوداً ﴿ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾. يأتي قصّته في الأعراف إن شاء الله[6].

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. قال: «يعني عفونا عن أوائلكم عبادة العجل، لعلّكم ـ يا أيّها الكائنون في عصر محمّد من بني إسرائيل ـ تشكرون تلك النّعمة على أسلافكم وعليكم بعدهم»[7].

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ قال: «التوراة»[8]. ﴿ وَالْفُرْقَانَ ﴾ قال: «فرق ما بين الحقّ والباطل، والمحقّ والمبطل»[9]. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ قال: «يقتل بعضكم بعضاً؛ يقتل من لم يعبد العجل من عبده»[10]. ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾؛ «لأنّه كفّارتكم فهو خير من أن تعيشوا في الدّنيا ثمّ تكونوا في النّار خالدين»[11]. كذا ورد. ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: «قَبِلَ توبتكم، قبل استيفاء القتل لجماعتكم وقبل إتيانه على كافّتكم، وأمهلكم للتوبة

١، ٢، ٣و ٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٥.
٥ـ المصدر: ٢٤٨ـ ٢٥٠.
٦ـ في ذيل الآية: ١٤٣.
٧، ٨و ٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٢.
١٠و ١١ـ المصدر: ٢٥٤.

واستبقاكم للطّاعة»[١]. ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ قال: «أسلافكم»[٢]. ﴿يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: «عياناً»[٣]. ورد: «إنّهم السّبعون الّذين اختارهم وصاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنّك رأيت الله فأرناه كما رأيته؛ فقال لهم: إنّي لم أره فقالوا له ذلك»[٤]. ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: «إلى الصّاعقة تنزل»[٥].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قال: «الحياة الّتي فيها تتوبون وتقلعون، لكيلا تخلّدوا في النّار»[٦].

اقول: ويأتي تمام الكلام في سؤالهم الرّؤية في الأعراف إن شاء الله[٧].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قال: «لمّا كنتم في التّيه[٨] تقيكم من حرّ الشّمس وبرد القمر»[٩]. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ قال: «التّرنجبين كان يسقط على شجرهم، فيتناولونه». ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾ قال: «السُّمانَى أطيب طير كان يسترسل بهم، فيصطادونه»[١٠]. وفي رواية: «ينزل عليهم باللّيل المنّ فيأكلوه، وبالعشيّ يجيء طائر مشويّ فيقع على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار عنهم»[١١].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٤.

٢و٣ـ المصدر: ٢٥٦.

٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٦١، الباب: ١٢، الحديث: ١.

٥و٦ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢٥٦.

٧ـ في ضمن الآية: ١٥٥.

٨ـ التّيه في اللّغة: المفازة يتاه بها. و تيهُ بني إسرائيل: الصّحراء الّتي تاهوا بها أي حاروا، فلم يهتدوا للخروج منها، و هي أرض بين «أيلة» و «مصر» و «بحر القلزم» و جبال «السّراة» من أرض الشّام يقال: إنّها أربعون فرسخاً في مثلها، و قيل: اثناعشر فرسخاً في ثمانية فراسخ. «راجع: معجم البلدان٢: ٦٩ و لسان العرب ١٣: ٤٨٢ـ تيه».

٩و١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٨.

١١ـ القمّي ١: ٤٨.

﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ قال: «قال الله: كلوا»[1]. ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ قال: «لمّا غيّروا وبدّلوا ما به أُمروا، ولم يفوا بما عليه عاهدوا؛ لأنّ كفر الكافر لايقدح في سلطاننا. كما أنّ إيمان المؤمن لايزيد في سلطاننا»[2]. ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ قال: «هي "أريحا"[3] من بلاد الشام؛ وذلك حين خرجوا من التّيه»[4]. ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ قال: «واسعاً بلاتعب»[5]. ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ ﴾ قال: «باب القرية»[6]. ﴿ سُجَّدًا ﴾: ساجدين لله ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ قال: «سجودنا لله حطّة لذنوبنا، ومحو لسيّئاتنا»[7]. ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ السّالفة ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: «من لم يقارف[8] الذّنب منكم ثواباً»[9].

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ قال: «لم يسجدوا كما أُمروا، ولاقالوا ما أُمروا، بل دخلوها بأستاههم[10]، وقالوا ما معناه: حنطة حمراء نتقوّتها، أحبّ إلينا من هذا الفعل وهذا القول»[11].

﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾. قيل: كرّره مبالغة في تقبيح أمرهم، وإشعاراً بأنّ الإنزال عليهم لظلمهم على أنفسهم، ولوضع غير المأمور به موضعه[12]. ﴿ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ ﴾: عذاباً. وهو في الأصل ما يعاف عنه، كالرّجس. ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ قال: «يخرجون عن أمر الله وطاعته. قال: والرّجز الّذي أصابهم، أنّه مات بالطّاعون

١و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٨.
٣ـ مدينة الجبّارين في الغور من أرض الأُردنّ بالشّام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس. معجم البلدان١: ١٦٥.
٤،٥،٦،٧،٩و١١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٠ـ٢٥٩.
٨ـ قارف الذّنب: داناه و لاصقه. النّهاية ٤: ٤٥ (قرف).
١٠ـ الاست: العَجُزُ و جمعه: استاه. «الصّحاح ٦: ٢٢٣٣ـ سته». و في مجمع البيان ١ـ٢: ١١٩: «كانوا لقد أُمِرُوا أن يدخلوا الباب سجّداً وطوطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك، فدخلوه زاحفين على أستاههم».
١٢ـ راجع: البيضاوي١: ١٥٦.

منهم في بعض يوم، مائة وعشرون ألفاً وهم الّذين في علم الله أنّهم لايؤمنون ولايخرج من صلبهم ذرّيّة طيّبة»[١].

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ قال: «لمّا عطشوا في التّيه وضجّوا إليه بالبكاء»[٢].

﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ قال: «فضربه بها داعياً بمحمّد و آله الطّيّبين، فانفجرت»[٣]. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ قال: «كلّ قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب»[٤]. ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ قال: «ولايزاحم الآخرين في مشربهم»[٥]. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾: من المنّ والسّلوى والماء ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لاتعتدوا؛ من العثوّ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ قال: «المنّ والسّلوى ولابدّ لنا من خلط معه»[٦]. ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ قال: «الفوم: الحنطة»[٧]. ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ قال: «أتستدعون الأدون ليكون لكم بدلاً من الأفضل؟»[٨]. ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قال: «من الأمصار»[٩]. ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ قال: «الجزية والفقر»[١٠].

﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ قال: «رجعوا و عليهم الغضب واللّعنة»[١١]. ﴿مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ قال: «يتجاوزون أمر الله إلى أمر إبليس»[١٢]. قيل: جرّهم العصيان والاعتداء فيه، إلى الكفر بالآيات وقتل النّبيّين؛ فإنّ صغار الذّنوب تؤدّي إلى كبارها، كما أنّ صغار الطّاعات

١ إلى ٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦١.
٦ ـ المصدر: ٢٦٣.
٧ ـ القمّي ١: ٤٨.
٨ إلى ١٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٣.

تؤدّي إلى كبارها[1]. وفي رواية: «والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصيةً»[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: «بالله وبما فرض عليهم الإيمان به»[3]. ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ قال: «يعني اليهود»[4]. ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾ قال: «الّذين زعموا أنّهم في دين الله متناصرون»[5]. وفي رواية: «الّذين هم من قرية يقال لها: "ناصرة" من بلاد الشّام»[6]. ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قال: «الّذين زعموا أنّهم صبَوا إلى دين الله و هم كاذبون»[7].

أقول: «صبَوا» أي: «مالوا» إن لم يهمز، و «خرجوا» إن كان بالهمز. والقمّي: إنّهم ليسوا من أهل الكتاب، ولكنّهم يعبدون الكواكب والنّجوم[8].

﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: «عهودكم: أن تعملوا بما في التّوراة وما في الفرقان الّذي أعطيته موسى مع الكتاب، وتقرّوا بما فيه من نبوّة محمّد و وصيّة عليّ والطّيّبين من ذرّيّتهما، وأن تؤدّوا إلى أخلافكم قرناً بعد قرن، فأبيتم قبول ذلك واستكبرتموه». كذا ورد[9]. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ قال: «الجبل، أمرنا جبرئيل أن يقلع من جبل فلسطين، قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخاً في فرسخ، فقطعها وجاء بها، فرفعها فوق رؤوسهم»[10].

١ـ البيضاوي ١: ١٥٧.
٢ـ العيّاشي ١: ٤٥، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣، ٤ و ٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٤.
٦ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٠.
٧ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢٦٥.
٨ـ القمّي ١: ٤٨.
٩ و ١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾. قال: «قال لهم موسى: إمّا أن تأخذوا بما أمرتم به فيه، وإمّا أن أُلقي عليكم هذا الجبل، فأُلجئوا إلى قبوله كارهين، إلاّ من عصمه الله من العناد؛ فإنّه قَبِلَه طائعاً مختاراً. ثمّ لمّا قبلوه سجدوا وعفّروا، وكثير منهم عفّر خدّيه لا لإرادة الخضوع لله، ولكن نظراً إلى الجبل هل يقع أم لا»[١]. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ قال: «من قلوبكم ومن أبدانكم»[٢]. ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ قال: «من جزيل ثوابنا على قيامكم به، وشديد عقابنا على إبائكم له»[٣]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال: «لتتّقوا المخالفة الموجبة للعقاب، فتستحقّوا بذلك، الثّواب»[٤].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ قال: «عن القيام به»[٥]. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ قال: «بإمهالكم للتّوبة، وإنظاركم للإنابة»[٦]. ﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ قال: «لمّا اصطادوا السّموك فيه»[٧]. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: «مبعدين عن كلّ خير»[٨].

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ قال: «المسخة الّتي أخزيناهم ولعنّاهم بها»[٩]. ﴿نَكَالًا﴾ قال: «عقوبة»[١٠]. ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال: «من ذنوبهم الموبقات الّتي بها استحقّوا العقوبة»[١١]. ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ قال: «وردعاً للّذين شاهدوهم بعد مسخهم الّذين يسمعون بها من بعدها، لكي يرتدعوا عن مثل أفعالهم»[١٢]. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.
٢ـ العيّاشي ١: ٤٥، الحديث: ٥٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.
٤ـ المصدر: ٢٦٧، و فيه: «جزيل الثّواب».
٥و٦ـ المصدر: ٢٦٧.
٧، ٨و٩ـ المصدر: ٢٦٨.
١٠ـ المصدر: ٢٦٨، و فيه: «عقاباً و ردعاً».
١١و١٢ـ المصدر: ٢٦٨.

ويأتي قصّتهم في الأعراف إن شاء الله[1].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾. ملخّص ما ورد في بيان هذه القصّة: «انّ رجلاً من خيارهم خطب امرأةً منهم حسناء، فأُجيب، وخطبها ابن عمّ له، فَرُدَّ فحسده فقتله، وحمله إلى موسى عليه السلام وقال: ابن عمّي هذا قُتِلَ ولاأدري من قَتَلَهُ. فأمر الله موسى أن يأمرهم بذبح بقرة يضربون ببعضها المقتول، ليحيى ويخبرهم بالقاتل. فسألوا عن صفتها لجاجاً وسوء ظنّ بموسى، فتعيّنت وانحصرت في واحدة، فطلبوها فلم يجدوا إلاّ عند شابّ كان لايبيعها إلاّ بملأ جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى فأخبروه، فقال لهم موسى: لابدّ لكم من ذبحها بعينها فاشتروها بملأ جلدها ذهباً»[2].

﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ قال: «سخرية»[3]، «نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة»[4]. ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾. قال: «انسب إلى الله ما لم يقل لي[5]، ـ قال ـ: فعلموا أنّهم قد أخطاوا»[6].

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ قال: «ما صفتها لنقف عليها»[7]. ﴿ قَالَ إِنَّهُ ﴾: إنّ الله ﴿ يَقُولُ ﴾ قال: «بعد ما سأل ربّه»[8]. ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ قال: «لا كبيرة ولاصغيرة»[9]. ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ قال: «وسط بين الفارض والبكر»[10]. ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ ﴾ قال: «إنّ الله يقول»[11]: ﴿ إِنَّهَا

١ ـ في ذيل الآية: ١٦٣.

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٣ـ ٢٧٥.

٣ ـ المصدر: ٢٧٥.

٤و٦ ـ القمّي ١: ٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥، ٧، ٨، ٩و١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٦.

١١ ـ المصدر: ٢٧٧.

بقرة صفراء فاقع لونها﴾ قال: «حسنة الصفرة، ليس بناقص يضرب إلى البياض؛ ولا بمشبع يضرب إلى السّواد»[١]. ﴿تسر النّاظرين﴾ قال: «لبهجتها وحسنها وبريقها»[٢].

﴿قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هي﴾ قال: «ما صفتها؟ يزيد في صفتها»[٣]. ﴿إنّ البقر تشابه علينا وإنّا إن شاء الله لمهتدون﴾. قال: «لو لم يستثنوا، لما بيّنت لهم آخر الأبد»[٤].

﴿قال إنّه يقول إنّها بقرة لا ذلول تثير الأرض﴾ قال: «لم تذلّل لإثارة الأرض[٥] ولم ترض[٦] بها»[٧]. ﴿ولا تسقي الحرث﴾ قال: «ولا هي ممّا تجرّ الدّلاء ولا تدير النّواعير، قد أعفيت من ذلك أجمع»[٨]. ﴿مسلّمة﴾ قال: «من العيوب كلّها»[٩]. ﴿لا شية فيها﴾ قال: «لا لون فيها من غيرها»[١٠]. ﴿قالوا الآن جئت بالحقّ فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ قال: «من عظم ثمن البقرة»[١١]. قال: «لو عمدوا إلى أيّ بقرة أجزأهم، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم»[١٢].

﴿وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها﴾ قال: «اختلفتم وتدارأتم: ألقى بعضكم ذنب القتل على بعض وأدراه عن نفسه و ذويه»[١٣]. ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ قال: «من

١و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٧. و البريق: التّلألؤ. يقال: برق السّيف و غيره، إذا لمع و تلألأ، و الاسم: البريق. لسان العرب ١٠: ١٥ (برق).

٣ـ المصدر: ٢٧٧.

٤ ـ البيضاوي ١: ١٦٢؛ والدرّ المنثور ١: ٧٧.

٥ ـ أرض مثارة: إذا أثيرت بالسّن، وهي الحديدة الّتي تحرث بها الأرض. و أثار الأرض: قلبها على الحبّ بعد ما فتحت مرّة. لسان العرب ٤: ١١١ (ثور).

٦ ـ الرّضّ: دقّ الشّيء. و إبل رضارض: راتعة، كأنّها ترضّ العشب. لسان العرب ٤: ١٥٤ (رضض).

٧، ٨، ٩ و ١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٧.

١١ ـ المصدر: ٢٨١.

١٢ ـ العيّاشي ١: ٤٦، الحديث: ٥٧، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

١٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٢.

خبر القاتل وإرادة تكذيب موسى باقتراحكم عليه ما قدّرتم أنّ ربّه لايجيبه إليه»[١].

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ قال: «اضربوا الميّت ببعض البقرة ليحيى، وقولوا له: من قتلك؟ فاخذوا ذنبها وضربوه به، فقام سالماً سويّاً وقال: يا نبيّ الله! قتلني ابن عمّي هذا، فقاده موسى عنه»[٢]. ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ قال: «في الدّنيا والآخرة؛ كما أحيا الميّت بملاقاة ميّت آخر؛ أمّا في الدّنيا، فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الّذي كان في الأصلاب والأرحام حيّاً، وأمّا في الآخرة، فينزل بين نفختي الصّور من دوين السّماء من البحر المسجور منيّاً كمنيّ الرّجال، فيمطر ذلك على الأرض فيلقي الأموات البالية، فينبتون من الارض ويحيون»[٣]. ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ قال: «غلظت وجفّت ويئست[٤] من الخير والرّحمة، قلوبكم معاشر اليهود!»[٥]. ﴿مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ قال: «من بعد ما تبيّنت الآيات الباهرات»[٦]. ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ قال: «اليابسة؛ لاترشح برطوبة، ولاينتفض[٧] منها ماينتفع به. أي: إنّكم لاحقّ الله تؤدّون، ولا من أموالكم ولا من حواشيها[٨] تتصدّقون، ولا بالمعروف تتكرّمون وتجودون، ولا الضّيف تَقْرُونَ، ولا مكروباً تغيثون، ولا بشيء من الإنسانيّة تعاشرون وتعاملون»[٩]. ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ قال: «فيجيئ بالخير و النّبات لبني آدم. أبهم اولاً بالتّرديد، ثمّ بيّن أنّ قلوبهم

١ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٢.

٢ـ المصدر: ٢٧٨، و فيه: «قتلاني هذان ابناعمّي».

٤ـ في المصدر: «يبست».

٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٣.

٧ـ نفضت الثّوب والشّجر انفضه: إذا حرّكته لِيَنْتَفِضَ. والنَّفَض ـ بالتّحريك ـ ما تساقط من الورق والثّمر. لسان العرب ٧: ٢٤٠ (نفض).

٨ـ في المصدر: «مواشيها».

٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٣.

أشدّ قسوة من الحجارة». كذا ورد[١]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ قال: «وهو ما يقطر منه الماء دون الانهار»[٢]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قال: «إذا أقسم عليها باسم الله وبأسماء أوليائه»[٣]. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ قال: «يا محمّد أنت وأصحابك»[٤]. ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ قال: «هؤلاء اليهود، يصدّقوكم بقلوبهم»[٥]. ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: طائفة من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ قال: «في أصل جبل طور سيناء»[٦]. ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: «عمّا سمعوه، إذا أدّوه إلى من وراءهم»[٧]. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه بعقولهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: «أنّهم في تقوّلهم كاذبون»[٨]. قيل: يعني: انّ أحبارهم ومقدّميهم كانوا كذلك، فما طمعكم بسَفَلَتهمْ وجهّالهم[٩]؟

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «من دلائل نبوّة محمّد وإمامة عليّ»[١٠]. ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ قال: «بأنكم قد علمتم هذا وشاهدتموه، فلِمَ لم تؤمنوا[١١] به ولم تطيعوه؟»[١٢]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال: «إنّ الّذي تخبرونهم به، حجّة عليكم عند ربكم»[١٣].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: «هؤلاء القائلون لإخوانهم: "أتحدّثونهم"»[١٤]. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

١و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٤.
٣ـ المصدر: ٢٨٤.
٤و٥ـ المصدر: ٢٩١.
٦، ٧و٨ـ المصدر: ٢٩٢.
٩ـ البيضاوي ١: ١٦٤.
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٨.
١١ـ في المصدر: «فلم تؤمنوا به و لم تطيعوه».
١٢، ١٣و١٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٨.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: «لا يقرؤون ولايكتبون. والأُمّي منسوب إلى الأُمّ، أي: هو كما خرج من بطن أُمّه لايقرأ ولايكتب»[1]. ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ قال: «إلاّ أن يُقرأ عليهم ويقال لهم: هذا كتاب الله وكلامه، لايعرفون أنّ ما قرئ من الكتاب خلاف ما فيه»[2].

أقول: يعني: إلاّ ما يقدّرون في أنفسهم من مُنىً أخذوها تقليداً من المحرّفين للتّوراة واعتقدوها، لم يعرفوا أنّه خلاف ما في التّوراة. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: لاعلم لهم.

﴿فَوَيْلٌ﴾ قال: «شدّة من العذاب في أسوء بقاع جهنّم»[3]. ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: يحرّفون من أحكام التّوراة ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. «كتبوا صفة النّبيّ ﷺ بخلاف ما هو به، وقالوا للمستضعفين: هذه صفة النّبيّ المبعوث في آخر الزّمان، وأنّه يجيء بعد هذا الزّمان بخمسمائة سنة». كذا ورد[4]. ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال: «لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم لهم منهم إصاباتهم، ويكفّوا أنفسهم مُؤْنَةَ خدمة رسول الله ﷺ»[5]. ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ قال: «شدّة العذاب ثانية[6] مضافة إلى الأُولى»[7]. ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ قال: «من الأموال الّتي يأخذونها إذا أثبتوا عوامّهم على الكفر»[8].

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾. قيل: وهي الّتي عَبَدْنا فيها العجل[9]. قال: «وهي تنقضي ثمّ نَصيرُ بعده في النّعمة في الجنان، ولانستعجل المكروه في الدّنيا

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٩.
٣، ٤ و٥ ـ المصدر: ٣٠٢ ـ ٣٠٣.
٦ ـ في «الف»: «ثابتة».
٧ و٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٠٢ ـ ٣٠٣.
٩ ـ البيضاوي ١: ١٥٦؛ والقمّي ١: ٥١.

للعذاب الّذي هو بقدر أيّام ذنوبنا»[١]. ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ قال: «إنّ عذابكم على كفركم منقطع غير دائم؟»[٢]. ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ يعني: فإن اتّخذتم عهداً فلن يخلف الله عهده. ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. قال: «بل أنتم في أيّهما ادّعيتم كاذبون»[٣]. قال: «بل ما هو إلّا عذاب دائم لانفاد له»[٤].

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾. قال: «السيّئة المحيطة به أن تخرجه عن جملة دين الله، و تنزعه عن ولاية الله و تؤمّنه من سخط الله[٥]؛ و هي الشّرك بالله، والكفر به و بنبوّة محمّد، و ولاية عليّ وخلفائه عليهم السّلام. كلّ واحد من هذه سيّئة تحيط به، أي تحيط بأعماله فتبطلها و تمحقها»[٦]. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: واذكروا إذ أخذنا ﴿مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال: «عهدهم المؤكّد عليهم»[٧].

أقول: وهو جارٍ في أخلافهم لما أدّى إليهم أسلافهم قرناً بعد قرن، و جارٍ في هذه الأمّة أيضاً كما يظهر ممّا يأتي.

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال: «لا تشبّهوه بخلقه، ولا تجوروه في حكمه، ولا تعملوا ما يراد به وجهه تريدون به وجه غيره»[٨]. قال: «من شغله عبادة الله عن مسألته، أعطاه الله أفضل ما يعطي السّائلين»[٩].

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: «وأن تحسنوا بهما إحساناً، مكافاة عن إحسانهما إليكم وإنعامهما عليكم»[١٠]. «والحقّ محمّد و عليّ اللّذين هما أبوا هذه الأمّة عليهم أعظم من

١و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٠٤.
٣، ٤و٦ـ المصدر: ٣٠٤ـ٣٠٥.
٥ـ في المصدر: «و ترميه في سخط الله»، و في بعض نسخ المصدر: «لاتؤمّنه من سخط الله».
٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٢٦.
٩ـ المصدر: ٣٢٧، عن أبي محمّد عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
١٠ـ المصدر: ٣٢٦.

حقّ أبوي ولادتهم، لأنّهما ينقذانهم من النّار إن أطاعوهما». كذا ورد[١]. ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾: «وأن تحسنوا بقراباتكم منهما لكرامتهما. ولحقّ قربى محمّد وعليّ أعظم من حقّ قربى أبوي النّسب، على قدر زيادة فضل محمّد وعليّ». كذا ورد[٢].

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: الّذين فقدوا آباءهم الكافين[٣] لهم أمورهم. «وأشدّ منهم يتماً يتيم عن إمامه[٤]، ابتلي بجهالة شرايع دينه، فمن علّمه و هداه من علماء الشيعة كان مع أئمّته في الرّفيق الأعلى». كذا ورد[٥]. ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: «مَنْ سكّنَ الضرُّ و الفقرُ حَركَتَه. وأفضل من مواساتهم، مواساة الّذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم عن مقاتلة أعداء الله، الّذين يعيّرونهم بدينهم ويسفّهون أحلامهم، بتقويتهم بفقهه وعلمه، حتّى أزال مسكنتهم، ثمّ سلّطهم على الأعداء الظّاهرة؛ من الإنس، والأعداء الباطنة؛ من مردة الأبالسة، حتّى يهزموهم عن دين الله». كذا ورد[٦].

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ «كلّهم: مؤمنهم ومخالفهم؛ أمّا المؤمن فببسط الوجه والبشر؛ وأمّا المخالف فبالمداراة، ليكفّ بذلك شرّه عن نفسه وإخوانه». كذا ورد[٧]. وفي رواية: «قولوا للنّاس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم»[٨].

أقول: و أمّا ما ورد: «أنّها نزلت في أهل الذّمّة ثمّ نسخت بآية القتال»[٩]، فلا ينافي

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٣٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النّبي صلى الله عليه وآله.
٢ـ المصدر: ٣٢٦و٣٣٤.
٣ـ في المصدر: «الكافلين لهم».
٤ـ والأوفق بالسّياق: «يتيم انقطع عن إمامه».
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٢٦و٣٣٩.
٦ـ المصدر: ٣٤٥و٣٤٦.
٧ـ المصدر: ٣٥٣و٣٥٤.
٨ـ الكافي ٢: ١٦٥، الحديث ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ الخصال ١: ٢٧٥، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ما قلناه، لجواز كونها إنّما نسخت في حقّ المأمورين بقتالهم، وبقي حكمها في سائر النّاس.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ «أيها اليهود، عن الوفاء بالعهد الّذي أدّاه إليكم أسلافكم». كذا ورد[1]. ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ قال: «عن ذلك العهد، تاركين له، غافلين عنه»[2].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: لا يسفك بعضكم دماء بعض ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ قال: «لا يخرج بعضكم بعضاً»[3]. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قال: «بذلك الميثاق، كما أقرّبه أسلافكم والتزمتموه كما التزموه»[4]. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ قال: «بذلك على أسلافكم وأنفسكم»[5].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ قال: «معاشر اليهود»[6]. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: النّاقضون. وهذا مثل قول القائل: أنت ذلك الرّجل الّذي فعل كذا. وهو استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشّهادة عليه. ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «يقتل بعضكم بعضاً»[7]. ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ غضباً وقهراً عليهم[8]، كما فعل عثمان بأبي ذرّ، حين أخرجه إلى «الرّبذة» وكان قد أخبر به النّبيّ ﷺ أباذرّ، وقال له: «هذه الآية نزلت فيك وفي خصمك». كذا ورد[9]. ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ قال: «يظاهر بعضكم بعضاً على إخراج من تخرجونه وقتل من تقتلونه، بغير حقّ»[10]. ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ قال: «يعني هؤلاء الّذين تخرجونهم، أي: ترومون إخراجهم أو قتلهم ظلماً»[11]. ﴿أُسَٰرَىٰ﴾ قال: «قد أسرهم أعداؤكم و أعداؤهم»[12]. ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ قال: «من الاعداء بأموالكم»[13].

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٥.
٢ ـ المصدر: ٣٢٧.
٣ ـ المصدر: ٣٦١.
٤ إلى ٨ ـ المصدر: ٣٦٧.
٩ ـ راجع: القمّي ١: ٥١ ـ ٥٤.
١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٧.
١١، ١٢ و١٣ ـ المصدر: ٣٦٧.

أقول: وهذا كما «اعترف به عثمان لأبي ذرّ أنّه يفديه بكلّ ما يملك إن أسره المشركون، ولم يرضوا إلاّ بذاك» كما ورد[1].

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾. «أعاد إخراجهم، لئلاّ يتوهّم انّ المحرّم إنّما هو مفاداتهم». كذا ورد[2].

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ قال: «وهو الّذي أوجب عليكم المفاداة»[3].

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ قال: «و هو الّذي حرّم عليكم قتلهم و إخراجهم»[4]. ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ قال: «ذلّ»[5]. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: «جزية تضرب عليه و يذلّ بها»[6]. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قال: «التّوراة المشتمل على الاحكام، ونبوّة محمّد، وإمامة عليّ و خلفائه»[7]. ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ قال: «جعلنا رسولاً في أثر رسول»[8]. ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ قال: «أعطيناه الآيات الواضحات: إحياء الموتى، وإبراء الاكمه والأبرص، والإنباء بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم»[9].

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قال: «و هو جبرئيل»[10]. ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال: «عن الإيمان و الاتّباع»[11]. ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى و عيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: «قتل أسلافكم زكريّا ويحيى؛ وأنتم

١ ـ راجع: القمّي ١: ٥١ـ٥٤.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٧.
٣، ٤، ٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٨.
٧، ٨، ٩و١٠ـ المصدر: ٣٧١.
١١ ـ البيضاوي ١: ١٦٩.

رمتم قتل محمّد ليلة العقبة، وقتل عليّ بالمدينة، فخيّب الله سعيكم و ردّ كيدكم في نحوركم». كذا ورد[١].

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ - بضمّ اللاّم جمع غِلاف - قال: «أي: أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثمّ هي مع ذلك لاتعرف لك - يا محمّد - فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله، ولا على لسان أحد من أنبياء الله»[٢]. قال: «وإذا قرئ " غُلْفٌ " يعني: بسكون اللاّم جمع أغْلَفْ، فمعناه قلوبنا في غطاء، فلا نفهم كلامك وحديثك، كقوله تعالى: " وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ "[٣]. - قال: - و كلتا القراءتين حقّ، و قد قالوا بهذا و هذا جميعاً»[٤]. ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال: «أبعدهم من الخير»[٥].

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: «فإيماناً قليلاً[٦]، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض». كذا ورد[٧].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ قال: «يعني هؤلاء اليهود»[٨]. ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال: «القرآن»[٩]. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: «يعني التّوراة المشتمل على نبوّة نبيّنا، و ولاية عليّ». كذا ورد[١٠]. ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ قال: «أنْ ظهر محمّد بالرّسالة»[١١]. ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ قال: «يسألون الله الفتح والظفر»[١٢]. ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «من أعدائهم»[١٣]. «ويتوعّدونه به ويقولون: ليخرجنّ نبيّ، فليكسرنّ أصنامكم، وليفعلنّ بكم وليفعلنّ»[١٤]. «وإذا دهمهم أمر[١٥]، دعوا الله بمحمّد وآله الطّيّبين، واستنصروا بهم، وكان الله يفتح لهم وينصرهم»[١٦].

١ - تفسير الإمام عليه السلام: ٣٧٩ - ٣٨٠.
٢، ٤، ٥و٧ - المصدر: ٣٩٠.
٣ - فصّلت (٤١): ٥.
٦ - في «الف» و «ج»: «فإيماناً قليلاً يؤمنون».
٨ إلى ١٣ - تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٣.
١٤ - الكافي ٨: ٣١٠، الحديث: ٤٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٥ - أدهمه: ساءه و دَهمكَ - كسَمِعَ و مَنَعَ -: غَشِيَكَ. القاموس المحيط ٤: ١١٦ (دهم).
١٦ - تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٤.

أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة، فيتعرّض لذلك الرّماد[1] فيشربه»[2]. وفي أُخرى: «أُمروا بشرب العجل الّذي كان قد ذُرّيت[3] سحالته في الماء الّذي أُمروا بشربه، ليتبيّن من عبده ممّن لم يعبده، باسوداد شفتيه وأنفه إن كان أبيض اللّون، وابيضاضها إن كان أسود؛ وذلك حين أنكروا عبادته لمّا أُمروا بقتل من عبده، فوصل ما شربوه من ذلك إلى قلوبهم»[4].

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ﴾ قال: «بموسى والتّوراة أن تكفروا بي»[5]. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. قال: «كما تزعمون بموسى والتّوراة، ولكن معاذ الله! لا يأمركم إيمانكم بموسى والتّوراة الكفرَ بمحمّد ﷺ»[6].

﴿قُلْ﴾ قال: «قل يا محمّد لهؤلاء اليهود القائلين بأنّ الجنّة خالصة لنا من دونك ودون أهل بيتك، وإنّا مبتلون بك ونحن أولياء الله المخلصون»[7]. ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ قال: «الجنّة ونعيمها»[8]. ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: «محمّد وأهل بيته و مؤمني أُمّته»[9]. ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾. قيل: لأنّ في التّوراة مكتوباً أنّ أولياء الله يتمنّون الموت ولا يرهبونه[10]. والوجه في ذلك أنّ من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاقها، وأحبّ التّخلّص إليها من الدّار ذات المحن. وفي رواية: «فتمنّوا الموت للكاذب منكم ومن مخالفيكم، ليستريح الصّادق منكما ويتّضح الحجّة؛ وذلك لأنّهم كانوا يدّعون أنّهم المجاب دعاؤهم»[11].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من موجبات النّار، كالكفر بمحمّد و آله

١ ـ في المصدر: «بذلك للرّماد».
٢ ـ العيّاشي ١: ٥١، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ ذرّيت: فرّقت.
٤، ٥ و٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٢٦.
٧، ٨ و٩ ـ المصدر: ٤٤٣ ـ ٤٤٢.
١٠ ـ القمّي ١: ٥٤.
١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٣.

والقرآن و تحريف التوراة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ قال: «ليأسهم عن نعيم الآخرة، لانهماكهم في كفرهم الّذي يعلمون انّه لاحظّ لهم معه في شيء من خيرات الجنّة»[١]. ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ قال: «وأحرص من الّذين أشركوا، يعني المجوس الّذين لايرون النّعيم إلاّ في الدّنيا، ولايأملون خيراً في الآخرة»[٢]. ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال: «يتمنّى»[٣]. ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ قال: «التّعمير ألف سنة»[٤]. ﴿ بِمُزَحْزِحِهِۦ ﴾ قال: «مباعده»[٥]. ﴿ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾. «إنّما أبدل من الضّمير، و كرّر التّعمير، لئلاّ يتوهّم عوده إلى التّمنّي». كذا ورد[٦]. ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ قال: «فعلى حسبه يجازيهم»[٧].

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾. «نزلت في اليهود الّذين قالوا لرسول الله ﷺ: لو كان الملك الّذي يأتيك ميكائيل لآمنّا بك، فإنّه ملك الرّحمة يأتي بالسّرور والرّخاء وهو صديقنا، وجبرئيل ملك العذاب ينزل بالقتل والشّدّة و الحرب و هو عدوّنا». كذا ورد[٨]. ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ قال: «يعني نزّل هذا القرآن»[٩]. ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ قال: «بأمر الله»[١٠]. ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ «من كتب الله». كذا ورد[١١] ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال: «شيعة محمّد وعليّ»[١٢].

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾.

«وذلك قول من قال من النّصّاب، لمّا قال النّبيّ في عليّ: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره و إسرافيل من خلفه وملك الموت أمامه و الله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرّضوان

١ إلى ٧ - تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٤.

٨ - القمّي ١: ٥٤.

٩، ١٠ و ١١ - تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٩.

١٢ - المصدر: ٤٥١.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ قال: «من نعت محمّد وصفته»[1]. ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ قال: «جحدوا نبوّته حسداً له و بغياً عليه»[2]. ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ «باعوها بالهدايا و الفضول الّتي كانت تصل إليهم من السّفلة، ورياستهم على الجهّال وبقاء عزّهم في الدّنيا و نيل المحرّمات، و كان الله أمرهم بشرائها من الله بطاعتهم له، ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دائماً في نعيم الآخرة». كذا ورد[3]. ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال: «أي على موسى من تصديق محمّد»[4]. وفي رواية: «بما أنزل الله في عليّ»[5]. ﴿بَغْيًا﴾: لبغيهم وحسدهم ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ «يعني تنزيل القرآن على محمّد الّذي أبان فيه نبوّته وأظهر به آيته ومعجزته [و فضائل أهل بيته عليهم السّلام]»[6]. كذا ورد[7].

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قال: «يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله في أثر غضب؛ فالغضب الأوّل حين كذّبوا بعيسى، فجعلهم قردة خاسئين، ولعنهم على لسان عيسى عليه السلام؛ والغضب الثّاني حين كذّبوا بمحمّد صلى الله عليه وآله فسلّط عليهم سيوف أصحابه حتّى ذلّلهم بها، فإمّا دخلوا في الإسلام طائعين، وإمّا أعطوا الجزية صاغرين»[8]. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي لهم. أظهر، لينبئ عن السّبب، وله نظائر كثيرة في القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال: «على محمّد من القرآن»[9]. ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ قال: «وهو التّوراة»[10]. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ قال: «ما

١ و ٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٣.
٣ و ٤ ـ المصدر: ٤٠١ ـ ٤٠٢.
٥ ـ راجع: الكافي ١: ٤١٧، الحديث: ٢٥؛ و العيّاشي ١: ٥٠، الحديث: ٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.
٧ و ٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٠٢.
٩ و ١٠ ـ المصدر: ٤٠٤.

سواه»[1]. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ قال: «لأنّه هو النّاسخ للمنسوخ الّذي تقدّمه»[2]. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ و هو التّوراة ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ قال: «أي: فلِمَ كنتم تقتلون»[3]. ﴿أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ «بالتّوراة؛ فإنّ فيها تحريم قتل الأنبياء، والأمر بالإيمان بمحمّد والقرآن، فما آمنتم بعد بالتّوراة». كذا ورد[4].

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ قال: «إلهاً»[5]. ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ قال: «من بعد انطلاقه إلى الجبل، وخالفتم خليفته هارون»[6]. ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بما فعلتم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا﴾ قال: «قلنا لهم: خذوا»[7]. ﴿مَا آتَيْنَاكُم﴾ قال: «من هذه الفرائض»[8]. ﴿بِقُوَّةٍ﴾. قال: «قد أعطيناكموها ومكّنّاكم[9] بها»[10]. ﴿وَاسْمَعُوا﴾ قال: «ما يقال لكم وتؤمرون به»[11].

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قال: «قولك»[12]. ﴿وَعَصَيْنَا﴾ قال: «أمرك»[13]. «قالوا: سمعنا بآذاننا وعصينا بقلوبنا، فأمّا في الظّاهر فاعطوا كلّهم الطّاعة، داخرين صاغرين». كذا ورد[14]. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾. قيل: تداخلهم حبّه و رسخ في قلوبهم صورته لفرط شعفهم به، كما يتداخل الصّبغ الثّوب، والشّراب أعماق البدن[15].

و في رواية: «عمد موسى عليه السلام فبرد[16] العجل ثمّ أحرقه بالنّار فذرّه في اليمّ، فكان

١ إلى ٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٠٤.
٥ و٦ ـ المصدر: ٤٠٨.
٧، ٨ و١٠ ـ المصدر: ٤٢٤.
٩ ـ في «ب» و «ج»: «و نحلناكم».
١١ إلى ١٤ ـ المصدر: ٤٢٥.
١٥ ـ البيضاوي ١: ١٧١.
١٦ ـ برد الحديد: سحَلَه. و البُرادة: السُّحالة. و السُّحالة ـ بالضمّ ـ: ما سقط من الذّهب و الفضّة إذا بُرِد. القاموس المحيط ١: ٢٨٦ و٣: ٤٠٥ (برد ـ سحل).

إليه ناصره. قال بعض النصّاب: أنا أبرأ من الله وجبرئيل وميكائيل و الملائكة الّذين حالهم مع عليّ ما قاله محمّد. فقال الله: من كان عدوّاً لهؤلاء، تعصّباً على عليّ، فإنّ الله يفعل بهم ما يفعل العدوّ بالعدوّ». كذا ورد[1].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: «دالآت على صدقك في نبوّتك وإمامة أخيك عليّ»[2]. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قال: «الخارجون عن دين الله وطاعته، من اليهود والنّواصب»[3].

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قيل: كعيسى ومحمّد[4]. وفي رواية: «رسول من عندالله أي: كتاب من عند الله القرآن»[5]. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ قال: «التوراة وساير كتب أنبياء الله»[6]. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: «تركوا العمل بما فيها من الأمر باتّباعه حسداً». كذا ورد[7]. ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ قال: «ما تقرأه كفرة الشّياطين، من السّحر والنّيرنجات[8]»[9]. ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾: «على عهده. زعموا أنّ سليمان كان كافراً ساحراً ماهراً به، وبذلك نال ما نال، و ملك ما ملك، و قدر على ما قدر. قالوا: ونحن أيضاً بالسّحر نظهر العجائب، حتّى ينقاد لنا النّاس ونستغني عن الانقياد لمحمّد وأهل بيته». كذا ورد[10]. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ قال: «ولا استعمل السّحر كما قال هؤلاء الكافرون»[11]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ قال: «يعني كفروا

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٥١.

٢و٣ ـ المصدر: ٤٥٩.

٤ ـ أنظر: البيضاوي ١: ١٧٤.

٥، ٦، ٧و٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١.

٨ ـ النّيرنج ـ بالكسر ـ: أخذٌ كالسّحر و ليس به. القاموس المحيط ١: ٢١٧ (النّورج).

١٠و١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١ ـ ٤٧٢.

بتعليمهم النّاس السّحر الّذي نسبوه إلى سليمان»[1]. ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال: «وبتعليمهم إيّاهم ما أُنزل على الملكين»[2]. ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾.

قال: «كان بعد نوح عليه السّلام قد كثر السّحرة والمموّهون، فبعث الله ملكين إلى نبيّ ذلك الزّمان بذكر ما يسحر به السّحرة وذكر ما يبطل به سحرهم ويردّ به كيدهم، فتلقّاه النّبيّ عن الملكين وأدّاه إلى عباد الله بأمر الله، وأمرهم أن يقفوا به على السّحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به النّاس ـ قال: ـ وذلك النّبيّ أمر الملكين أن يظهرا للنّاس بصورة بشرين ويعلّماهم ما علّمهما الله من ذلك و يعظاهم»[3].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ قال: «ذلك السّحر و إبطاله»[4]. ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ قال: «للمتعلّم»[5]. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ قال: «امتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلّمون؛ فيبطلوا به كيد السّحرة[6] و لا يسحروا»[7]. ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ قال: «باستعمال هذا السّحر»[8].

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ قال: «ممّا تتلوا الشّياطين وممّا أُنزل على الملكين»[9]. ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال «بتخلية الله[10] وعلمه، فإنّه لوشاء لمنعهم بالجبر و القهر»[11]. ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ قال: «في دينهم»[12]. ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فيه

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ قال: «هؤلاء المتعلّمون»[13]. ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ قال: «بدينه الّذي ينسلخ عنه بتعلّمه»[14]. ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ قال: «من نصيب في ثواب الجنّة.

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١ـ٤٧٢.
٢ و٣ ـ المصدر: ٤٧٢ـ٤٧٣.
٤، ٥، ٨ و٩ ـ المصدر: ٤٧٣.
٦ ـ في «ألف»: «كيد السّحر».
٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٣، وفيه و في «ج»: «ولا يسحروا لهم».
١٠ ـ خلّى الأمر و تخلّى منه و عنه: تركه. القاموس المحيط ٤: ٣٢٧ (خلا).
١١ إلى ١٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٤ـ٤٧٥.

وذلك لأنّهم يعتقدون أن لا آخرة»[1]. ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾ قال: «باعوا»[2]. ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: «و رهنوها بالعذاب»[3]. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ قال: «أي: راعِ أحوالنا وراقبنا وتأنَّ بنا فيما تلقّننا حتّى نفهمه. وذلك لأنّ اليهود لمّا سمعوا المسلمين يخاطبون رسول الله بقولهم: "راعنا" و كان "راعنا" في لغتهم سبّاً، بمعنى: اسمع لا سمعت. قال بعضهم لبعض: لو كنّا نشتم محمّداً إلى الآن سرّاً فتعالوا الآن نشتمه جهراً، فكانوا يقولون له "راعنا" يريدون به شتمه، ففطن بذلك سَعْدُ بن مُعاذ، فلعنهم و أوعدهم بضرب أعناقهم لو سمعها منهم، فنزلت». كذا ورد[4]. ﴿وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾: انظر إلينا ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾. قال: «إذا قال لكم أمراً و اطيعوا»[5]. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾: الشاتمين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: «آية بيّنة وحجّة معجزة لنبوّته وشرفه وشرف أهل بيته». كذا ورد[6]. ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ قال: «بنبوّته»[7]. وفي رواية: «توفيقه لدين الإسلام وموالاة محمّد وعليّ»[8]. ﴿مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قال: «بأن نرفع حكمها»[9]. ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: «بأن نرفع

١ إلى ٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٤ ـ ٤٧٥.
٤ ـ البرهان ١: ١٣٩، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام، مع تفاوت.
٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٩، و فيه: «إذا قال لكم رسول الله قولاً و اطيعوا».
٦ ـ المصدر: ٤٨٩.
٧ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ١٧٩، عن أمير المؤمنين و أبي جعفر عليهما السّلام.
٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٨٩.
٩ ـ المصدر: ٤٩١.

رسمها ونبلي[1] عن القلوب حفظها »[2]. ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَآ ﴾ قال: « بما هو أعظم لثوابكم و أجلّ لصلاحكم»[3]. ﴿أَوْمِثْلِهَآ﴾ قال: «من الصّلاح لكم. يعني: إنّا لاننسخ و لانبدّل إلاّ وغرضنا في ذلك مصالحكم»[4]. «وذلك لانّ المصالح تختلف باختلاف الأعصار والأشخاص، فإنّ النّافع في عصر وبالنّسبة إلى شخص قد يضرّ في غير ذلك العصر وفي حقّ غير ذلك الشّخص». كذا ورد[5]. قيل: نزلت حين قالوا: إنّ محمّداً يأمر أصحابه بامر، ثمّ ينهى عنه ويأمر بخلافه[6]. ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ قال: «يلي صلاحكم»[7]. ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ قال: «ينصركم من مكروه إن أراد إنزاله بكم»[8].

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ قال: «بل تريدون يا كفّار قريش واليهود»[9]. ﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ قال: «ما تقترحونه من الآيات الّتي لاتعلمون هل فيه[10] صلاحكم أو فسادكم»[11]. ﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ قال[12]: «و اقترح عليه لمّا قيل له: "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ"[13]». ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ قال: «بما يوردونه

١ـ في المصدر: «نزيل».
٢، ٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩١.
٥ـ الاحتجاج ١: ٤٤و٤٥؛ وتفسير الإمام عليه السلام: ٤٩٣و٤٩٤.
٦ـ البيضاوي١: ١٧٨.
٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩١.
٩، ١١و١٢ـ المصدر: ٤٩٦.
١٠ ـ كذا في النّسخ، و لعلّ الصّواب: «فيها» كما في المصدر.
١٣ ـ البقرة(٢): ٥٥، والآية: «فأخذتكم الصّاعقة».

عليكم من الشُّبه»[1]. ﴿حَسَدًا﴾ لكم ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ قيل: يعني من عند تشهّيهم، لا من عند تديّنهم[2]. ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ قال: «فيهم بالقتل يوم فتح مكّة»[3]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ كصلاة و إنفاق مال أوجاه ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾: تجدوا ثوابه. قال: «تحطّ به سيّئآتكم وتضاعف به حسناتكم وترفع به درجاتكم»[4]. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ قال: «يعني اليهود و النّصارى. قالت اليهود»[5]: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ قال: «أي: يهوديآ»[6]. ﴿أَوْ نَصَارَىٰ﴾ قال: «يعني وقالت النّصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصرانيآ»[7]. ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال: «الّتي يتمنّونها بلا حجّة»[8]. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ لمّا سمع الحقّ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قال: «في عمله لله»[9]. ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «حين يخاف الكافرون»[10]. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: «حين الموت لأنّ البشارة بالجنان تأتيهم»[11].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ قال: «من الدّين؛ بل دينهم باطل وكفر»[12]. ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ قال: «من الدّين، بل دينهم باطل و كفر؛ و ذلك لأنّ كلاًّ من الفريقين مقلّد بلاحجّة». كذا ورد[13]. ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ

١و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥١٥. و الشُّبه جمع: «الشّبهة».
٢ـ البيضاوي ١: ١٨٠.
٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٢٠.
٥،٦و٧ـ المصدر: ٥٢٦.
٨ـ المصدر: ٥٢٧.
٩،١٠و١١ـ المصدر: ٥٤٣.
١٢و١٣ـ المصدر: ٥٤٤.

﴿الْكِتَابَ﴾ قال: «ولا يتأمّلونه ليعملوا بما يوجبه، فيتخلّصوا من الضّلالة»[١]. ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ قال: «يُكفِّر بعضهم بعضاً»[٢] ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ لئلاّ تعمر بطاعة الله. وهو عامّ وإن نزل خاصّاً. قال: «هي مساجد خيار المؤمنين بمكّة لمّا منعوهم من التّعبّد فيها بأن ألجأوا رسول الله ﷺ إلى الخروج عن مكّة»[٣]. وفي رواية: «مساجد الدّنيا كلّها بأن همّوا بقتل النّبيّ والوصيّ»[٤]. ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ من المؤمنين أن يبطشوهم[٥]. فهو وعد للمؤمنين بالنّصرة واستخلاص المساجد منهم. وقد أنجز وعده بفتح مكّة لمؤمني ذلك الزّمان، وسينجزه لعامّة المؤمنين حين ظهور العدل. قال: «خائفين من عدله وحكمه النّافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيوفه وسياطه»[٦]. وفي رواية مقطوعة: «يعني لايقبلون الإيمان إلاّ والسّيف على رؤوسهم»[٧]. ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ قال: «وهو طردهم عن الحرم»[٨]. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني ناحيتي الأرض. أي: له كلّها. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ إذ لا يخلو منه مكان ولايخفى عليه خافية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. ورد: «إنّها نزلت في التّطوّع خاصّة. قال: وصلّى رسول الله ﷺ إيماءً على راحلته أينما توجّهت به، حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكّة وجعل الكعبة خلف

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٤٤.

٣، ٦و٨ـ المصدر: ٥٦٠.

٤ـ المصدر: ٥٦٠، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٥ـ كذا في النّسخ و لعلّ الصّواب: «أن يبطشوا بهم» و بطش به: أخذه بالعنف و السّطوة. القاموس المحيط ٢: ٢٧٣ (بطش).

٧ـ العيّاشي ١: ٥٦، الحديث: ٧٩.

ظهره»[1] . وفي رواية: «نزلت في قبلة المتحيّر»[2].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قالت اليهود: عُزَيْرٌ ابن الله و قالت النّصارى: المسيح ابن الله وقالت مشركوا العرب: الملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بل كلّه ملك له: "عزير" و "المسيح" و "الملائكة" وغيرهم. ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾: منقادون، مقرّون له بالعبوديّة طبعاً وجبلّةً، لا يمتنعون عن مشيّته وتكوينه، فكيف يكونون مجانسين له؟ ومن حقّ الولد أن يجانس والده.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: «ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله»[3]. ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾: أراد فعله وخلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال: «لابصوت يقرع، ولا بنداء يسمع؛ و إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، يقول ولا يلفظ ويريد و لا يضمر»[4]. و «إرادته للفعل: إحداثه»[5].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة المشركين وغير العاملين بعلمهم من أهل الكتاب: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ فقالوا أرنا الله جهرة ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في العمى والعناد ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ فلا عليك إن أصرّوا أو كابروا ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾. ورد: «إنّه على النّهي»[6] وقد قرئ به.

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. مبالغة في إقناطه عن

١ ـ العيّاشي ١: ٥٦، الحديث: ٨٠: عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٧٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الكافي ١: ٢٥٦، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٧٤، الخطبة: ١٨٦.
٥ ـ الكافي ١: ١٠٩، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ١٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

إسلامهم. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. هذا من قبيل: إيّاكِ أعني واسمعي ياجارة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: «بالوقوف عند ذكر الجنّة والنّار يسأل في الأُولىٰ ويستعيذ في الأُخرىٰ»[1]. ورد: «هم الائمّة».[2] ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: «فريضة»[3]. وفي رواية: «فداء»[4]. ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾. كرّر ذلك وختم به الكلام معهم، مبالغة في النّصح و إيذاناً بانّه فذلكة القصّة والمقصود منها.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قال: «هي الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه وهي قوله: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة و الحسن و الحسين»[5]. ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: «يعني إلى القائم اثنى عشر إماماً»[6]. والقمّي: هي ما ابتلاه به ممّا أراه في نومه من ذبح ولده فأتمّها إبراهيم بالعزم و التّسليم[7]. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. قال: «لايكون السّفيه إمام التّقي»[8]. قال: «فابطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصّفوة»[9].

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ١٩٨؛ و العيّاشي ١: ٥٧، الحديث: ٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ١: ٢١٥، الحديث: ٤، عنه عليه السلام.
٣و٤ ـ العيّاشي ١: ٥٧، الحديث: ٨٥و ٨٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥و٦ ـ الخصال: ٣٠٤ـ٣٠٥، الحديث: ٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٥٩.
٨ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٩ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٧، الباب: ٢٠، ذيل الحديث: ١.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ : مرجعاً ومحلّ عود ﴿ وَأَمْنًا ﴾ قال : «من دخل الحرم من النّاس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله ، ومن دخله من الوحش والطّير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم»[١] . ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ هو الحجر الّذي عليه أثر قدمه . قال : «يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة»[٢] . ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ قال : «نحّيا عنه المشركين»[٣] . ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ . قال : «وينبغي للعبد أن لايدخله إلاّ و هو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى و تطهّر»[٤] .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ قال : « من ثمرات القلوب ، أي : حبّبهم إلى النّاس لينتابوا إليهم[٥] ويعودوا»[٦] .

أقول : ويؤيّد هذا قوله عليه السّلام في سورته : "فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ"[٧] . وفي رواية : «لمّا دعا بذلك ، أمر الله بقطعة من الأردن[٨] فسارت بثمارها حتّى طافت بالبيت ثمّ أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع المسمّى بالطّائف ، ولذلك سمّي الطّائف»[٩] .

﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ . قال : «إيانا عنى بذلك و أولياءه وشيعة وصيّه»[١٠] . ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ ﴾ أرزقه أيضاً ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ

١ ـ الكافي٤ : ٢٢٦ ، الحديث : ١ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٢ ـ التّهذيب٥ : ١٣٨ ، الحديث : ١٢٦ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٣ ـ القمّي١ : ٥٩ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٤ ـ علل الشّرايع ٢ : ٤١١ ، الباب : ١٥١ ، الحديث : ١ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٥ ـ انتابهم انتياباً : أتاهم مرّة بعد أُخرى . القاموس المحيط ١ : ١٤٠ (النّوب) .
٦ ـ القمّي١ : ٦٢ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٧ ـ إبراهيم(١٤) : ٣٧ .
٨ ـ الأردن كالأحمر : ضربٌ من الخزّ . القاموس المحيط ٤ : ٢٢٩ (الرُّدن) .
٩ ـ علل الشّرايع ٢ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ، الباب : ١٨٩ ، الحديث : ٢ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .
١٠ ـ العيّاشي١ : ٥٩ ، الحديث : ٩٦ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام .

﴿ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ عذاب النّار. قال: «عنى بذلك من جحد وصيّه ولم يتّبعه من أمّته»[1].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: منقادين مخلصين ﴿لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾: واجعل بعض ذرّيّتنا ﴿أُمَّةً﴾: جماعة يأمّون، أي يقصدون و يقتدى بهم ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾. قال: «هم أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً»[2]. وفي رواية: «بنوهاشم»[3]. ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: عرّفنا متعبّداتنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمّة المسلمة ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ قال: «يعني من تلك الأمّة»[4]. عن النّبيّ ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[5]. ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: من استهانها و أذلّها و استخفّ بها. قيل: بكسر الفاء متعدّ و بضمّها لازم[6]. ورد: «ما أحد على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا، وسائر النّاس منها براء»[7]. ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

١ ـ العيّاشي ١: ٥٩، الحديث: ٩٦، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ ـ الكافي ٥: ١٤، الحديث: ١؛ و التّهذيب ٦: ١٢٨، الحديث: ٢٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ و ٤ ـ العيّاشي ١: ٦٠ ـ ٦١، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ القمّي ١: ٦٢.
٦ ـ راجع: البيضاوي ١: ١٨٩.
٧ ـ المحاسن للبرقي ١: ١٤٧، الباب: ١٦، الحديث: ٥٤، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، و فيه و في «ج»: «بُرآء».

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ أي: بالملّة، أو بهذه الكلمة أعني كلمة: "أسلمت لربّ العالمين".

﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: و وصّى بها يعقوب أيضاً بنيه ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ إنكار؛ يعني ما كنتم حاضرين ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾. أراد به تقريرهم على التّوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثّبات عليهما. ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾. عدّ إسماعيل من آبائه؛ لأنّ العرب تسمّي العمّ والجدّ أباً؛ لوجوب تعظيمهما كتعظيمه. وفي الحديث: «عمّ الرّجل صنوُ أبيه»[1]. ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾. تصريح بالتّوحيد ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾: لكلّ أجر عمله، ولاينفعكم انتسابكم إليهم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: لاتؤاخذون بسيّئاتهم، كما لاتثابون بحسناتهم.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النّصارى: كونوا نصارى ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: بل نكون أهل ملّة إبراهيم متّبعين له ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن كلّ دين إلى دين الحقّ. قال: «الحنيفيّة هي الإسلام»[2]. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يعني إبراهيم. تعريض بأهل الكتابيْن، فإنّهم كانوا يدّعون اتّباع ملّة إبراهيم، وهم مع ذلك كانوا على الشّرك.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾. قال: «عنى بالخطاب عليّاً وفاطمة والحسن والحسين

١ـ سنن الدّار قطني٢: ١٢٣. والصّنو: الأخ الشّقيق و الإبن و العمّ. النّخلتان فما زاد في الأصل الواحد كلّ واحد منهما صنوٌ. القاموس المحيط ٤: ٣٥٥ (الصّنو).

٢ـ البرهان١: ١٥٦، الحديث: ٤؛ و العيّاشي١: ٦١، الحديث: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وجرت بعدهم في الأئمة»[١]. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعني القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ يعني الصّحف. "و الاسباط": حفدة يعقوب. ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعني التّوراة والإنجيل ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ جملةً؛ المذكورون منهم وغير المذكورين. ﴿مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ كاليهود، نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾: لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ قال: «أي: ساير النّاس»[٢]. ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ قال: «في كفر»[٣].

أقول: وأصله المخالفة والمناواة؛ فإنّ كلّ واحد من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾. تسلية وتسكين للمؤمنين و وعد لهم بالحفظ و النّصر على ناواهم. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بإخلاصكم.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: صبَغَنا الله صِبْغَتَهُ، وهي فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها. قال: «هي الإسلام»[٤]. وفي رواية: «صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق»[٥]. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: لا صبغة أحسن من صبغته ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ تعريض بهم، أي: لانشرك به كشرككم.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾: أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه نبيّاً من العرب؟ قيل: إنّ أهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلّهم منّا، وديننا أقدم، وكتابنا أسبق، فلو كنت نبيّاً لكنت منّا، فنزلت[٦]. ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: لا اختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من

١ـ الكافي ١: ٤١٥ـ٤١٦، الحديث: ١٩؛ و العيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ١٤، الحديث: ٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٢ـ٤٢٣، الحديث: ٥٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ راجع: البيضاوي ١: ١٩٤.

يشاء ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: موحّدون، نخلصه[1] بالإيمان والطّاعة دونكم.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ وقد نفى الله عن إبراهيم اليهوديّة والنّصرانيّة، حيث قال: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لَا نَصْرَانِيًّا"[2]. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ إنكار؛ قيل: يعني لاأحد أظلم من أهل الكتاب، حيث كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفيّة، والبراءة من اليهوديّة والنّصرانيّة، أو منّا لو كتمنا هذه الشّهادة؛ وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد ﷺ بالنّبوّة في كتبهم وغيرها[3]. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

لعلّ المراد بالأمّة هناك الأنبياء، وهنا أسلاف اليهود و النّصارى، أو الخطاب هناك لليهود، وها هنا لنا، فلا تكرار.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يريد المنكرين لتغيير القبلة، وفائدة تقديم الإخبار به توطين النّفس و إعداد الجواب. ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾: ما صرفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ قال: «يعني بيت المقدس»[4]. ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ قال: «يملكهما. وتكليفه التّحوّل إلى جانب، كتحويله لكم إلى جانب آخر»[5]. ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. «هو مصلحهم و مؤدّيهم بطاعته إلى جنّات النّعيم، أيّة جهة يعرف صلاحكم في استقبالها، في أيّ وقت يأمركم به». كذا ورد[6].

١ ـ كذا في النّسخ، و لعلّ الأصحّ: «نخلص له».

٢ ـ آل عمران(٣): ٦٧.

٣ ـ راجع: البيضاوي ١: ١٩٤.

٤و٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩٣ ـ ٤٩٤؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

٦ ـ المصدر: ٤٩٣؛ والاحتجاج ١: ٤٤، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ القمّي: ائمّةً عدلاً و واسطة بين الرّسول والنّاس[۱]. ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يعني يوم القيامة. قال: «نحن الأُمّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه وسمائه»[۲]. وفي رواية: «إنّ الله تعالى إيّانا عنى بقوله: "لتكونوا شهداء على النّاس" فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، و حجّته في أرضه، و نحن الّذين قال الله: "وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً"»[۳]. وفي أخرى: «ظَنَنْتَ أنّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين؟ أفترى أنّ من لا تجوز شهادته في الدّنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأُمم الماضية؟ كلاّ؛ لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأُمّة الّتي وجبت لها دعوة إبراهيم؛ "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"[٤]، هم الأئمّة[٥] الوسطى وهم خير أُمّة أُخرجت للنّاس»[٦].

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ يعني بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: يرتدّ عن دينه آلفاً لقبلة آبائه. قال: «يعني إلاّ لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، وذلك أنّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبيّن متّبِع[۷] محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة الّتي كرهها، ومحمّد يأمر بها؛ ولمّا

۱ ـ القمّي۱: ٦۳.

۲ ـ العيّاشي۱: ٦۲، الحديث: ۱۱۰؛ و البرهان۱: ۱٥۹، الحديث: ۲، عن ابي جعفر عليه السلام. كلمة: «وسمائه» ليست في المصدر.

۳ ـ شواهد التّنزيل۱: ۹۲.

٤ ـ آل عمران (۳): ۱۱۰.

٥ ـ في المصدر: «و هم الأُمّة الوسطى»؛ و في نسخة «الف» و «ج»: «و هم الائمّة الوسطى».

٦ ـ العيّاشي۱: ٦۳، الحديث: ۱۱٤؛ و البرهان۱: ۱٦۰، الحديث: ۱۰، عن ابي عبدالله عليه السلام.

۷ ـ في المصدر: «متّبعي محمّد».

كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة، ليتبيّن من يوافق محمّداً فيما يكرهه، فهو مصدّقه و موافقه»[1]. ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ يعني الصّلاة إلى بيت المقدس في ذلك الوقت ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ وعرف أنّ الله يتعبّد بخلاف ما يريده المرء، ليبتلي طاعته في مخالفة هواه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم. قال: «نزلت حين قال المسلمون: أرأيت صلاتنا الّتي كنّا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا؟ قال: فسمّى الصّلاة إيماناً»[2]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾. قال: «إنّ النّبيّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس بعد النّبوّة ثلاث عشرة سنة بمكّة، وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثمّ عيّرته اليهود، فقالوا له: إنّك تابع لقبلتنا؛ فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فلمّا كان في بعض اللّيل خرج يقلّب وجهه في آفاق السّماء، فلمّا أصبح صلّى الغداة، فلمّا صلّى من الظّهر ركعتين جاء جبرئيل بهذه الآية، ثمّ أخذ بيده فحوّل وجهه إلى الكعبة، وحوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرّجال مقام النّساء والنّساء مقام الرّجال»[3]. قيل: إنّما كان يتوقّع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة، لأنّها كانت قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود[4].

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: نحوه. وإنّما ذكر المسجد اكتفاء بمراعاة الجهة. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾. خصّ الرّسول بالخطاب تعظيماً له

١ ـ الاحتجاج ١: ٤٥ـ٤٦، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.
٢ ـ العيّاشي ١: ٦٣، الحديث: ١١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٧٨، الحديث: ٨٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي ١: ١٩٧.

وإيجاباً لرغبته، ثمّ عَمّ[1] تصريحاً بعموم الحكم جميع الأمكنة وسائر الأمّة، وتاكيداً لأمر القبلة، وتحضيضاً للأمّة على المتابعة. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ قيل: لعلمهم بتخصيص كلّ شريعة بقبلة ولتضمّن كتبهم أنّه يصلّي إلى القبلتين[2]. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. وعد و وعيد للفريقين.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: برهان وحجّة ﴿مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾؛ لأنّ المعاند لاتنفعه الدّلالة ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾. قطع لأطماعهم. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لتصلّب كُلٌ بما هو فيه. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. من قبيل: إيّاكِ أعني و اسمعي يا جارة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: علماءهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: يعرفون محمّداً بنعته وصفته ومبعثه ومُهاجَره وصفة أصحابه في التّوراة والإنجيل ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «أنك الرّسول إليهم»[3]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: ولكلّ قوم قبلة و ملّة و شرعة و منهاج يتوجّهون إليها ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: الله مولّيها إيّاهم ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: الطّاعات، و في رواية: «الولاية»[4]. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ قيل: اينما متّم في بلاد الله يأت بكم الله إلى المحشر[5]. و ورد: «إنّها نزلت في أصحاب القائم، وإنّهم المفتقدون من فرشهم ليلاً

١ ـ في «ج»: «عمّم».

٢ ـ البيضاوي١: ١٩٨.

٣ ـ الكافي٢: ٢٨٣، الحديث: ١٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ الكافي٨: ٣١٣، الحديث: ٤٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ البيضاوي١: ١٩٩.

فيصبحون بمكّة، وبعضهم يسير في السّحاب نهاراً؛ نعرف اسمه[1] واسم أبيه وحليته ونسبه»[2]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ للسفر في البلاد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إذا صلّيت ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: وإنّ التوجّه إلى الكعبة لَلْحقّ الثابت المأمور به من ربّك ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. التّكرير لتأكيد أمر القبلة؛ لأنّ النّسخ من مظانّ الفتنة و الشّبهة؛ و لأنّه ينوط بكلّ واحد ما لم ينط بالآخر، فاختلفت فوائدها. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ كحجّة يهود بأنّ المنعوت في التّوراة قبلته الكعبة، وبأنّه يجحد ديننا ويتّبع قبلتنا، وكحجّة المشركين بأنّه يدّعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. قيل: إلاّ الحجّة الدّاحضة من المعاندين بأنّه ما تحوّل إلى الكعبة إلاّ ميلاً إلى دين قومه وحبّاً لبلده، أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم[3]. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فإنّ مطاعنهم لاتضرّكم ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ فلا تخالفوا ما أمرتكم به ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. قال: «تمام النّعمة دخول الجنّة»[4]. وفي رواية: «الموت على الإسلام»[5].

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالطّاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثّواب. ورد: «إنّ الله لم يذكره أحد من عباده

١ـ في المصدر: يعرف باسمه.

٢ـ كمال الدّين٢: ٦٧٢، الباب: ٥٨، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ البيضاوي١: ٢٠٠.

٤ـ كنز العمّال٢: ١٧، الحديث: ٢٩٦٥.

٥ـ راجع: البيضاوي١: ٢٠١.

المؤمنين إلاّ ذكره بخير، فاعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته»[١]. و ورد: «ذكر الله لأهل الصّلاة أكبر من ذكرهم إيّاه»[٢]. ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ ما انعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بجحد النّعم وعصيان الأمر. قال: «أُريد بالكفر كفر النّعم»[٣]. ورد: «اشكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله»[٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. «هذا لمن استقبل البلايا بالرّحب، وصبر على سكينة و وقار؛ وهو صبر الخواصّ». كذا ورد[٥].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. قال: «المؤمن إذا قبضه الله صيّر روحه في قالب كقالبه في الدّنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم، عرفوه بتلك الصّورة الّتي كانت في الدّنيا»[٦].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ بالجنّة. «هذا لمن صبر كرهاً ولم يشكُ إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستره وهو صبر العوامّ». كذا ورد[٧].

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾. قال: «كلّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة»[٨].

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾. قال: «إقرار على أنفسنا بالملك»[٩]. ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. قال: «إقرار على أنفسنا بالهلك»[١٠]. ورد: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة

١ ـ الكافي٨: ٧و٤٠١، عن ابي عبدالله عليه السلام في رسالته إلى جماعة الشّيعة.
٢ ـ القمّي٢: ١٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٢: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الخصال١: ١٤، الحديث: ٥٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥و٧ ـ مصباح الشّريعة: ١٨٦، الباب: ٨٨، في الصّبر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ الكافي ٣: ٢٤٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ البيضاوي١: ٢٠٢، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٩و١٠ ـ نهج البلاغه(للصبحي الصّالح): ٤٨٥، الحكمة: ٩٩.

ويصبر حين تفجاه إلاّ غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وكلّما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكرها غفر الله له كلّ ذنب فيما بينهما»[1].

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾. هما علما جبلين بمكّة ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام مناسكه ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. قال: «إنّ رسول الله ﷺ شرط في عمرة القضاء أن يرفعوا الأصنام من الصّفا والمروة ثلاثة أيّام حتّى يسعى، فتشاغل رجل عن السّعي حتّى انقضت الأيّام وأعيدت الأصنام، فشكى إلى النّبيّ ﷺ فنزلت. يعني: لاجناح عليه أن يطوّف بهما وعليهما الأصنام»[2]. وفي رواية: «إنّ المسلمين كانوا يظنّون أنّ السّعي بينهما شيء صنعه المشركون، فنزلت»[3]. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ قال: «كأحبار اليهود الكاتمين للآيات الشاهدة على أمر محمّد وعليّ ـ عليهما السّلام ونعتهما وحليتهما، وكالنّواصب الكاتمين لما نزل في عليّ»[4]. ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. قال: «كلّ من يتأتّى منه اللّعن حتّى أنفسهم، فإنّهم يقولون: لعن الله الظّالمين»[5].

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال: «من كتمانهم»[6]. ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ قال: «أعمالهم وما كانوا أفسدوه»[7]. ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: المبالغ في قبول التّوبة وإفاضة الرّحمة.

١ ـ الكافي ٣: ٢٢٤، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ البرهان ١: ١٦٩، الحديث: ٣؛ والكافي ٤: ٤٣٥، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير.

٣ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٤٠؛ و البرهان ١: ١٦٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤، ٥، ٦ و ٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧١ ـ ٥٧٠.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قال: «استقرّ عليهم البعد من الرّحمة»[1].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ قال: «في اللّعنة في نار جهنّم»[2]. ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ قال: «يوماً ولا ساعة»[3]. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: «أي: بلاعمد من تحتها يمنعها من السّقوط، ولاعلاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم، وأنتم أيّها العباد والإماء أسرائي في قبضتي، الأرض من تحتكم لامنجا لكم منها أين هربتم، والسّماء من فوقكم لامحيص لكم عنها أين ذهبتم، فإن شئتُ أهلكتكم بهذه، وإن شئتُ أهلكتكم بتلك، ثمّ ما في السّماوات من الشّمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معايشكم، ومن القمر المضيء لكم في ليلكم لتبصروا في ظلماتها، وإلجائكم بالاستراحة في الظّلمة إلى ترك مواصلة الكدّ الّذي ينهك أبدانكم»[4].

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قال: «المتتابعَيْنِ الكارَّيْن[5] عليكم بالعجائب الّتي يحدثها ربّكم في عالمه، من إسعاد وإشقاء، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وصيف وشتاء، وخريف وربيع، وخِصْبٍ و قحط، وخوف وأمن»[6]. ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ قال: «الّتي جعلها الله مطاياكم، لاتهدأ[7] ليلاً و لانهاراً،

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٢، و فيه: «يوجب الله تعالى لهم البعد من الرّحمة».

٢و٣ـ المصدر: ٥٧٢.

٤ـ المصدر: ٥٧٥. و ينهك أبدانكم أي: يدنف و يضني. الصّحاح ٤: ١٦١٣ (نهك).

٥ـ كرّ عليه اللّيل و النّهار: عادا مرّة بعد أُخرى. و في المصدر: «الكادّين» ـ بالدّال المهملة ـ من الكدّ بمعنى الشّدّة و الإلحاح في الطّلب فتكون كناية عن عدم تخلّفهما. و ما في المتن أبلغ و أنسب بالمقام.

٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٥.

٧ـ لاتهدأ: أي: لاتسكن. و المطايا جمع للمطيّة و هي النّاقة الّتي يُرْكَبُ مَطاها: اي ظَهْرُها. النّهاية ٥: ٢٤٩؛ و ٤: ٣٤٠ (هدأ ـ مطا).

ولاتقتضيكم[1] علفاً ولا ماءً، وكفاكم بالرّياح مؤْنة تسييرها بقواكم الّتي لاتقوم لها لو ركدت عنها الرّياح، لتمام مصالحكم و منافعكم و بلوغكم الحوائج لأنفسكم»[2].

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ ﴾ قال: «وابلاً و هطلاً و رذاذاً، لاينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معايشكم، لكنّه ينزل متفرّقاً من علا، حتّى يعمّ الأوهاد والتّلال والتّلاع»[3]. ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قال: «فيخرج نباتها وحبوبها وثمارها»[4]. ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ قال: «منها ما هي لأكلكم ومعايشكم، ومنها سباع ضارية، حافظة عليكم أنعامكم، لئلاّ تشذّ[5] عليكم خوفاً من افتراسها لها»[6].

﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ قال: «المربّية لحبوبكم، المبلّغة لثماركم، النّافية لركود الهواء والأقتار[7] عنكم»[8]. ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ ﴾ قال: «المذلّل الواقف»[9]. ﴿ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال: «يحمل أمطارها ويجري بإذن الله ويصبّها حيث يؤمر»[10]. ﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قال: «دلائل واضحات لقوم يتفكّرون فيها بعقولهم»[11].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ من الأصنام والرّؤساء الّذين

١ ـ في المصدر: «تقضيكم» من تقضّى الشّيء بمعنى فَنِيَ و انصرم و لكن ما في المتن أوفق بالعبارة.

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٥ ـ ٥٧٦.

٣ ـ المصدر: ٥٧٦. الوَهْد: الارض المنخفضة. و التّل من التّراب: قطعة منه أرفع قليلاً ممّا حولها و الجمع: تلال. و التّلعة: ما انهبط من الأرض و مسيل الماء. و في المصدر: القلاع بدل التّلاع. و القُلاع ـ بضمّ القاف ـ الطّين الّذي يتشقّق إذا نضب عنه الماء و قشر الأرض يرتفع عن الكَمْأة فيدلّ عليها. «راجع: القاموس المحيط».

٤ ـ المصدر: ٥٧٦.

٥ ـ في: «الف»: «يشذّ» و في المصدر: «تشدّ» بالدّال المهملة.

٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٦.

٧ ـ كأنّه جمعُ القَتره بمعنى الغبرة أي: يذهب الاغبرة و الأبخرة المجتمعة في الهواء الموجبة لكثافتها و تعفّنها. قاله المجلسي في البحار٣: ٥٥.

٨ إلى ١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٦.

يطيعونهم. قال: «هم أئمة الظّلم وأشياعهم»[١]. ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾. يأتي تفسير محبّة الله في آل عمران إن شاء الله[٢]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنهم يرون الرّبوبيّة والقدرة لله، لايشركون به شيئاً، فمحبّتهم خالصة له. قال: «هم آل محمّد»[٣]. ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قال: «باتّخاذ الأصنام أنداداً لله سبحانه، والكفّار والفجّار أمثالاً لمحمّد وعلي»[٤]. ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾. جواب "لو" محذوف، أي: لندموا أشدّ النّدم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ قال: «الرّؤساء»[٥]. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ قال: «الرّعايا والاتباع»[٦]. ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: «ففنيت حيلتهم ولايقدرون على النّجاة من عذاب الله بشيء»[٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ قال: «الاتباع»[٨]. ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ قال «يتمنّون لو كان لهم رجعة إلى دار الدّنيا»[٩]. ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ قال: «هناك»[١٠]. ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ قال: «هنا»[١١]. ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. قال: «وذلك انّهم عملوا في الدّنيا لغير الله أو على غير الوجه الّذي أمر الله، فيرونها لاثواب لها، ويرون أعمال غيرهم الّتي كانت لله قد عظّم الله ثوابها»[١٢]. وفي رواية: «يدع ما له بخلاً فينفقه غيره في طاعة الله، فيراه حسرة؛ أو في معصية الله فكان قد أعانه عليها، فيراه حسرة»[١٣].

١ ـ العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٢؛ و الكافي ١: ٣٧٤، الحديث: ١١؛ و البرهان ١: ١٧٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ ذيل الآية: ٣١.
٣ ـ العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٣؛ والبرهان ١: ١٧٢، الحديث: ٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٤ إلى ٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٨.
٩ إلى ١٢ ـ المصدر: ٥٧٨.
١٣ ـ الكافي ٤: ٤٢، الحديث: ٢؛ و العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ قال: «ما يخطو بكم إليه، ويغريكم به من مخالفة الرّسول»[١]. قيل: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس[٢]. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ قيل: هو ما أنكره العقل[٣]. ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ قيل: هو ما استقبحه الشّرع[٤]. ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كاتّخاذ الأنداد، وتحليل المحرّمات وتحريم الطّيّبات. ورد: «إيّاك وخصلتين، ففيهما هلك من هلك: إيّاك أن تفتي النّاس برأيك، أو تدين بما لا تعلم»[٥].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ قال: «من الدّين والمذهب»[٦]. ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: جهلة لا يتفكّرون في أمر الدّين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقّ و الصّواب.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾: يصيح. من نعق الرّاعي بغنمه: إذا صاح بها[٧]. ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾. قال: «أي: مثلهم في دعائك إيّاهم إلى الإيمان كمثل النّاعق في دعائه المنعوق به، من البهائم الّتي لا تفهم، وإنّما تسمع الصّوت»[٨].

أقول: أراد - عليه السّلام - أنّ مَثَلَ داعيهم إلى الإيمان كمثل داعي البهائم، يعني أنّهم لانهماكهم في التّقليد لا يلقون آذانهم إلى ما يتلى عليهم، و لا يتأمّلون فيما يقرّر

١ - تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨١، و فيه «و يغركم به».
٢ - راجع: التّبيان٢: ٧٢؛ و مجمع البيان ١-٢: ٢٥٢.
٣و٤ - راجع: البيضاوي١: ٢٠٩.
٥ - الكافي ١: ٤٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ - تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٢.
٧ - راجع: الصّحاح ٤: ١٥٥٩ (نعق).
٨ - مجمع البيان ١-٢: ٢٥٤: عن أبي جعفر عليه السلام.

معهم، فهم في ذلك كالبهائم الّتي ينعق عليها فتسمع الصّوت ولاتعرف مغزاه وتحسّ النّداء ولا تفهم معناه.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قال: «عن الهدى»[1]. ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ قال: «على ما رزقكم منها»[2].

أقول: بأن تعتقدوا بأنّ النّعمة من الله، وأن تصرفوا النّعمة فيما خلقت لأجله، وتحمدوا الله بالسنتكم.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن صحّ أنّكم تختصّونه بالعبادة وتقرّون أنّه مولى النّعم.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ قال: «الّتي ماتت حتف أنفها بلا ذباحة من حيث أذن الله»[3]. ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ قال: «ما ذكر اسم غير الله عليه من الذّبايح، وهي الّتي يتقرّب بها الكفّار بأسامي أندادهم الّتي اتّخذوها من دون الله»[4].

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ قال: «إلى شيء من هذه المحرّمات»[5]. ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال: «الباغي: الّذي يخرج على الإمام، والعادي: الّذي يقطع الطّريق»[6]. وفي رواية: «الباغي: الّذي يبغي الصّيد بطراً ولهواً، لاليعود به على عياله، والعادي: السّارق؛ ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا»[7]. ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تناول هذه الأشياء.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ قال: «ستّار لعيوبكم»[8]. ﴿رَّحِيمٌ﴾ قال: «بكم حين أباح لكم في الضّرورة ما حرّمه في الرّخاء»[9].

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٣.
٢ ـ المصدر: ٥٨٤. و في «الف»: «على ما رزقناكم منها».
٣، ٤ و٥ ـ المصدر: ٥٨٥.
٦ ـ الكافي ٦: ٢٦٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، ذيل الحديث: ١٠٠٧، عن محمّد بن علي الرّضا عليهما السّلام.
٨ و٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٥ ـ ٥٨٦.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ : «عرضاً يسيراً من الدنيا، كمال أو رياسة عند الجهّال». كذا ورد[1]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ : ملأ بطونهم ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ قال: «بدلاً من إصابتهم اليسير من الدّنيا لكتمانهم الحقّ»[2].

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: «بكلام خير»[3]. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قال: «من ذنوبهم»[4]. وقيل: و لايثني عليهم[5]. و إنّهما كنايتان عن غضبه تعالى عليهم، وتعريض لحرمانهم عن الزلفى من الله. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ في الدّنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ في الآخرة ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾. قال: «على فعل ما يعلمون أنه يصيّرهم إلى النّار»[6].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: «بأن قال بعضهم: إنّه سحر، و قال آخر: إنّه شعر، و قال آخر: إنّه كهانة»[7]. ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ قال: «الطّاعة الّتي تنالون بها الجنان، وتستحقّون بها الغفران والرّضوان»[8]. ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ قال: «بصلواتكم»[9]. ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾. «ردّ على الّذين أكثروا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حولّت، مدّعياً كلّ طائفة أنّ البرّ هو التّوجّه إلى قبلتها، والمشرق قبلة النّصارى، والمغرب قبلة اليهود». كذا ورد[10].

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٥ ـ ٥٨٦.
٢، ٣ و٤ ـ المصدر: ٥٨٦.
٥ ـ راجع: البيضاوي ١: ٢١١.
٦ ـ البرهان ١: ١٧٥، الحديث: ١ و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٦ ـ ٥٨٧.
٨ و٩ ـ المصدر: ٥٩٠، وفيه «بصلاتكم».
١٠ ـ راجع: تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٩.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ ﴾: برّ من آمن ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ قال: «على حبّه للمال و شدّة حاجته إليه، يأمل الحياة ويخشى الفقر لأنّه صحيح شحيح»[1]. ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قال: «ذوي قرابته[2] الفقراء برّاً وصدقة، وذوي قرابة النّبيّ الفقراء برّاً وهديّةً لاصدقة»[3]. وكذا قال في اليتامى. ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ قال: «مساكين النّاس»[4]. ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال: «المجتاز الّذي لانفقة معه»[5]. ﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ قال: «الّذين يتكفّفون»[6]. ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ وفي تخليصها: قال: «المكاتبين، يعينهم ليؤدّوا حقوقهم فيعتقوا»[7]. ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾. عطف على "من آمن". ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ نصبه على المدح، ولم يعطف، لفضل الصّبر على ساير الأعمال. قال: «يعني في محاربة الأعداء، ولاعدوّ يحاربه أعدىٰ من إبليس»[8]. وفي رواية: «نفسه»[9]. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ قال: «الفقر والشدّة»[10]. ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ قال: «عند شدّة القتال»[11].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ قال: «صدقوا في إيمانهم، و صدّقوا أقاويلهم بأفاعيلهم»[12]. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ قال: «لما أُمروا باتّقائه»[13]. ورد: «من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان»[14].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ قال: «يعني المساواة وأن

١، ٣، ٤، ٥، ٦و٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٢.

٢ـ الضّمير في: «قرابته» يرجع إلى المعطى. و في المصدر: «و آتى قرابة نفسه صدقةً و برّاً و على أيّ سبيل أراد».

٨، ١٠، ١١، ١٢و١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٤.

٩ـ راجع: الكافي٢: ٣٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و البحار٦٧: ٦٤، الحديث: ١، عن عدّة الدّاعي، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

١٤ـ البيضاوي١: ٢١٣.

يسلك بالقاتل في طريق المقتول الّذي سلكه به لمّا قتله»[1]. ورد: «هي لجماعة المسلمين، ما هي للمؤمنين خاصّة»[2]. ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾. قال: «إنّها ناسخة لقوله تعالى: "النّفس بالنّفس" الآية»[3]. و إنّه «لا يُقتَلُ حرٌّ بعبد؛ و لكن يضرب ضرباً شديداً و يغرم دية العبد، و لا يقتل الرّجل بالمرأة، إلاّ إذا أُدّي إلى أهله نصف ديته»[4].

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ أي: الجاني الّذي عفي له ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ الّذي هو وليّ الدّم. قيل: ذكر الأُخوّة ليعطف عليه «شَيْءٌ» من العفو[5]، وهو العفو من القصاص دون الدّية. ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾: فليكن اتّباع من العافي، أي مطالبة بالدّية ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بأن لا يظلم الجاني بأخذ الزّيادة ولا يعنّفه ﴿وَأَدَاءٌ﴾ من الجاني ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى العافي ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ «بأن لايماطله ولايضارّه، بل يشكره على عفوه». كذا ورد في تفسير هذه الآية[6]. ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إذ لو لم يكن إلاّ القتل أو العفو، لقلّما طابت نفس وليّ المقتول بالعفو بلاعوض، فكان قلّما يسلم القاتل من القتل. ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بأن يقبل الدّية أو يعفو أو يصالح، ثمّ يجيء بعد، فيمثل أو يقتل ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ قال: «لانّ من همّ بالقتل فعرف أنّه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل، كان حياة للّذي همّ بقتله، وحياة لهذا الجاني الّذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من النّاس؛ إذا علموا انّ القصاص واجب، لايجسرون على القتل مخافة

١ و ٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٤.

٣ ـ المائدة(٥): ٤٥، و تمام الآية: «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ. الآية».

٤ ـ راجع: القمّي١: ٦٥؛ و العيّاشي١: ٧٥، الحديث: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ ـ البيضاوي١: ٢١٤.

٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٥، و لكن ليست فيه جملة: «بل يشكره على عفوه».

القصاص»[١] . ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ . قيل: ناداهم للتأمّل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح، وحفظ النفوس[٢] . ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ : حضر أسبابه وظهر أماراته ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ : «مالاً كثيراً». كذا ورد[٣] . ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ : بالشيء الّذي يعرف العقل أنّه لاجور فيه ولاجنَف[٤] . ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ . ورد: «إنّها منسوخة بآية المواريث»[٥] . وحمل على التقيّة لموافقته مذاهب العامّة، ومخالفته لما ورد: «أنّه سئل عن الوصيّة للوارث؟ فقال: تجوز. ثمّ تلا هذه الآية»[٦] . وفي معناه أخبار أُخر[٧] .

أقول: نسخ الوجوب لاينافي بقاء الجواز.

و ورد: «من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لايرث فقد ختم عمله بمعصية»[٨] . وفي رواية: «أنّه شيء جعله الله لصاحب هذا الأمر. سئل: هل لذلك حدّ؟ قال: أدنى ما يكون ثلث الثلث»[٩] .

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . و عيد للمبدّل بغير حقّ. ورد: «أعطه لمن أوصى به له وإن كان يهودياً أو نصرانياً، وأنّه يغرمها

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٥، و فيه: «لايجرؤن» بدل: «لايجسرون».
٢ ـ البيضاوي ١: ٢١٥.
٣ ـ الدرّ المنثور ١: ١٧٤؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٦٧.
٤ ـ في «الف»: «ولا حَيْفَ» و كلاهما بمعنى واحد و هو الجور و الميل عن الحقّ، و لعلّ ما اثبتناه انسب لقول بعض اللغويّين: إنّ الجنف يختصّ بالوصيّة، و لكونه متخذاً من الآية الآتية.
٥ ـ العيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٦٧؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٦٧، عن أحدهما عليهما السّلام.
٦ ـ الكافي ٧: ١٠، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٧: ٩، باب: الوصيّة للوارث، الحديث: ١، ٢، ٣ و٤؛ والعيّاشي ١: ٧٦، الحديث: ١٦٤؛ ومجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٦٧.
٨ ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٣٤، الحديث: ٤٦٦؛ والعيّاشي ١: ٧٦، الحديث: ١٦٦؛ ومجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٦٧. و في «الف» و «ب»: «بمعصيته».
٩ ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٧٥، الحديث: ٦٦٥؛ والعيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٦٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إذا خالف»[1].

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ قال: «ميلاً عن الحقّ بالخطأ أو التعمّد»[2]. وفي رواية: «إذا اعتدى في الوصيّة وزاد على الثّلث»[3]. ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة والموصى لهم ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في التّبديل؛ لأنّه تبديلُ باطلٍ إلى الحقّ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ورد: «إنّ قوله: "فَمَنْ بَدَّلَهُ" منسوخ بقوله: "فَمَنْ خَافَ". قال: يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً من الموصي فيما أوصى به إليه فيما لا يرضى الله به من خلاف الحقّ، فلا إثم على الموصى إليه أن يردّه إلى الحقّ وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير»[4].

وفي رواية: «إنّ الله أطلق للموصى إليه أن يغيّر الوصيّة إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها جنف، ويردّها إلى المعروف»[5].

وفي أُخرى: «مثل رجل يكون له ورثة، فيجعل المال كلّه لبعض ورثته ويحرم بعضها. قال: فالجنف: الميل إلى بعض ورثتك دون بعض، والإثم: أن تامر بعمارة بيوت النيّران واتّخاذ المسكر، فيحلّ للوصيّ أن لا يعمل بشيء من ذلك»[6].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾. قال: «لذّة النّداء أزال تعب العبادة

١ـ الكافي ٧: ١٤، الحديث: ١ و٢؛ والعيّاشي ١: ٧٧، الحديث ١٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. والظّاهر أنّ جملة: «وأنّه يغرمها إذا خالف» ليست ذيل الرّواية المذكورة؛ بل هي مضمون الحديث الآخر المرويّ في العيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٧٠.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٣؛ وعلل الشّرايع ٢: ٥٦٧، الباب: ٣٦٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٢؛ والكافي ٧: ٢١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ الكافي ٧: ٢٠، الحديث: ١، وفيه: «وكان فيها حَيْفٌ».

٦ـ القمّي ١: ٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

والعناء»[١]. وقال: «فيه وفي "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ" هذه كلّها تجمع الضُّلاّل والمنافقين، وكلّ من أقرّ بالدّعوة الظّاهرة»[٢]. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ قال: «من الأنبياء والأُمم، أوّلهم آدم»[٣].

أقول: يعني أنّه عبادة قديمة ما أخلى الله أُمّة من إيجابها عليهم، لم يوجبها عليكم وحدكم. ففيه ترغيب وتطييب.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فإنّ الصّيام يكسر الشّهوة الّتي هي معظم أسبابها. ورد: «من لم يستطع الباه[٤] فليصم، فإنّ الصّوم له وجاء»[٥].

﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: مرضاً يضرّه الصّوم ويعسر؛ لقوله: "وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[٦]. قال: «هو مؤتمن عليه مفوّض إليه، فإن وجد ضعفاً فليفطر، وإن وجد قوّة فليصم، كان المريض على ما كان»[٧]. وقال: «كلّ ما أضرّ به الصّوم، فالإفطار له واجب»[٨]. ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ حدّ السّفر وشرايطه في وجوب الإفطار يطلب من كتابنا «الوافي»[٩]. ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ هذا نصّ في وجوب الإفطار على المريض والمسافر، كما ورد في أخبار كثيرة، حتّى قالوا: «الصّائم في شهر رمضان في السّفر كالمفطر فيه في الحضر،

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٢١٦.
٣ـ راجع: جوامع الجامع ١: ١٠٣.
٤ـ في «ب» و «ج»: «الباءة».
٥ـ الكافي ٢: ١٨٠، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام؛ والمقنعة ـ للمفيد ـ: ٤٩٧ باب السّنّة في النّكاح، و فيه: «فليد من الصّوم»؛ و الوسائل ٧: ٣٠٠، و الوجاء: أن ترضّ انثيا الفحل رضّاً شديداً يذهب شهوة الجماع و يتنزّل في قطعه منزلة الخصيّ. و قيل: هو ان توجأ العروق، و الخصيتان بحالهما. أراد أنّ الصّوم يقطع النّكاح كما يقطعه الوجاء. النّهاية ٥: ١٥٢ (وجا).
٦ـ البقرة (٢): ١٨٥.
٧ـ الكافي ٤: ١١٨، الحديث: ٣، و فيه: «كان المرض ما كان».
٨ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الوافي ١١: ٣٠٩.

وعليه القضاء[١]. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ قال: «كانوا يطيقونه، فأصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك»[٢]. وفي رواية: «الّذين يطيقونه: الشّيخ الكبير، والّذي يأخذه العطاش»[٣].

أقول: في الرّواية الأُولى إشكال، وفي الثّانية إجمال، ولعلّ المراد بهم: الّذين يكون الصّيام بقدر طاقتهم، ويكونون معه على مشقّة وعسر، فإنّ من كان كذلك، لم يكلّفه الله به على الحتم، بل خيّره بينه وبين الفدية توسيعاً منه جلّ وعزّ، ورحمةً؛ وذلك لأنّ الله سبحانه لايكلّف نفساً إلاّ وسعها، «والوسع دون الطّاقة» كما ورد به النّصّ[٤]. يدلّ على ما قلت قوله تعالى: "وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ"[٥]، فإنّه يدلّ على أنّ المطيق هوالّذي يقدر على الصّيام حدّاً في القدرة دون الحدّ الذّي أوجب عليه، فإنّه إذا اختار المشقّة على السّعة كان أعظم أجراً، فحكم الآية باق ليس بمنسوخ كما زعمته قوم، وهذا بعينه معنى الرّواية الثّانية.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يعني إن أفطروا، يتصدّقون عن كلّ يوم بما يجتزي به مسكين. وفي رواية: «مُدّ»[٦]. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زاد في مقدار الفدية ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ أيها المطيقون فهو ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الفدية وتطوّع الخير ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ صمتم.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ أي: الأيّام المعدودات هي شهر رمضان. ورد: «إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضّل الله به هذه الأُمّة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله ﷺ، وعلى أُمّته»[٧]. ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يعني أُنزل بيانه وتأويله

١ـ الكافي٤: ١٢٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، و ليست فيه: «و عليه القضاء».
٢ـ الكافي٤: ١١٦، الحديث: ٥؛ و من لايحضره الفقيه ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي١: ٧٨و٧٩، الحديث: ١٧٦و١٧٩؛ و الكافي٤: ١١٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢٧٤.
٥ـ البقره(٢): ١٨٤.
٦ـ العيّاشي١: ٧٩، الحديث: ١٨١؛ والكافي٤: ١١٦، الحديث٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه٢: ٦١، الحديث: ٢٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

في ليلة القدر منه، وأمّا تنزيله، فكان من ابتداء بعثة النّبيّ إلى أوان وفاته ﷺ. كذا يستفاد ممّا ورد[١]. وفي رواية: «نزل القرآن جملة[٢] واحدةً في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزّل في طول عشرين سنة»[٣]. ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي: أُنزل في ليلة القدر بيانه، وتأويل متشابهه ليكون هدىً للنّاس ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾: بتفريق المحكم من المتشابه، وبتقدير الأشياء، وتبيين خصوص الوقايع الّتي تصيب الخلق في كلّ سنة إلى ليلة القدر الآتية، وذلك يكون في كلّ عصر و زمان لصاحب ذلك العصر والزّمان. والفرقان: هو المحكم الواجب العمل به، وهو بعينه ما قاله عزّ و جلّ في الدّخان: "إنّا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ إنّا كنّا منذرين. فيها يُفرق كلُّ أمرٍ حكيمٍ"[٤] أي محكم. كذا المستفاد ممّا ورد[٥].

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾: فمن حضر في الشّهر، ولم يكن مسافراً ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ قال: «ما أبينها. من شهد فليصمه، ومن سافر فلا يصمه»[٦]. و ورد: «ليس للرّجل إذا دخل شهر رمضان أن يخرج إلّا في حجّ، أو عمرة، أو مال يخاف تلفه، أو أخ يخاف هلاكه، وليس له أن يخرج في إتلاف مال أخيه؛ فإذا مضت ليلة ثلاث وعشرين فليخرج حيث شاء»[٧]. ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. كرّر ذلك، تأكيداً للأمر بالإفطار، وأنّه عزيمة لايجوز تركه.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في المرض

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٦؛ و معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢١٨.
٢ـ في «ألف»: «جملاً واحدةً».
٣ـ العيّاشي ١: ٨٠، الحديث ١٨٤؛ والكافي ٢: ٦٢٨، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ الآية: ٣ و ٤.
٥ـ العيّاشي ١: ٨٠، الحديث: ١٨٥؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٦ـ الكافي ٤: ١٢٦، الحديث: ١؛ و من لايحضره الفقيه ٢: ٩١، الحديث: ٤٠٤؛ والتّهذيب ٤: ٢١٦، الحديث: ٦٢٧، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ التّهذيب ٤: ٢١٦، الحديث: ٦٢٦، عن أبي عبدالله ﷺ.

والسّفر ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: عدّة أيّام الشّهر بالصّيام ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾: «ولتعظّموا الله وتمجّدوه على هدايته إيّاكم. أُريد به تكبير صلاة العيد». كذا ورد[١]. وفي رواية: «التّكبير عقيب الصّلوات الأربع في العيد»[٢]. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تسهيله الأمر لكم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: فقل لهم: إنّي قريب. روي: «أنّ أعرابياً قال لرسول اللّه ﷺ: أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت»[٣].

أقول: مَثَلُ قربه تعالى مَثَلُ معيّته، فكما أنّ معيّته ليست بممازجةٍ ومداخلةٍ، ومفارقته ليست بمباينةٍ ومزايلةٍ، فكذلك قربه ليس باجتماع وأين، وبعده ليس بافتراق وبين، وإنّما يجد قربه من عَبَدَهُ كأنّه يراه، وأمّا بُعد من بَعُدَ عنه، مع تساوي نسبة قربه إلى جميع عباده فهو كما أنّ لك رقيباً وهو حاضر عندك وأنت عنه في عمى، لا تراه ولا تشعر بحضوره.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. تقرير للقرب، و وعد للدّاعي بالإجابة. «ومن لم يجد الإجابة فقد أخلّ بشرط الدّعاء». كذا ورد[٤]. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطّاعة، كما أجبتهم إذا دعوني لمهامّهم. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ قال: «وليتحقّقوا أنّي قادر على إعطائهم ما سألوه»[٥]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قال: «لعلّهم يصيبون الحقّ ويهتدون إليه»[٦].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾. كناية عن المواقعة؛ لأنّه قلّما يخلو

١ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٣١، الحديث: ١٤٨٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٢ـ الكافي ٤: ١٦٦، الحديث ١؛ والعيّاشي ١: ٨٢، الحديث: ١٩٣ و ١٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الدّرّ المنثور ١: ١٩٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٨.

٤ـ الكافي ٢: ٤٨٦، الحديث: ٨؛ ومصباح الشّريعة: ١٣٣، الباب: ٦٢، في الدّعاء، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ و ٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من رفث[1]، وهو الإفصاح بما يجب أن يكنّى عنه. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾. بيان لسبب الإحلال وهو قلّة الصّبر عنهنّ وكثرة مخالطتهنّ. ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ من الخيانة، أي تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظّها من الثّواب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾. ورد: «كان الأكل محرّماً في شهر رمضان باللّيل بعد النّوم، والنّكاح حراماً باللّيل والنّهار، فنام رجل قبل أن يفطر، وحضر حفر الخندق، فأُغمي عليه، وكان قوم من الشّبّان ينكحون باللّيل سرّاً، فنزلت»[2]. ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: من الولد أو من الإباحة بعد الحظر[3]، فإنّ الله يحبّ أن يؤخذ برُخَصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ قال: «بياض النّهار من سواد اللّيل»[4]. وفي رواية: «هو الفجر الّذي لا شكّ فيه»[5]. وفي أُخرى: «ليس هو الأبيض صعداء؛ إنّ الله لم يجعل خلقه في شبهة من هذا، وتلا هذه الآية»[6]. وسئل: آكُلُ في شهر رمضان باللّيل حتّى أشكّ؟ قال: «كُلْ حتّى لا تشكّ»[7]. ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾: معتكفون فيها. والاعتكاف أن يحبس نفسه في الجامع للعبادة. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: حرمات الله

١ـ الرَّفَث ـ محرّكة ـ: كلام متضمّن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع و دواعيه و جعل في الآية كنايةً عن الجماع. «المفردات: رفث». و عن الأزهري: الرّفث كلمة جامعة لكلّ ما يريده الرّجل من المرأة. النّهاية ٢: ٢٤١ (رفث).

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٠؛ و العيّاشي ١: ٨٣، الحديث: ١٩٧؛ والقمّي ١: ٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ١: ١٩٧.

٣ـ الكشّاف ١: ٣٣٨. و في «ألف»: «من الولد أو الإباحة بعد الحظر».

٤ـ العيّاشي ١: ٨٤، الحديث: ٢٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٨٢، الحديث: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ التّهذيب ٢: ٣٧، ذيل الحديث: ٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ التّهذيب ٤: ٣١٨، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ومناهيه ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾. ورد: «إنّ لكلّ ملك حمىً، وإنّ حمى الله محارمه، فمن رتع[1] حول الحمى، يوشك أن يقع فيه»[2]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم﴾: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: «بالوجه الّذي لم يشرعه الله كالقمار، وكاليمين الكاذبة، والدّين الّذي ليس له ما يؤدّيه». كذا ورد[3]. ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: ولا تلقوا أمرها إلى الحكّام ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ بالتّحاكم ﴿فَرِيقًا﴾: طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بما يوجب إثماً كشهادة الزّور، واليمين الكاذبة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّكم مبطلون. قال: «هو أن يعلم الرّجل أنّه ظالم، فيحكم له القاضي، فهو غير معذور في أخذه ذلك الّذي حكم له»[4]. وقال: «قد علم الله أنّه يكون حكّام يحكمون بغير الحقّ فنهى أن يتحاكم إليهم»[5].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾: عن زيادتها ونقصانها ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾: معالم يوقّت بها النّاس عباداتهم ومزارعهم ومتاجرهم ومحالّ ديونهم وعدد نسائهم. و ورد: «لصومهم و فطرهم و حجّهم»[6]. ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾. قال: «كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنّما يدخلون ويخرجون من نقب ينقبونه[7] في مؤخّرها، ويعدّون ذلك برّاً فنهوا عن التّدين بها»[8].

١ ـ رَتَعَ: أكل و شرب ما شاء في خِصْبٍ و سَعَةٍ. «القاموس المحيط ٣: ٢٨ ـ رتع». و رتع حول الحمىٰ أي: يطوف به و يدور حوله.

٢ ـ الكشّاف ١: ٣٤٠، عن النّبيّ ﷺ.

٣ ـ الكافي ٥: ١٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ العيّاشي ١: ٨٥، الحديث: ٢٠٦، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.

٥ ـ القمّي ١: ٦٧، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.

٦ ـ التّهذيب ٤: ١٦٦، الحديث: ٤٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ ـ في «الف»: «ينقبون».

٨ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ قال: «ما حرّم الله»[١]. ﴿وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ قال: «يعني أن يأتي الأمر من وجهه أيّ أمر كان»[٢].

أقول: ومنه أخذ أحكام الدّين عن أمير المؤمنين وعترته الطّيّبين؛ لأنّهم أبواب مدينة علم النّبيّ - صلوات الله عليه وعليهم أجمعين - كما قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولايؤتى المدينة إلّا من بابها»[٣]. وقال عليّ عليه السلام: «قد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله: "وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِهَا". والبيوت هي بيوت العلم الّذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم»[٤].

﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ في تغيير أحكامه ﴿لعلّكم تفلَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: جاهدوا لإعلاء كلمته. ورد: «إنّها ناسخة لقوله: "كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ"»[٥]. ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا﴾ بابتداء القتال والمفاجاة به من غير دعوة، وبالمُثْلَة، وقتل من نُهيتم عن قتله من النّساء والصّبيان والمشايخ والمعاهدين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. ورد: «إنّها ناسخة لقوله تعالى: "وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ"»[٦]. ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ يعني مكّة؛ وقد فعل ذلك بمن لم يسلم منهم يوم الفتح. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾. قيل: معناه شركهم في الحرم، وصدّهم إيّاكم عنه أشدّ من قتلكم إيّاهم فيه[٧]. ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ

١ - الصّافي ١: ٢٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ - العيّاشي ١: ٨٦، الحديث: ٢١١؛ و مجمع البيان ١-٢: ٢٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ - مجمع البيان ١-٢: ٢٨٤؛ و القمّي ١: ٦٨.

٤ - الاحتجاج ١: ٣٦٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ - مجمع البيان ١-٢: ٢٨٥. و الآية في سورة النّساء (٤): ٧٧.

٦ - مجمع البيان ١-٢: ٢٨٥، المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام. و الآية في سورة الأحزاب (٣٣): ٤٨.

٧ - راجع: البيضاوي ١: ٢٢٣.

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: لاتفاتحوهم بالقتال و هتك حرمة الحرم ﴿فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ فلا تبالوا بقتالهم ثمّة؛ فإنّهم هم الّذين هتكوا حرمته ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يفعل بهم ما فعلوا ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن القتال والشّرك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهم ما قد سلف.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال: «شرك»[1]. ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ أي: الطّاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن الشّرك والقتال ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فلا تعتدوا على المنتهين. سمّى الجزاء باسم الابتداء، للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله: «وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها»[2].

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾. «قاتلهم المشركون في عام الحُدَيبيّة في ذي القعدة، واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه، فكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته، فنزلت؛ أي: هَتْكُهُ بِهَتْكِه فلاتبالوا به». كذا ورد[3]. وفي رواية: «إذا ابتدأ المشركون باستحلال الشّهر، جاز للمسلمين قتالهم فيه»[4]. ﴿وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ﴾ يعني: كلّ حرمة يجري فيه القصاص؛ فلمّا هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله. والحرمة: ما يجب أن يحافظ عليها.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾. فذلكة وتاكيد. ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ في الانتصار، فلا تعتدوا إلى ما لم يرخّص لكم ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيحرسهم ويصلح شانهم.

﴿وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ بالإسراف، وتضييع وجه

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الشّورى (٤٢): ٤٠.
٣ـ البيضاوي ١: ٢٢٣؛ و تفسير الطّبري ٢: ١١٤.
٤ـ العيّاشي ١: ٨٦، الحديث: ٢١٥.

المعاش، وبمعصية السّلطان وبكلّ ما يؤدّي إلى الهلاك. ورد: «لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله، ما كان أحسن ولا وفّق؛ ثمّ تلا هذه الآية»[١]. و ورد أيضاً: «طاعة السّلطان واجبة، ومن ترك طاعة السّلطان فقد ترك طاعة الله ودخل في نهيه؛ ثمّ تلا هذه الآية»[٢]. ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: «يعني المقتصدين»[٣].

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: ائتوا بهما تامّين كاملَين بشرائطهما وأركانهما ومناسكهما لوجه الله خالصاً. ورد: «هما مفروضان»[٤]. و ورد: «يعني بتمامهما: أداءهما واتّقاء ما يتّقي المحرم فيهما»[٥]. وفي رواية: «أقيموهما إلى آخر ما فيهما»[٦]. ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: «منعكم خوف أو مرض بعد ما أحرمتم». كذا ورد[٧]. ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: فعليكم إذا أردتم التّحلّل من الاحرام ما تيسّر من الهدي تبعثون به. ورد: «يعني شاة وضع على أدنى القوم قوّة، ليسع القويّ والضّعيف»[٨]. ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾: لاتحلّوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ﴾ يعني: مكانه الّذي يجب أن ينحر فيه.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: مرضاً يحوجه إلى الحلق ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ كجراحة أو قمّل ﴿فَفِدْيَةٌ﴾: فعليه فدية إن حلق ﴿مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ أي: دم. ورد: «إنّ الصّيام ثلاثة أيّام، والصّدقة على ستّة مساكين، والنّسك شاة»[٩]. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ﴾: استمتع وانتفع بعد التّحلّل من عمرته باستباحة ما كان محرّماً

١و٣ـ الكافي٤: ٥٣، الحديث: ٧؛ و العيّاشي١: ٨٧، الحديث: ٢١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٧٧. المجلس الرّابع و الخمسون، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ـ الكافي٤: ٢٦٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي١: ٨٨، الحديث: ٢٢٤، عن أبي العبّاس.
٥ـ العيّاشي١: ٨٧، الحديث: ٢٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٠، عن أمير المؤمنين و عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٧ـ المصدر، المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٢٠، الباب: ٣٤، ذيل الحديث: ١.
٩ـ العيّاشي١: ٩٠، الحديث: ٢٣١؛ والكافي٤: ٣٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

عليه ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾: إلى أن يحرم بالحج ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: فعليه دم استيسره. قال: «شاة»[١].

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾: في وقته وأيّام الاشتغال به. ورد: «يعني في ذي الحجّة»[٢]. ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم. «فإن بدا له الإقامة بمكّة نظر مقدّم أهل بلاده فإنْ ظنّ أنّهم قد دخلوا فليصم». كذا ورد[٣]. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾. «لاتنقص عن الأضحيّة الكاملة». كذا ورد[٤]. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التمتّع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: «من كان منزله على أزيد من ثمانية عشر ميلاً منه». كذا ورد[٥]. [وفي رواية[٦]: «حدّه ثمانية وأربعون ميلاً»][٧]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ يعني: وقت إحرامه ومناسكه؛ وهي شوّال وذوالقعدة وذوالحجّة. ورد: «ليس لأحد أن يحجّ فيما سواهنّ، ومن أحرم بالحجّ في غيرها فلا حجّ له»[٨]. ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ «بأن لبّى أو أشعر أو قلّد». كذا ورد[٩]. ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: في أيّامه. قال: «الرّفث: الجماع، والفسوق: الكذب والسّباب، والجدال: قول لا والله و بلى و الله»[١٠]. و «في الجدال شاة؛ وفي الفسوق

١ـ الكافي٤: ٤٨٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي١: ٩٣، الحديث: ٢٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي٤: ٥٠٩، الحديث: ٨.
٤ـ المصدر: ٥١٠، الحديث: ١٥.
٥ـ المصدر: ٣٠٠، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي١: ٩٣، الحديث: ٢٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ ما بين المعقوفتين ليس في «الف».
٨ـ الكافي٤: ٣٢١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و٣٢٢، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ العيّاشي١: ٩٤، الحديث: ٢٥٤؛ والكافي٤: ٢٨٩، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ العيّاشي١: ٩٥، الحديث: ٢٥٦؛ والكافي٤: ٣٣٨، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بقرة؛ وفي الرّفث فساد الحجّ»[١]. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾. حثّ على البرّ. ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. قيل: كانوا يحجّون من غير زاد، فيكونون كلاً على النّاس، فأُمروا أن يتزوّدوا ويتّقوا الإبرام والتّثقيل[٢] على النّاس[٣]. ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: تجارةً. ورد: «كانوا يتأثّمون بالتّجارة في الحجّ فرفع عنهم الجناح»[٤]. وفي رواية: «فضلاً أي: مغفرة»[٥]. ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دفعتم أنفسكم بكثرة ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾. قال: «ومضيتم إلى مزدلفة»[٦]. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾: بإزاء هدايته إيّاكم. قال: «لدينه والإيمان برسوله»[٧]. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: وإنّه كنتم. ﴿مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾. قال: «الضّالّين عن دينه قبل أن يهديكم لدينه»[٨].

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾: ثمّ لتكن إفاضتكم ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال: «أي: من عرفات»[٩]. ورد: «إنّ قريشاً كانوا لا يقفون بعرفات، ولا يفيضون منه، ويقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه، فيقفون بالمشعر ويفيضون منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منه كسائر النّاس»[١٠].

١ـ الكافي٤: ٣٣٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «الف»: «والثّقل».
٣ـ راجع: الكشّاف١: ٣٤٧؛ و البيضاوي١: ٢٢٥.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٥. لكنّه نقله بلفظ: «قيل» عن ابن عبّاس و مجاهد و الحسن و عطا. ثمّ يقول: و هو المرويّ عن أئمّتنا.
٥ـ المصدر: عن أبي جعفر عليه السلام.
٦، ٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٥.
٩ـ البيضاوي١: ٢٢٧.
١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام، والعيّاشي١: ٩٧، الحديث: ٢٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: وعلى هذا فمعنى "ثُمَّ" الترتيب في الرتبة كما في قولك: أحسن إلى الناس ثمّ لا تحسن إلى غير كريم. وفي رواية: «إنّ قوله: "فَإِذَا أَفَضْتُم" متأخّر عن قوله: "ثُمَّ أفِيضُوا"»[١]. وعلى هذا يكون "ثُمَّ" بمعناه الظاهر. وفي أُخرى: «إنّ المراد بقوله: "ثُمَّ أفِيضُوا" الإفاضة من المشعر إلى منى»[٢]. وعلى هذا فلا إشكال.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ من جاهليّتكم في تغيير المناسك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال: «للتائبين»[٣].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾. ورد: «كانوا إذا فرغوا من الحجّ، يجتمعون هناك، يعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع»[٤]. ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قال: «بأن يزيدوا فيذكروا نعم الله سبحانه وآلاءه ويشكروا نعماءه؛ لأنّ آباءهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم، فنعم الله عليهم أعظم وأياديه عندهم أفخم، ولأنّه تعالى هو المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم»[٥].

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ منحتنا[٦] ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ خاصة ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: نصيب وحظّ؛ لأنّ همّه مقصور على الدّنيا. قال: «لا يعمل للآخرة عملاً ولا يطلب فيها خيراً»[٧].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كالصّحة والامن. و ورد: «السّعة في

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٦.
٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٥.
٤و٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المَنْح: العطاء. يقال: مَنَحْتُه مَنْحاً أي: أعطيتُه. والاسم: المِنْحَة ـ بالكسر ـ وهي العطيّة. مجمع البحرين ٢: ٤١٥ (منح).
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦.

المعاش وحسن الخلق»[١] . ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ كالرّحمة والزّلفة . و ورد : «رضوان الله والجنّة»[٢] . وفي رواية : «في الدّنيا المرأة الصّالحة ، وفي الآخرة الحوراء»[٣] . ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بالمغفرة والعفو . و ورد : «امرأة السّوء»[٤] .

أقول : كلّ ذلك أمثلة للمراد بها ، فلا تنافي بينها .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ قال : «من ثواب ما كسبوا - قال : - في الدّنيا وفي الآخرة»[٥] . ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ . قال « يحاسب الخلايق كلّهم في مقدار لمح البصر»[٦] . قال : «لأنّه لا يشغله شان عن شان ، ولا محاسبة عن محاسبة ، فإذا حاسب واحداً فهو في تلك الحال محاسب للكلّ يتمّ حساب الكلّ بتمام حساب الواحد ، وهو كقوله تعالى : "ما خَلْقُكُمْ ولاَ بَعْثُكُمْ إلاّ كَنَفْسٍ واحِدَةٍ" »[٧] .

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ . «يعني : أيّام التّشريق . و ذكر الله فيها : التّكبير المعهود عقيب الصّلوات المعهودة» . كذا ورد[٨] . ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ النّفر من منى ﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ بعد يوم النّحر ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتّى رمى في اليوم الثّالث ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ﴾ قال : «يرجع مغفوراً له لا إثم عليه ولا ذنب له»[٩] . ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ .

قال : «نفي الإثم إنّما هو لمن اتّقى الله عزّوجلّ»[١٠] . وفي رواية : «اتّقى الكبائر»[١١] .

١ و٢ـ الكافي ٥ : ٧٦ ، الحديث : ٤؛ والعيّاشي ١ : ٩٨ ، الحديث : ٢٧٤ و٢٧٥؛ و مجمع البيان ١ـ٢ : ٢٩٧ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

٣ و٤ـ البيضاوي ١ : ٢٢٩ ، عن عليّ عليه السلام .

٥ـ تفسير الإمام عليه السلام : ٦٠٦ .

٦ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٢٩٨ .

٧ـ تفسير الإمام عليه السلام : ٦٠٦ . والآية في سورة لقمان (٣١) : ٢٨ .

٨ـ العيّاشي ١ : ٩٩ ، الحديث : ٢٧٦ إلى ٢٧٩؛ و جوامع الجامع ١ : ١١٣ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

٩ـ من لايحضره الفقيه ٢ : ٢٨٩ ، الحديث : ١٤٢٧ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

١٠ـ المصدر : ٢٨٨ ، الحديث : ١٤١٧ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

١١ـ القمّي ١ : ٧٠؛ والكافي ٤ : ٥٢٢ ، الحديث : ١٠ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

وفي أُخرى: «اتّقى الكبر وهو أن يجهل الحقّ ويطعن على أهله»[1]. وفي أُخرى: «اتّقى الصّيد في إحرامه»[2]. وفي أُخرى: «اتّقى الصّيد حتّى ينفر أهل منى النّفر الأخير»[3]. وفي أُخرى: «اتّقى ما حرّم الله عليه في إحرامه»[4]. وفي رواية: «يعني من مات قبل أن يمضي فلا إثم عليه، و من تأخّر فلا إثم عليه، لمن اتّقى الكبائر يعني تأخّر موته»[5]. و ورد: «أنتم و الله هم. إنّ رسول الله ﷺ قال: لايثبت على ولاية عليّ إلّا المتّقون»[6]. وفي رواية: «إنّما هي لكم و النّاس سواد وأنتم الحاجّ»[7]. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بما تعملون. والحشر: الجمع وضمّ المتفرّق.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يروقك ويعظم في قلبك ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ قال: «بأن يحلف لك بأنّه مؤمن مخلص مصدّق لقوله بعمله»[8]. ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: شديد العداوة والجدال للمسلمين.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ قال: «أدبر و انصرف عنك»[9]. وقيل: ملك الأمر وصار والياً[10]. ﴿سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ قال: «بظلمه وسوء سيرته»[11]. و ورد: «إنّ الحرث هنا: الدّين، والنّسل: النّاس»[12]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

١ـ الكافي ٤: ٢٥٢، الحديث: ٢؛ و معاني الأخبار: ٢٤٢، الحديث: ٥و٦، عن أبي عبدالله ؑ.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٩؛ والعيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٨٠، عن أبي جعفر ؑ.
٣ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٢٨٨، الحديث: ١٤١٥، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ العيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٨٠، عن أبي جعفر ؑ.
٥ـ الكافي ٤: ٥٢٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله ؑ.
٦ـ العيّاشي ١: ١٠٠، الحديث: ٢٨٥، عن أبي جعفر ؑ.
٧ـ الكافي ٤: ٥٢٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله ؑ. و سواد النّاس: عوامّهم.
٨و٩ـ تفسير الإمام ؑ: ٦١٧.
١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠٠، عن ضحّاك.
١١ـ العيّاشي ١: ١٠١، الحديث: ٢٩٠، عن أمير المؤمنين ؑ.
١٢ـ القمّي ١: ٧١؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠٠، عن أبي عبدالله ؑ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: حملته الأنفة وحميّة الجاهليّة على الإثم الّذي يؤمر باتّقائه لجاجاً، «فيزداد إلى شرّه شرّاً ويضيف إلى ظلمه ظلماً». كذا ورد[1].

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾: يبيعها ببذلها لله ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: طلباً لرضاه، قال: «فيعمل بطاعته ويأمر النّاس بها»[2]. وردت في عدّة أخبار عاميّة وخاصيّة: «إنّها نزلت في عليّ عليه السلام، حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وهرب النّبيّ إلى الغار»[3]. وفي رواية: «إنّ المراد بها الرّجل يقتل على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر»[4]. يعني: هي عامّة وإن نزلت خاصّة. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. قال: «أمّا الطّالبون لرضا ربّهم فيبلغهم أقصى أمانيّهم ويزيدهم عليها ما لم تبلغه آمالهم، وأمّا الفاجرون فيرفق في دعوتهم إلى طاعته ولا يقطع ممّن علم أنه سيتوب عن ذنبه عظيم كرامته»[5].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾. قال: «في المسالمة إلى دين الإسلام»[6].

أقول: يعني في الاستسلام والطّاعة. و في رواية: «في ولايتنا»[7].

﴿كَافَّةً﴾: جميعاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بالتّفرّق والتّفريق. و في رواية: «بولاية فلان وفلان»[8].

أقول: لا تنافي بين التّفسيرين في الكلمتين؛ فإنّ الولاية ركن الطّاعة أو المعصية وبها يتمّ الإسلام.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦١٧.

٢ـ المصدر: ٦٢١.

٣ـ راجع من الخاصّة: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠١؛ و العيّاشي ١: ١٠١، الحديث: ٢٩٢؛ والبرهان ١: ٢٠٦، و من العامّة: الجامع لاحكام القرآن ٢: ٢١؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ٥ـ٦: ٢٢٣.

٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠١: مروياً عن امير المؤمنين عليه السلام.

٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢١.

٧ـ الكافي ١: ٤١٧، الحديث: ٢٩؛ و العيّاشي ١: ١٠٢، الحديث: ٢٩٧، عن ابي جعفر عليه السلام.

٨ـ العيّاشي ١: ١٠٢، الحديث: ٢٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾ عن الدّخول في السّلم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لاينتقم إلّا بالحقّ.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني أمره و بأسه ﴿فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾. وفي رواية: «هكذا نزلت: إلّا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام»[1]. وفي أُخرى: «يعني يأتيهم الله في ظلل من الغمام ويأتيهم الملائكة كما كانوا اقترحوا عليك اقتراحهم المحال»[2]. ويستفاد من بعضها أنّ المراد به الرّجعة وخروج القائم. ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: و اتمّ امر إهلاكهم وفرغ منه. وفي الرّواية الأخيرة: «قضاء الأمر: الوسم على خرطوم الكافر»[3]. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖ﴾ «فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقرّ و منهم من بدّل» كذا قرأه[4] الصّادق عليه السلام[5]. ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾: آياته الّتي هي سبب الهدى والنّجاة الّذين هما أجلّ النّعم، بجعلهما سبب الضّلالة وزيادة الرّجس. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: حسنت في أعينهم وأُشربت محبّتها في قلوبهم، حتّى تهالكوا عليها ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من فقراء المؤمنين الّذين لاحظّ لهم منها ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ من المؤمنين ﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لأنّهم في علّيّين وفي الكرامة، و هم في سجّين و في النّدامة ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ في الدّارين ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: بغير تقدير فيوسّع في الدّنيا استدراجاً تارة وابتلاء أُخرى ويعطي أهل الجنّة ما

١ ـ التّوحيد: ١٦٣، الباب: ٢٠، الحديث: ١، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢٩، و فيه: «و تأتيهم الملائكة».
٣ ـ العيّاشي ١: ١٠٣، الحديث: ٣٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ في «ب» و «ج»: «كذا قراءة».
٥ ـ الكافي ٨: ٢٩٠، الحديث: ٤٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لايحصى.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ قال: «قبل نوح»[1]. ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: «على الفطرة لامهتدين ولاكافرين، ولم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله. اما تسمع إبراهيم يقول: "لَئِنْ لَمْ يَهْدِني رَبّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالّين" اي ناسياً للميثاق»[2]. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ قال: «ليتّخذ عليهم الحجّة»[3]. ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ثمّ اختلفوا بعد البعث على الرّسل، في الإيمان بهم والكفر، ثمّ في الكتاب بعد الإيمان، كما قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾. جعلوا نزول الكتاب الّذي أُنزل لإزالة الخلاف، سبباً في شدّة الاختلاف. ﴿بَغْيًۢا﴾: حسداً وظلماً ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لحرصهم على الدّنيا ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. بيان لـ«ما». ﴿بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾. استبعاد للحسبان وتشجيع للمؤمنين على الصّبر والثّبات مع الّذين اختلفوا عليهم وعداوتهم لهم. ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾: متوقّع إتيانه منتظر ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ حالهم الّتي هي مَثَلٌ في الشدّة ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ من القتل والخروج عن الاهل والمال ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: وأُزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشّدايد ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ استبطاء له، لتناهي الشّدّة واستطالة المدّة، بحيث تقطّعت حبال الصّبر. ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾. فقيل لهم ذلك، إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النّصر. ورد: «فما تمدّون أعينكم الستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم ممّن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ، فيقطع يده

١ـ العيّاشي١: ١٠٤، الحديث: ٣٠٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٢ـ المصدر، الحديث: ٣٠٩، عن ابي عبدالله عليه السلام. و الآية في سورة الانعام(٦): ٧٧.

٣ـ العيّاشي٢: ١٦٤، الحديث: ٨١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

ورجله ويصلب، ثمّ تلا هذه الآية»[1].

﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: من مال ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. سئل عن المنفق، فأجاب ببيان المصرف، لأنّه أهمّ؛ إذ النّفقة لايعتدّ بها إلّا إذا وقعت موقعها. قيل: وكان السّؤال متضمّناً للمصرف أيضاً[2]، وإن لم يذكر في الآية. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ يعلم كنهه و يوفّي ثوابه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في العاقبة. وهكذا أكثر ما أُمرنا به؛ فإنّ الطّبع يكرهه وهو مناط صلاحنا وسبب فلاحنا ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في المآل. وهكذا أكثر ما نهينا عنه؛ فإنّ النّفس تحبّه وتهواه وهو يفضي بنا إلى الرّدى. وإنّما ذكر "عسى" لأنّ النّفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. قيل: قتل المسلمون مشركاً في غرّة رجب، وهم يظنّونه من جمادي الآخرة، فقالت قريش: قد استحلّ محمّد الشّهر الحرام؛ فسئل، فنزلت[3]. ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم. تمّ الكلام ثمّ ابتدأ و قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾: ولكن ما فعلوا بك من الصّدّ عن الإسلام والكفر بالله و بالمسجد و إخراجك والمؤمنين منه، أعظم وزراً عند الله من القتل الّذي وقع في الشّهر الحرام. ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ يعني الكفر وساير ما فعلوا

١ ـ الخرايج و الجرايح٣: ١١٥٥، الحديث: ٦١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٠٩؛ والكشّاف١: ٣٥٦؛ والبيضاوي١: ٢٣٣.
٣ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣١٢؛ والكشّاف١: ٣٥٦؛ والبيضاوي١: ٢٣٤.

﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لما يفوتهم من ثمرات الإسلام ﴿وَ﴾ في ﴿الْآخِرَةِ﴾ لما يفوتهم من الثواب ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾. ورد: «إنّ الخمر رأس كلّ إثم ومفتاح كلّ شرّ»[١]. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كالطّرب وكسب المال وغيرهما ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ أي: المفاسد الّتي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقّعة منهما. «هي أوّل آية نزلت في الخمر من الاربع الّتي كلّ متأخّرة منها أغلظ وأشدّ في التّحريم من الّتي قبلها، ليوطّن النّاس أنفسهم عليه[٢] ويسكنوا إلى نهي الله فيها، وليكون أصوب لهم إلى الانقياد وأقرب لنفارهم». كذا ورد[٣]. ويأتي ألفاظه مع تمام الكلام في الخمر في "المائدة"[٤] إن شاء الله.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: ما قدر الإنفاق؟ ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قال: «الوسط»[٥]. وفي رواية: «ما يفضل عن قوت السّنة»[٦].

أقول: العفو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما تيسّر له بذله. ورد: «يأتي أحدكم بماله كلّه يتصدّق به ويجلس يتكفّف النّاس؛ إنّما الصّدقة عن ظهر غنى»[٧]. أقول: يعني ما

١ـ الكافي٦: ٤٠٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و الحديث٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كذا في النُّسخ و لعلّ الصّواب: «عليها».
٣ـ الكافي ٦: ٤٠٦ـ٤٠٧، الحديث: ٢، عن بعض أصحابنا مرسلاً.
٤ـ ذيل الآية: ٩١.
٥ـ الكافي ٤: ٥٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ راجع: الدّرّ المنثور١: ٦٠٨؛ و سنن الدّارمي١: ٣٩١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

أبقى غنى.

ورد: «إنها نسخت بآية الزكاة»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾. ورد: «لمّا نزلت: "إنّ الّذين يأكلون أموالَ اليتامى ظلْماً"[2]. وفي رواية: "وآتوا اليتامى أموالَهُمْ"، كرهوا مخالطة اليتامى فشقّ ذلك عليهم، فشكوا، فنزلت»[3]. ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾: مشاركتهم لإصلاحهم ﴿خَيْرٌ﴾ من مجانبتهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ في الدّين، ومن حقّ الأخ أن يخالط. ورد: «تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك، ثمّ تنفقه»[4]. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لحملكم على العنت، و هي المشقّة، ولم يجوّز لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: لا تزوّجوهنّ ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ﴾ مملوكة ﴿مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ حرّة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة بجمالها أومالها ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: لاتزوّجوا منهم المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾ مملوك ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ حرّ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ جماله أو ماله أو حاله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. ورد: «إنّ هذه الآية منسوخة النّصف»[5]. يعني نسخ نصفها الأوّل بقوله تعالى: "والْمُحْصنات من الّذينَ اُوتُوا الْكتابَ". كمايأتي في المائدة[6].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾: مستقذر يؤذي من يقربه، نفرة منه له

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة النّساء(٤): ١٠.
٣ـ مجمع البيان: ٣ـ٤: ٤. و الآية في سورة النّساء(٤): ٢
٤ـ الكافي ٥: ١٣٠، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٧٣.
٦ـ ذيل الآية: ٥.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾: فاجتنبوا مجامعتهنّ ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: ينقطع الدّم عنهنّ. وعلى قراءة التّشديد: يغتسلن. ورد: «ليأتها حيث شاء، ما اتّقى موضع الدّم»[1]. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قال: «فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله»[2].

أقول: يعني المأتى الّذي أمركم به وحلّله لكم. وإنّما استفيد طلب الولد من لفظة «من».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذّنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء والمتنزّهين عن الأقذار. ورد: «كانوا يستنجون بالكراسف[3] والأحجار، ثمّ أحدث الوضوء، يعني الاستنجاء بالماء، وهو خلق كريم، فأمر به رسول الله ﷺ وصنعه فنزلت»[4].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾: مواضع حرث ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ قال: «متى شئتم في الفرج»[5]. وفي رواية: «أيّ ساعة شئتم»[6]. وفي أُخرى: «إنّ اليهود كانت تقول: إذا أتى الرّجل المرأة من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ": من خلف أو قدّام خلافاً لليهود، ولم يعن في أدبارهنّ»[7].

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ ما يدّخر لكم من العمل الصّالح. و قيل: هو طلب الولد[8]. وقيل: التّسمية على الوطي[9]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من صدّقك و امتثل أمرك.

١ـ التّهذيب١: ١٥٤، الحديث: ٤٣٦؛ و الاستبصار١: ١٢٨، الحديث: ٤٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ التّهذيب٧: ٤١٤، الحديث: ١٦٥٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكراسف جمع كُرْسف و هو القطن. لسان العرب ٩: ٢٩٧ (كرسف).

٤ـ الكافي٣: ١٨، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ القمّي١: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ العيّاشي١: ١١١، الحديث: ٣٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ المصدر، الحديث: ٣٣٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٨و٩ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢١؛ و الكشّاف١: ٣٦٢.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾. العرضة: ما يعترض دون الشّيء فيحجز عنه، والمعرض للأمر. والمعنى على الأوّل: لاتجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير، فيكون المراد بالإيمان الأُمور المحلوف عليها. وعليه ورد في تفسيرها: «إذا دُعيتَ لصلح بين اثنين فلاتقل عليّ يمين أن لا أفعل»[1]. وعلى الثّاني: لاتجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف. وعليه ورد: «لا تحلفوا بالله صادقين ولاكاذبين، فإنّ الله يقول: ... وتلا الآية»[2]. ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾. بيان للأيمان، أي الأُمور المحلوف عليها من الخيرات على الأوّل، وعلّة للنّهي على الثّاني. أي: أنهاكم عنه إرادة برّكم و تقواكم و إصلاحكم بين النّاس فإن الحلّاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ على الله تعالى لايكون برّاً متّقياً ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين، ولذلك ذمّه الله في قوله: "وَ لاتُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ مَهِينٍ"[3]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ بالعقوبة والكفّارة ﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: «بالسّاقط الّذي لاعقد معه، بل يجري على عادة اللّسان لمجرّد التّأكيد». كذا ورد[4]. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: بما واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وعزمتموه، كقوله تعالى: "بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ"[5] فإنّ كسب القلب هو العقد والنّيّة والقصد. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾: يحلفون على أن لايجامعوهنّ مضارّة لهنّ. والإيلاء: الحلف. وتعديته بـ"عَلىٰ"، ولكن لمّا ضمّن هذا القسم معنى البعد عدّي بـ"مِنْ" ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارها و التّوقّف فيها، فلايطالبوا بشيء. ﴿فَإِن فَاءُوا﴾: رجعوا إليهنّ بالحنث وكفّارة اليمين وجامعوا مع القدرة و وعدوها مع العجز،

١ و٢ـ العيّاشي ١: ١١٢، الحديث: ٣٤٠.
٣ـ القلم (٦٨): ١٠.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٣، عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السّلام؛ والكشّاف ١: ٣٦٣، عن الشّافعي.
٥ـ المائدة (٥): ٨٩.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لايتبعهم بعقوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضميرهم. قال: «الإيلاء: أن يحلف الرّجل على امرأته أن لايجامعها، فإنْ صبرت عليه فلها أن تصبر، وإن رفعته إلى الإمام أنظره أربعة أشهر، ثمّ يقول له بعد ذلك: إمّا أن ترجع إلى المناكحة، وإمّا ان تطلّق فإن أبى حبسه أبداً»[١]. وفي رواية: «فإن مضت الأربعة أشهر قبل أن يمسّها فسكتت و رضيت فهو في حلّ وسعة»[٢].

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ يعني: المدخول بهنّ من ذوات الأقراء، لما دلّت الآيات والأخبار أنّ حكم غيرهنّ خلاف ذلك. ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: بقمعها وحملها على التربّص ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ فلا يتزوّجن فيها. ورد: «القرء جمع الدّم بين الحيضتين[٣]، والقروء: الأطهار، فإذا رأت الدّم من الحيضة الثّالثة فقد انقضت عدّتها»[٤].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ «من الولد ودم الحيض استعجالاً في العدّة وإبطالاً لحقّ الرّجعة». كذا ورد[٥]. ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى النّكاح والرّجعة إليهنّ ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في زمان التربّص. ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ ولم يريدوا مضارّتهنّ ﴿وَلَهُنَّ﴾ حقوق عليهم ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ في الاستحقاق لا في الجنس ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الّذي لاينكر في الشّرع ولا في عادات النّاس.

١ـ القمّي١: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ الكافي٦: ١٣١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام، و فيه: فإن مضت الاربعة الاشهر».

٣ـ الكافي٦: ٩٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ المصدر: ٨٨، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، و القمّي١: ٧٤؛ و الظّاهر انّ ما في المتن هو مضمون الحديث و المستفاد منه، كما يظهر بعد التأمّل و المراجعة.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: زيادة في الحقّ و فضيلة بقيامهم عليهنّ. ورد: «لها عليه أن يشبع بطنها ويكسو جثّتها وإن جهلت غفر لها»[١]. «وله عليها أن تطيعه ولاتعصيه، ولاتتصدّق من بيته إلاّ بإذنه، ولاتصوم تطوّعاً إلاّ بإذنه، ولاتمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولاتخرج من بيتها إلاّ بإذنه»[٢]. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقدر على الانتقام ممّن خالف الأحكام ﴿حَكِيمٌ﴾ يشرعها لحكم ومصالح.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ «أي: التّطليق الرّجعيّ اثنتان؛ فإنّ الثّالثة باين». كذا ورد[٣]. سئل النّبيّ ﷺ أين الثّالثة؟ فقال: «فتسريح بإحسان»[٤]. ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ بان لايراجعها او يطلّقها الثّالثة بعد الرّجعة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: فيما يلزمهما من وظايف الزّوجيّة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها. يعني: لاجناح عليه في الأخذ، ولاعليها في الإعطاء. ورد: «إذا قالت جملة: «لاأُطيع لك أمراً» مفسّراً أو غير مفسّر، حلّ له ما أخذ منها وليس له عليها رجعة»[٥]. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ قال: «يعني: التّطليقة الثّالثة»[٦]. ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾ يعني: تزويجها ﴿مِنْ بَعْدُ﴾: من بعد هذا الطّلاق ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزّوج الثّاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾: يرجع كلّ منهما إلى الآخر بالزّواج ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا

١ـ من لايحضره الفقيه٣: ٢٧٩، الحديث: ١٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٢٧٧، الحديث: ١٣١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ راجع: البرهان ١: ٢٢١، الحديث: ٢و٤؛ والتّبيان ٢: ٢٤٣، عن عروة و قتادة؛ و معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢٠٦، عن عروة بن الزّبير؛ و جامع البيان (للطّبري) ٢: ٢٧٧، عن السّدي.
٤ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٩، عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ من لايحضره الفقيه٣: ٣٣٩، الحديث: ١٦٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

حُدُودُ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: قاربن آخر عدّتهنّ؛ فإنّ البلوغ قد يطلق على الدنوّ، كما يطلق على الوصول. والأجل يطلق على منتهى المدّة، كما يطلق على المدّة.
﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: راجعوهنّ بما يجب لها من القيام بموجبها[1] من غير طلب ضرار بالمراجعة ﴿ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾: خلّوهنّ حتّى تنقضي عدّتهنّ، فيكنّ أملك بأنفسهنّ ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾: ولا تراجعوهنّ إرادة الإضرار بهنّ من غير رغبة فيهنّ ﴿ لِتَعْتَدُوا ﴾: لتظلموهنّ بتطويل المدّة عليهنّ في حبالكم أو إلجائهنّ إلى الافتداء.
ورد: «كان الرّجل يطلّق حتّى إذا كادت أن يخلو أجلها راجعها ثمّ طلّقها، يفعل ذلك ثلاث مرّات، فنهى الله عن ذلك»[2]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعقاب.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾: لا تستخفّوا باوامره ونواهيه ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بما أباحه لكم من الأزواج والأموال ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: انقضت عدّتهنّ ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾: لا تمنعوهنّ ظلماً. والعَضْلُ: الحبس والتّضييق.
كانوا لا يتركونهنّ يتزوّجن من شئن، فنزلت. ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أنفع ﴿ وَأَطْهَرُ﴾ من دنس الآثام ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ

١ـ في «ب» و «ج»: «بمواجبها».
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢٣، الحديث: ١٥٦٧؛ والعيّاشي ١: ١١٩، الحديث: ٣٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ﴾ زوجها ﴿ولدها﴾: بسبب ولدها، بأن تترك إرضاعه تعنتاً أو غيظاً على أبيه وسيّما بعد ما ألفها الولد، أو تطلب منه ما ليس بمعروف، أو تشغل قلبه في شأن الولد، أو تمنع نفسها منه خوف الحمل، لئلاّ يضرّ بالمرتضع. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ أي: لا يضارّ المولود له أيضاً امرأته ﴿بِوَلَدِهِۦ﴾: بسبب ولده، بأن ينزعه منها ويمنعها من إرضاعه إن أرادته، وسيّما بعد ما ألفها، أو يكرهها عليه، أو يمنعها شيئاً ممّا وجب عليه، أو يترك مواقعتها خوف الحمل إشفاقاً على المرتضع. ورد المعنى الأخير في الموضعين في سبب النّزول[1]، ولا يتفاوت المعنى على المعلوم والمجهول في «لاتضارّ» غير أنّه يتعاكس على اللّفظتين. و ورد: «إذا طلّق الرّجل امرأته وهي حبلى، أنفق عليها حتّى تضع حملها، وإذا وضعته أعطاها أجرها ولا يضارّها، إلاّ أن يجد من هو أرخص أجراً منها، فإن هي رضيت بذلك الأجر فهي أحقّ بابنها حتّى تفطمه»[2].

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: «وارث المولود له بعد موته». كذا ورد[3]. ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ قال: «مثل ما على الوالد»[4]. ورد: «إن أجر رضاع الصّبي ممّا يرث من أبيه و أُمّه»[5]. ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطاماً عن الرّضاع قبل الحولين ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟﴾ المراضع ﴿أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: ما أردتم إيتاءه إيّاهنّ وشرطتم لهنّ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٥، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ الكافي ٦: ١٠٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٥؛ والبيضاوي ١: ٢٤٥.
٤ـ العيّاشي ١: ١٢١، الحديث: ٣٨٣.
٥ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٠٩، الحديث: ١٤٨٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ ﴾ من التعرّض للخطّاب وساير ما حرّم عليهنّ للعدّة ﴿ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ المعتدّات، بأن يقول لها ما يوهم أنّه يريد نكاحها، حتّى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصرّح بالنّكاح. ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾: أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم، فلم تذكروه بألسنتكم ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾: خلوة، كأن يقول لها قبل انقضاء عدّتها: أواعدك بيت آل فلان. يريد أن يرغّبها في نفسه في الخلوة. كانوا يتكلّمون في الخلوة المواعد بها بما يستهجن، كالرّفث أو التّعريض به ونحو ذلك، فنهوا عن ذلك. كذا يستفاد ممّا ورد[1]. ﴿ إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾: «بأن يعرّض فيها بالخطبة على وجهها وحلّها ولا يصرّح بها». كذا ورد[2]. ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ ﴾: ما كتب وفرض من العدّة ﴿ أَجَلَهُ ﴾: منتهاه ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لمن عزم ولم يفعل ﴿ حَلِيمٌ ﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾: لا تبعة عليكم من مهر أو وزر ﴿ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾: ما لم تجامعوهنّ ﴿ أَوْ تَفْرِضُوا ﴾: إلّا أن تفرضوا ﴿ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ أي: تسمّوا مهراً. و ذلك أنّ المطلّقة غير المدخول بها إن سمّي لها مهر، فلها نصف المسمّى، وإلّا فليس لها إلّا المتعة. كذا ورد[3]. ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ ﴾: أعطوهنّ من مالكم ما يتمتّعن به ﴿ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾: مقداره الذي يطيقه ﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾: تمتّعاً

١ـ العيّاشي ١: ١٢٣، الحديث: ٣٩٤؛ عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ٧٧.

٢ـ الكافي ٥: ٤٣٥، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام.

٣ـ الكافي ٦: ١٠٦، الحديث: ٣؛ و من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٦، الحديث: ١٥٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بالوجه الّذي يستحسنه الشّرع والمروّة ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ورد: «إنّ الغني يمتّع بدار أو خادم، والوسط يمتّع بثوب، والفقير بدرهم أو خاتم»[1]. وفي رواية: «انحو ما يمتّع مثلها من النّساء»[2]. و ورد: «يمتّع قبل أن يطلّق و أنّها فريضة»[3].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾. قال: «هو وليّ أمرها»[4]. وقال: «يعني الأب والّذي توكّله المراة وتولّيه أمرها، من أخ أو قرابة أو غيرهما»[5]. وقال: «الوليّ يأخذ بعضاً ويدع بعضاً و ليس له أن يدع كلّه»[6]. ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أن يتفضّل بعضكم على بعض ولا يستقصي. ورد: «سيأتي زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك. ثمّ تلا هذه الآية»[7]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: داوموا عليها في مواقيتها بأداء أركانها. ورد: «لا يزال الشّيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصّلوات الخمس، فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه، فأدخله في العظائم»[8]. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بينها خصوصاً. قال: «هي صلاة الظّهر، وهي وسط النّهار و وسط صلاتين بالنّهار»[9] وفي رواية: «هي الجمعة يوم الجمعة

١ ـ من لايحضره الفقيه٣: ٣٢٧، الحديث: ١٥٨٢.
٢ ـ التّهذيب٨: ١٤٢، الحديث: ٤٩٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ المصدر: ١٤١، الحديث: ٤٨٩و٤٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ العيّاشي١: ١٢٥، الحديث: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ التّهذيب٦: ٢١٥، الحديث: ٥٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ العيّاشي١: ١٢٥، الحديث: ٤٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام٢: ٤٥، الباب: ٣١، الحديث: ١٦٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «و لم يؤمن بذلك».
٨ ـ الكافي٣: ٢٦٩، الحديث: ٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. و«ذعراً من المؤمن» أي: خائفاً منه. و الذُّعر ـ بالضّمّ ـ: الخوف. و ـ بالتّحريك ـ: الدّهش من الحياء. لسان العرب ٤: ٣٠٦ (ذعر).
٩ ـ الكافي٣: ٢٧١، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

والظّهر ساير الأيّام»[١]. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «والصّلاة الوسطى وصلاة العصر»[٢]. ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصّلاة ﴿قَٰنِتِينَ﴾. قال: «هو إقبال الرّجل على صلاته ومحافظته، حتّى لا يلهيه ولا يشغله عنها شيء»[٣]. وفي رواية: «مطيعين راغبين»[٤]. وفي أُخرى: «هو الدّعاء»[٥]. و ورد: «نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله ﷺ في سفر فقنت فيها»[٦].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ «من لصّ أو سبع أو غير ذلك». كذا ورد[٧]. ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلّوا راجلين أو راكبين. قال: «يكبّر و يؤمي إيماءاً»[٨]. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: صلّوا صلاة الأمن أو اشكروه على الأمن ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: مثل ما علّمكم أو شكراً يوازي تعليمكم ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾: يوصون وصيّة من قبل أن يحتضروا ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ بأن تمتّع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أي: ينفق عليهنّ من تركته ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: ولا يخرجن من مساكنهنّ. ورد: «هي منسوخة، نسختها "يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً"[٩]، و نسختها آية[١٠] الميراث»[١١].

أقول: يعني نسخت المدّة بآية التّربّص، والنّفقة بآية الميراث. و آية التّربّص وإن كانت متقدّمة في التّلاوة فهي متأخّرة في النّزول.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من منزل أزواجهنّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢و٣ـ القمّي ١: ٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤و٦ـ العيّاشي ١: ١٢٧، الحديث: ٤١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ١٢٨، الحديث: ٤٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧و٨ـ الكافي ٣: ٤٥٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ البقرة(٢): ٢٣٤.
١٠ـ النّساء(٤): ١٢.
١١ـ العيّاشي ١: ١٢٩ الحديث: ٤٢٦.

﴿مَعْرُوفٍ﴾ كالتزيّن والتعرّض للأزواج ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: ينتقم ممّن خالفه ﴿حَكِيمٌ﴾: يراعي مصالحهم.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. تعميم بعد ذكر بعض الافراد، وحمل على الاستحباب، لما ورد من اختصاص الوجوب بذلك[1]. و ورد: «إنّ متاعها بعد ما تنقضي عدّتها، على الموسع قدره و على المقتر قدره - قال: - وكيف يمتّعها في عدّتها؟ وهي ترجوه ويرجوها ويحدث الله بينهما ما يشاء»[2].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمونها و تستعملون العقل فيها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾. تعجيب وتقرير. ورد: «هم أهل مدينة من مدائن الشّام وكانوا سبعين ألف بيت، هربوا من الطّاعون، فمرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطّاعون، فنزلوا بها، فأماتهم الله من ساعتهم جميعاً وصاروا رميماً يلوح[3]، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له: «حزقيل» فبكى واستعبر وقال: يا ربّ لو شئت لأحييتهم السّاعة كما أمتّهم، فعمروا بلادك و ولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك. فأوحى الله إليه أن قُلْ: كذا و كذا فقاله - وكان الاسم الأعظم - فعادوا أحياءاً، ينظر بعضهم إلى بعض يسبّحون الله ويكبّرونه ويهلّلونه. فقال «حزقيل» عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير»[4]. هذا ملخّص القصّة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حيث يبصرهم ما يعتبرون به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لايعتبرون.

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٥ـ٣٤٦ و من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٨، الحديث: ١٥٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الكافي ٦: ١٠٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ أي: يظهر للنّاس عظامهم المندرسة من غير جلد و لحم «مرآة العقول ٢٦: ١٠٢».

٤ـ الكافي ٨: ١٩٨ـ١٩٩، الحديث: ٢٣٧، عن الصّادقين عليهما السّلام.

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فإنّ الفرار من الموت غير مخلص عنه ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما يقوله المخلّفون والسّابقون ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يضمرونه.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾: مقروناً بالإخلاص من حلال طيّب ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ لايقدّرها إلّا الله. ورد: «لمّا نزلت "مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها"[١]، قال رسول الله ﷺ: اللّهم زدني، فأنزل الله: "مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها"[٢]، فقال رسول الله ﷺ: زدني فنزلت. فعلم أنّ الكثير من الله لايحصى وليس له منتهى»[٣]. ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قال: «يمنع و يوسّع»[٤].

أقول: يعني فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم. ورد: «إنّها نزلت في صلة الإمام»[٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ﴾ قال: «هو إشموئيل، وهو بالعربيّة إسماعيل»[٦]. ﴿ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾. قال: «كان الملك في ذلك الزّمان هو الّذي يسير بالجنود، والنّبيّ يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربّه»[٧]. ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ﴾: أن تجبّنوا ولا تفوا ﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾ بالسّبي والقهر على نواحينا ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. تهديد لمن تولّى.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا

١ـ النّمل (٢٧): ٨٩.
٢ـ الأنعام (٦): ١٦٠.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ التّوحيد: ١٦١، الباب: ١٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ من لايحضره الفقيه٢: ٤٢، الحديث: ١٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ العيّاشي١: ١٣٢، الحديث: ٤٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ وراثة ومكنة ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: فضيلة وسعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ يوسّع على الفقير ويغنيه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يليق بالملك.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: أمنة وطمأنينة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

ورد: «إنّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيّروا دين الله وعتوا عن أمر ربّهم، وكان فيهم نبيّ ينهاهم فلم يطيعوه، فسلّط الله عليهم جالوت، وهو من القبط، فآذاهم[1] وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيّهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. وكانت النّبوّة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسّلطان في بيت آخر، لم يجمع الله النّبوّة والملك في بيت. كانت النّبوّة في ولد "لاوي" والملك في ولد "يوسف" وكان طالوت من ولد "بن يامين" أخي يوسف لأمّه، ولم يكن من بيت النّبوّة ولا من بيت المملكة، وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قويّاً وكان أعلمهم، إلاّ أنّه كان فقيراً، فعابوه بالفقر.

و كان التّابوت الّذي أنزل الله على موسى، فوضعته فيه أمّه، فألقته في اليمّ وكان في بني إسرائيل يتبرّكون به[2]. فلمّا حضر موسى الوفاة، وضع فيه الألواح [ودرعه][3] وما كان عنده من آيات النّبوّة و أودعه يوشع وصيّه، فلم يزل التّابوت بينهم حتّى استخفّوا به، وكان الصّبيان يلعبون به في الطّرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ و شرف مادام التّابوت

١ ـ في المصدر: «فأذلّهم».
٢ ـ في المصدر: «فكان في بني إسرائيل معظماً يتبرّكون به».
٣ ـ ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.

بينهم. فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتّابوت رفعه الله عنهم. فلمّا سألوا النّبيّ وبعث الله طالوت إليهم ملكاً يقاتل معهم، ردّ الله عليهم التّابوت»[1].

وقال: «السّكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان. وكان إذا وضع التّابوت بين يدي المسلمين والكفّار، فإن تقدّم التّابوتَ رجلٌ لايرجع حتّى يُقتل أو يغلب، ومن رجع عن التّابوت كفر و قتله الإمام»[2]. وقال: «والبقيّة رَضْراض الألواح فيها العلم والحكمة»[3]. وفي رواية: «وعصا موسى»[4]. وفي أخرى: «والطّست الّذي يغسل فيه قلوب الأنبياء»[5]. وقد مرّ لها معنى أعمّ من ذلك كلّه.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: انفصل بهم عن بلده ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مختبركم ﴿بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ قال: «فليس من حزب الله»[6]. ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾. استثناء من قوله: "فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ" ومعناه: الرّخصة في اغتراف الغرفة باليد. قال: «لمّا وردوا النّهر، أطلق الله لهم أن يغترف كلّ واحد منهم غرفة»[7].

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ قال: «إلّا ثلثمأة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف ومنهم من لم يشرب»[8]. وفي رواية: «القليل الّذين لم يشربوا و لم يغترفوا

١ـ القمّي ١: ٨١ـ٨٢: عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ المصدر: ٨٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ـ الكافي ٨: ٣١٧، الحديث: ٥٠٠؛ و العيّاشي ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام. والرّضراض: الفتات، من رضرضه إذا كسره و فرّقه و رَضْراض الألواح: مكسوراتها. «منه قدّس سرّه في الصّافي ١: ٢٥٤». و في العيّاشي: «رضاض» و هي بمعناه.

٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ العيّاشي ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، و فيه: «الطّست الّتي تغسل فيها قلوب الأنبياء».

٦و٧ـ القمّي ١: ٨٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٨ـ العيّاشي ١: ١٣٤، الحديث: ٤٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

ثلثمأة وثلاثة عشر»[١] . قال: «وكان الّذين شربوا منه ستّين ألفاً»[٢] . و روي: «أنّ من اقتصر على الغرفة كفته لشربه و إداوته، ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودّت شفته ولم يقدر أن يمضي. وهكذا الدّنيا لقاصد الآخرة»[٣] . ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ﴾ : تخطّى النّهر طالوت ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ يعني: القليل من أصحابه، ورأوا كثرة عدد جنود جالوت ﴿قَالُوا﴾: قال الّذين اغترفوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ : يتيقّنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾ وهم الّذين لم يغترفوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾. ورد: «أوحى الله إلى نبيّهم أنّ جالوت يقتله من يسوّى[٤] عليه درع موسى، وهو رجل من ولد "لاوي بن يعقوب" اسمه: "داود بن آسي". قال: فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى، فاستوت عليه. وقتل داود جالوت واجتمعت بنو إسرائيل على داود، وأنزل الله عليه الزّبور، وعلّمه صنعة الحديد وليّنه له»[٥] . ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قال: «بدفع الهلاك بالبرّ عن الفاجر»[٦] . ﴿لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. ورد: «إنّ الله ليدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من

١ـ القمّي ١: ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ١: ٢٥٥. والإداوة ـ بالكسر ـ إناء صغير من جلد يتّخذ للماء. و إداوة الشّيء و اداوته: آلته. لسان العرب ١٤: ٢٥ (أدا).
٤ـ في المصدر: «من يستوي».
٥ـ راجع: القمّي ١: ٨٢؛ والعيّاشي ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصّلاة لهلكوا. ثمّ ذكر الزّكاة والحجّ، ثمّ تلا هذه الآية وقال: فو الله ما نزلت إلاّ فيكم ولا عني بها غيركم»[١].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من الخذلان والعصمة عدلاً وفضلاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون على تدارك ما فرّطتم. ولعلّ المراد به يوم الموت، كما مرّ في قوله: «واتّقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً»[٢]. و ذلك لانّ الشفاعة ثابتة يوم القيامة. ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فتحصّلون ما تنفقونه أو تفتدون[٣] به من العذاب. ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتّى تعينكم عليه أخلاّؤكم أو يسامحونكم به ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ حتى تتّكلوا على شفعاء يشفعون لكم في حطّ ما في ذمكم[٤] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، حيث بلغ ظلمهم بأنفسهم الغاية.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هو المستحقّ للعبادة لا غير ﴿ٱلْحَىُّ﴾: العليم القدير ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾: نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ بالطّريق الأولى. وهو تأكيد للنّوم المنفيّ ضمناً. والجملة نفي للتّشبيه، وتأكيد لكونه حيّاً قيّوماً. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يملكهما ويملك تدبيرهما.

١ـ العيّاشي ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٦، عن ابي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ في ذيل الآية: ٤٨.
٣ـ في «ألف»: «و تفتدون».
٤ـ في «ج»: «ذمّتكم».

تأكيد لقيّوميّته واحتجاج على تفرّده بالأُلوهيّة.

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. بيان لكبرياء شأنه وأنّه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقلّ بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة، فضلاً أن يعاوقه عناد أو مناصبة. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: «ما كان»[1]. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال: «و ما لم يكن بعد»[2]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾: من معلوماته بأن يعلموه كما هو ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ القمّي: «إلاّ بما يوحي إليهم»[3]. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال: «علمه»[4]. وفي رواية: «العرش هو العلم الّذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسيّ هو العلم الّذي لم يُطلع عليه أحداً منهم»[5]. وفي أُخرى: «العرش في وجه هو جملة الخلق، والكرسيّ وعاؤه»[6]. ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾: ولا يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظه إيّاهما ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن الأنداد والأشباه ﴿الْعَظِيمُ﴾: المستحقر بالإضافة إليه كلّ ما سواه.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: تميّز الإيمان من الكفر، واتّضح أنّ الإيمان رشد يوصل إلى السّعادة الأبديّة، وأنّ الكفر غيّ يؤدّي إلى الشّقاوة السّرمديّة، فلا حاجة إلى الإكراه. أو إخبار في معنى النّهي، مختصّ بأهل الكتاب، إذا أدّوا الجزية. ورد: «لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل من الله»[7]. وعلى هذا يكون المعنى: لا إكراه في التّشيّع. فهو إخبار في معنى النّهي من دون تخصيص.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ قال: «الشّيطان»[8]. وفي رواية: «كلّ ما عبد من دون الله

١، ٢ و٣ـ القمّي ١: ٨٤، عن الرّضا عليه السلام.
٤ـ التّوحيد: ٣٢٧، الباب: ٥٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ و ٦ـ معاني الأخبار: ٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكافي ١: ٣٧٥، الحديث: ٧؛ والعيّاشي ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من صنم أو صادّ عن سبيل الله»[١]. ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ وحده ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾. قال: «هي الإيمان بالله وحده لا شريك له»[٢]. وفي رواية: «هي مودّتنا أهل البيت»[٣]. ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بالأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالنيّات.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: متولّي أمورهم ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ قال: «ظلمات الذنوب»[٤]. ﴿إِلَى النُّورِ﴾ قال: «نور التوبة والمغفرة، لولايتهم كلّ إمام عادل من الله»[٥]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ قال: «نور الإسلام الّذي كانوا عليه»[٦]. ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ قال: «ظلمات الكفر، لولايتهم كلّ إمام جائر ليس من الله، فأوجب الله لهم النّار مع الكفّار»[٧]. قال: «وذلك لأنّ الكافر لا نور له حتّى يخرج منه»[٨]. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾. تعجيب من محاجّة نمرود وحماقته. ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: لأن آتاه: أي: أبطره[٩] إيتاؤه الملك وحمله على المحاجّة، أو المراد وضع المحاجّة موضع الشكر على إيتائه الملك. ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالعفو عن القتل والقتل. ورد: «إنّ ابراهيم قال له: أحْيِ مَنْ قَتَلْتَهُ إنْ كنت صادقاً»[١٠]. وكان ذلك بعد إلقائه إيّاه في النّار.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾. عدل إلى مثال أجلى، دفعاً للمشاغبة[١١]. ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: فصار مبهوتاً، وعلى قراءة المعلوم:

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والبيضاوي ١: ٢٦٠؛ والدرّ المنثور ٢: ٢٢.

٢ـ الكافي ٢: ١٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ نور الثقلين ١: ٢٦٣، الحديث: ١٠٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ إلى ٨ ـ العيّاشي ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠؛ والكافي ١: ٣٧٥، الحديث: ٣؛ عن أبي عبدالله عليه السلام.

٩ـ أبطره: أدهشه و جعله بَطِراً والبَطَر: سوء احتمال الغنى والطّغيان عند النّعمة. القاموس المحيط ١: ٣٨٨؛ و مجمع البحرين ٣: ٢٢٦ (بطر).

١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

١١ـ المشاغبة: المخاصمة. مجمع البحرين ٢: ٩١ (شغب).

فغلبه. والقمّي: أي انقطع، وذلك أنّه علم أنّ الشّمس أقدم منه [١]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ بمحجّة [٢] المحاجّة وسبيل النّجاة وطريق الجنّة ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الّذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية. ورد: «خالف إبراهيم قومه وعاب آلهتهم حتّى أدخل على نمرود فخاصمهم» [٣].

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قال: «هو إرميا النّبيّ» [٤]. وفي رواية: «عزير» [٥]. ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: «ساقطة حيطانها على سقوفها، وأهلها موتى، والسّباع تأكل الجيف، ففكّر في نفسه ساعة». كذا ورد [٦]. ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: كيف يحيي؟، أو متى يحيي؟ اعترافاً بالعجز عن معرفة طريق الإحياء، واستعظاماً لقدرة المحيي. أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة. ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾. ورد: «إنّه أماته غدوة وبعثه عشيّة قبل الغروب، وكان أوّل ما أحيا الله منه عينيه في مثل غرقئ البيض، ثمّ أوحى إليه: "كَمْ لَبِثْتَ" قال: "لَبِثْتُ يَوْماً" فلمّا أن نظر إلى الشّمس لم تغب، قال: "أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ"» [٧]. ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيّر بمرور السّنين. ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قال: «كيف تفرّقت عظامه ونخرت وتفتّتت» [٨]. ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: وفعلنا ذلك لنجعلك آية، قال: «حجّة» [٩]. ﴿وَٱنظُرْ

١ـ القمّي ١: ٨٦.
٢ـ في «ألف» و «ج»: «المحجّة».
٣ـ العيّاشي ١: ١٣٩، الحديث: ٤٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والقمّي ١: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ راجع: القمّي ١: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٤١، الحديث: ٤٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ جوامع الجامع ١: ١٤٢. والتّفتّت: التّكسّر. لسان العرب ٢: ٦٥؛ و مجمع البحرين ٢: ٢١٢ (فتت).
٩ـ كمال الدّين ١: ٣٠.

﴿إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾. قال: «كيف نرفع بعضها إلى بعض»[١]. «فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض ويرى العروق كيف تجري»[٢].

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما تبيّن ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قال: «فلمّا استوى قائماً قال: أعلم»[٣]. ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وفي رواية: «فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفطّرة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الّذي قد أكلته السّباع يتألّف إلى العظام من هاهنا وهاهنا، ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره، فقال: "أعلم أنّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ"»[٤].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾. ورد: «لمّا رأى إبراهيم ملكوت السّمٰوات والأرض، التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البرّ، تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثمّ ترجع فيشدّ[٥] بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البرّ فتأكل منها، فيشدّ بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً. فعند ذلك تعجّب إبراهيم ممّا رأى وقال: "رَبِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتىٰ"؟ قال: كيف تخرج ما تناسل الّتي أكل بعضها بعضاً؟»[٦]. ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بأنّي قادر على الإحياء؟ قال له ذلك ليجيب بما أجاب، فيعلم السّامعون غرضه. ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: «يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها»[٧]. ورد: «كان على يقين ولكنّه أراد من الله الزّيادة في يقينه»[٨]. وفي رواية: «إنّ الله أوحى إليه أنّي متّخذ من

١ـ جوامع الجامع ١: ١٤٣.
٢و٣ـ العيّاشي ١: ١٤١، الحديث: ٤٦٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٩٠ـ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الشَّدّ ـ بالفتح ـ: الحملة في الحرب. القاموس المحيط ١: ٣١٦ (شد).
٦و٧ـ الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٣ والعيّاشي ١: ١٤٢، الحديث: ٤٦٩ عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المحاسن (للبرقي): ٢٤٧، الباب: ٢٩، الحديث: ٢٤٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

عبادي خليلاً، إن سألني إحياء الموتى اجبته، فوقع في نفسه أنّه ذلك الخليل، فقال: "رَبِّ أرِني كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتىٰ؟ قالَ: أوَلَمْ تُؤْمِنْ؟ قالَ: بَلىٰ، ولٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي" على الخلّة»[1].

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾: أملْهنّ واضممهنّ ﴿إِلَيْكَ﴾ لتتأمّلها وتعرف شأنها، لئلاّ يلتبس عليك بعد الاحياء ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ قال: «فقطّعهنّ واخلطهنّ، كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السّباع الّتي اكل بعضها بعضاً فخلط»[2]، الحديث.

وفي رواية: «فاخذ نسراً وبطّاً وطاووساً و ديكاً، فقطّعهنّ وخلّطهنّ، ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال ـ الّتي كانت حوله وكانت عشرة ـ منهنّ جزءاً؛ وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ، و وضع عنده حبّاً و ماءاً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان، وجاء كلّ بدن حتّى انظمّ إلى رقبته و رأسه، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فطرن، ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ وقلن: يا نبيّ الله أحييتنا، أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير»[3]. وفي تعيين الطيور اخبار أُخر[4]. ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجز عمّا يريده ﴿حَكِيمٌ﴾ في كلّ ما يفعله ويذره.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾: باذر حبّة ﴿أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ قال: «لمن انفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[5]. و ورد: «إذا أحسن العبد المؤمن عمله، ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٨، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٢ـ الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٨، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٤ـ راجع: العيّاشي ١: ١٤٢، الحديث: ٤٧٠ و ٤٧١؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٣؛ والقمّي ١: ٩١.
٥ـ القمّي ١: ٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سبعمأة ضعف وذلك قول الله: "والله يضاعف لمن يشاء"»[١]. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما يتفضّل به من الزّيادة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّة المنفق وقدر إنفاقه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾. المنّ: الاعتداد بالإحسان على من أحسن إليه. والأذى: التّطاول عليه بما أنعم عليه. ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: ردّ جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: تجاوز عن السّائل أو مغفرة من الله ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة المانّ والموذي ﴿حَلِيمٌ﴾ لايعاجله بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾. قال: «نزلت في عثمان وجرت في معاوية واتباعهما»[٢]. ﴿كَٱلَّذِي﴾: كإبطال المنافق الّذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾: لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ في إنفاقه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: نقياً من التّراب ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾: لاينتفعون بما فعلوه ولايجدون ثوابه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إلى الخير والرّشاد.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ القمّي: «عن المنّ والأذى»[٣].

أقول: يعني ويوطّنون انفسهم على حفظه ممّا يفسده من المنّ والأذى والرّياء، بعد ابتغائهم به مرضاة الله. ورد: «إنّها نزلت في عليّ عليه السلام»[٤].

١ـ العيّاشي ١: ١٤٦، الحديث: ٤٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر ١: ١٤٧، الحديث: ٤٨٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ القمّي ١: ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ١٤٨، الحديث: ٤٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ اي: مَثَلُ نفقتهم في الزّكاة كمثل بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: في موضع مرتفع ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلَيْ ما كانت تثمر بسبب الوابل. قال: «يتضاعف ثمرها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[1].

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها. والطّلّ يقال لما يقع باللّيل على الشّجر والنّبات. والمعنى أنّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضمّ إليها من الأحوال. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ من الإخلاص والرّياء.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصف تنعكس من الأرض إلى السّماء، مستديرة كعمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾. قال: «من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ثمّ امتنّ على من تصدّق عليه، كان كمن قال الله: "أيودُّ أحدُكُم" قال: الإعصار: الرّيح، فمن امتنّ على من تصدّق عليه كان كمن كان له جنّة كثيرة الثّمار، وهو شيخ ضعيف له اولاد ضعفاء، فتجيء ريح أو نار فتحرق ماله كلّه»[2]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فتعتبرون بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من حلاله وجياده ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: و من طيّبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثّمار والمعادن. قال: «كان القوم قد كسبوا مكاسب[3] في الجاهليّة، فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها، فأبى الله إلاّ أن يخرجوا من طيّب ما كسبوا»[4]. ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «مكاسب سوء».
٤ـ الكافي ٤: ٤٨، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «من أطيب ما كسبوا».

﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: ولا تقصدوا الرّدي ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾: وحالكم أنّكم لاتأخذونه في حقوقكم لرداءته: ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾: إلاّ أن تتسامحوا فيه. ورد: «إنّها نزلت في قوم كانوا يأتون برديّ التّمر، فيدخلونه في تمر الصّدقة»[١]. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن إنفاقكم؛ وإنّما أمركم به لا نتفاعكم ﴿حَمِيدٌ﴾ بقبوله وإثابته.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ في الانفاق في وجوه البرّ، وفي إنفاق الجيّد من المال ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ويغريكم على البخل، ومنع الزّكوات إغراء الآمر للمأمور. والعرب تسمّى البخيل فاحشاً. ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم وكفّارة لها ﴿وَفَضْلًا﴾: وخلفاً أفضل ممّا أنفقتم في الدّنيا والآخرة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: واسع الفضل لمن أنفق ﴿عَلِيمٌ﴾ بإنفاقه.

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. الحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل. وفي رواية: «طاعة الله ومعرفة الإمام»[٢]. وفي أُخرى: «معرفة الإمام و اجتناب الكبائر الّتي أوجب [الله][٣] عليها النّار»[٤]. وفي أُخرى: «المعرفة والفقه في الدّين - قال: - فمن فقّه منكم فهو حكيم»[٥]. وفي أُخرى: «الحكمة ضياء المعرفة وميراث التّقوى وثمرة الصّدق، ولو قلت: ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت، ثمّ تلا هذه الآية»[٦].

أقول: والكلّ يرجع إلى ما فسّرناها به أولاً.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم. وفي

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يأتون بالحشف».
٢ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الزّيادة من المصدر و «ب».
٤ـ العيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٤٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٤٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «التّفقّه في الدّين».
٦ـ مصباح الشّريعة: ١٩٨، الباب: ٩٥، في الحكمة، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «للقلب».

الرّواية الأخيرة قال: «أي: لا يعلم ما أودعت وهيّأت في الحكمة إلّا من استخلصته لنفسي وخصّصته بها. والحكمة هي الكتاب[١]، وصفة الحكيم الثّبات عند أوايل الأمور، والوقوف عند عواقبها وهو هادي خلق الله إلى الله»[٢]. وفي أُخرى: «ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلّا كان خراباً. ألا فتفقّهوا و تعلّموا ولا تموتوا جهلاء»[٣].

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ قليلة أو كثيرة، سرّ أو علانية، في حقّ أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ في طاعة أو معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ الّذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها أو يمنعون الصّدقات ولا يوفون بالنّذور ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: من ينصرهم من الله ويمنع عنهم العقاب.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ قال: «يعني الزّكاة المفروضة»[٤]. ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾: فنعم شيئاً إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال: «يعني النّافلة، إنّهم كانوا يستحبّون إظهار الفرائض وكتمان النّوافل»[٦]. ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ترغيب في الإخفاء ومجانبة الرّياء.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: من مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ فلا تمنّوا به على من تنفقونه عليه ولا تؤذوه ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾: إلّا لطلب ما عنده. فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث الّذي لا يتوجّه بمثله إلى الله؟ ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تنقصون ثواب نفقتكم.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: اعمدوا للفقراء ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أحصرهم الجهاد

١ـ في المصدر: «النّجاة» وفي بعض النُّسخ: «الكتاب».
٢ـ مصباح الشّريعة: ١٩٨، الباب: ٩٥، في الحكمة، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٢، عن النّبي صلى الله عليه وآله.
٤ و٦ـ الكافي ٤: ٦٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا شتغالهم به ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: ذهاباً فيها للكسب. ورد: «إنّها نزلت في أصحاب الصُّفَّة»[1]. قيل: كانوا نحواً من أربع مائة من فقراء المهاجرين، يسكنون صُفّة المسجد، يستغرقون أوقاتهم بالتّعلّم والعبادة وكانوا يخرجون في كلّ سريّة يبعثها رسول الله ﷺ[2]. ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: من أجل تعفّفهم عن السؤال ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من صفرة الوجه و رثاثة الحال ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: إلحاحاً، وهو أن يلازم المسئول حتّى يعطيه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. قال: «نزلت في علي ؑ؛ كانت معه أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية»[3]. وفي رواية «نزلت في النّفقة على الخيل»[4]. ولا منافاة بينهما. و ورد: «إنّها ليست من الزكاة»[5].

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾: إلاّ كقيام المصروع ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ أي: الجنون ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: قاسوا أحدهما بالآخر ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس. ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال: «الموعظة: التّوبة»[6]. ﴿فَانْتَهَى﴾:

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٧، عن أبي جعفر ؑ.
٢ـ الكشّاف ١: ٣٩٨؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٧.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٨، عن الصّادقين عليهما السّلام؛ والعيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٥٠٢، عن ابي إسحاق.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٢: ١٨٨، الحديث: ٨٥٢، عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ العيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٥٠١؛ والكافي ٣: ٤٩٩، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله ؑ.
٦ـ العيّاشي ١: ١٥٢، الحديث: ٥٠٥، عن أبي عبدالله ؑ؛ والكافي ٢: ٤٣٢، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام.

فاتّعظ وامتنع منه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: لا يؤاخذ بما مضى منه ولا يستردّ منه. قال: «كلّ ربا أكله النّاس بجهالة ثمّ تابوا، فإنّه يقبل منهم، إذا عرف منهم التّوبة»[1]. ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يحكم في شأنه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد ما تبيّن له تحريمه مستخفاً به. سئل: الرّجل يأكل الرّبا وهو يرى أنّه حلال؟ قال: «لا يضرّه حتّى يصيبه متعمّداً»[2]. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يذهب بركته ويهلك المال الّذي يدخل فيه. ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يضاعف ثوابها. ورد: «ليس شيء إلّا وقد وكّل به ملك غير الصّدقة؛ فإنّ الله يأخذه بيده ويربّيه[3] كما يربّي أحدكم ولده حتّى تلقاه يوم القيامة وهي مثل أُحد»[4]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصرّ على تحليل المحرّمات ﴿أَثِيمٍ﴾: منهمك في ارتكابه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾: واتركوا بقايا ما شرطتم على النّاس منه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: فاعْلموا بها. ورد: «درهم ربا أشدّ عند الله من سبعين زنية كلّها بذات محرم»[5]. ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونين بأخذ الزّيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالمَطْل[6] والنّقصان منها.

١ـ الكافي ٥: ١٤٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٤٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. و فيه: «أنّه له حلال».
٣ـ كذا في جميع النّسخ والمصدر؛ و لعلّ الأصحّ: «يأخذها بيده و يُربّيها».
٤ـ العيّاشي ١: ١٥٣، الحديث: ٥١٠؛ والبحار ٩٣: ١٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله.
٥ـ الكافي ٥: ١٤٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المَطْل: التّسويف بالعدة والدَّين. القاموس المحيط ٤: ٥٢ (مطل).

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ : إن وقع في غرمائكم ذو إعسار ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ : فإنظار إلى وقت يسار ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : أكثر ثواباً من الإنظار ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «إن كنتم تعلمون أنّه معسر فتصدّقوا عليه بمالكم عليه»[1].

ورد: «من أنظر معسراً كان له على الله في كلّ يوم صدقة بمثل ماله حتّى يستوفيه»[2].

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ : تأهّبوا لمصيركم إليه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شرّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب أو تضعيف عقاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ : إذا تعاملتم نسيئة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ لأنّه أوثق وأدفع للنزاع ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ لا يزيد على ما يجب ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ الكتابة ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأنّه المقرّ المشهود عليه. والإملال: الإملاء. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ : ولا ينقص من الحقّ ﴿شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾.

قال: «السّفيه هو الّذي يشتري الدّرهم بأضعافه، والضّعيف: الأبله»[3]. وفي رواية: «السّفيه: شارب الخمر، والضّعيف: الّذي يأخذ واحداً باثنين»[4]. وفي أُخرى: «ضعيفاً في بدنه لا يقدر أن يملّ، أو ضعيفاً في فهمه وعلمه لا يقدر أن يملّ و يميّز الألفاظ الّتي هي عدل عليه و له من الألفاظ الّتي هي جور عليه أو على حميمه»[5]. ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ قال: «بأن يكون مشغولاً في مرمّة لمعاش أو تزوّد لمعاد، أو لذّة في غير محرّم؛ فإنّ تلك الأشغال الّتي لا ينبغي للعاقل أن يشرع في غيرها»[6]. ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾

١ و٢ـ الكافي ٤: ٣٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ التهذيب ٩: ١٨٢، الحديث: ٧٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ١٥٥، الحديث: ٥٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: «يعني النّائب عنه والقيّم بأمره»[1] . ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ .قال: «أن لا يحيف على المكتوب له ولا على المكتوب عليه»[2] .

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ : المسلمين ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ . قال: «يعني ممّن ترضون دينه وأمانته وصلاحه وعفّته وتيقّظه فيما يشهد به وتحصيله وتمييزه؛ فما كلّ صالح مميّز، ولا محصّل، ولا كلّ محصّل مميّز صالح»[3] . ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ بأن تنساها. من قولهم: «ضلّ الطّريق»: إذا لم يهتد. ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ . قال: «إذا ضلّت إحداهما عن الشّهادة ونسيتها ذكّرتها الأُخرى، فاستقامتا في أداء الشّهادة»[4] . ورد: «عدل الله شهادة امرأتين بشهادة رجل، لنقصان عقولهنّ و دينهنّ»[5] .

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ . قال: «إذا دعاك الرّجل تشهد له على دَيْنٍ أو حقّ لم ينبغ لك أن تقاعس عنه»[6] . وفي رواية: «هي قبل الشّهادة ومن يكتمها بعد الشّهادة»[7] . ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ : ولا تملّوا ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا﴾ كان الحقّ ﴿أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ : إلى وقت حلوله الّذي أقرّبه المديون. ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ : أعدل ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ : وأثبت لها وأعون على إقامتها ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ : وأقرب في أن لا تشكّوا في جنس الدّين و قدره و أجله و شهدائه ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ : تتبايعون يداً بيد.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ .

١ و ٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ المصدر: ٦٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ و ٥ ـ المصدر: ٦٧٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ العيّاشي ١: ١٥٦، الحديث: ٥٢٣، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٧ ـ المصدر، الحديث: ٥٢٦ و ٥٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يحتمل البناءين. وهو نهي لهما عن ترك الإجابة والتّحريف والتّغيير في الكتابة والشّهادة، أو نهي عن الضّرار بهما، مثل أن يعجّلا عن مهمّ، ويكلّفا الخروج عمّا حدّ لهما، أو لا يعطى الكاتب جُعْلَة والشّهيد مُؤْنَة مجيئه حيث كان. ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ الضرار ومانهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾: خروج عن الطّاعة لاحق بكم.

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أحكامه المتضمّنة لمصالحكم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. كرّر لفظة "الله" في الجمل الثّلاث لاستقلالها.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾: فالّذي يستوثق به رهان. وهي جمع رهن. ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾. قال: «لا رهن إلّا مقبوضاً»[١].

أقول: لا يختصّ الارتهان بالسّفر، ولكن السّفر لمّا كان مظنّة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر المسافر بأن يقيم الارتهان مقام الكتاب والإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ أي: الّذي عليه الحقّ ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾. سمّى الدّين أمانة لإيتمانه عليه بترك الارتهان منه. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في الخيانة وإنكار الحقّ ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ الشَّهَٰدَةَ﴾ خطاب للشهود. ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ مع علمه بالمشهود به وتمكّنه من أدائها ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ قال: «كافر قلبه»[٢]. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. تهديد.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من خير أو شرّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ سوى الوسوسة وحديث النّفس ممّا لا يدخل تحت الاختيار، كما ورد به الاخبار[٣]. ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾. قال: «وبما في الصّدور يجازي العباد»[٤]. ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن

١ـ التّهذيب ٧: ١٧٦، الحديث: ٧٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٣٥، الحديث: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ راجع: الكافي ٢: ٤٦٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ والوسائل ٥: ٣٤٥، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ١٠٣، الخطبة: ٧٥.

﴿يَشَآءُ﴾ مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾. شهادة ونصّ من الله على صحّة إيمانه.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. إمّا استيناف، أو عطف على الرّسول وما بعده استيناف. ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ أي يقولون ذلك. والمراد نفي الفرق في التّصديق. ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾: أجبْنا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿غُفْرَانَكَ﴾: اغفر غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قال: «يعني المرجع في الآخرة»[1].

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ قال: «فيما افترض الله عليها»[2]. ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلّا ما دون طاقتها فضلاً و رحمةً. ورد: «ما أمر العباد إلّا بدون سعتهم، وكلّ شيء أمر النّاس بأخذه فهم متّسعون له، وما لا يتّسعون له فهو موضوع عنهم؛ ولكنّ النّاس لاخير فيهم»[3].

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من شرّ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: حملاً ثقيلاً. يأصر صاحبه، أي يحبسه في مكانه. يعني به التّكاليف الشّاقّة. ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يعني به: «ما كلّف به بني إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النّجاسة وغير ذلك». كما ورد مفصّلاً[4].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من العقوبات النّازلة بمن قبلنا ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: وامح ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾: وتعطّف بنا وتفضّل علينا ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: سيّدنا، ونحن عبيدك ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالقهر لهم والغلبة عليهم بالحجّة. فإنّ من حقّ المولى أن ينصر مواليه على الأعداء.

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ العيّاشي ١: ١٦٠، الحديث: ٥٣٣، عن أحدهما عليهما السّلام.
٣ ـ التّوحيد: ٣٤٧، الباب: ٥٦، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

ورد: «إنّ هذه الآية مشافهة الله لنبيّه في ليلة المعراج. قال ﷺ: فقلت أنا مجيباً عنّي وعن أُمّتي: "وَالْمُؤْمِنُونَ" إلى قوله: "وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ". فقال الله: "لا يُكَلِّفُ اللهُ ... إلى قوله: "مَا اكْتَسَبَتْ". فقلت: "رَبَّنَا لا تُؤاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا" فقال الله: لا أُؤاخذك. فقلت: "رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا" فقال الله: لا أحملك. فقلت: "رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا" إلى آخر السّورة. فقال الله: قد أعطيتك ذلك لك و لأُمّتك. قال الصّادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تعالى أحد أكرم من رسول الله ﷺ حين سأل لأُمّته هذه الخصال»[1].



١ـ راجع: القمّي ١: ٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سورة آل عمران

[مدنيّة، و هي مائتاآية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓمٓ﴾. قد سبق تأويله [2].

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن نجوماً ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصّدق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ جملة على موسى وعيسى.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ عامّة، و قومهما خاصّة ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: ما يفرّق به بين الحقّ والباطل. قال: «القرآن: جملة الكتاب، والفرقان: المحكم الواجب العمل به» [3]. و في رواية: «الفرقان كلّ آية محكمة في الكتاب» [4]. و في أُخرى: «سمّي الفرقان فرقاناً لأنّه متفرّق الآيات والسّور؛

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ في ابتداء سورة البقرة.

٣ـ الكافي ٢: ٦٣٠، الحديث: ١١؛ و معاني الأخبار: ١٨٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ جوامع الجامع ١: ١٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أُنزلت في غير الألواح و غير الصّحف[1]، والتّوراة والإنجيل والزّبور أُنزلت كلّها جملة في الألواح والورق»[2]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ شديد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من صبيح[3] أو قبيح، ذكر أو أنثى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في جلاله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: أُحكمت عباراتها، بأن حفظت من الإجمال ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصله، يردّ إليها غيرها ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: محتملات لا يتّضح مقصودها إلّا بالفحص والنّظر، ليظهر فيها فضل العلماء الربّانيّين في استنباط معانيها و ردّها إلى المحكمات، و ليتوصّلوا بها إلى معرفة الله تعالى و توحيده. قال: «المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشتبه على جاهله»[4]. و في رواية: «ما يشبه بعضه بعضاً»[5]. و ورد في تأويله: «إنّ المحكمات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام، والمتشابهات فلان و فلان»[6]. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ميل عن الحقّ كالمبتدعة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: فيتعلّقون بظاهره أو بتأويل باطل ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: طلب أن يفتنوا النّاس عن دينهم بالتّشكيك والتّلبيس و مناقضة المحكم بالمتشابه. ورد: «إنّ الفتنة هنا الكفر»[7]. ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: و طلب أن يؤوّلوه على ما يشتهونه.

١ـ كذا في جميع النُّسخ، و لعلّ الصّواب: «و غيره من الصحف» كما في المصدر.
٢ـ علل الشّرايع ٢: ٤٧٠، الحديث: ٣٣، عن رسول الله ﷺ.
٣ـ الصّباحة: الجمال، فهو صبيح. القاموس المحيط ١: ٢٤١ (صبح).
٤ـ العيّاشي ١: ١٦٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ١٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥ﴾ الّذي يجب أن يحمل عليه. قال: «يعني تأويل القرآن كلّه»[١].

﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ الّذين تثبّتوا و تمكّنوا فيه. قال: «نحن الرّاسخون في العلم و نحن نعلم تأويله»[٢]. و في رواية: «إنّ الرّاسخون في العلم من لا يختلف في علمه»[٣]. و في أُخرى: «إنّ الله جلّ ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه، و علمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كلامه، قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، و قسماً لا يعرفه الّا من صفىٰ ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه، ممّن شرح الله صدره للإسلام، و قسماً لا يعرفه إلّا الله و أنبياؤه والرّاسخون في العلم؛ و إنّما فعل ذلك لئلاّ يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعله لهم، و ليقودهم الاضطرار إلى الايتمار[٤] بمن ولاّه أمرهم»[٥].

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: هؤلاء الرّاسخون العالمون بالتّأويل يقولون: آمنّا بالمتشابه. ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: من عند الله الحكيم الّذي لا يتناقض كلامه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. مدح للرّاسخين بجودة الذّهن و حسن التّدبّر، و إشارة إلى ما استعدّوا به للاهتداء إلى تأويله و هو تجرّد العقل عن غواشي الحسّ.

قال: «اعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الّذين أغناهم الله عن الاقتحام[٦] في السُّدَد[٧] المضروبة دون الغيوب، فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب،

١ـ العيّاشي ١: ١٦٤، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه «فنحن نعلم تأويله».
٣ـ الكافي ١: ٢٤٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر الثاني، عن أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ ائتمر الأمر: امتثله. مجمع البحرين ٣: ٢١١ (أمر).
٥ـ الاحتجاج ١: ٣٧٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ اقتحم الرجل في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير رويّة. لسان العرب ١٢: ٤٦٢ (قحم).
٧ـ السُّدّة: فوق باب الدار ليقيها من المطر، و قيل: هي الباب نفسه، و قيل: هي الساحة بين يديه. مجمع البحرين ٣: ٦٧ (سدد).

فقالوا: "آمَنّا بِه كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا". فمدح الله عزّوجلّ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، و سَمّىٰ تركهم التّعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخاً؛ فَاقْتَصِرْ على ذلك، ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين»[1]. و ورد: «من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم. ثمّ قال: إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، و محكماً كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها. ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا»[2].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ عن نهج الحقّ إلى اتّباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه؛ و إنّما أُضيف الزّيغ إلى الله لأنّه مسبّب عن امتحانه و خذلانه. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحقّ ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ بالتّوفيق والمعونة ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ لكلّ سؤل. قال: «إنّهم قالوا ذلك حين علموا أنّ القلوب تزيغ و تعود إلى عماها ورداها»[3].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾: لحساب يوم و جزائه ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: في وقوعه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: كشأنهم، و أصل الدّأب: الكدح. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. ورد: «إنّها

١ـ التّوحيد: ٥٥، الباب: ٢، ذيل الحديث: ١٣؛ والعيّاشي ١: ١٦٣، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.

٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٩٠، الباب: ٢٨، الحديث: ٣٩.

٣ـ الكافي ١: ١٨، الحديث: ١٢، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام. والرّدى: الهلاك. لسان العرب ١٤: ٣١٦ (ردى).

نزلت حين حذّرهم النّبيّ ﷺ بمثل ما أُصيبوا به يوم بدر، فقالوا: يا محمّد لايغرّنّك أنّك لقيت قوماً أغماراً[1] لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، أما والله لو قاتلتنا[2] لعرفت أنّا نحن النّاس»[3]. و قد صدق الله وعده و غلب المشركون.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾: دلالة معجزة على صدق محمّد ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يوم بدر: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في دينه و طاعته؛ و هم الرّسول و أصحابه ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ و هم مشركوا مكّة ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: رؤية ظاهرة معاينة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في التّقليل والتّكثير و غلبة القليل على الكثير ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾. قال: «القنطار ملاء مسك ثور ذهباً»[4].

أقول: والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد.

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلّمة أو المرعيّة. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ممّا يستقذر من النّساء. ورد: «ما تلذّذ النّاس في الدّنيا والآخرة بلذّة أكبر[5] لهم من لذّة النّساء و هو قول الله عزّوجلّ: "زيّن للنّاس" الآية. ثمّ قال: و إنّ أهل الجنّة ما يتلذّذون بشيء من الجنّة أشهى عندهم من النّكاح، لا طعام و

١ـ رجلٌ غُمَر: من لم يجرّب الأمور. القاموس المحيط ٢: ١٠٧؛ ولسان العرب ٥: ٣١ (غمر).
٢ـ في المصدر: «إنّا والله لو قاتلناك».
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٣.
٤ـ المصدر ١: ٤١٧. المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ في المصدر: «أكثر».

لاشراب»[١]. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ و هو اجلّ النّعم كما قال: "وَ رِضْوانٌ مِنَ الله أكْبَرُ"[٢] والجنّة أوسطها، و متاع الدّنيا أدناها. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

قال: «المصلّين وقت السّحر»[٣]. و قال: «من استغفر سبعين مرّة في وقت السّحر فهو من أهل هذه الآية»[٤]. و ورد: «من قال في وتره إذا أوتر: "أستغفر الله و أتوب إليه" سبعين مرّة و هو قائم، فواظب على ذلك حتّى تمضي له سنة، كتبه الله عنده من المستغفرين بالاسحار، و وجبت له المغفرة من الله تعالى»[٥].

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: بيّن وحدانيته لقوم بظهوره في كلّ شيء و تعرّفه ذاته في كلّ نور و فيء، و لقوم بنصب الدّلائل الدّالّة عليها، و لقوم بإنزال الآيات النّاطقة بها. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار ذاتاً لقوم، و فعلاً لقوم، و قولاً لقوم. ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ بالإيمان، والعيان، والبيان شبه الظّهور، والإظهار في الانكشاف، والكشف بشهادة الشّاهد. ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: مقيماً للعدل. ورد: «إنّ أُولي العلم الأولياء[٦] والأوصياء وهم قيام بالقسط، والقسط: العدل»[٧]. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تاكيد و تمهيد لقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾: لا دين مرضيّ عند الله سوى الإسلام، و هو

١ـ الكافي ٥: ٣٢١، الحديث: ١٠؛ والعيّاشي ١: ١٦٤، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ التّوبة (٩٠): ٧٢.
٣ و ٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الخصال ٢: ٥٨١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في المصدر: «الأنبياء».
٧ـ العيّاشي ١: ١٦٦، الحديث: ١٨، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «والقسط هو العدل في الظاهر، والعدل في الباطن أمير المؤمنين عليه السلام».

التّوحيد والتّدرّج بالشّرع. ورد: «إنّ الإسلام قبل الإيمان، و عليه يتوارثون و يتناكحون، والإيمان عليه يثابون»[1]. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإسلام ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بأنّه حقّ ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: حسداً و طلباً للرّياسة، لا لشبهة فيه ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ في الدّين و جادلوك فيه بعد ما أقمت لهم الحجج ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أخلصت نفسي و جملتي له لا أُشرك فيها غيره. عبّر عن النّفس بالوجه؛ لأنّه أشرف الأعضاء الظّاهرة و مظهر القوى والحواسّ. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾: و أسلم من اتّبعني ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: الّذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ كما أسلمت لما وضحت لكم الحجّة أم بعد على كفركم ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. وعد ووعيد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ إذ لم ينالوا بها المدح والثّناء، و لم يحقن دماؤهم و أموالهم، و لم يستحقّوا به الأجر والثّواب[2] ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يدفعون عنهم العذاب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾. قيل: يريد به أحبار اليهود[3]. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾ و هو التّوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في نبوّة نبيّنا أو في رجم الزّاني،

١ـ الكافي ١: ١٧٣، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّحيح: «لم تحقن دماؤهم و أموالهم و لم يستحقّوا بها الأجر والثّواب» كما في الصّافي.
٣ـ راجع: الكشّاف ١: ٤٢٠.

و قد اختلفوا فيه [١] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتوليهم ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ بسبب تسهيلهم العقاب على أنفسهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾: ما تشاء من الملك ﴿مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ﴾: تسترد ما تشاء منه ﴿مِمَّن تَشَاءُ﴾ فالملك الأول عامّ، والآخران خاصّان. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: تنقص من اللّيل و تجعل ذلك النّقصان زيادة في النّهار، و تنقص من النّهار و تجعل ذلك النّقصان زيادة في اللّيل. ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ قال: «المؤمن من الكافر» [٢]. ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال: «الكافر من المؤمن» [٣]. ورد: «إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً و إنّ الميّت هو الكافر». ثمّ فسّر الآية بما ذكر [٤]. ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهليّة أو نحوهما حتّى لا يكون حبّهم و بغضهم إلاّ في الله، و قد كرّر ذلك في القرآن [٥]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: ليس من ولايته في شيء ﴿إِلَّا أَن

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٢٤؛ والتّبيان ٢: ٤٢٥.
٢ و ٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٢٨، والرّواية مرويّة عن الصّادقين عليهما السّلام.
٤ـ معاني الأخبار: ٢٩٠، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «فانّ الميّت هو الكافر».
٥ـ راجع: النّساء (٤): ٨٩، ١٣٩ و ١٤٤؛ والمائده (٥): ٨٠؛ والتّوبه (٩): ٢٣؛ والممتحنة (٦٠): ١ و ٩.

تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ : إلاّ أن تخافوا من جهتهم خوفاً أو أمراً يجب أن يخاف منه. قال: «التّقيّة ترس الله بينه و بين خلقه»[1]. و قال: «لا إيمان لمن لا تقيّة له، ثمّ تلا هذه الآية»[2].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فلا تتعرّضوا لسخطه بمخالفة أحكامه و موالاة أعدائه.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ من ولاية الكفّار و غيرها ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عمّا نهيتم عنه.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. كرّر ذلك للتّأكيد والتّذكير؛ ثمّ أشار إلى أنّه تعالى إنّما نهاهم و حذّرهم، رأفة بهم، ومراعاة لصلاحهم، و أنّه لذو مغفرة و ذو عقاب، ترجى رحمته و يخشى عذابه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾. قيل: نزلت لمّا قالت اليهود: "نَحْنُ أَبْنَاءُ اللّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ"[3].

أقول: المحبّة من العبد ميل النّفس إلى الشّيء، لكمال ادركت فيه، بحيث تحملها على ما يقرّبها إليه؛ و من الله رضاه عن العبد، و كشفه الحجاب عن قلبه. والعبد إذا علم انّ الكمال الحقيقي ليس إلاّ لله، و انّ كلّ ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله و إلى الله لم يكن حبّه إلاّ لله و في الله؛ و ذلك يقتضي إرادة طاعته والرّغبة فيما يقرّبه إليه. فعلامة المحبّة إرادة الطّاعة والعبادة والاجتهاد البليغ في اتّباع من كان وسيلة له إلى

١ـ الكافي ٢: ٢٢٠، الحديث: ١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٦٦، الحديث: ٢٤، عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ١٣. والآية في سورة المائدة(٥): ١٨.

معرفة الله و محبّته ممّن كان عارفاً بالله محبّاً إيّاه محبوباً له؛ فإنّ مَنْ هذه صفاته، إنّما نال هذه الصّفات بالطّاعة على الوجه المخصوص، و هو رسول الله ﷺ و من يحذ و حذوه؛ فمن أحبّ الله فلابدّ له من اتّباع الرّسول في عبادته و سيرته و أخلاقه و أحواله حتّى يحبّه الله؛ إذ بذلك يحصل التّقرّب إلى الله، و بالتّقرّب يحصل محبّة الله تعالى إيّاه، كما قال سبحانه: «و إنّ العبد ليتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أُحبّه»[1]. و أيضاً لمّا كان الرّسول حبيب الله فكلّ من يدّعي محبّة الله، لزمه محبّة الرّسول؛ لأنّ محبوب المحبوب محبوب، و محبّة الرّسول إنّما تكون بمتابعته و سلوك سبيله، قولاً و عملاً و خلقاً و حالاً و سيرةً و عقيدةً، ولا يتمشّى دعوى محبّة الله إلّا بهذا، فإنّه قطب المحبّة و مظهرها، فمن لم يكن له من متابعته نصيب لم يكن له من المحبّة نصيب؛ و من تابعه حقّ المتابعة ناسب باطنه و سرّه و قلبه و نفسه باطنَ الرّسول و سرّه و قلبه و نفسه، و هو مظهر محبّة الله، فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التّابع قسط من محبّة الله بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقي الله محبّته عليه، و يسري من باطن روح الرّسول نور تلك المحبّة إليه؛ فيكون محبوباً لله محبّاً له. و من لم يتابعه يخالف باطنه باطن الرّسول، فبَعُدَ عن وصف المحبوبيّة، و زال[2] المحبّة عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبّه الله لم يكن محبّاً له، وفي حكم الرّسول من أمر الله والرّسول بحبّه و اتّباعه، و هم الأئمّة الأوصياء عليهم السّلام.

قال: «من سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله و ليتّبعنا. ألم تسمع قول الله تعالى لنبيّه: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ" الآية. واللهِ لا يطيع اللهَ عبد أبداً إلّا أدخل الله عليه في طاعته اتّباعنا، ولا واللهِ لا يتّبعنا عبد أبداً إلّا أحبّه الله، ولا واللهِ لا يدَع أحد اتّباعنا أبداً إلّا أبغضنا، ولا واللهِ لا يبغضنا أحدٌ أبداً إلّا عصى الله، و من مات عاصياً لله أخزاه الله و

١ـ الكافي ٢: ٣٥٢، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «بالنّافلة حتّى أُحبّه».
٢ـ كذا في جميع النُّسَخ، و لعلّ الصّواب: «و زوال المحبّة» كما في الصافي ١: ٣٠٤.

أكبّه [1] على وجهه في النّار» [2].

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بالتّجاوز عمّا فرط منكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تحبّب إليه بطاعته و اتّباع نبيّه و من أمر باتّباعه.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾. يحتمل المضيّ والمضارع. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: لا يرضى عنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾. ورد: «إنّه تلا هذه الآية فقال: نحن منهم و نحن بقيّة تلك العترة» [3]. و في رواية: «والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم و إنّ العترة الهادية لمن آل محمّد» [4]. ﴿وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قيل: موسى و هارون ابنا عمران بن يصهر، أو عيسى و أمّه بنت عمران بن ماثان. و بين العمرانين ألف و ثمانمأة سنة [5].

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ قال: «من نسل بعض» [6]. «لا يكون الذرّيّة من القوم إلّا نسلهم من أصلابهم» [7]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال النّاس ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ هي إمرأة عمران بن ماثان، أُمّ مريم البتول، جدّة عيسى. في رواية: «اسمها حنّة» [8]. و في أُخرى: «مرثا و قال: و هي وهيبة بالعربيّة» [9]. ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمة بيت المقدس، لا أشغله بشيء ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ ما نذرته ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتي.

١ـ في «الف» و «ج»: «كبّه».
٢ـ الكافي ٨: ٤٠٨، في ذيل رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.
٣ـ العيّاشي ١: ١٦٨، الحديث: ٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الأمالي (للصدوق): ١٣٤، المجلس الثلاثون، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٤؛ والكشّاف ١: ٤٢٤.
٦ـ التّبيان ٢: ٤٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ راجع: العيّاشي ١: ١٦٩، الحديث: ٣٥ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ٥٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الكافي ١: ٤٧٩، الحديث: ٤، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾. اعتراض، وهو قول الله؛ و على قراءة المتكلّم من كلامها، تسلية لنفسها، أي: و لعلّ لله فيه سرّاً أوالأُنثى [1] كان خيراً. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ من تتمّة كلامها. قال: «أوحى الله إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً سويّاً مباركاً، يبرىء الأكمه والأبرص، و يحيي الموتى بإذن الله، و جاعله رسولاً إلى بني إسرائيل؛ فحدّث عمران امرأته «حنّة» بذلك و هي أُمّ مريم، فلمّا حملت بها، كان حملها عند نفسها غلاماً، فلمّا وضعتها، قالت: "رَبِّ إنّي وَضَعْتُها أُنْثىٰ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثىٰ": لا تكون البنت رسولاً، يقول الله عزّوجلّ "وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ". فلمّا وهب الله لمريم عيسى، كان هو الّذي بشّر به عمران ووعده إيّاه» [2].

و في رواية: «إنّ الأُنثى تحيض فتخرج من المسجد والمحرّر لا يخرج من المسجد» [3].

و في أُخرى: «نذرت ما في بطنها للكنيسة أن تخدم العباد و ليس الذّكر كالأُنثى في الخدمة، قال: فشبّت و كانت تخدمهم و تناولهم حتّى بلغت، فأمر زكريّا أن يتّخذ لها حجاباً دون العباد» [4]. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ معناه: العابدة ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أُجيرها بحفظك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: المطرود. روي: «ما من مولود يولد إلّا والشّيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّه إلّا مريم و ابنها» [5]. قيل: يعني أنّ الشّيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثّر من طمعه فيه إلّا مريم و ابنها؛ فإنّ الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة [6].

١ـ في «الف»: «والأُنثى».
٢ـ الكافي ١: ٥٣٥، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر، الحديث: ٣٨، عن أحدهما عليهما السّلام.
٥ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٣٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ ومسند احمد ٢: ٢٧٤.
٦ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٦.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ بإقامتها مقام الذّكر، و تسلّمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر و تصلح للسّدانة[1] ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: ربّاها بما يصلحها في جميع أحوالها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي الله. و إن خفّف، زكريّا[2]. قال: «فسوهم عليها فأصاب القرعة زكريّا و هو زوج أختها»[3]. و في رواية: «ابن خالتها»[4]. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قال: «كفّلها و أدخلها المسجد فلمّا بلغت ما تبلغ النّساء من الطّمث[5] وكانت أجمل النّساء و كانت تصلّي فيضيء المحراب لنورها، فدخل عليها زكريّا، فإذا عندها فاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء، فقال: أنّى لك هذا؟! قالت هو من عند الله»[6]. و ورد نظير هذا في فاطمة عليهاالسّلام من طريقي العامّة والخاصّة جميعاً[7].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ لمّا رأى كرامة مريم و منزلتها من الله. ورد: «إنّه قال في نفسه: إنّ الّذي يقدر أن يأتي مريم بفاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء لقادر أن يهب لي ولداً و إن كنت شيخاً و امرأتي عاقراً»[8]. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ

١ ـ سَدَنَ سَدْناً و سَدانةً: خدم الكعبة او بيت الصّنم. القاموس المحيط ٤: ٢٣٥؛ و مجمع البحرين ٦: ٢٦٣ (سدن).

٢ ـ يعني: إن قرئ «كفّلها» بالتّشديد فالفاعل هو الله و «زكريّا» مفعول ثانٍ لكفّلها والمعنى: كفّل الله مريم زكريّا، و إن قرئ بالتّخفيف فالفاعل فيه هو زكريّا.

٣ ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.

٤ ـ لم نعثر عليه.

٥ ـ الطّمث: المسّ والدّنس، و طَمَثَت المرأة: حاضَتْ. القاموس المحيط ١: ١٧٦؛ و مجمع البيان ٢: ٢٥٨ (طمث).

٦ ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.

٧ ـ راجع: العيّاشي ١: ١٧١، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ٢: ١٨٥ ـ ١٨٦.

٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٦٠.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يعني بعيسى، كما يأتي في سورة مريم[١]. ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال: «رئيساً في طاعة الله على أهل طاعته»[٢]. ﴿وَحَصُورًا﴾ قال: «لا ياتي النساء»[٣]. ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: لا تلد ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: مثل خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: علامة اعرف بها الحمل لاستقبله بالشكر ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: لا تقدر على تكليمهم. قال: «لمّا نادته الملائكة بما نادته، أحبّ أن يعلم أنّ ذلك الصوت من الله، فاوحى إليه أنّ آية ذلك ان يمسك لسانه[٤] عن الكلام ثلاثة أيّام؛ فلمّا أمسك لسانه و لم يتكلّم، علم أنّه لا يقدر على ذلك إلاّ الله»[٥]. ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إشارة. قال: «فكان يومي برأسه»[٦]. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ قيل: أي: في أيّام العجز عن التكلّم[٧]. نبّه بذلك على انّ الغرض من حبس لسانه أن يخلص المدّة لذكر الله و شكره قضاءاً لحقّ النّعمة، فكأنّه قال: آيتك أن تحبس لسانك إلاّ عن الشكر. ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ قال: «من ذريّة الانبياء»[٨] ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ قال: «من السّفاح»[٩]. ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «الولادة

١ـ الآية: ٧.
٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٦٠.
٤ـ في «الف»: «أن تمسك لسانك».
٥ـ العيّاشي ١: ١٧٢، الحديث، ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٤٤، عن أحدهما عليهما السّلام.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠؛ والكشّاف ١: ٤٢٩.
٨و٩ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠؛ والعيّاشي ١: ١٧٣، الحديث: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

عيسى من غير فحل»[١].

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾. قال: «يقرعون بها حين ايتمت من أبيها»[٢]. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ تنافساً في كفالتها.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. قال: «"كن" منه صنع، و ما يكون به، المصنوع»[٣]. و قد مرّ له مزيد بيان[٤].

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ في شريعة موسى ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾.

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠ عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٧٣، الحديث: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام، و ليست فيه جملة: «يقرعون بها».
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٧٣ـ١٧٤، الباب: ١٢، ذيل الحديث: ١.
٤ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ١١٧.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ قال: «لمّا سمع و رأى أنّهم يكفرون»[1]. ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: من أعواني إلى سبيله؟ ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾. حواريّ الرّجل: خالصته. قال: «سمّوا بذلك لأنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم و مخلصين غيرهم من أوساخ الذّنوب بالوعظ والتّذكير»[2]: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي: الّذين أحسّ عيسى منهم الكفر من اليهود؛ بأن و كّلوا عليه من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ «حين رفع عيسى و ألقى شبهه على من قصد اغتياله حتّى قتل بدلاً منه». كما في رواية[3]. او «على أحد من خواصّه ليقتل فيكون معه في درجته». كما في أُخرى[4]. والمكر من حيث إنّه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرّة، لا يسند إلى الله تعالى إلّا على سبيل المقابلة والازدواج؛ أو بمعنى المجازاة، كما مرّ. ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: اقواهم مكراً و انفذهم كيداً و اقدرهم على العقاب من حيث لا يحتسب المعاقب.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: مستوفي أجلك و مؤخّرك إلى أجلك المسمّى، عاصماً إيّاك من قتلهم، أو قابضك من الارض، من توفّيت مالي، أو مميتك عن الشّهوات العايقة عن العروج إلى عالم الملكوت. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من سوء جوارهم ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ يغلبونهم بالحجّة والسّيف ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ جميعاً ﴿فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

١ـ القمّي ١: ١٠٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٠؛ و علل الشرايع ١: ٨٠، الباب: ٧٢، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٨، عن ابن عبّاس؛ و البيضاوي ٢: ٢١؛ والكشّاف ١: ٤٣٢.
٤ـ راجع: القمّي ١: ١٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ في أنّه خلق من غير أب، كما خلق آدم من التّراب من غير أب ولا أمّ. شبّه حاله بما هو أقرب، إفحاماً للخصم و قطعاً لموادّ الشّبه.

﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي: فكان في الحال.

﴿ ٱلْحَقُّ ﴾: هو الحقّ ﴿ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ .

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ ﴾ من النّصارى ﴿ فِيهِ ﴾: في عيسى ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ أي: يدع كلّ منّا و منكم نفسه و أعزّة أهله و ألصقهم بقلبه إلى المباهلة، أي: الملاعنة والمتاركة.

ورد: «إنّهم دنوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة ان لا إله إلّا الله و أنّي رسول الله، و أنّ عيسى عبد مخلوق يأكل و يشرب و يُحْدث. قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي: قل لهم: ما تقولون في آدم؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل و يشرب ويُحْدث و ينكح؟ فمن أبوه؟ فنزلت "إنَّ مَثَلَ عيسىٰ" الآيات. فقال لهم: فباهلوني، فإن كنت صادقاً أُنزلت اللّعنة عليكم، و إن كنت كاذباً أُنزلت عليّ، فقالوا: أنصفت. فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: إن باهَلَنا بقومه، باهَلْناه فإنّه ليس بنبيّ، و إن باهَلَنا بأهل بيته خاصّة، فلا نباهله، فإنّه لا يقدم بأهل بيته إلّا و هو صادق، فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ و معه أمير المؤمنين و فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فقال النّصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: إنّ هذا ابن عمّه ووصيّه و ختنه، و هذه ابنته فاطمة، و هذان ابناه الحسن والحسين، ففرّقوا و قالوا:

نعطيك الرّضى، فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا»[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. ردّ على النّصارى في تثليثهم.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: لا احد سواه يساويه في القدرة التّامّة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهيّة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾. وعيد لهم. وضع المظهر موضع المضمر ليدلّ على أنّ التولّي عن الحجج، والإعراض عن التّوحيد إفساد للدّين و يؤدّي إلى إفساد النّفوس بل و إلى إفساد العالم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: ان نوحّده بالعبادة و نخلص فيها ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ولا نقول عُزَيْر ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما احدثوا من التّحريم والتّحليل.

ورد: إنّه قيل: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله. قال: «أليس كانوا يحلّون لكم و يحرّمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك»[٢]. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن التّوحيد ﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: لزمتكم الحجة، فاعترفوا بأنّا مسلمون دونكم. و ما أحسن ما راعى في هذه القصّة من المبالغة في الإرشاد و حسن التّدرّج في الحِجاج. بيّن أوّلاً أحوال عيسى و ما تعاور عليه من الأطوار المنافية للإلهيّة، ثمّ ذكر ما يزيح شبهتهم. فلمّا رأى عنادهم و لجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثمّ لمّا أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد، عاد عليهم بالإرشاد و سلك طريقاً أسهل و ألزم، بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل و ساير الأنبياء والكتب. ثمّ لمّا لم يجد ذلك أيضاً عليهم، و علم أنّ الآيات والنّذر لا تغني عنهم، أعرض عن ذلك، و قال: "اشهدوا بأنّا مسلمون".

١ـ راجع: القمّي ١: ١٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٥٥؛ والبيضاوي ٢: ٢٣؛ والكشّاف ١: ٤٣٥، «روي عن عديّ بن حاتم أنّه قال: ما كنّا ...».

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾. تنازعت اليهود والنّصارى فيه، و زعم كلّ فريق أنّه منهم، فنزلت. والمعنى أنّ اليهوديّة والنّصرانيّة حدثت بنزول التّوراة والإنجيل على موسى و عيسى، و كان إبراهيم قبلهما، فكيف يكون عليهما؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتدّعون المحال؟

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: أنتم هؤلاء الحمقى، و بيان حماقتكم أنّكم جادلتم فيما وجدتموه في أحد الكتابين، أو تدّعون أنّه فيه، فلم تجادلون فيما لا ذكر له فيه من دين إبراهيم؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما حاججتم فيه من شأن إبراهيم و دينه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلا تتكلّموا فيه.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا ﴾: مائلاً عن العقايد الزّايفة ﴿مُسْلِمًا﴾: منقاداً لله تعالى. قال: «خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»[1]. و في رواية: «لا يهوديّاً يصلّي إلى المغرب ولا نصرانيّاً يصلّي إلى المشرق، و لكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد»[2].

أقول: يعني كان يصلّي إلى الكعبة ما بين المشرق والمغرب و كان دينه موافقاً لدين محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. تعريض بأنّهم مشركون، و ردّ لادّعائهم أنّهم على ملّته.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾: أقربهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ من أُمّته ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. قال: «هم الأئمّة و من اتبعهم»[3]. و ورد: «إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعملهم[4] بما جاؤوا به ثمّ تلا هذه الآية»[5]. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾: يتولّى نصرتهم.

١ـ الكافي ١: ١٥، باب الإخلاص، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٧٧، الحديث: ٦٠، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٦، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «أعلمهم».
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٥٨؛ و نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٨٤، الحكمة: ٩٦.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَآأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

﴿يَآأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتّحريف ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: نبوّة محمّد و نعته ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بما تكتمونه.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ قيل: أي أظهروا الإيمان بالقرآن أوّل النّهار [1]. ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ظنّاً بأنّكم رجعتم لخلل ظهر لكم. و ورد: «يعنون القبلة حين استقبل رسول الله ﷺ المسجد الحرام صلاةَ الظّهر بعد ما صلّى الغداة مستقبلاً إلى بيت المقدس، يعني "لعلّهم يرجعون" إلى قبلتنا» [2].

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾. قيل: أي لا تصدّقوا ولا تقرّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الفضائل إلّا لأهل دينكم، ولا تؤمنوا بأن يحاجّوكم عند ربّكم، لأنّكم أصحّ ديناً منهم، فلا يكون لهم الحجّة عليكم. و قوله: "قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هدى الله"، اعتراض من كلام الله [3]. و قيل فيه أقوال أُخر [4]. و هي من المتشابه الّذي لم يصل إلينا تأويله. ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾: الهداية والتّوفيق منه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: تطالبه بالعنف ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ

۱ـ مجمع البيان ۱ـ۲: ۴۶۰، عن الحسن و جماعة؛ والبيضاوي ۲: ۲۵.
۲ـ القمّي ۱: ۱۰۵، عن أبي جعفر عليه السلام.
۳و۴ـ مجمع البيان ۱ـ۲: ۴۶۱؛ والكشّاف ۱: ۴۳۷.

سَبِيلٌ﴾ اي: ليس علينا في شأن من ليس من[1] أهل الكتاب و لم يكن على ديننا عقاب وذمّ. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادّعائهم ذلك ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم كاذبون، وذلك لأنّهم استحلّوا ظلم من خالفهم، و قالوا: لم يجعل لهم في التّوراة حرمة. ورد: «إنّه ﷺ لمّا قرأ هذه الآية قال: كذب أعداء الله، ما من شيء كان في الجاهليّة إلاّ و هو تحت قدمي إلاّ الأمانة، فإنّها مؤدّاة إلى البرّ والفاجر»[2].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ أيّ عهد كان ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله في ترك الخيانة والغدر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. في وضع الظّاهر موضع المضمر إشعار بأنّ التّقوى ملاك الأمر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرّسول، والوفاء بالأمانات ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾: و بما حلفوا به ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: متاع الدّنيا من الرّياسة و أخذ الرّشوة والذّهاب بمال أخيهم المسلم و نحو ذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ﴾: لا نصيب لهم ﴿فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: «بكلام خير»[3]. ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: «لا يصيبهم بخير»[4]. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قال: «من ذنوبهم»[5]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾: يفتلونها[6] بقراءته فيميلونها عن المنزّل إلى المحرّف. ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. تأكيد و تسجيل عليهم بالكذب على الله.

١ـ في «ج»: «من ليس أهل الكتاب».
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٣؛ والدّرّ المنثور ٢: ٢٤٤؛ والبيضاوي ٢: ٢٦.
٣ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٨٦.
٤ـ التّوحيد: ٢٦٥، الباب: ٣٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٥ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٨٦.
٦ـ يفتلونها: يصرفونها. مجمع البحرين ٥: ٤٣٩؛ و لسان العرب ١١: ٥١٤ (فتل).

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ : والحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ . روي : «أنّه قيل للنبيّ ﷺ : أتريد أن نعبدك ونتّخذك ربّاً؟ فقال : معاذ الله أن يعبد غير الله و أن نأمر بعبادة غير الله [1] ، فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني ، فنزلت» [2] . ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ : و لكن يقول : كونوا ربّانيين أي : الكاملين في العلم والعمل ؛ منسوب إلى الرّبّ . ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ : بسبب التّعليم والدّراسة . عن النّبيّ ﷺ : «لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبيّاً ، و تلا هذه الآية» [3] .

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ . القمّي : كان قوم يعبدون الملائكة ، و قوم من النّصارى زعموا أنّ عيسى ربّ ، واليهود قالوا : عزير بن الله فقال الله : "ولا يأمركم" الآية [4] .

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ قال : «ميثاق أمم النّبيّين كلّ أُمّة بتصديق نبيّها والعمل بما جاءهم به فما وفوا به و تركوه» [5] . و في رواية : «أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا عليه و عليهم السّلام أن يخبروا أُممهم بمبعثه و نعته ، و يبشّروهم به ، ويامروهم بتصديقه» [6] . و في أُخرى : «لم يبعث الله نبيّا ، آدم و من بعده ، إلّا اخذ عليه العهد : لئن بعث الله محمّداً و هو حيّ ليؤمننّ به و لينصرنّه ، و أمره ان ياخذ العهد بذلك

١ـ في «ب» و «ج» : «و أن نامر بغير عبادة الله» .
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٤٦٦ ؛ والبيضاوي ٢ : ٢٧ «روي عن ابي رافع القُرَظي من اليهود ، و رئيس وفد نجران ، أنّهما قالا للنبيّ ... » .
٣ـ عيون اخبار الرّضا ﷺ ٢ : ٢٠١ ، الباب : ٤٦ ، الحديث : ١ .
٤ـ القمّي ١ : ١٠٦ .
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٤٦٨ ، عن ابي عبدالله ﷺ ، مع اختلاف يسير في العبارة .
٦ـ المصدر ، عن أمير المؤمنين ﷺ ، و عن ابن عبّاس و قتادة .

على قومه»[١] . و في أُخرى: «ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً إلّا و يرجع إلى الدّنيا و ينصر أمير المؤمنين و هو قوله: "لتؤمننّ به" يعني رسول الله ﷺ "و لتنصرنّه" يعني أمير المؤمنين عليه السلام»[٢] . ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ قال: «ثمّ قال لهم في الدّنيا أقررتم؟»[٣] . ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ قال: أي: عهدي»[٤] . ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ قال: «قال الله للملائكة: "فاشهدوا"»[٥] . و في رواية: «قال الأنبياء و أُممهم: أقررنا بما أمرتنا بالإقرار به. قال الله: فاشهدوا بذلك على أُممكم»[٦] . ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال: «عليكم و على أُممكم».

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق والتّأكيد ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرّدون.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾. قال: «هو توحيدهم لله عزّوجلّ»[٧] . و في رواية: «معناه أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين»[٨] . قال: «و كرهاً أي: فرقاً من السّيف»[٩] .

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتّصديق والتّكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، مخلصون في عبادته.

١ـ الدّرّ المنثور ٢: ٢٥٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٨، عن عليّ عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٠٦؛ والعيّاشي ١: ١٨١، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله، مع تفاوت في العبارة.
٣ـ القمّي ١: ١٠٦، و فيه: «في الذّرّ» بدل «في الدّنيا».
٤و٥ـ المصدر: ١٠٧.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٧ـ التّوحيد: ٤٦، الباب: ٢، الحديث: ٤٧ والعيّاشي ١: ١٨٣، ذيل الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. في «الف»: «و جاءوا أقوام» و لكنّ الصّحيح ما أثبتناه كما في المصدر.
٩ـ المصدر عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ١٠٧.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ أي: غير التّوحيد والانقياد لحكم الله ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ بإبطاله الفطرة السّليمة الّتي فطر عليها.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾. عطف على معنى الفعل في "إيمانهم". ﴿ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يتفضّل عليهم. «نزلت الآيات في أنصاريّ قتل رجلاً غدراً و هرب، و ارتدّ عن الإسلام و لحق بمكّة ثم ندم، فسأل هل لي من توبة؟». كذا ورد[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ كاليهود، كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثمّ ازدادوا كفراً بمحمّد ﷺ ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: ما يملأ الأرض من الذّهب ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾: نفسه من العذاب ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ ﴾: لن تبلغوا حقيقته ولا تكونوا أبراراً ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾: من المال والجاه والمهجة و غيرها في طاعة الله. و في قراءة الصّادق عليه السلام: "ما تحبّون". قال: «هكذا فاقرأها»[2]. ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ ﴾ يعني[3]: يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾. قال: «و هو لحم الإبل كان إذا أكل هيّج عليه وجع

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٩ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة «يعني».

الخاصرة فحرّمه على نفسه، و ذلك قبل أن تنزّل التّوراة، فلمّا نزلت التّوراة لم يحرّمه و لم يأكله»[١].

أقول: يعني موسى عليه السلام. قيل: يعني إنّ المطاعم كلّها لم تزل حلالاً لهم من قبل إنزالها و تحريم ما حرّم فيها بظلم اليهود و بغيهم. و هذا ردّ على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم ممّا نطق به القرآن من تحريم الطّيّبات عليهم لبغيهم و ظلمهم في قوله: "ذٰلِكَ جَزَيْنٰاهُمْ بِبَغْيِهِمْ"[٢] و قوله "فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ"[٣] فقالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه، و قد كانت محرّمة على نوح و ابراهيم و من بعده من بني إسرائيل إلى أن انتهى التّحريم إلينا فكذّبهم الله[٤].

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرٰاةِ فَاتْلُوهٰا إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ﴾. أمر بمحاجّتهم بكتابهم و تبكيتهم بما فيه حتّى يتبيّن أنّه تحريم حادث بسبب ظلمهم و بغيهم لا تحريم قديم كما زعموا، فلم يجسروا على إخراج التّوراة و بهتوا[٥].

﴿فَمَنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾: من بعد ما لزمهم الحجّة ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ﴾ لأنفسهم، لمكابرتهم الحقّ بعد وضوحه.

﴿قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ﴾. تعريض بكذبهم، أي: ثبت أنّ الله صادق فيما أنزله و أنتم الكاذبون. ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً﴾ و هي ملّة الإسلام الّتي عليها محمّد و من آمن معه ﴿وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. تبرئة له ممّا كان ينسبه اليهود والمشركون إليه من كونه على دينهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّٰاسِ﴾ ليكون متعبّداً لهم ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ يعني الكعبة: قال:

١ـ الكافي ٥: ٣٠٦، الحديث: ٩؛ والعيّاشي ١: ١٨٤، الحديث: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الأنعام (٦): ١٤٦.
٣ـ النّساء (٤): ١٦٠.
٤و٥ـ الكشّاف ١: ٤٤٥ـ٤٤٦؛ والبيضاوي ٢: ٣١.

«إنّ موضع البيت بكّة، والقرية مكّة»[1]. و ورد: «لمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرّياح فضربن متن الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، و هو قول الله عزّوجلّ: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ" الآية»[2]. ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير والنّفع لمن حجّه و اعتمره واعتكف عنده، و طاف حوله، و قصد نحوه من مضاعفة الثّواب و تكفير الذّنوب و نفي الفقر و كثرة الرّزق.

﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنّه قبلتهم و متعبّدهم.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كقهره لمن تعرّض له من الجبابرة بسوء كأصحاب الفيل ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: منها مقام إبراهيم. ورد: إنّه سئل ما هذه الآيات البيّنات؟ فقال: «مقام إبراهيم حيث قام على الحجر، فأثّرت فيه قدماه، والحجر الأسود، و منزل إسماعيل»[3].

أقول: أمّا كون المقام آية، فلما ذُكر، و لارتفاعه بإبراهيم عليه السلام حتّى كان أطول من الجبال، كما يأتي ذكره في سورة الحجّ إن شاء الله؛ و أمّا كون الحجر الأسود آية، فلتنطّقه لبعض الأنبياء والأوصياء كآدم والسّجّاد عليهما السّلام على ما ورد[4]، و لعدم إطاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه؛ و أمّا كون منزل إسماعيل آية، فلأنّه أُنزل به، و كان بلا ماء، فنبع له الماء؛ و إنّما خصّ المقام بالذّكر في القرآن و طوى ذكر غيره، لأنّه أظهر آياته اليوم للنّاس.

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال: «من دخل الحرم من النّاس مستجيراً به فهو آمن من

١ـ علل الشّرايع ٢: ٣٩٧، الباب: ١٣٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٢: ١٥٦، الحديث: ٦٧٠؛ والكافي ٤: ١٨٩، الحديث: ٧؛ والعيّاشي ١: ١٨٦، الحديث: ٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٤: ٢٢٣، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٨٧، الحديث: ٩٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ راجع: الكافي ١: ٣٤٨، الحديث: ٥؛ و علل الشّرايع ٢: ٤٢٩، الباب: ١٦٤، الحديث: ١؛ الخرايج والجرايح: ١٩٤؛ والبحار ٤٦: ٢٢و٢٩ الحديث: ٢٠، و ١١١، الحديث: ٢.

سخط الله، و من دخله من الوحش أو الطّير كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم»[١]. و في رواية: «من دخله و هو عارف بحقّنا كما هو عارف به، خرج من ذنوبه و كفي[٢] همّ الدنيا والآخرة»[٣]. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: «يعني به الحجّ والعمرة جميعاً، لأنّهما مفروضان»[٤]. ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ قال: «يعني أن يكون له ما يحجّ»[٥]. و في رواية: «من كان صحيحاً في بدنه، مخلّى سربه، له زاد و راحلة فهو ممّن يستطيع الحجّ»[٦]. و في أُخرى: «السّعة في المال، يحجّ ببعض و يبقي بعضاً يقوت به عياله»[٧]. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «يعني من ترك»[٨]. و في رواية: «هو كفر النّعم»[٩]. و في أُخرى: «تارك الحجّ و هو مستطيع كافر»[١٠]. و في أُخرى: «من مات و لم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه، فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً»[١١].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه الحقّ المامور بسلوكه ﴿مَنْ

١ـ الكافي ٤: ٢٢٦، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٨٩، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ج»: «كفي به».
٣ـ العيّاشي ١: ١٩٠، الحديث: ١٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «كما هو عارف له ...».
٤ـ الكافي ٤: ٢٦٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٢٦٦، الحديث: ١؛ والتّوحيد «للصدوق»: ٣٥٠، الباب: ٥٦، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٩٢، الحديث: ١١١، و فيه: «فهو مستطيع للحجّ»؛ والكافي ٤: ٢٦٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٩٢، الحديث: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ التّهذيب ٥: ١٨، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ١: ١٩٣، الحديث: ١١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٦٦، ذيل الحديث: ٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
١١ـ الكافي ٤: ٢٦٨، الحديث: ١؛ والتّهذيب ٥: ١٧، الحديث: ٤٩، و٤٦٢، الحديث: ١٦١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ءَامَنَ﴾. قيل: كانوا يفتنون المؤمنين و يحرّشون[١] بينهم حتّى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهليّة، من التّعادي والتّحارب، ليعودوا لمثله، و يحتالون لصدّهم عنه[٢]. ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: طالبين لها اعوجاجاً ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أنّها سبيل الله، أو عدول عند أهل ملّتكم يثقون بأقوالكم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الخيانة والحيل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾. قيل: نزلت في نفر من الأوس والخزرج، أغرى بينهم يهوديّ و ذكرهم محارباتهم بينهم في الجاهليّة، فتفاخروا و تغاضبوا بعد تألّفهم و اجتماعهم[٣].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: «بأن يطاع ولا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر»[٤]. و في رواية: «إنّها منسوخة بقوله تعالى: "إتّقوا اللّه ما استطعتم"»[٥]. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام بالتّشديد[٦]. قال: «مسلّمون لرسول الله ﷺ ثمّ الإمام من بعده»[٧]. و في رواية: «مستسلمون لما أتى به النّبيّ منقادون له»[٨].

١ ـ التّحريش: الإغراء بين القوم والكلاب و تهييج بعضها على بعض. مجمع البحرين ٤: ١٣٣؛ و لسان العرب ٦: ٢٧٩ (حرش).
٢ـ البيضاوي ٢: ٣٣؛ والكشّاف ١: ٤٤٩.
٣ـ البيضاوي ٢: ٣٣؛ والكشّاف ١: ٤٥٨.
٤ ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٠؛ و معاني الأخبار: ٢٤٠، باب معنى اتّقاء الله حقّ تقاته، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢١؛ والقمّي ١: ١٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة التّغابن (٦٤): ١٦.
٦ و٨ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٩٣، الحديث: ١١٩، عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليهما السّلام.

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ القمّي: الحبل: التّوحيد والولاية [١]. و في رواية: «آل محمّد حبل الله المتين الّذي أمر الله بالاعتصام به، فقال: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا"» [٢]. و في أُخرى: «نحن الحبل» [٣]. و في أُخرى: «حبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام و ذلك قول الله: "إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ"» [٤].

أقول: مآل الكلّ واحد، كما يدلّ عليه حديث: «حبلين ممدودين، و أنّهما لن يفترقا» [٥].

﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾: ولا تتفرّقوا عن الحقّ بإيقاع الاختلاف بينكم. قال: «إنّ الله تبارك و تعالى علم أنّهم سيفترقون بعد نبيّهم و يختلفون، فنهاهم عن التّفرّق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمّد ﷺ» [٦].

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ في الجاهليّة ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ متحابّين في الله ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: مشفين [٧] على الوقوع في نار جهنّم لكفركم ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ قال: «بمحمّد، هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد» [٨]. ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ اهتداءً بعد اهتداء.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ

١ـ القمّي ١: ١٠٨.
٢ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٣ عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٢٧٨، الجزء العاشر؛ والبحار ٢٤: ٨٤، الحديث: ٣و٥؛ و مناقب آل أبي طالب ٣: ٧٥ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ معاني الأخبار: ١٣٢، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام. والآية في سورة الإسراء (١٧): ٩.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٢، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ١٠٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة: «ولا يتفرّقوا» في آخرها.
٧ـ شفا ـ بالقصر ـ: طرف الشيء و جانبه، يقال: «شفا جرف»، «شفابئر» و «شفاواد». و مشفين أي: مشرفين. و منه: أشفى المريض على الموت. مجمع البحرين ١: ٢٤٧ (شفا)؛ و لسان العرب ١٤: ٤٣٦ (شفي).
٨ـ الكافي ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. قال: «هذه خاصّ غير عامّ. كما قال الله: "وَمِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[١]. و لم يقل: على أُمّة موسى. قال: إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضَّعَفَة الّذين لا يهتدون سبيلاً إلى أيّ من أيّ. و قال: و ليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج، إذا كان لا قوّة له ولا عُدَد ولا طاعة»[٢]. و في رواية: «فهذه لآل محمّد و من تابعهم»[٣]. و في أُخرى: «إنّما يؤمر بالمعروف و يُنهى عن المنكر مؤمن فيتّعظ، أو جاهل فيتعلّم؛ فأمّا صاحب سوط و سيف فلا»[٤]. و ورد: «لا يزال النّاس بخير ما أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و تعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، و سلّط بعضهم على بعض، و لم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء»[٥].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ كاليهود والنّصارى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: فيقال لهم: اكفرتم؟ ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. قال: «هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه الأُمّة»[٦].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

١ـ الاعراف (٧): ١٥٩.
٢ـ الكافي ٥: ٥٩، الحديث: ١٦ عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.
٣ـ القمّي ١: ١٠٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٥: ٦٠، الحديث: ٢ عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «و أمّا صاحب سوطٍ أو سيفٍ فلا».
٥ـ التّهذيب ٦: ١٨١، الحديث: ٣٧٣، عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و ليست فيه: «الآراء الباطلة».

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾. الكون فيها يعمّ الأزمنة[1]. ورد: «إنّها نزلت خير أئمّة»[2]. و في رواية: «أنتم خير أُمّة ـ بالألف ـ نزل بها جبرئيل، و ما عني بها إلاّ محمّداً و عليّاً والأوصياء من ولده»[3]. ﴿أُخْرِجَتْ﴾: اظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيماناً بالله و تصديقاً به و إظهاراً لدينه ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمرّدون في الكفر.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: ضرراً يسيراً كطعن و تهديد ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾: ينهزموا ولا يضرّوكم بقتل و أسر ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا احد يدفع بأسكم عنهم و كان الأمر كذلك.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾: وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾. قال: «الحبل من الله كتاب الله، والحبل من النّاس عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[4]. ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا به مستوجبين له ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. قال: «والله ما قتلوهم بأيديهم، ولا ضربوهم بأسيافهم، و لكنّهم سمعوا احاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقُتلوا، فصار قتلاً و اعتداءاً و معصيةً»[5].

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ في دينهم ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ على الحقّ و هم الّذين أسلموا منهم ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يعني يتلونها في تهجّدهم.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ

١ـ في «ج»: «جميع الأزمنة».
٢ ـ العيّاشي ١: ١٩٥، الحديث: ١٢٨؛ والقمّي ١: ١١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المناقب (لابن شهر آشوب) ٤: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣١؛ و تفسير فرات الكوفي: ٩٢، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٢: ٣٧١، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في العيّاشي: «و ما ضربوهم بأيديهم و لاقتلوهم بأسيافهم».

فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾. وصفهم بصفات ليست في اليهود. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: فلن يضيع ولا ينقص ثوابه. سمّى ذلك كفراً كما سمّى توفية الثّواب شكراً. ورد: «إنّ المؤمن مكفّر، و ذلك أنّ معروفه يصعد إلى الله فلا ينتشر في النّاس، والكافر مشكور[1]، و ذلك أنّ معروفه للنّاس ينتشر في النّاس ولا يصعد إلى السّماء»[2]. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ بشارة لهم و إشعار بأنّ التّقوى مبدأ الخير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ عقوبة لهم. شبّه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفّار ضربته برد شديد من سخط الله، فاستأصلته و لم يبق[3] لهم فيه منفعة في الدّنيا ولا في الآخرة. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: المنفقين بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمّا لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً﴾: وليجة[4]، و هو الّذي يعرّفه الرّجل أسراره ثقة به. شبّه ببطانة الثّوب، كما يشبّه بالشّعار. ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: من دون المسلمين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾: تمنّوا عنتكم، و هو شدّة الضّرر و المشقّة ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: من كلامهم، لأنّهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ ممّا بدا ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١ـ الكافي: «مشهور» بدل: «مشكور».

٢ـ علل الشّرايع ٢: ٥٦٠، الباب: ٣٥٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ في «الف»: «لم تبق».

٤ـ وليجة الرّجل: بطانته و دخلاؤه و خاصّته و ما يتّخذه معتمداً عليه. مجمع البحرين ٢: ٣٣٥؛ و لسان العرب ٢: ٤٠٠ (ولج).

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ ﴾ الخاطئون في موالاة الكفّار ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ كتابكم و كتابهم، و هم لا يؤمنون بكتابكم. فيه توبيخ بأنّهم في باطلهم أصلب منكم في حقّكم. ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ نفاقاً و تغديراً ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ ﴾ تأسّفاً و تحسّراً، حيث رأوا إيتلافكم و اجتماع كلمتكم و لم يجدوا إلى التّشفّي سبيلاً. ﴿ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ ﴾: نعمة من ألفة[1] أو ظفر على الأعداء ﴿تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ ﴾: محنة ﴿يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ ﴾ على عداوتهم ﴿وَتَتَّقُواْ ﴾ موالاتهم و مخالطتهم ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ ﴾ لما وعد الله الصّابرين والمتّقين من الحفظ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾.

﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ ﴾: واذكر إذ غدوت ﴿ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾: تهيّىء لهم ﴿مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ ﴾: مواقف و اماكن له ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنيّاتكم.

«كان ذلك في غزوة أُحد حين خرجت قريش من مكّة يريدون حربه فخرج يبتغي موضعاً للقتال، و كان عبّا[2] أصحابه، و كانوا سبعمأة رجل، فوضع «عبدالله بن جبير» في خمسين من الرّماة على باب الشّعب[3]، و أشفق أن يأتيهم كمينهم من ذلك المكان، فقال لهم: لا تبرحوا من هذا المكان و الزموا مراكزكم. فلمّا انهزمت قريش و وقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم ينهبون[4]، قال أصحاب «عبدالله بن جبير» لعبد الله:

١ـ في «ألف»: «من الله».
٢ـ عبّأ المتاع والأمر: هيّأه، والجيش: جهّزه. القاموس المحيط ١: ٢٣؛ و لسان العرب ١: ١١٨ (عبا).
٣ـ الشّعب ـ بكسر الشّين ـ: الطّريق في الجبل و مسيل الماء في بطن أرض او ما انفرج بين الجبلين. القاموس المحيط ١: ٩١؛ و مجمع البحرين ٢: ٩٠؛ و لسان العرب ١: ٤٩٩ (شعب).
٤ـ السّواد: الشّخص والمال الكثير. «مجمع البحرين ٣: ٧٢؛ و لسان العرب ٣: ٢٢٥». والنّهب: الغنيمة. و نَهَبَ النَّهْبَ: أخذه. «مجمع البحرين ٢: ١٧٨؛ و لسان العرب ١: ٧٧٣». والمعنى أنّ أصحاب عبدالله بن جبير لمّا نظروا إلى أصحاب رسول الله يأخذون الأموال الكثيرة المتروكة في ساحة القتال من المشركين قالوا لعبد الله: قد غنم أصحابنا، و نحن نبقى بلا غنيمة.

قد غنم أصحابنا، و نحن نبقى بلا غنيمة. فقال لهم: اتّقوا الله فإنّ رسول الله قد تقدّم إلينا الّا نبرح، فلم يقبلوا منه و أقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتّى أخلوا مراكزهم، و بقي «عبدالله» في اثنى عشر رجلاً، فانحطّ[1] «خالد بن الوليد» و فرّق أصحابه و بقي في نفر قليل، فقتلهم على باب الشّعب، و أتى المسلمين من أدبارهم، فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة عظيمة، فكشف رسول الله البيضة عن رأسه و قال: إليّ أنا رسول الله، إلى أين تفرّون؟ عن الله و عن رسوله؟ و لم يبق معه إلّا أبو دُجانة و عليّ عليه السلام، فلم يزل عليّ يقاتلهم حتّى أصابه في وجهه و رأسه و يديه و بطنه و رجليه سبعون جراحة». كذا ورد[2].

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾: أن تجبُنا و تضعفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فليعتمدوا عليه في الكفاية.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ هو ما بين مكّة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. قال: «و ما كانوا أذلّة، وفيهم رسول الله و إنّما نزل و أنتم ضعفاء»[3]. و في رواية: «ليس هكذا أنزلها الله، إنّما أُنزلت و أنتم قليل»[4].

أقول: لعلّ المراد أنّها نزلت بهذا المعنى. و ورد: «إنّ عدّتهم كانت ثلثماة و ثلاثة عشر»[5].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الثّبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما انعم به عليكم.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.

١ـ حطَطتُ الرَّحْلَ: انزلته من علوّ إلى سفل، و منه «فانحطّ الرّجل و هو قائم في صلاته. مجمع البحرين ٤: ٢٤٢؛ و لسان العرب ٧: ٢٧٣ (حطط).

٢ـ القمّي ١: ١١٤ ـ ١١٦؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٥، عن ابي عبدالله عليه السلام. و في القمّي: «تسعون جراحة».

٣ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٥؛ والقمّي ١: ١٢٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٣ و ١٣٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٥ـ راجع: الغيبة (للنّعماني): ٣١٥؛ والدّرّ المنثور ٢: ٣٠٧؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٨؛ والقمّي ١: ٢٥٧.

﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم﴾ أي: المشركون ﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾: من ساعتهم هذه ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: معلّمين. من التّسويم بمعنى إظهار سيماء الشّيء. قال: «كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر»[1].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ﴾ بالنّصر ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لا من العُدَّةِ والعدَّةِ ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الّذي لا يغالب ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ الّذي ينصر و يخذل على مقتضى الحكمة.

﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: لينتقص منهم بقتل بعض و أسر بعض. ورد: «إنّه قتل منهم يوم بدر سبعون من صناديدهم و أُسر سبعون»[2]. ﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾: أو يخزيهم. والكبت شدّة غيظ أو وهن يقع في القلب. ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾: فينهزموا منقطعي الآمال.

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ اعتراض[3] ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن أسلموا ﴿أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾ إن أصرّوا ﴿فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾: قد استحقّوا التّعذيب بظلمهم. ورد: «إنّه لمّا أخبر الله نبيّه ﷺ أن يظهر ولاية عليّ عليه السلام ففكّر في عداوة قومه له فيما فضّله الله به عليهم في جميع خصاله، و حسدهم له عليها، ضاق عن ذلك، فأخبر الله أنّه ليس له من هذا الأمر شيء، إنّما الأمر فيه إلى الله أن يصيّر عليّاً وصيّه و وليّ الأمر بعده، فهذا عنى الله، و كيف لا يكون له من الأمر شيء و قد فوّض الله إليه أن جعل ما أحلّ فهو حلال، و ما حرّم فهو حرام، قوله: "ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما

١ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: القمّي ١: ٢٦٧؛ والعيّاشي ١: ٢٠٥ الحديث: ١٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ لعلّ المراد أنّه اعتراض بين الكلامين فيكون قوله: «أو يتوب عليهم» متّصل بقوله: «ليقطع طرفاً»، فيكون التّقدير: ليقطع طرفاً منهم، أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذّبهم؛ فإنّهم قد استحقّوا العذاب، و ليس لك أي ليس لك من هذه الأربعة شيء، و ذالك إلى الله تعالى. «مجمع البيان ١ـ ٢: ٥٠٠ـ ٥٠١؛ والبيضاوي ٢: ٤٢».

نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» [١] . و في قراءتهم عليهم السّلام: «ليس لك من الأمر شيء إن يتب عليهم أو يعذّبهم» [٢] . و في أُخرى: «أن تتوب عليهم أو تعذّبهم» [٣] . بالتّاء فيهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾. قيل: كان رجل منهم يربي إلى اجل، ثمّ يزيد فيه إلى آخر حتّى يستغرق بقليله مال المديون [٤] . ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما نهيتم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال: «إلى أداء الفرائض» [٥] . ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: «إذا وضعتا مبسوطتين». كذا ورد [٦] . ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. قال: «فإنّكم لن تنالوها إلاّ بالتّقوى» [٧] .

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: في أحوالهم جميعاً ما تيسّر لهم من قليل أو كثير ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: سيّئة بالغة في القبح كالزّنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب أعظم من الزّنا ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: تذكّروا وعيده

١ـ العيّاشي ١: ١٩٧، الحديث: ١٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الحشر (٥٩): ٧.
٢ و ٣ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤١ عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٤٦٣؛ والبيضاوي ٢: ٤٢.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الخصال ٢: ٦٣٣، ذيل الحديث: ١٠ (حديث اربعمائة) عن أبي عبدالله عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.

وحقّه العظيم ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالندم والتوبة ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. استفهام بمعنى النفي معترض، لينبّه بسعة رحمته و عموم مغفرته. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾: و لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين. قال: «الاصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة»[1]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: عالمين به.

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. ورد: «إنها نزلت في نبّاش زنى بميّتة ثمّ ندم، فأتى بعض جبال المدينة فتعبّد فيها و لبس مِسْحاً[2] و غلّ يديه جميعاً إلى عنقه ينادي ربّه و يبكي و يحثّ التّراب على رأسه، و قد أحاطت به السبّاع و صفّت فوقه الطّير و هم يبكون لبكائه أربعين يوماً»[3]. هذا ملخّص القصّة.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: وقايع سنّها الله تعالى في الأمم المكذّبة ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «انظروا في القرآن»[4]. ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قال: «يعني ما أخبركم عنه»[5].

﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ عامة ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصّة.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: و لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم يوم أُحُد ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على من قتل منكم ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ فإنّكم على الحقّ، و قتالكم لله، و قتلاكم في الجنّة. و إنّهم على الباطل، و قتالهم للشّيطان، و قتلاهم في النّار. و إنّكم أصبتم منهم يوم بدر

١ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٤؛ والكافي ٢: ٢٨٨، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة: «فذلك الإصرار» في آخرها.
٢ـ المِسْح: الكساء من شعر؛ ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشّفاً و قهراً للجسد؛ البلاس يقعد عليه. المنجد في اللغة: ٧٦٠ (مسح).
٣ـ الامالي (للصّدوق): ٤٦، المجلس الحادي عشر، الحديث: ٣، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.
٤و٥ـ الكافي ٨: ٢٤٩، الحديث: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أكثر [1] ممّا أصابوا منكم اليوم. و إنّكم منصورون في العاقبة غالبون. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن صحّ إيمانكم.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ ـ بالفتح والضمّ ـ لغتان. و قيل: بالفتح الجراح و بالضمّ ألمها [2]. ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ يعني إن أصابوا منكم، فقد أصبتم منهم ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾: أوقات النصر والغلبة ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نصرّفها بينهم، نديل لهؤلاء تارة و لهؤلاء أخرى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: ليكون كيت و كيت من المصالح، و ليتميّز الثّابتون على الايمان من الّذين على حرف، و يعلم الله ذلك حين يشاهده النّاس كما يعلمه من قبل و من بعد. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾: و يكرم ناساً منكم بالشّهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. اعتراض، فيه تنبيه على أنّه لا ينصرهم على الحقيقة و إنّما يديل لهم أحياناً استدراجاً لهم و ابتلاءاً للمؤمنين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ليطهّرهم و يصفّيهم من الذّنوب إن كانت الدّولة عليهم. ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: و يهلكهم إن كانت عليهم. والمحق: نقص الشّيء قليلاً قليلاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾. إنكار، يعني لا تحسبوا ﴿أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: و لمّا يجاهد من يجاهد و يصبر من يصبر.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ للشّهادة [3] ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم. ورد: «إنّ المؤمنين لمّا

١ـ في «الف»: «اكبر».
٢ـ التّبيان ٢: ٦٠٠؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٨؛ والكشّاف ١: ٤٦٥.
٣ـ في «ب» و «ج»: «بالشّهادة».

أخبرهم الله بما فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنّة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللّهمّ أرنا قتالاً نستشهد فيه. فأراهم الله إيّاه يوم أُحُد، فلم يثبتوا إلاّ من شاء الله منهم، فذلك قوله: "وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ" الآية»[1].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: ارتددتم عن الدّين. قيل: كان سبب ارتدادهم و انهزامهم نداء إبليس فيهم أنّ محمّداً قد قُتِلَ[2]، و كان ﷺ في زحام النّاس، و كانوا لا يرونه. ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ بارتداده بل يضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ كأمير المؤمنين و من يحذو حذوه عليهم السّلام. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ تلا هذه الآية في خطبة الغدير، ثمّ قال: ألا و إنّ عليّاً هو الموصوف بالصّبر والشّكر، ثمّ من بعده ولدي من صلبه»[3].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾: كتب كتاباً موقّتاً لا يتقدّم ولا يتأخّر ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: تعريض بمن شغلته الغنائم يوم أُحُد، و كان ذلك سبب انهزام المسلمين. ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾: و كم من نبيّ ﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾: ربانيّون علماء أتقياء، و في قراءتهم عليهم السّلام: «قُتِلَ مَعَهُ»[4]. ﴿كَثِيرٌ﴾ قال: «ألوف و ألوف، ثمّ قال: أي والله يقتلون»[5]. ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ في الدّين و عن العدوّ ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: و ما خضعوا للعدوّ، و هو تعريض بما أصابهم عند

١ـ القمّي ١: ١١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٣؛ والبيضاوي ٢: ٤٦.
٣ـ الاحتجاج ١: ٧٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤و٥ـ العيّاشي ١: ٢٠١، الحديث: ١٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الإرجاف[١] بقتله ﷺ. قال: «بيّن الله سبحانه أنّه لو كان قتل ﷺ كما أُرجف بذلك يوم أُحُد، لما أوجب ذلك أن يضعفوا أو يهنوا، كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم»[٢].

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فينصرهم في العاقبة و يعظّم قدرهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ مع ثباتهم و قوّتهم في الدّين و كونهم ربّانيّين ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. أضافوا الذّنوب والإسراف إلى أنفسهم هضماً لها، و إضافةً لما أصابهم إلى سوء أعمالهم، واستغفروا عنها ثمّ طلبوا التّثبيت في مواطن الحرب والنّصر على العدوّ، ليكون عن خضوع و طهارة فيكون أقرب إلى الإجابة.

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾: النّصر والغنيمة و حسن الذّكر في الدّنيا، والجنّة والنّعيم في الآخرة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أقوالهم وأفعالهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. قال: «نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أُحُد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وارجعوا إلى دينهم»[٣].

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾. قيل: هو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحُد حتّى تركوا القتال و رجعوا من غير سبب[٤]. و ورد:

١ـ رَجَفَ: حرك و تحرك واضطرب شديداً، و رجفت الارض: زُلْزِلَتْ كارجفت، والقوم: تهيّؤا للحرب. القاموس المحيط ٣: ١٤٧ (رجف).
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٥١٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٤٧٠؛ والبيضاوي ٢: ٤٧.

«نصرت بالرّعب مسيرة شهر»[1]. ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: آلهة ليس على إشراكها حجّة نازلة من الله عليهم. أُريد نفي الحجّة و نزولها جميعاً. ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ أي: وعده إيّاهم بالنّصر بشرط التقوى و الصّبر؛ و كان كذلك حتّى خالفوا الرّماة، فإنّ المشركين لمّا أقبلوا، جعل الرّماة يرشقونهم[2]، والباقون يضربونهم بالسّيف حتّى انهزموا، و المسلمون على آثارهم ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: تقتلونهم بإذن الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبُنتُم وضعف رأيكم بالميل إلى الغنيمة ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ يعني اختلاف الرّماة حين انهزام المشركين. فقال بعضهم: فما موقفنا هاهنا؟ و قال آخرون: لا نخالف أمر الرّسول. فثبت مكانه أميرهم في نفر يسير، ونفر الباقون للنّهب. ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾: من الظّفر و الغنيمة و انهزام العدوّ. و جواب «إذا» محذوف، و هو امتحنكم. ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ و هم التّاركون المركز لحيازة الغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ و هم الثّابتون محافظة على أمر الرّسول ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفّكم عنهم حين غلبوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ على المصائب و يمتحن ثباتكم على الإيمان عندها ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ تفضّلاً، و لما علم من ندمكم على المخالفة ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يتفضّل عليهم بالعفو و غيره، سواء أُديل[3] لهم أو عليهم، إذ الابتلاء أيضاً رحمة.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ متعلّق بـ«صرفكم». و الإصعاد: الذّهاب و الإبعاد في الأرض. ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾. كان يقول: إليّ عباد الله! أنا رسول الله، إلى أين تفرّون؟ عن الله وعن رسوله؟. و في رواية:

١ـ الخصال ١: ٢٠١، الحديث: ١٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٩، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ الرّشق ـ بالفتح فالسكون ـ: الرّمي. مجمع البحرين ٥: ١٦٩؛ و لسان العرب ١٠: ١١٦ (رشق).
٣ـ دالت الأيّام: دارت. والله يداولها بين النّاس، أي: يديرها. و أديل لنا على أعدائنا، أي: نصرنا عليهم. مجمع البحرين ٥: ٣٧٤؛ و لسان العرب ١١: ٢٥٢ (دال).

«من يكرّ فله الجنّة»[1]. ﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾: فجازاكم الله عن فشلكم و عصيانكم غماً متّصلاً بغمّ. ورد: «الغمّ الأوّل: الهزيمة و القتل، والغمّ الآخر: إشراف «خالدبن الوليد» عليهم»[2]. ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا﴾ على ﴿مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ﴾ من قتل إخوانكم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا﴾: أمناً حتّى أخذكم النّعاس ﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ و هم المؤمنون حقّاً. روي: «انّه غشيهم النّعاس في المصافّ حتّى كان السّيف يسقط من يد أحدهم فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه»[3]. ﴿وَطَآئِفَةٞ﴾ و هم المنافقون ﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾: أوقعتهم أنفسهم في الهموم. إذ ما بهم إلاّ همّ أنفسهم و طلب خلاصها ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾: يظنّون انّ أمر محمّد مضمحلّ و انّه لا ينصر ﴿ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾: ظنّ اهل الملّة الجاهليّة، أي: الكفّار.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾: هل لنا في تدبير[4] أنفسنا و تصريفها اختيار؟ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ﴾: يظهرون أنّهم مسترشدون طالبون النّصر، و يبطنون الإنكار و التّكذيب ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾: لن نبرح من المدينة بل أقمنا فيها، ما غلبنا و ما قتل من قتل منّا في هذه المعركة. ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾: إلى مصارعهم و لم ينفع الإقامة با لمدينة ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾: و ليمتحن الله و يظهر سرايركم من الإخلاص و النّفاق فعل ما فعل.

١ـ الكشّاف ١: ٤٧١؛ و البيضاوي ٢: ٤٨.
٢ـ القمّي ١: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ٤٨؛ والكشّاف ١: ٤٧١، عن أبي طلحة؛ والدرّ المنثور ٢: ٣٥٣؛ و السّنن للترمذي ٤: ٢٩٧، الحديث: ٤٠٩٥.
٤ـ في «ب» و «ج»: «من تدبير».

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ : و ليكشفه و يميّزه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ : عليم بخفيّاتها قبل إظهارها. و فيه وعد و وعيد و تنبيه على أنّه غنيّ عن الابتلاء، و إنّما فعل ذلك لتمرين المؤمنين و إظهار حال المنافقين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ : انهزموا ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ : يوم أُحُد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ : حملهم على الزّلّة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من معصيتهم النبيّ ﷺ بترك المركز و الحرص على الغنيمة و غير ذلك، فمنعوا التّأييد و قوّة القلب. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم و اعتذارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذّنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ : لا يعاجل بالعقوبة لكي يتوب المذنب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ : لأجلهم و فيهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ : إذا سافروا فيها و ماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ : غازين فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ﴾. اللاّم للعاقبة. ﴿ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، لا الإقامة و السّفر؛ فإنّه تعالى قد يحيي المسافر و الغازي و يميت المقيم و القاعد. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ في سبيله ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من منافع الدّنيا لو لم تموتوا أو تقتلوا.

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على أيّ وجه اتّفق ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ في جميع الأحوال.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾. «ما» المزيدة للتّأكيد. بلغ لينه لهم إلى أن اغتمّ لهم بعد ما خالفوه. ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ : سيّئ الخلق جافياً ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ : قاسية ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ : لتفرّقوا عنك و لم يسكنوا إليك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصّ بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ : في أمر الحرب و غيره ممّا يصحّ أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم و تطييباً لنفوسهم و تمهيداً لسنّة المشاورة للأمّة.

ورد: «لا وحدة أوحش من العجب و لا مظاهرة أوثق من المشاورة»[1]. «من شاور الرّجال شاركها في عقولها، من استبدّ برأيه هلك»[2]. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنّه لا يعلمه سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فينصرهم و يهديهم إلى الصّلاح.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾: لا ناصر لكم من بعد الله إذا جاوزتموه، أو من بعد خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فليخصّوه بالتّوكّل لمّا آمنوا به و علموا أن لا ناصر سواه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: و ما صحّ لنبيّ أن يخون في الغنائم، فإنّ النّبوّة تنافي الخيانة. و الغلول: أخذ الشّيء من المغنم في خفية. ورد: «إنّ قطيفة حمراء فقدت من الغنيمة يوم بدر، فقال رجل من الأصحاب: ما أظنّ إلّا رسول الله أخذها، فنزلت؛ فجاء رجل فقال: إنّ فلاناً غلّ قطيفة فأحفرها هنالك، فأمر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة»[3]. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. قال: «إنّه يراه يوم القيامة في النّار ثمّ يكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النّار»[4]. ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: تعطى جزاء ما كسبت وافياً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بالطّاعة ﴿كَمَن بَاءَ﴾: رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بالمعصية ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. قال: «الّذين اتّبعوا رضوان

١ـ التّوحيد (للصّدوق): ٣٧٦، الباب: ٦٠، ذيل الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن النّبي ﷺ؛ و نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٨٨، الحكمة: ١١٣.
٢ـ نهج البلاغة (للصّبحي صالح): ٥٠٠، الحكمة: ١٦١، مع تقدّم و تأخّر.
٣ـ القمّي ١: ١٢٦، و فيه: «فاخباها» بدل: «فاحفرها».
٤ـ المصدر: ١٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

الله هم الائمّة، و هم و الله درجات للمؤمنين، و بولايتهم و معرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم، و يرفع الله لهم الدّرجات العلى؛ و الّذين باؤوا بسخط هم الّذين جحدوا حقّ علّي و الائمّة منّا أهل البيت»[١]. و قال: «الدّرجة ما بين السّماء والأرض»[٢].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾: انعم الله ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهّرهم من سوء العقايد و الأخلاق و الأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾:القرآن و السنّة ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾: و إنّه كانوا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾. الهمزة للتّقريع و التقرير. قال «كان المسلمون قد أصابوا ببدر ماة و أربعين رجلاً: قتلوا سبعين و أسروا سبعين؛ فلمّا كان يوم أحد أُصيب من المسلمين سبعون، فاغتمّوا لذلك فنزلت»[٣]. ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾: من أين هذا أصابنا و قد وعدنا الله النّصر؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: «باختياركم الفداء يوم بدر»[٤]. القمّي: و كان الحكم في الأُسارى يوم بدر، القتل، فقامت الأنصار فقالوا: يا رسول الله هبهم لنا، و لا تقتلهم حتّى نفاديهم، فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء القوم و يطلقوهم على أن يستشهد منهم في عام قابل بقدر من يأخذون منه الفداء فأخبرهم رسول الله ﷺ بهذا الشّرط، فقالوا: قد رضينا به نأخذ العام الفداء من هؤلاء و نتقوّى به و يقتل منّا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء وندخل الجنّة. فأخذوا منهم الفداء و أطلقوهم، فلمّا كان يوم أحد قتل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون؛ فقالوا: يا رسول الله ما هذا الّذي أصابنا و قد كنت تعدنا النّصر؟

١ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث: ٨٤؛ و العيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث: ١٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث: ١٥٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ المصدر، الحديث: ١٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٣٣، عن أمير المؤمنين و أبي جعفر عليهما السّلام.

فنزلت[1]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النّصر و منعه، و على أن يصيب بكم و يصيب منكم.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: يوم أُحد ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾: و ليتميّز الفريقان ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ اي: للمنافقين ﴿تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ عن الأنفس و الأموال ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾. قالوه دغلاً و استهزاءاً لزعمهم انّ ما يفعلونه ليس بقتال بل إلقاء بالأنفس إلى التّهلكة. ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ كما يظهر من كلامهم هذا ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النّفاق و ما يخلو به بعضهم إلى بعض فإنّه يعلمه مفصّلاً بعلم واجب، و انتم تعلمونه مجملاً بامارات.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأجلهم و فيهم. يريد من قتل يوم أُحد. ﴿وَقَعَدُوا۟﴾: حال كونهم قاعدين عن القتال: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعود ﴿مَا قُتِلُوا۟﴾ كما لم نقتل ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟﴾: فادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ انّكم تقدرون على دفع القتل و أسبابه عمّن كتب عليه، فإنّه أحرى بكم. يعني انّ القعود غير مغن.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾. قال: «نزلت في شهداء بدر و أُحد جميعاً»[2].

أقول: و تشمل كلّ من قتل في سبيل من سبيل الله عزّوجلّ، سواء كان قتله بالجهاد الأصغر و بذل النّفس طلباً لرضا الله، أو بالجهاد الأكبر و كسر النّفس و قمع الهوى بالرّياضة.

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ذوو قرب منه ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الجنّة.

١ـ القمّي ١: ١٢٦.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٣٥، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ و هو شرف الشّهادة، و الفوز بالحياة الأبديّة، والقرب من الله، و التّمتّع بنعيم الجنّة. ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من إخوانهم المؤمنين الّذين تركوهم و لم ينالوا درجاتهم بعد ﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. قال: «هم و الله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة و استقبلوا الكرامة من الله عزّ وجلّ، علموا و استيقنوا أنّهم كانوا على الحقّ و على دين الله عزّ ذكره، فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين»[1].

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾: وزيادة ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ «و ذلك أنّ النّبيّ ﷺ كان قد واعد أبا سفيان القتال في العام المقبل بعد وقعة أحد ببدر الصّغرى، فخرج أبو سفيان في أهل مكّة حتّى نزل مَجَنّة[2]، ثمّ ألقى الله عليه الرّعب، فبدا له في الرّجوع، فلقي نُعَيم بن مسعود الأشجعي، فقال له إلحق بالمدينة فثبّط[3] أصحاب محمّد عن القتال، و لك عندي عشرة من الإبل. فأتى نعيم المدينة، فوجد النّاس يتجهّزون لميعاد أبي سفيان، فقال لهم: بئس الرّأي رأيتم[4]. أتوكم في دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم الأ شريد، فتريدون أن تخرجوا، و قد جمعوا

١ـ القمّي ١: ١٢٧؛ والكافي ٨: ١٥٦، الحديث: ١٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام. و فيه: «... عزّوجلّ، واستبشروا ...».
٢ـ مَجَنّة: اسم سوق للعرب كان في الجاهليّة و كانت بمرّ الظّهران قرب جبلٍ يقال له الأصفر و هو بأسفل مكّة على قدر بريد منها. معجم البلدان ٥: ٥٨ (مَجَنّة).
٣ـ ثبّطهم: حبسهم بالجبن، و ثبّطه عن الأمر: اثقله وأقعده. مجمع البحرين ٢: ٢٤٠؛ و لسان العرب ٧: ٢٦٧ (ثبط).
٤ـ في المصدر: «رأيكم».

لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت [١] منكم أحد. فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج. فقال رسول الله ﷺ: و الّذي نفسي بيده لأخرجنّ و لو وحدي، فأمّا الجبان فإنّه رجع، وأمّا الشّجاع فإنّه تأهّب للقتال. و قال: حسبنا الله و نعم الوكيل. فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتّى وافى بدر الصّغرى، فاقام به ينتظر أبا سفيان، و قد انصرف أبو سفيان من مجنّة إلى مكّة، فلم يلق رسول الله ﷺ و أصحابه أحداً من المشركين ببدر، و وافوا السّوق، و كانت لهم تجارات فباعوا و أصابوا الدّرهم درهمين، و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، فنزلت». كذا ورد [٢].

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾: عافية و ثبات على الإيمان وزيادة فيه ﴿وَفَضْلٍ﴾: وربح في التّجارة ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من جراعة وكيد عدوّ ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بجرأتهم وخروجهم ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعني به المثبّط و هو "نُعَيْم". ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ و هم المنافقون المتخلّفون ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ﴾: أولياء الله ﴿شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. تاكيد وتعميم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾: نمهلهم و نخلّيهم و شانهم ﴿خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: مختلطين لا يعرف مخلصهم من منافقهم ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: يميز المنافق من المخلص بالتّكاليف الشّاقّة الّتي

١ـ التفلّت و الإفلات: التخلّص. مجمع البحرين ٢: ٢١٣؛ و لسان العرب ٢: ٦٦ (فلت).
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٤٠، عن أبي جعفر ﷺ.

لا يصبر عليها و لا يذعن بها إلاّ الخلّص المخلصون. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعلموا ما في القلوب من إخلاص و نفاق ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيوحي إليه و يخبره ببعض المغيبات ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ مخلصين ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾ حقّ الإيمان ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النّفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لا يقادر قدره.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: سيلزمون وباله إلزام الطّوق. قال: «ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه، ينهش [1] من لحمه حتّى يفرغ من الحساب و هو قول الله عزّ و جلّ "سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة"، يعني ما بخلوا به من الزّكاة» [2]. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: و له ما فيهما ممّا يتوارث، فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله، و لا ينفقونه في سبيله؟ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المنع و الإعطاء ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾. قيل: قاله اليهود لمّا سمعوا "مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ" [3]. القمّي: و الله ما رأوا الله فيعلموا أنّه فقير، و لكنّهم رأوا أولياء الله فقراء، فقالوا: لو كان غنيّاً لأغنى أولياءه؛ [4] ففخروا على الله بالغنى. و في رواية: «هم الّذين يزعمون أنّ الإمام يحتاج إلى ما يحملونه إليه» [5].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بإذاعة أمرهم كما مرّ [6]. ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا

١ـ النّهش: النّهس، و هو أخذ اللّحم بمقدّم الأسنان. مجمع البحرين ٤: ١٥٦؛ و لسان العرب ٦: ٣٦٠ (نهش).

٢ـ الكافي ٣: ٥٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٠٧، الحديث: ١٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ الكشّاف ١: ٤٨٤. و الآية في البقرة: ٢٤٥.

٤ـ القمّي ١: ١٢٧.

٥ـ المناقب ٤: ٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٦١.

﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل إنما يعذّب بمقتضى العدل، إن عذّب و لم يتفضّل.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾: أمرنا في التّوراة و أوصانا، و كذّبوا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: تحرقه. روي: «انّ هذه كانت معجزة لانبياء بني إسرائيل ان يقرّب بقربان، فيقوم النّبيّ فيدعو، فتنزّل نار من السّماء فتحرق قربان من قبل منه»[١]. ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. قال: «كان بين القائلين و القاتلين خمسمائة عام، فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا»[٢].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾: الحكم و المواعظ و الزّواجر ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: المشتمل على الشّرايع والاحكام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. وعد و وعيد للمصدّق و المكذّب. ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: تعطون جزاء اعمالكم خيراً كان او شرّاً تامّاً وافياً ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾: بُوعِد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالمراد ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ اي: زخارفها و فضولها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ اي: و الله لتختبرنّ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ قال: «بإخراج الزّكاة»[٣]. ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ قال: «بالتّوطين على الصّبر»[٤]. ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

١ ـ الكافي ٤: ٣٣٥، الحديث: ١٦ عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٥٤٩، عن ابن عبّاس؛ والقمّي ١: ١٢٧؛ والبيضاوي ٢: ٥٨.

٢ ـ الكافي ٢: ٤٠٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣و٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٨٩، الباب: ٣٣، ذيل الحديث: ١؛ و علل الشّرايع ٢: ٣٦٩، الباب: ٩٠، الحديث: ٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: ممّا يجب ثبات الرّأي عليه نحو إمضائه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال: «في محمّد»[1]. ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال: «إذا خرج»[2]. ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾: أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من حطام الدّنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾: يعجبون بما فعلوا ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من خير ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾ قال: «ببعيد»[3]. ﴿مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو يملك أمرهم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾: لدلائل واضحة على توحيده سبحانه، و كمال علمه و حكمته، و نفاذ قدرته و مشيّته ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذوي العقول الخالصة عن شوائب الوهم و الحسّ.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: في جميع الأحوال، و على جميع الهيئات. ورد: «من أكثر ذكر الله أحبّه الله»[4]. و في رواية: «قياماً: الصّحيح يصلّي قائماً، و قعوداً: المريض يصلّي جالساً، و على جنوبهم: الّذي يكون أضعف من المريض الّذي يصلّي جالساً»[5]. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: و يعتبرون بهما. ورد: «أفضل العبادة إدمان التّفكّر في الله و في قدرته»[6]. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

١و٢ـ القمّي ١: ١٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ١٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٤٩٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله.
٥ـ العيّاشي ١: ٢١١، الحديث: ١٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٥٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿هَٰذَا بَاطِلًا﴾: عبثاً ضائعاً من غير حكمة. يعني يقولون ذلك. ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك من العبث و خلق الباطل ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ للإخلال بالنظر فيه و القيام بما يقتضيه.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ قال: «من أئمة يسمّونهم بأسمائهم»[1].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو الرّسول ﷺ. و قيل: القرآن.[2] ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: كبائرنا، فإنّها ذات تبعات و أذناب ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: صغائرنا، فإنّها مستقبحة، ولكنّها مكفّرة عن مجتنب الكبائر ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في زمرتهم.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: منزلاً عليهم. خافوا الّا يكونوا من الموعودين. ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بان تعصمنا عمّا يقتضي الخزي ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن و إجابة الدّاعي. و تكرير «ربّنا» للمبالغة في الابتهال، والدّلالة على استقلال المطالب و علوّ شأنها. ورد في هذه الآيات: «ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتأمّل ما فيها»[3].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾: الذكر من الأنثى و الأنثى من الذكر ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الاوطان و العشاير للدّين ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ بسبب إيمانهم بالله و من أجله ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفّار ﴿وَقُتِلُوا﴾ في الجهاد ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾. ورد: «إنّها نزلت في

١ـ العيّاشي ١: ٢١١، الحديث: ١٧٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٥٧؛ والبيضاوي ٢: ٦١.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٥٤، عن النّبيّ ﷺ. و اللّوك: إدارة الشّيء في الفم مجمع البحرين ٥: ٢٨٧ «و فيه الحديث أيضاً»؛ و لسان العرب ١٠: ٤٨٥ (لاك).

عليّ و أصحابه»[1].

أقول: و تشمل كلّ من اتّصف بهذه الصفات.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي ٱلْبِلَادِ﴾: تبسّطهم في مكاسبهم و متاجرهم و مزارعهم و سعتهم في عيشهم.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: قصير مدّته، يسير في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين. ورد: «ما الدّنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بم يرجع»[2]. ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾. النّزل: ما يعدّ للنّازل من طعام و شراب و صلة. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ ممّا يتقلّب فيه الفجّار، لكثرته و دوامه و خلوصه من الآلام.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما فعله المحرّفون من أحبارهم ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ و يؤتون أجرهم مرّتين كما وعدوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. سبق معناه[3].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا﴾ قال: «على الفرائض»[4]. ﴿وَصَابِرُوا﴾ قال: «على المصائب»[5]. ﴿وَرَابِطُوا﴾ قال: «على الأئمّة»[6]. و في رواية: «اصبروا عن المعاصي و صابروا على الفرائض»[7]. و في أخرى: «صابروا على التّقيّة»[8]. و في أخرى:

١ـ القمّي ١: ١٢٩.
٢ـ البيضاوي ٢: ٦٢؛ والكشّاف ١: ٤٩١.
٣ـ في سورة البقره، ذيل الآية: ٢٠٢،
٤، ٥ و ٦ـ الكافي ٢: ٨١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢١٢، الحديث: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المصدر: ٢١٣، الحديث: ١٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

«ورابطوا الصّلوات، أي: انتظروها واحدة بعد واحدة»[1]. و ورد: «من الرّباط انتظار الصّلاة بعد الصّلاة»[2]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال: «يعني فيما أمركم به وافترض عليكم»[3].



١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن امير المؤمنين عليه السلام؛ والبيضاوي ٢: ٦٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ العيّاشي ١: ٢١٣، ذيل الحديث: ١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سورة النّساء

[مدنيّة، و هي مائة و ستّ و سبعون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾. هي آدم. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾. هي حوّاء. قال: «إنّ الله تبارك و تعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه- وكلتا يديه يمين- فخلق منها آدم، و فضل فضلة من الطّين، فخلق منها حوّاء» [2]. و في رواية: «إنّها خلقت من باطنه، و من شماله، و من الطّينة الّتي فضلت من ضلعه الأيسر» [3].

أقول: لعلّ تاويل الضّلع الأيسر الجهة الّتي تلي الدّنيا، فإنّها أضعف من الجهة الّتي تلي العقبى، ولذلك تكون جهة الدّنيا في الرّجال انقص من جهة العقبى، و بالعكس منهما في النّساء.

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾: نشر ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾. قال: «إنّ الله عزّ و جلّ أنزل على آدم حوراء من الجنّة، فزوّجها أحد ابنيه، و تزوّج الآخر ابنة الجانّ، فما كان في النّاس من جمال كثير، أوحسن خلق، فهو من الحوراء، و ما كان فيهم من سوء خلق، فهو من ابنة

1- ما بين المعقوفتين من «ب».
2- العيّاشي ١: ٢١٦، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «فضلت فضلة»
3- علل الشّرايع ٢: ٤٧١، الباب: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.

الجانّ»[١]. ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ قيل: يعني يسال بعضكم بعضاً، فيقول: أسالك بالله[٢]. ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ قال: «و اتقوا الأرحام أن تقطعوها»[٣]. و قال: «هي أرحام النّاس، إنّ الله عزّ و جلّ امر بصلتها و عظّمها، الا ترى انّه جعلها معه»[٤]. يعني قرنها باسمه في الأمر بالتّقوى. ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ قال: «حفيظاً»[٥].

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ يعني إذا بلغوا، و آنستم منهم رشداً، كما في الآية الأخرى[٦]. ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾: و لا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، بأن تتعجّلوا الحرام من اموالهم قبل ان ياتيكم الرّزق الحلال الّذي قدّر لكم. و قيل: كانوا يأخذون الرّفيع من أموالهم و يجعلون مكانه الخسيس[٧]، فنهوا عنه. ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾: مضمومة إليها يعني فيما زاد على قدر أجره، لقوله "فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ"[٨] ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾: ذنباً عظيماً.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾. ما ذكره المفسّرون في سبب نزوله و نظم محصوله لايخلو من تعسّف. و ورد: «إنّه من إسقاط المنافقين من القرآن، و بين القول في اليتامى و بين نكاح النّساء من الخطاب و القصص اكثر من ثلث القرآن»[٩].

١ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٤٠، الحديث: ١١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ١: ٤٩٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و الدرّ المنثور ٢: ٤٢٤.
٤ـ العيّاشي ١: ٢١٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ١٣٠، عن أبي الجارود؛ و تفسير فرات الكوفي: ١٠١؛ والدرّالمنثور ٢: ٤٢٤، عن ابن عبّاس.
٦ـ الآية: ٦.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣.
٨ـ النّساء(٤): ٦.
٩ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام. و جدير بالذكر انّ من المسلّم عند الشّيعة الإماميّة عدم تحريف القرآن لابالزيادة و لابالنقصان، أنظر: البيان في تفسير القرآن ـ لآية الله العظمى السيد الخوئي ره ـ: ٢١٥.

﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ : ثنتين ثنتين، و ثلاث ثلاث، و أربع أربع، تخيير في العدد لكلّ أحد إلى أربع. ورد: «إذا جمع الرّجل أربعاً فطلّق إحداهنّ فلا يتزوّج الخامسة حتّى تنقضي عدّة المرأة الّتي طلّق. و قال: لا يجمع الرّجل ماءه في خمس»[1].

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ بين هذه الأعداد، قال: «يعني في النّفقة»[2]. ﴿ فَوَٰحِدَةً ﴾ : فانكحوا واحدة وذروا الجمع ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ و إن تعدّدن، لخفّة مؤنهنّ وعدم وجوب القسم بينهنّ، و في حكمهنّ المتعة. فورد: «إنّها ليست من الأربع و لا من السّبعين و إنّهنّ بمنزلة الإماء، لأنّهنّ مستأجرات لا تطلّق ولا ترث ولا تورّث»[3]. ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ ﴾ : اقرب ﴿ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ : تميلوا أوتعيلوا.

﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ﴾ : مهورهنّ ﴿ نِحْلَةً ﴾ : عطيّة عن طيب نفس، بلا توقّع عوض. ورد: «من تزوّج امرأة و لم ينو أن يوفّيها صداقها فهو عند الله زان»[4]. ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ ﴾ : وهبن لكم عن طيب نفس ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ : سائغاً من غير غصّ[5].

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَٰلَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ : تقومون بها و تنتعشون ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ : عدة جميلة تطيب بها نفوسهم. قال: «السّفيه من لا تثق به»[6]. و في رواية: «شرّاب الخمر و النّساء»[7]. و في أُخرى: «النّساء و الولد، قال إذا علم الرّجل أنّ امرأته سفيهة مفسدة و ولده سفيه مفسد،

١ـ الكافي ٥: ٤٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٣٦٣، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ راجع: الكافي ٥: ٤٥١، الأحاديث: ١، ٤، ٥و٧، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٥٢، الحديث: ١٢٠٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ يقال: غَصَصْتُ بالماء اغصّ غَصَصاً إذا شَرِقْتَ به، أو وَقَفَ في حَلقك فَلَمْ تَكَدْ تُسيغُه. النّهاية ٣: ٣٧٠؛ و مجمع البحرين ٤: ١٧٦؛ و لسان العرب ٧: ٦٠ (غصص).
٦ـ العيّاشي ١: ٢٢٠، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٦٨، الحديث: ٥٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «شارب الخمر».

لا ينبغي له أن يسلّط واحداً منهما على ماله الّذي جعله الله له قياماً، يقول: معاشاً. قال: و المعروف العدة»[١].

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: اختبروهم قبل البلوغ بتتبّع أحوالهم في الدّين و حسن التّصرّف في المال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾: حدّاً يتأتى منهم النّكاح ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾. قال: «إيناس الرّشد: حفظ المال»[٢]. و في رواية: «الرّشد: العقل و إصلاح المال»[٣]. و في أُخرى: «من كان في يده مال بعض اليتامى، فلا يجوز له أن يعطيه حتّى يبلغ النّكاح و يحتلم، فإذا احتلم و وجب[٤] عليه الحدود، و إقامة الفرائض، و لا يكون مضيّعاً، و لا شارب خمر، و لا زانياً، فإذا آنس منه الرّشد دفع إليه المال، و أشهد عليه. و إن كانوا لا يعلمون أنّه قد بلغ فإنّه يمتحن بريح إبطه أو نبت عانته، فإذا كان ذلك فقد بلغ، فيدفع إليه ماله إذا كان رشيداً، و لا يجوز له ان يحبس عنه ماله ويعتلّ عليه أنّه لم يكبر بعد»[٥].

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾: مسرفين و مبادرين كبرهم.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ﴾ من أكلها ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بقدر حاجته و أُجرة سعيه. قال: «من كان يلي شيئاً لليتامى، و هو محتاج ليس له ما يقيمه، و هو يتقاضى أموالهم و يقوم في ضيعتهم، فليأكل بقدر، و لا يسرف، فإن كانت ضيعتهم لا تشغله عمّا يعالج لنفسه، فلا يرزأن[٦] من أموالهم شيئاً»[٧]. و في

١ـ القمّي ١: ١٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٦٤، الحديث: ٥٧٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «فاذا احتلم وجب عليه الحدود».
٥ـ القمّي ١: ١٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في الحديث: «إنّي لا ارزأ من فيئكم درهماً» اي: لاانقص شيئاً ولادرهماً. مجمع البحرين ١: ١٨٣ (رزا).
٧ـ الكافي ٥: ١٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رواية: «المعروف هو القوت، و إنّما عنى الوصيّ أو القيّم في أموالهم و ما يصلحهم»[١].

و في أخرى: «ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة، فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم، فإن كان المال قليلاً فلا يأكل منه شيئاً»[٢]. و في أُخرى: «هذا رجل يحبس نفسه لليتيم على حرث أو ماشية، و يشغل فيها نفسه، فليأكل بالمعروف، و ليس له ذلك في الدّنانير والدّراهم الّتي عنده موضوعة»[٣]. و في أُخرى: «من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة و الكفاية على جهة القرض، ثمّ يردّ عليه ما أخذ إذاوجد»[٤]. و في أخري: «كان أبي يقول: إنّها منسوخة»[٥]. ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنّهم قبضوها، فإنّه أنفى للتّهمة، و ابعد من الخصومة ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾. يعني بهم المتوارثين بالقرابة. ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾: واجباً. قيل: كانت العرب في الجاهليّة يورثون الذّكور دون الإناث، فردّالله سبحانه عليهم[٦].

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: قسمة التركة ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ممّن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ بان تلطّفوا لهم في القول و تعتذروا إليهم. قال: «نسختها آية الفرائض»[٧]. و في رواية: سئل أمنسوخة هي؟ قال: «لا، إذا حضروك فاعطهم»[٨].

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز والاستحباب.

١ ـ الكافي ٥: ١٣٠، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ١: ٢٢١، الحديث: ٣٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٠، عن قتاده و ابن جريح و ابن زيد.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المصدر: ٢٢٣، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ : أمر بأن يخشوا الله، و يتّقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم ما يحبّون أن يفعل بذراريّهم الضّعاف بعد وفاتهم. ورد: «من ظلم يتيماً سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه، ثمّ تلا هذه الآية»[١]. ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ لهم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ مثل ما يقولون لأولادهم بالشّفقة و حسن الأدب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ : ملاء بطونهم ﴿نَارًا﴾ : ما يجرّ إلى النّار ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. صَلْيُ النّار: مقاساة حرّها، و صَلَيْتُهُ: شَوَيْتُهُ. و الإصلاء: الإلقاء فيها. وسَعْرُ النّار: إلهابها. ورد: «لمّا أُسري بي إلى السّماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النّار و تخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»[٢].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ : يأمركم و يعهد إليكم و يفرض عليكم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ : في شأن ميراثهم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمع الصّنفان. قال: «لأنّهنّ يرجعن عيالاً عليهم[٣]. و لما جعل الله لها من الصّداق،[٤] و لأنّه ليس عليها جهاد ولا نفقة، ولا مَعْقُلَة، وعدّ غيرها»[٥].

أقول: استفاد أصحابنا من قوله سبحانه: «مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» انّ للبنتين الثّلثان، كما ذكره في الكافي[٦].

﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً ﴾ : ليس معهنّ ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المتوفّى منكم ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ : و لابوي المتوفّى ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ

١ـ العيّاشي ١: ٢٢٣، الحديث: ٣٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمي ١: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٧: ٨٤، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٥٣، الحديث: ٨١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٨١٦؛ والكافي ٧: ٨٥، الحديث: ٢و٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٧: ٩٦، ذيل الحديث: ٣.

﴿مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكراً كان أو أُنثى، واحداً كان أو أكثر ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾. الإخوة تقع على الإثنين فصاعداً. والأُختان بمنزلة أخ واحد؛ و لهذا ورد: «لا تحجب الأمّ عن الثّلث، و إنّ الإخوة و الاخوات لا يرثون مع الأبوين، و إنّ الوجه فيه أنّ الأب ينفق عليهم فوفّر نصيبه»[١].

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾. "او" لا يوجب التّرتيب. قال: «إنّكم تقرؤون في هذه الآية الوصيّة قبل الدّين، و إنّ رسول الله ﷺ قضى بالدّين قبل الوصيّة»[٢].

﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾. مصدر مؤكّد. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح و الرّتب ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قضى و قدّر. يعني لا تعلمون مَن أنفع لكم من أُصولكم و فروعكم، في عاجلكم و آجلكم، ممّن يورثكم و يرثكم، امَنْ أوصى منهم فعرّضكم للثّواب بإمضاء وصيّته؟ أم من لم يوص فوفّر عليكم مالاً؟ أو من أوصيتم له فوفّرتم عليه؟ أم لم توصوا له فحرمتموه؟ فتحرّوا[٣] فيهم ما وصّاكم الله به، ولا تعمدوا إلى تبديل الوصيّة، أو تفضيل بعض و حرمان بعض، فهو اعتراض مؤكّد لأمر القسمة وتنفيذ الوصيّة.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ من بطونهنّ أو من أصلاب بنيهنّ أو بطون بناتهنّ و إن سفل، ذكراً كان أو أُنثى، منكم أو من غيركم. ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾

١ـ راجع: الكافي ٧: ٩١ـ٩٢، الاحاديث: ١ و٤؛ و التّهذيب ٩: ٢٨٢، الحديث: ١٠١٩، عن ابي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ التّحرّي: القصد و الاجتهاد في الطّلب والعزم على تخصيص الشّيء بالفعل والقول. النّهاية ١: ٣٧٥؛ ومجمع البحرين ١: ٩٨ (حرا).

وتستوي الواحدة والعدد منهنّ في الرّبع و الثّمن ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾. لهذا الكلام وجوه من الإعراب لا يتفاوت بها الحكم. قال: «الكلالة من ليس بولد ولا والد»[1]. و أريد بها هنا: «من يكون أخاً أو أختاً من الأمّ خاصّة»[2]. كذا ورد. ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥٓ﴾: و لكلّ واحد منهما ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ يعني من الأمّ ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ﴾ لورثته بالوصيّة بالزّيادة على الثّلث أو بقصد الإضرار دون القربة أو بإقرار دين لا يلزمه.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمضارّ وغيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بعقوبته.

إن قيل: إذا نقصت التّركة عن السّهام أو زادت، فما الحكم فيه؟ قلنا: النّقص إنّما يقع على البنات و الأخوات؛ لأنّ كلّ واحد من الأبوين و الزّوجين له سهمان أعلى وأدنى، و ليس للبنت و البنتين و الأخوات لولا ذلك إلّا سهم واحد، فإذا دخل النّقص عليهما استوى ذووا السّهام في ذلك، والزّائد يزاد على من كان يقع عليه النّقص إذا نقصت. كذا ورد[3] عن أئمّتنا عليهم السّلام، و أجمع أصحابنا عليه[4].

﴿تِلْكَ﴾ إشارة الى ما تقدّم من الاحكام في أمر اليتامى و الوصايا و المواريث.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ﴾: شرايعه المحدودة الّتي لا يجوز تجاوزها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

۱ـ الكافي ۷: ۹۹، الحديث: ۲و۳، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۲ـ العيّاشي ۱: ۲۲۷، الحديث: ٥۸، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۳ـ الوسائل ۱۷: ٤۲٥، باب «كيفيّة إلقاء العول و من يدخل عليه النّقص».
٤ـ المبسوط ٤: ۷٤.

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. قال: «هي منسوخة و السّبيل: الحدود»[1]. و في رواية: «جعل السّبيل: الجلد و الرّجم»[2].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: قبول التوبة الّذي أوجبه الله على نفسه بمقتضى وعده. ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾: متلبّسين بها سفهاً. فإنّ ارتكاب الذّنب و المعصية سفه و جهل. قال: «كلّ ذنب عمله العبد و إن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته: "هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخيهِ إذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ"[3]. فنسبهم إلى الجهل؛ لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله»[4]. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قيل: أي: قبل حضور الموت؛ لقوله تعالى: "حَتّىٰ إذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ" سمّاه قريباً؛ لأنّ أمد الحياة قريب، أوقبل أن يشرب في قلوبهم حبّه، فيطبع عليها، فيتعذّر عليهم الرّجوع[5]. [و ورد: «من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته»[6]][7]. ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: يعلم إخلاصهم في التّوبة ﴿حَكِيمًا﴾: لا يعاقب التّائب[8].

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ

١ـ العيّاشي ١: ٢٢٧، الحديث: ٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٦١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ يوسف (١٢): ٨٩.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٢٨، الحديث: ٦٢؛ و مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٢: ٧٤.
٦ـ الكافي ٢: ٤٤٠، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مابين المعقوفتين ليس في «ب» و «ج».
٨ـ في «ب» و «ج»: وأما ما ورد: «أنّه من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته» محمول على التّفضّل، فإنّ وجوب القبول غير التّفضّل به.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾. قال: «ذلك إذا عاين أمر الآخرة»[١]. ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾: هيّأنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾. قال: «كان في الجاهليّة في أوّل ما أسلموا إذا مات حميم[٢] الرّجل و له امرأة، ألقى الرّجل ثوبه عليها، فورث نكاحها بصداق حميمه كما يرث ماله، فنزلت»[٣]. و في رواية: «نزلت في الرّجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له إليها و ينتظر موتها حتّى يرثها»[٤]. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تحبسوهنّ إضراراً بهنّ ﴿لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾. قال: «الرّجل يكون له المرأة فيضربها حتّى تفتدي منه فنهى الله عن ذلك»[٥]. و في رواية: «أمر الله بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة و أن لا يمسكها إضراراً بها حتّى تفتدي ببعض مالها»[٦].

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ كالنّشوز و سوء العشرة و عدم التّعفّف، قال: «كلّ معصية»[٧]. و ورد: «إذا قالت له: لا أغتسل لك في جنابة و لا أبرّ لك قسماً و لأوطئنّ فراشك من تكرهه، حلّ له أن يخلعها و حلّ له ما أخذ منها»[٨]. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالإنصاف في الفعل و الإجمال في القول ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. يعني فاصبروا عليهنّ ولا تفارقوهنّ لكراهة الأنفس؛ فربّما كرهت النّفس ما هو أصلح في الدّين و أحمد، و أحبّتْ ما هو بخلافه.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: تطليق امرأة و تزويج أُخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ

١ـ من لايحضره الفقيه ١: ٧٩، الحديث: ٣٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الحميم: القريب في النّسب، مجمع البحرين ٦: ٥٠ (حمم).
٣ـ القمّي ١: ١٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام. و في «الف»: «لاحاجة إليها».
٥ـ العيّاشي ١: ٢٢٩، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦و٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤. عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ٦: ١٣٩، باب الخلع، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت؛ وفي معناه اخبار أُخر في هذا الباب.

﴿إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ قال: «ملأ مسك ثور ذهباً»[1]. ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾: من القنطار ﴿شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. إنكار و توبيخ. قيل: كان الرّجل إذا أراد جديدة بهت الّتي تحته بفاحشة حتّى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، ليصرفه إلى تزوّج الجديدة؛ فنهوا عن ذلك[2].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: و قد باشرتموهنّ ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: عهداً وثيقاً. قال: «هو العهد المأخوذ على الزوّج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»[3]. و في رواية: «أخذتموهنّ بأمانة الله و استحللتم فروجهنّ بكلمة الله»[4]. و في أُخرى: «الميثاق: الكلمة الّتي عقد بها النّكاح، و الغليظ هو ماء الرّجل يفضيه إليها»[5].

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾. «الآباء يشمل[6] الأجداد». كذا ورد[7]. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهليّة فإنّكم معذورون فيه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. ورد: «إنّ رجلاً مات فألقى ابنه ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها على ماكان في الجاهليّة، ثمّ تركها لا يدخل بها و لا ينفق عليها، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت»[8].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ يعني نكاحهنّ. و الأُمّهات يشملن من علت، و كذا العمّات والخالات. و البنات يشملن من سفلت، و كذا بنات الأخ و بنات الأُخت. و الأخوات

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٧، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ البيضاوي ٢: ٧٥.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ معاني الأخبار: ٢١٢، الحديث: ١، عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ الكافي ٥: ٥٦٠، الحديث: ١٩؛ و العيّاشي ١: ٢٢٩، الحديث: ٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في «الف»: «يشتمل».
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٠، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف في المضمون.
٨ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

يشملن الوجوه الثّلاثه. ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾. سمّاها أمّاً و أختاً. و ورد: «يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب»[١]. و في رواية: «الرّضاع لُحْمَةٌ كلُحْمَة النّسب»[٢] فعمّ التّحريم. ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ و إن علون ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ و إن سفلن ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ أي: دخلتم معهنّ في السّتر[٣]، و هو كناية عن الجماع.

﴿فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾. ورد: «إذا تزوّج الرّجل المرأة حرّمت عليه ابنتها إذا دخل بالأمّ، فإذا لم يدخل بالأمّ فلا بأس ان يتزوّج بالابنة، و إذا يتزوّج الابنة فدخل بها اولم يدخل بها فقد حرّمت عليه الأمّ. و قال: الرّبائب حرام، كنّ في الحِجْر أو لم يكنّ»[٤]. و سئل: عن الرّجل يتزوّج المرأة متعة، أيحلّ له أن يتزوّج ابنتها؟ قال: «لا»[٥]. و عن الرّجل يكون له الجارية يصيب منها، أله أن ينكح ابنتها؟ قال «لا .هي مثل قول الله عزّ وجلّ "وربائبكُمُ اللاتي في حُجُوركم"»[٦] ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ احتراز عن المتبنّى لا عن ابناء الولد[٧]، فيشملونهم و إن سفلوا، فقد ورد: «حرمة حليلتي الحسنين عليهما السّلام على رسول الله ﷺ و أنّهما ابناه لصلبه»[٨]. و ورد: «الرّجل إذا نظر إلى الجارية بشهوة و نظر إلى ما يحرم لغيره لم تحلّ لابنه و لا لأبيه»[٩]. ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾فإنّه مغفور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

١ـ الكافي ٥: ٤٤٢، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ كلمات المحققين «رسالة الرّضاعيّة للقطيفي»: ١٩٣، عن النّبيّ ﷺ.
٣ـ في «الف»: «في السرّ».
٤ـ التهذيب ٧: ٢٧٣، الحديث: ١١٦٦، عن أبي جعفر عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، وفيه «الرّبائب عليكم حرام».
٥ـ الكافي ٥: ٤٢٢، الحديث: ٢، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٤٣٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في «ب» و «ج»: «لا أبناء الولد».
٨ـ الكافي ٨: ٣١٨، الحديث: ٥٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٦٠، الحديث: ١٢٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.

كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ :اللاّتي احصنهنّ التّزويج أو الأزواج. و بكسر الصّاد: أحصن فروجهنّ. قال: «هنّ ذوات الأزواج»[1]. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قال: «اللاّتي سُبين و لهنّ أزواج كفّار»[2]. فإنّهنّ حلال للسّابين. «و اللاّتي أُشترِين و لهنّ أزواج فإنّ بيعهنّ طلاقهنّ»[3]. «و اللاّتي تحت العبيد، فيأمرهم مواليهم بالاعتزال ويستبرؤونهنّ ثمّ يمسّونهنّ بغير نكاح»[4]. ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: كتب الله عليكم تحرير هؤلاء كتاباً ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ : ما سوى المذكورات. و خرج عنه بالسنّة ساير محرّمات الرّضاع. «و الجمع بين المرأة و عمّتها أو خالتها بغير إذنها». كما ورد[5]. ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم﴾: أن تصرفوا أموالكم في مهورهنّ، أو أثمانهنّ ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾. الإحصان: العفّة، و السّفاح: الزّنا. ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. سمّي أجراً، لأنّه في مقابلة الاستمتاع. ﴿فَرِيضَةً﴾ مصدر مؤكّد. قال: «إنّما نزلت "فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ"»[6] و ورد: «إنّه قرأه الباقر عليه السّلام»[7]. و روته العامّة أيضاً عن جماعة من الصّحابة[8].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من زيادة في المهر أو الأجل، أونقصان فيهما، أوغير ذلك ممّا لا يخالف الشّرع. قال: «لا بأس بأن تزيدها أو تزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما؛ تقول: استحللتك بأجل آخر برضا منها، و لا تحلّ لغيرك حتّى

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، ذيل الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣١، عن أمير المؤمنين عليه السّلام.
٣ـ الكافي ٥: ٤٨٣، الأحاديث: ١، ٢، ٣و٤، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٣٢، الحديث: ٨٠؛ والكافي ٥: ٤٨١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السّلام.
٥ـ الكافي ٥: ٤٢٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السّلام.
٦ـ المصدر: ٤٤٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السّلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٤، الحديث: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السّلام.
٨ـ الدّر المنثور ٢: ٤٨٤.

تنقضي عدّتها؛ و عدّتها حيضتان»[١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا﴾ فيما شرع من الأحكام. قال: «المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنّة من رسول الله»[٢]. و كان عليّ يقول: «لولا ماسبقني به بنو[٣] الخطّاب ما زنى إلّا شفى»[٤]. بالفاء يعني إلّا قليل. أراد به نهيَ عمر عن المتعة و تمكُّنَ نهيه من قلوب النّاس.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ قال: «غنى»[٥]. ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعني الحرائر ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. قال: «لا ينبغي أن يتزوّج الحرّ المملوكة اليوم، إنّما كان ذلك حيث قال الله: " و من لم يستطع منكم طولاً". و الطّول: المهر. و مهر الحرّة اليوم مهر الأمة أو أقلّ»[٦]. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان، فإنّه العالم بالسّرائر و بتفاضل ما بينكم في الإيمان، فربّ أمة تفضل الحرّة فيه. ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: أنتم و مماليككم متناسبون. نسبكم من آدم ودينكم الإسلام. ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بغير مطل وضرار و نقصان ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾: عفايف ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: غير مجاهرات بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾: أخلّاً في السّرّ ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ بالتّزويج ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعني الحرائر ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني الحدّ، كما قال: "وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ"[٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾:

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، الحديث: ٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ٤٤٩، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ج» و المصدر: «بني الخطّاب» و في بعض النّسخ: «ابن الخطّاب». راجع: المستدرك ١٤: ٤٤٧، الحديث: ٢.
٤ـ الكافي ٥: ٤٤٨، الحديث: ٢. و في بعض النّسخ: «إلّا شقيّ» ـ بالقاف و الياء المشدّدة ـ يقول ابن إدريس في السّرائر: ٣١٢: إلّا شفى ـ بالشّين المعجمة و الفاء ـ و معناه: إلّا قليل. والدّليل عليه حديث ابن عبّاس ذكره الهروي في الغريبين: ما كانت المتعة إلّا رحمة رحم الله بها أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله و لولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزّنا إلّا شفى. لانّ الشّفى عند أهل اللّغة: القليل بلا خلاف بينهم ....
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٥: ٣٦٠، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ النّور (٢٤): ٢.

لمن خاف الإثم الّذي يؤدّي إليه غلبة الشّهوة. و "الْعَنَت" يقال لكلّ مشقّة وضرر. ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من نكاح الإماء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما خفي عنكم من مصالحكم و محاسن أعمالكم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء و أهل الحقّ لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: ويرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بها ﴿حَكِيمٌ﴾ في وضعها.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. كرّره للتّأكيد و المقابلة. ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: أهل الباطل ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عن الحقّ بموافقتهم في استحلال المحرّمات ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ فلذلك شرع لكم الشّريعة الحنيفيّة السّمحة السّهلة، و رخّص لكم في المضائق ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: لا يصبر عن الشّهوات و لا يحتمل مشاقّ الطّاعات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال: «الرّبا والقمار والبخس و الظّلم»[1]. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ يعني ما حلّ من الشّراء والبيع. قال في كلام له: «و لا يأكل من أموال النّاس إلّا و عنده ما يؤدّي إليهم حقوقهم - ثمّ تلا هذه الآية - ثمّ قال: و لا يستقرض على ظهره إلّا و عنده وفاء»[2].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «لا تخاطروا بنفوسكم بالقتال فتقاتلوا من لا تطيقونه»[3]. و في رواية: «كان المسلمون يدخلون على عدوّهم في المغازات فيتمكّن منهم عدوّهم فيقتلهم كيف يشاء فنهاهم الله»[4]. وورد: «في الجباير تكون على الكسير في برد يخاف على نفسه إذا أفرغ الماء على جسده في الجنابة و الوضوء، فقرأ

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ٩٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «في القتال».
٤ـ العيّاشي ١: ٢٣٧، ذيل الحديث: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رسول اللّه ﷺ "و لا تقتلوا أنفسكم" الآية»[١].

أقول: و يشمل ارتكاب كلّ ما يؤدّي إلى الهلاك.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ و إنّما نهاكم عن قتل أنفسكم لفرط رحمته بكم.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: ما سبق من المنهيّات ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾: إفراطاً في التّجاوز و إتياناً بما لا يستحقّه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: ندخله فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: لاعسر فيه ولا صارف عنه.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قال: «لا تسألون عنها»[٢]. ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ يحتمل المكان و المصدر، فتحتَ الميم أوضممتَه. قال: «الكبائر ما أوعد الله عليه النّار»[٣]. و في رواية: «و الكبائر السّبع الموجبات: قتل النّفس الحرام، و عقوق الوالدين، و أكل الرّبوا، و التّعرّب بعد الهجرة، و قذف المحصنة، و أكل مال اليتيم، و الفرار من الزّحف»[٤]. و في أُخرى: بدّل الثّلاث الوسطى بغيرها[٥].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. قال: «لا يقل أحدكم: ليت ما أُعطي فلان من المال و النّعمة، أوالمرأة الحسناء كان لي؛ فإنّ ذلك يكون حسداً، و لكن يجوز أن يقول: اللّهمّ أعطني مثله»[٦]. و ورد: «من تمنّى شيئاً و هو لله رضىً لم يخرج من الدّنيا حتّى يعطاه»[٧]. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فاطلبوا الفضل بالعمل، لا بالحسد و التّمني ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: لا تتمنّوا ما

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٦، الحديث: ١٠٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ التّوحيد: ٤٠٧، الباب: ٦٣، الحديث: ٦، عن الكاظم عليه السلام، مع تفاوت في العبارة، وإليك نصّه: «من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصّغائر».
٣ـ العيّاشي ١: ٢٣٩، الحديث: ١١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٢٧٦، الحديث: ٢، عن أبي الحسن عليه السلام، وفيه: «... وقذف المحصنات».
٥ـ راجع المصدر: ٢٧٨ و٢٨٥، الاحاديث: ٨ و٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣-٤: ٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الخصال ١: ٤، الحديث: ٧، عن النّبيّ ﷺ.

للنّاس و اسألوا الله مثله من خزائنه الّتي لا تنفد. و ورد: «من لم يسأل الله من فضله افتقر» [١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فهو يعلم ما يستحقّه كلّ أحد.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ قيل: أي: لكلّ واحد من الرّجال و النّساء جعلنا ممّا ترك، ورثةً؛ هم أولى بميراثه، يرثون ممّا ترك الوالدان و الأقربون الموروثون، أو لكلّ جعلنا ممّا ترك، ورثة؛ هم الوالدان و الأقربون [٢]. و قال: «إنّما عنى بذلك أُولي الأرحام في المواريث، و لم يعن أولياء النّعمة فأولاهم بالميّت أقربهم إليه من الرّحم الّتي تجرّه إليها» [٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ قيل: كان الرّجل يعاقد الرّجل، فيقول: دمي دمك و هدمي هدمك وحربي حربك و سلمي سلمك و ترثني و أرثك و تعقل عنّي و أعقل عنك، فيكون للحليف السّدس من ميراث الحليف، فنسخ بقوله " وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ " [٤]. و القمّي: ما في معناه [٥]. و ورد: «إذا والى الرّجل الرّجل فله ميراثه و عليه مَعْقُلَتُه» [٦]. يعني دية جناية خطإه. و في رواية: «عنى بذلك الأئمّة عليهم السّلام، بهم عقد الله عزّ و جلّ أيمانكم» [٧]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾. تهديد على منع نصيبهم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرّعيّة، بسبب تفضيله ـ عزّ و جلّ ـ الرّجال على النّساء بكمال العقل، و حسن التّدبير، و مزيد القوّة في الأعمال و الطّاعات. ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ في

١ ـ الكافي ٢: ٤٦٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤١؛ وتفسير البغوي ١: ٤٢١.
٣ ـ الكافي ٧: ٧٦، الحديث، ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٢. و الآية في الأنفال (٨): ٧٥.
٥ ـ القمّي ١: ١٣٧.
٦ ـ الكافي ٧: ١٧١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ العيّاشي ١: ٢٤٠، الحديث: ١٢٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

نكاحهنّ كالمهر و النّفقة. قال: «فضلهم عليهنّ كفضل الماء على الأرض، فالماء يحيي الأرض و بالرّجال تحيى النّساء، و لولا الرّجال ما خلقت النّساء، ثمّ تلا هذه الآية»[١].

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ قال: «مطيعات»[٢]. ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ في انفسهنّ و أموال أزواجهنّ. ورد: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسرّه إذا نظر إليها و تطيعه إذا أمرها، و تحفظه إذا غاب عنها في نفسها و ماله»[٣]. ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: بحفظ الله إيّاهنّ ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: ترفّعهُنّ عن طاعتكم و عصيانَهنّ لكم ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالقول ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ إن لم تَنجعِ العظةُ. قال: «يحوّل ظهره إليها»[٤]. ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم تنفع الهجرة، ضرباً غير شديد، لا يقطع لحماً و لا يكسر عظماً. قال: «الضّرب بالسّواك»[٥]. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ بالتّوبيخ و الإيذاء ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه فإنّه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ اي: الاختلاف، كأنّ كلّ واحد في شقّ، أي: جانب. ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾. قال: «الحكمان يشترطان إن شاءا فرّقا، و إن شاءا جمعا، و ليس لهما أن يفرّقا حتّى يستأمراهما»[٦]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ فيعلم كيف يرفع الشّقاق و يوقع الوفاق.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: و احسنوا بهما إحساناً ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾: و بصاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: الذي قرب جواره ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: البعيد. ورد: «حدّ الجوار اربعون داراً من كلّ

١ـ علل الشّرايع ٢: ٥١٢، الباب: ٢٨٦، الحديث: ١، عن حسن بن عليّ عليهما السّلام عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ القمّي ١: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٥: ٣٢٧، الحديث: ١، عن ابي عبدالله، عن آبائه، عن النّبيّ عليهم السّلام.
٤و ٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٦: ١٤٦، الأحاديث: ١، ٢و٣، عن الصّادق و الكاظم عليهما السّلام.

جانب»[١]. «و إنّ حسن الجوار يزيد في الرّزق و العمر»[٢]. «و إنّه ليس كفّ الأذى، بل الصّبر على الأذى»[٣]. ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾. قيل: من صحبكم و حصل بجنبكم لرفاقة في أمر حسن، كتزوّج و تعلّم و صناعة و سفر[٤]. ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر و الضّيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: العبيد و الإماء. و القمّي: يعني الأهل و الخادم[٥]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبّراً يأنف عن اقاربه و جيرانه و أصحابه و لا يلتفت إليهم ﴿فَخُورًا﴾ يتفاخر عليهم.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما منحوا به ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾. ورد: «ليس البخيل من أدّى الزّكاة المفروضة من ماله، و أعطى البائنة في قومه؛ إنّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ الزّكاة المفروضة من ماله، و لم يعط البائنة في قومه، و هو يبذّر فيما سوى ذلك»[٦].

اقول: البائنة: العطيّة. سميّت بها لانّها أُبينت من المال.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من الغنى و العلم حيث ينبغي الإظهار. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾: لهم ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾. وضع الظّاهر موضع المضمر إشعاراً بانّ مَنْ هذا شأنه فهو كافر لنعمة اللّه، فله عذاب يهينه كما أهان النّعمة بالبخل و الإخفاء.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾. شاركهم مع البخلاء في الذّمّ و الوعيد، لاشتراكهما في عدم الإنفاق على ما ينبغي. ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ليتحرّوا بالإنفاق مراضيه وثوابه ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾. نبّه به على انّ

١ـ الكافي ٢: ٦٦٩، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: المصدر: ٦٦٦، الحديث: ٣؛ و ٦٦٧، الحديث: ٧ و٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٦٦٧، الحديث: ٩، عن موسى بن جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٤ـ البيضاوي ٢: ٨٦؛ و الكشّاف ١: ٥٢٦.
٥ـ القمّي ١: ١٣٨.
٦ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٤، الحديث: ١٤١، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، و فيه: «النّائبه» بدل: «البائنه».

الشّيطان قرينهم يحملهم على ذلك و يزيّنه لهم، كقوله: "إنّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ"[١].

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني في طاعة الله. توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾. وعيد لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

قال: «نزلت في أمّة محمّد ﷺ خاصّة؛ في كلّ قرن منهم إمام شاهد عليهم و محمّد ﷺ شاهد علينا»[٢].

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾. قال: «ختم على الأفواه فلا تكلّم، و تكلّمت الأيدي و شهدت الأرجل، وأنطقت الجلود بما عملوا، فلا يكتمون الله حديثاً»[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾: لاتقوموا إليها[٤] ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ من نحو نوم أو خمر ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾: حتّى تنتبهوا و تفيقوا. ورد: «لا تقم إلى الصّلاة متكاسلاً، و لا متناعساً، و لا متثاقلاً، فإنّها من خلال النّفاق، و قد نهى الله عزّوجلّ أن تقوموا إلى الصّلاة و أنتم سكارى. قال: سكر النّوم»[٤]. و في رواية: «منه سكر النّوم»[٥]. و هي تفيد التّعميم لغير النّوم. و في أخرى: «يعني سكر النّوم يقول: بكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم و سجودكم و تكبيركم، و ليس كما يصف كثير من النّاس، يزعمون أنّ المؤمنين يسكرون من الشّراب، والمؤمن

١ـ الإسراء (١٧): ٢٧.
٢ـ الكافي ١: ١٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «إمام منّا شاهد عليهم».
٣ـ العيّاشي ١: ٢٤٢، الحديث: ١٣٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٣: ٢٩٩، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٣٠٣، الحديث: ١٣٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

لايشرب مسكراً ولا يسكر»[1] و في أُخرى: «انّ المراد به سكر الشّراب ثمّ نسختها تحريم الخمر»[2].

أقول: لمّا كانت الحكمة تقتضي تحريم الخمر متدرّجاً، كما سبق بيانه في سورة البقرة[3]، و كان قوم من المسلمين يصلّون سكارى منها، قبل استقرار تحريمها، نزلت هذه الآية و خوطبوا بمثل هذا الخطاب، ثمّ لمّا ثبت تحريمها و استقرّ و صاروا ممّن لا ينبغي أن يخاطبوا بمثله؛ لأنّ المؤمنين لا يسكرون من الخمر بعد أن حرّمت عليهم، جاز أن يقال: الآية منسوخة بتحريم الخمر. بمعنى عدم حسن خطابهم بمثله بعد ذلك، لا بمعنى جواز الصّلاة مع السّكر، ثمّ لمّا عمّ الحكم ساير ما يمنع من حضور القلب، جاز أن يفسّر بسكر النّوم و نحوه تارة، و أن يعمّ الحكم أُخرى، فلا تنافي بين هذه الرّوايات.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾. قال: «الحائض و الجنب لا يدخلان المسجد إلاّ مجتازين، فإنّ الله يقول: "و لا جنباً إلاّ عابري سبيل حتّى تغتسلوا"»[4]

أقول: المستفاد من مجموع هذه الرّوايات انّ الله سبحانه أطلق ملفوظ الصّلاة ومقدّرها على معنيين: أحدهما إقامة الصّلاة، بقرينة قوله "حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ"، و الآخر موضع الصّلاة، بقرينة قوله: "إلاّ عابري سبيلٍ". و مثل هذا يسمّى في صناعة البلاغة بالاستخدام. و المفسّرون لمّا لم يتفطّنوا لهذه الدّقيقة وراموا حملهما على معنى واحد تكلّفوا في معنى الآية بما لا ينبغي.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾. كناية عن الحدث؛

١ـ العيّاشي ١: ٢٤٢، الحديث: ١٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٣ـ ذيل الآية: ٢١٩.
٤ـ علل الشّرايع ١: ٢٨٨، الباب: ٢١٠، الحديث: ١؛ و العيّاشي ١: ٢٤٣، الحديث: ١٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

إذ الغائط: المكان المنخفض من الأرض. كانوا يقصدون للحدث مكاناً منخفضاً يغيب فيه أشخاصهم عن الرائي. ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾. قال: «هو الجماع، و لكنّ الله ستير يحبّ السّتر، و لم يسمّ كما تسمّون»[١]. ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ متعلّق بكلّ من الجمل الأربع، و يشمل عدم التّمكّن من استعماله؛ فإنّ الممنوع منه كالمفقود. ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: فتعمّدوا تراباً طاهراً. قال: «الصّعيد: الموضع المرتفع و الطّيّب: الموضع الّذي ينحدر عنه الماء»[٢]. ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ «يعني بعض وجوهكم و بعض أيديكم، فإنّ الباء فيه للتّبعيض». كذا ورد[٣].

و ورد في صفة التّيمّم: «فضرب بيديه على الأرض فنفضهما[٤]، ثمّ مسح على جبينه، ثمّ مسح كفّيه إحداهما على ظهر الأخرى»[٥]. و في رواية: «التّيمّم ضربة للوجه و ضربة للكفّين»[٦]. و ينبغي حملها على الأولويّة. و ورد: «إنّه سواء من الوضوء و الجنابة و الحيض»[٧].

أقول: وزيد في المائدة "منه"[٨] أي من ذلك الصّعيد، فاستفيد منه اشتراط علوق التّراب بالكفّ، و عدم جواز التّيمّم بالحجر غير المغبّر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فلذلك يسّر الأمر عليكم و رخّص لكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: حظّاً يسيراً من علم

١ـ الكافي ٥: ٥٥٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فلم يسمّ ...».
٢ـ معاني الأخبار: ٢٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٣: ٣٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ نَفَضْتُ الثّوبَ و الشّجَرَ أنْفُضُهُ نفضاً: إذا حرّكته لينتفض. الصّحاح ٣: ١١٠٩ (نفض).
٥ـ العيّاشي ١: ٢٤٤، الحديث: ١٤٤؛ و الكافي ٣: ٦١، الحديث: ١و ٦٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.
٦ـ التهذيب ١: ٢١٠، الحديث: ٦٠٩، عن الرّضا عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٢١٢، الحديث: ٦١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الآية: ٦.

التّوراة ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: يستبدلونها بالهدى، بعد حصوله لهم بالمعجزات الدّالّة على صدق محمّد ﷺ المبشّر[1] به في التّوراة. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ يعينكم فثقوا به و اكتفوا به عن غيره.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾: يميلونها عنها بتبديل كلمة مكان أُخرى، كما حرّفوا في وصف محمّد ﷺ "أسْمَرَ رَبْعَة"[2] عن موضعه في التّوراة و وضعوا مكانه[3] "آدَمَ طوّال"[4]. ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يعني[5]: واسمع منّا ندعوا عليك بلا سَمِعْتَ، أو اسمع، غير مجاب إلى ما تدعو إليه، كذا قيل[6]. ﴿وَرَاعِنَا﴾: أُنظرنا نكلّمك أو نفهم كلامك؛ يعنون به السّبّ. فإنّ "راعنا" سبٌّ في لغتهم. ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها و صرفاً للكلام إلى مايشبه السّبّ حيث وضعوا "راعنا" المشابه لما يتسابّون به موضع "أُنظرنا" و "غير مسمع" موضع "لا أُسْمِعْتَ مكروهاً". ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾: استهزاء به وسخريّة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾: و أعدل و أسدّ ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ

١ـ في «ب» و «ج»: «وانّه المبشّر».
٢ـ الأسمر: من شبه لونه لون الحنطة و الأدْم: من اشتدّ سُمْرَته. و الرّبْعَة: من ليس بطويل و لاقصير. «منه في الصّافي ١ : ٤٥٦».
٣ـ في «ب»: «في مكانه».
٤ـ آدَم، جَمْعه: الأُدْم كأحمر و حُمر، وهي في النّاس السُّمْرَةُ الشّديدة. النّهاية ١ : ٣٢ (ادم). والطُّوال ـبالضّمّـ: الطويل. «منه في الصّافي ١ ; ٤٥٧».
٥ـ في «ب» و «ج»: «يعنون».
٦ـ البيضاوي ٢ : ٩٠؛ و الكشّاف ١ : ٥٣٠.

﴿وُجُوهًا﴾ قال «نطمسها عن الهدى»[١]. ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ قال: «في ضلالتها بحيث لا تفلح[٢] أبداً»[٣]. و الطّمس: إزالة الصّورة و محو التّخطيط. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: نخزيهم بالمسخ ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: الكبائر فما سواها ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ تفضّلاً عليه و إحساناً. قال: «لو أنّ المؤمن خرج من الدّنيا و عليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفّارة لتلك الذّنوب. ثمّ قال: من قال لا إله إلّا الله بإخلاص فهو بريء من الشّرك، و من خرج من الدّنيا لايشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، ثمّ تلا هذه الآية "إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" من شيعتك و محبّيك يا عليّ»[٤]. و ورد: «إنّ أدنى ما يكون الإنسان به مشركاً أن ابتدع رأياً فأحبّ عليه أو أبغض»[٥]. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾: ارتكب ما يستحقر دونه الآثام. و الافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾. قال: «نزلت في اليهود و النّصارى، حيث قالوا: نحن أبناءالله و أحبّاؤه، و قالوا: لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أونصارى»[٦].

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ لأنّه العالم بما ينطوي عليه الإنسان دون غيره ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: أدنى ظلم. و هو الخيط الّذي في شقّ النّواة[٧]، يضرب به المثل في الحقارة.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنّهم أبناء الله و أحبّاؤه و أزكياء عنده ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

١ و٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في جميع النّسخ: يَفْلَحُ، ما اثبتناه من المصدر.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٩٥، الحديث: ٨٩٢، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ٢٤٦، الحديث: ١٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ النّواة: إسم لخمسة دراهم و هو في الأصل: عَجْمَةُ التّمرة. «النّهاية ٥: ١٣١ (نوا)؛ ولسان العرب ١٥: ٣٥٠ (نوى).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾. الجبت في الأصل اسم صنم، فاستعمل في كلّ ما عبد من دون الله. و الطّاغوت يطلق على الشيطان و على كلّ باطل من معبود أوغيره. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لأجلهم وفيهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾. قال: «يقولون لأئمّة الضّلال و الدّعاة إلى النّار: هؤلاء أهدى من آل محمّد ﷺ»[1]. و القمّي: نزلت في اليهود حين سألهم مشركوا العرب: أديننا أفضل أم دين محمّد؟ قالوا: بل دينكم أفضل[2].

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ قال: «يعني الإمامة و الخلافة»[3]. ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾. قال: «نحن النّاس الّذين عنى الله»[4].

أقول: لعلّ التّخصيص لأجل أنّ الدّنيا خلقت لهم، و الخلافة حقّهم، فلو كانت الأموال في أيديهم لانتفع بها سائر النّاس، و لو منعوا عن حقوقهم لمنع ساير النّاس؛ فكأنّهم كلّ النّاس. و قد ورد: «نحن النّاس و شيعتنا أشباه النّاس و ساير النّاس نسناس»[5] و النّقير: النّقطة الّتي في وسط النّواة.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾. قال: «نحن النّاس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة»[6]. و في رواية: «النّاس: النّبيّ و آله»[7]. ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: «يعني جعل منهم الرّسل و الأنبياء و الأئمّة، فكيف يقرّون في آل إبراهيم و ينكرونه في آل محمّد؟»[8]. وقال: «الكتاب: النّبوّة. و الحكمة: الفهم و القضاء. و الملك العظيم:

١ـ الكافي ١: ٢٠٥، الحديث: ٤؛ و العيّاشي ١: ٢٤٦، الحديث: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٤٠.
٣، ٤و٦ـ الكافي ١: ٢٠٥، الحديث: ٤؛ والعيّاشي ١: ٢٦٤، الحديث: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ٢٤٤، الحديث: ٣٣٩، عن عليّ بن الحسين، عن حسين بن علي عليهم السّلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٦١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ٢٠٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

الطّاعة المفروضة»[١].

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ : أعرض و لم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾. يعني إن لم يعجّلوا بالعقوبة فقد كفا هم ما أُعدّ لهم من سعير جهنّم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾. القمّي: الآيات: أمير المؤمنين و الأئمّة عليهم السّلام[٢].

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

سئل: ما ذنب الغير؟ فقال: «هي هي، و هي غيرها ثمّ مثّل بلَبِنَة كسرت ثمّ ردّت[٣] في ملبنها»[٤]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: لا يمتنع عليه ما يريده ﴿حَكِيمًا﴾: يعاقب على وفق حكمته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: دائماً لا تنسخه[٥] الشّمس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾. قال: «الخطاب للأئمّة؛ أُمر كلّ منهم أن يؤدّي إلى الإمام الّذي بعده و يوصي إليه»[٦]. ثمّ هي جارية في ساير الأمانات.

وفي رواية: «إنّها في كلّ من ائتمن أمانة من الأمانات، أمانات الله: أوامره و نواهيه، وأمانات عباده: فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال و غيره»[٧]. و ورد: «لا تنظروا إلى طول

١ـ الكافي ١: ٢٠٦، الحديث: ٣؛ و القمّيّ ١، ١٤٠، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٤٨، الحديث: ١٥٩ و ١٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٤١.
٣ـ في جميع النّسخ: «ردّ» وما اثبتناه من المصدر.
٤ـ الاحتجاج ٢: ١٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام. و اللَّبِنَه ـ بفتح اللّام و كسر الباء ـ الّتي يُبنى بها، وهوالمضروب من الطّين مربّعاً. وَ المِلْبَن ـ بكسر الميم و فتح الباء ـ قالب اللَّبِن. لسان العرب ١٣: ٣٧٥ (لبن).
٥ـ في «الف»: «لا ينسخه».
٦ـ الكافي ١: ٢٧٦، الاحاديث ٢، ٣، ٤، ٥ و ٦، عن ابي الحسن الرّضا و أبي عبدالله عليهما السّلام؛ و مجمع البيان ٣ـ٤: ٦٣؛ ومعاني الأخبار: ١٠٧، باب: معنى الأمانات الّتي ...، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٦٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

ركوع الرّجل و سجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك؛ و لكن أُنظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته» [١]. ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.
قال: «إيّانا عنى» [٢]. يعني العدل الّذي في أيديكم. و في رواية «إذا ظهرتم» [٣]. ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. قال: «إيّانا عنى خاصّة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا» [٤]. و في حديث جابر: «لمّا نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله، فمن أُولوا الأمر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي يا جابر و أئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ بن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التّوراة بالباقر، و ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي محمّد وكنيّي [٥]، حجّة الله في أرضه و بقيّته في عباده إبن الحسن بن عليّ، ذاك الّذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض و مغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته و أوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان. قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال: إي والّذي بعثني بالنّبوّة، إنّهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع النّاس بالشّمس، وإن تجلّاها [٦] سحاب، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله و مخزون علم الله، فاكتمه إلّا عن

١ـ الكافي ٢: ١٠٥، الحديث: ١٢ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ١: ٢٧٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٤٧، الحديث: ١٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٢٧٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في «الف» و «ب»: «كنيتي».
٦ـ في المصدر: «تجلّلها» أي: تعلوها و تعمّها و لعلّه الأنسب.

اهله»[1]. ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ أيها المأمورون ﴿فِي شَيۡءٖ﴾ من أمور الدين ﴿فَرُدُّوهُ﴾: فراجعوا فيه. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى محكم كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ «بالسؤال عنه في زمانه، و بالأخذ بسنّته، و المراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه بعده، فإنّه[2] ردّ إليه»[3]. كذا ورد في تفسير الآية. و في رواية: «نزلت: فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أُولي الأمر منكم»[4]. و في أُخرى: «تلا هذه الآية هكذا: فإن خفتم تنازعاً في أمر فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أُولي الأمر منكم»[5]. قال: «هكذا نزلت و كيف يامرهم الله بطاعة ولاة الأمر و يرخّص في منازعتهم، إنّما قيل ذلك للمأمورين الّذين قيل لهم: أطيعوا الله»[6]. ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فإنّ الإيمان يوجب ذلك. ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ من تاويلكم بلا ردّ.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾. القمّي: نزلت في الزّبير بن العوّام، نازع رجلاً من اليهود في حديقة، فقال الزّبير: نرضى بابن شيبة اليهوديّ، و قال اليهوديّ: نرضى بمحمّد. فأنزل الله[7]. و ورد: «أيّما رجل كان بينه و بين أخ مماراة في حقّ، فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه و بينه فأبى إلّا أن يرافعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الّذين قال الله " ألم تر " الآية»[8].

وفي رواية: «من تحاكم إلى الطّاغوت فحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقّه

۱ـ كمال الدّين ۱: ۲۵۳، الباب: ۲۳، الحديث: ۳.
۲ـ في «ب» و «ج»: «فإنّها».
۳ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ۱۸۲ من خطبة: ۱۲۵.
٤ـ القمّي ۱: ۱٤۱، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فرجعوه إلى الله».
۵و٦ـ الكافي ۸: ۱۸٤، الحديث، ۲۱۲، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
۷ـ القمّي ۱: ۱٤۱، و فيه: «ترضى» بدل «نرضى» في موضعين.
۸ـ الكافي ۷: ٤۱۱، الحديث: ۲، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ثابتاً؛ لأنّه أخذ بحكم الطّاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به. قيل: كيف يصنعان؟ قال: أُنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، و نظر في حلالنا و حرامنا، و عرف أحكامنا، فارضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ، و علينا ردّ، والرّادّ علينا الرّادّ على الله، و هو على حدّ الشّرك بالله»[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾. القمّي: هم أعداء آل محمّد، جرت فيهم هذه الآية[2].

﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم؟ ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: نالتهم من الله عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التّحاكم إلى غيرك و إظهار السّخط لحكمك ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ بالتّحاكم إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾: تخفيفاً عنك ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين بالتّوسّط و لم نرد مخالفتك.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الشّرك و النّفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم. قال: «فقد سبقت عليهم كلمة الشّقاء، و سبق لهم العذاب»[3]. ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾: خالياً بهم، فإنّ النّصيحة في السّرّ انجع[4]. ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يؤثّر فيهم، كتخويفهم بالقتل و الاستيصال إن ظهر نفاقهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. نبّه به على انّ الّذي لم يرض بحكمه كافر، و إن أظهر الإسلام. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالنّفاق ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ مخلصين ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ بأن اعتذروا إليه حتّى انتصب لهم شفيعاً ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

١ـ الكافي ١: ٦٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٢ـ القمّي ١: ١٤٢.
٣ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث: ٢١١، عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٤ـ قد نجع فيه الخطاب والوعظ والدّواء، اي: دخل وأثّر. الصّحاح ٣: ١٢٨٨ (نجع).

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلف بينهم و اختلط ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾: ضيقاً مما حكمت به ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: و ينقادوا لك انقياداً بظاهرهم و باطنهم. ورد: «لقد خاطب الله أمير المؤمنين في كتابه في قوله: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا" إلى قوله: "فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ". قال: فيما تعاقدوا عليه، لئن أمات الله محمداً لا يردّوا[1] هذا الأمر في بني هاشم، ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت عليهم من القتل أوالعفو و يسلّموا تسليماً»[2]. و القمّي: «جاؤوك يا عليّ. قال: هكذا نزلت»[3].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا﴾ قال «يعني اهل الخلاف»[4]. ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: «في عليّ. قال: هكذا نزلت»[5]. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإيمانهم ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس و يفتح عليهم أبواب الغيب. فإنّ: «من عمل بما علم، ورّثه الله علم مالم يعلم»[6].

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: الّذين صدقوا في أقوالهم و افعالهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: المقتول أنفسهم وأبدانهم بالجهاد الأكبر و الأصغر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: الّذين صلحت حالهم و استقامت طريقتهم ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

١ـ في المصدر: «ألاّ يردّوا».
٢ـ الكافي ١: ٣٩١، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث: ٢١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٥٦، الحديث: ١٨٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ـ البحار ٤٠: ١٢٨، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾. قال: «أعينونا بالورع، فإنّه من لقي الله ـ عزّوجلّ ـ منكم بالورع كان له عند الله فرجاً، إنّ الله يقول: "وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ" و تلا الآية، ثمّ قال: فمنّا النّبيّ و منّا الصّدّيق و الشّهداء و الصّالحون»[1]. و في رواية: «لقد ذكركم الله في كتابه فقال: " أُولئك مع الّذين أنعم الله " الآية، فرسول الله في الآية: النّبيّون، و نحن في هذا الموضع: الصّدّيقون و الشّهداء، و أنتم: الصّالحون، فتسمّوا بالصّلاح كما سمّاكم الله»[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾: تيقّظوا و استعدّوا للأعداء. والحذْرُ: الحَذَر. قال: «خذوا أسلحتكم؛ سمّي الأسلحة حذْراً لأنّ بها يتّقى المحذور»[3].

﴿فَٱنفِرُوا۟﴾: فاخرجوا إلى الجهاد، و تأويله إلى الخيرات كلّها. ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرّقة؛ جمع ثُبَة. ﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾: مجتمعين كوكبة[4] واحدة و لا تتخاذلوا.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾. يحتمل اللاّزم و المتعدّي، و هم المنافقون. ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل و هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطىء: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضراً. قال: «لو قال هذه الكلمة أهل الشّرق و الغرب لكانوا بها خارجين من الإيمان، ولكنّ الله قد سمّاهم مؤمنين بإقرارهم»[5].

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح و غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ تحسّراً ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى﴾: يا قوم ليتني ﴿كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. نبّه بالاعتراض على ضعف عقيدتهم، و أنّهم إنّما تمنّوا مجرّد المال.

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يبيعون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني:

١ـ الكافي ٢: ٧٨، الحديث: ١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكوكبة: الجماعة. القاموس المحيط ١: ١٢٩ (الكوكب).
٥ـ القمّي ١: ١٤٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

المخلصين الباذلين أنفسهم في طلب الآخرة. ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. قال: «فوق كلّ برّ برّ حتّى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ»[1].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: و في سبيل المستضعفين وخلاصهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾. قيل: هم الّذين أسلموا بمكّة و صدّهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين أظهرهم يلقون منهم الأذى، فكانوا يدعون الله بالخلاص و يستنصرونه[2]. و في رواية: «نحن أُولئك»[3].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن القتال ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ و اشتغلوا بما أمرتم به. قيل: ذلك حين كانوا بمكّة، و كانوا يتمنّون أن يؤذن لهم فيه[4]. و ورد: «يعني كفّوا ألسنتكم»[5]. و قال: «أما ترضون أن تقيموا الصّلاة وتؤتوا الزّكاة و تكفّوا و تدخلوا الجنّة»[6]. و في أُخرى: «أنتم و الله أهل هذه الآية»[7].

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾: يخشون الكفّار أن يقتلوهم، كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. قال: «"كُفُّوا أيديكُمْ" مع الحسن، "

١ـ الخصال ١: ٩، الحديث: ٣١، عن رسول الله ﷺ.
٢ـ الكشّاف ١: ٥٤٣.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٥٧، الحديث: ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٥٤٣.
٥ـ الكافي ٢: ١١٤، الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦و٧ـ الكافي ٨: ٢٧٩، ذيل الحديث: ٤٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ" مع الحسين، "إلى أجلٍ قريبٍ" : إلى خروج القائم، فإنّ معه الظفر»[1]. ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ سريع التقضّي ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ : و لا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه.

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ : في قصور مجصّصة أو مرتفعة ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ : نعمة كخصب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ :بليّة كقحط ﴿ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ يطيّروا بك ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يبسط و يقبض حسب إرادته ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فيعلموا أنّ الله هو الباسط القابض، و أفعاله كلّها صادرة عن حكمة و صواب.

﴿ مَا أَصَابَكَ ﴾ يا إنسان ﴿ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ : من نعمة ﴿ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ تفضّلاً و امتناناً، فإنّ كلّ ما يأتي به العبد من عبادة فلا يكافي صغرى نعمة من أياديه. ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ : من بليّة ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ ؛ لأنّها السّبب فيها لاستجلابها بالمعاصي، و هو لا ينافي قوله: " قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله "؛ فإنّ الكلّ من عنده إيجاداً و إيصالاً، غير أنّ الحسنة إحسان و امتحان، و السيّئة مجازاة و انتقام. قال الله تعالى: "ما أصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيْديكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثيرٍ "[2] قال: «كما أنّ بادي النّعم من الله ـ عزّ و جلّ ـ نَحلَكُمُوه[3]، فكذلك الشّرّ من أنفسكم و إن جرى به قَدَرُه»[4]. و ورد: «إنّ " الْحَسَناتِ" في كتاب الله على وجهين: أحدهما: الصّحّة و السّلامة و السّعة في الرّزق، و الآخر: الأفعال، كما قال: "مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمثالِها "[5] و كذلك السّيّئات؛ فمنها الخوف و المرض و الشّدّة، و منها الأفعال الّتي يعاقبون عليها»[6]. ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ

١ـ العيّاشي ١ : ٢٥٨، ذيل الحديث : ١٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فإنّ معه النّصر والظّفر».
٢ـ الشّورى (٤٢) : ٣٠.
٣ـ نَحَلَهُ: أعطاه و وهبه من طيب نفس بلا توقّع عوض. مجمع البحرين ٥: ٤٧٨ (نحل).
٤ـ التّوحيد : ٣٦٨، الباب : ٢٠، الحديث : ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الأنعام (٦) : ١٦٠.
٦ـ القمّي ١ : ١٤٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.

﴿رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك، فما ينبغي لاحد أن يخرج من طاعتك.

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لانّه في الحقيقة مبلّغ، و الآمر و النّاهي هو الله.

روي: أنّه ﷺ قال: «من أحبّني فقد أحبّ الله و من أطاعني فقد أطاع الله. فقال المنافقون: لقد قارف الشّرك و هو ينهى عنه، ما يريد إلاّ أن نتّخذه ربّاً، كما اتّخذت النّصارى عيسى، فنزلت»[1]. ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها، إنّما عليك البلاغ و علينا الحساب.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بامر ﴿طَاعَةٌ﴾: أمرُنا طاعةٌ ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: دبّروا ليلاً ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾: خلاف ما قلت أوخلاف ما قالت من القبول و ضمان الطّاعة. ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: يكفيك شرّهم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: يتأمّلون معانيه و يتبصّرون ما فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ﴾: من كلام البشر، كما زعموه ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ من تناقض المعنى، و تفاوت النّظم، و خروج بعضه عن الفصاحة و عن مطابقته الواقع إلى غير ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾: مما يوجب الامن أوالخوف ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أفشوه. قيل: كان قوم من ضَعَفَة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ أو أخبرهم الرّسول بما أوحي إليه من وعد بالظّفر أو تخويف من الكفرة اذاعوه، وكانت إذاعتهم مفسدة[2].

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: ردّوا ذلك الامر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ

١ـ البيضاوي ٢: ١٠٣؛ و الكشّاف ١: ٥٤٦.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٠٤؛ و الكشّاف ١: ٥٤٧.

﴿مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ قيل: أي يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم[1]. قال: «يعني آل محمّد و هم الّذين يستبطون من القرآن و يعرفون الحلال والحرام و هم حجّة الله»[2]. ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾. قال: «الرّحمة: رسول الله، و الفضل: عليّ بن أبي طالب»[3]. و في رواية: «فضل الله: رسوله، و رحمته: الأئمّة عليهم السّلام»[4]. ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ بالكفر و الضّلال ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ و هم أهل البصائر النّافذة.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن تركوك وحدك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ فتقدّم إلى الجهاد و إن لم يساعدك أحد، فإنّ الله ينصرك، لا الجنود. قال: «إنّ الله كلّف رسول الله ﷺ ما لم يكلّف أحداً من خلقه، كلّفه أن يخرج على النّاس كلّهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه، و لم يكلّف هذا أحداً من خلقه قبله ولا بعده، ثمّ تلا هذه الآية»[5]. قيل: نزلت في بدر الصّغرى حين تثاقلت النّاس عن الخروج[6]؛ كما سبق[7].

﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ إذ ما عليك في شأنهم إلّا التّحريض. ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ و قد كفّ، بأن بدا لأبي سفيان و قال: هذا عام مُجْدِبٌ كما مرّ ذكره[8]. ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾: أشدّ عقوبة من كفّار قريش. تهديد و تقريع لمن لم يتّبعه.

﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾: راعى بها حقّ مسلم، إمّا بدفع شرّ عنه أو جلب

١ـ البيضاوي ٢: ١٠٤؛ والكشّاف ١: ٥٤٧.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٦٠، الحديث: ٢٠٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، وفيه: «وهم الحجّة لله على خلقه».
٣ـ المصدر: ٢٦١، الحديث: ٢٠٩. عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٢٦٠، الحديث: ٢٠٧، عن الصّادقين عليهما السّلام، وفيه: «ورحمته ولاية الائمّة عليهم السّلام».
٥ـ الكافي ٨: ٢٧٤، الحديث: ٤١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٣؛ والكشّاف ١: ٥٤٨.
٧و٨ـ في ذيل الآية: ١٧٣ من سورة آل عمران.

خير إليه، ابتغاء لوجه الله، و منها الدّعاء للمؤمن. ﴿يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾: ثواباً لها ﴿وَ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ و هي ما كان خلاف ذلك، و منها الدّعاء على المؤمن. ﴿يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾: نصيب من وزرها، مساوٍ لها في القدر، فإنّ الكفْلَ: النّصيب و المثل. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾: مقتدراً و حفيظاً يعطي على قدر الحاجة. قال: «من أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو دلّ على خير، أو أشار به، فهو شريك؛ و من أمر بسوء، أو دلّ عليه، أو أشار به فهو شريك»[1]. و في رواية: «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب أُستجيب له و قال له المَلَكُ: و لك مثلاه، فذلك النّصيب»[2].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾. القمّي: السّلام و غيره من البرّ[3]. و ورد: «إذا عطس أحدكم قولوا: يرحمكم الله، و يقول هو: يغفر الله لكم و يرحمكم. قال الله "وَ إذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ" الآية»[4] و قال «السّلام تطوّع و الرّدّ فريضة»[5]. «و من تمام التّحيّة للمقيم: المصافحة، و تمام التّسليم على المسافر: المعانقة»[6]. و «الرّدّ بالأحسن في السّلام أن يضيف: «و رحمة الله»، فإن قالها المسلّم أضاف: «و بركاته»، وهي النّهاية فيردّ بالمثل، و الأوّل عشر حسنات و الثّاني عشرون و الثّالث ثلاثون»[7]. كذا ورد. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: تفرّقتم فيهم فرقتين، و لم تتّفقوا على كفرهم.

١ـ الخصال ١: ١٣٨، الحديث: ١٥٦، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ جوامع الجامع ١: ٢٧٥.
٣ـ القمّي ١: ١٤٥.
٤ـ الخصال ٢: ٦٣٣، ذيل الحديث الطّويل أربعماة، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٢: ٦٤٤، باب التّسليم، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.
٦ـ المصدر: ٦٤٦، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٦٤٥، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

قال: «نزلت في قوم قدموا من مكّة و أظهروا الإسلام، ثمّ رجعوا إلى مكّة فاظهروا الشّرك، ثمّ سافروا إلى اليمامة، فاختلف المسلمون في غزوهم، لاختلافهم في إسلامهم و شركهم»[١]. ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾: ردّهم في الكفر بأن خذلهم فارتكسوا ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾. قال: «إنّ لشياطين الانس حيلة ومكراً و خدايع و وسوسة بعضهم إلى بعض، يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحقّ عمّا أكرمهم الله به من النّصرة[٢] في دين الله الّذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله، إرادة أن يستوي أعداء الله و أهل الحقّ في الشّكّ و الإنكار و التّكذيب، فيكونون سواءً كما وصف الله تعالى في كتابه: "ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء"»[٣].

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ و إن آمنوا ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة هي للّه لا لغرض من أغراض الدّنيا ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الهجرة المستقيمة مع الإيمان ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾. استثناء من قوله "فخذوهم واقتلوهم" أي: إلّا الّذين ينتهون إلى قوم عاهدوكم، و يفارقون محاربتكم قال: «هو هِلالُ بن عُوَيْمِ الأَسْلَمي»[٤]، واثق عن قومه رسول الله ﷺ وقال في موادعته: على أن لاتحيف يا محمّد من أتانا، ولا نحيف من أتاك[٥]. فنهى الله سبحانه أن يعرض لأحد عهد

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ في المصدر: «من النّظر».
٣ـ الكافي ٨: ١١، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، في رسالته إلى جماعة الشّيعة.
٤ ـ في المصدر: «هلال بن عُوَيْمر السّلمي».
٥ ـ في «الف» و «ج»: «لا نحيفَ يامحمّد من أتانا ولا تحيف من أتاك». و الحَيْفُ: الظّلم و الجور. مجمع البيان ٥: ٤٢ (حيف).

إليهم».[1] ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾: ضاقت. قال: «هو الضيّق»[2]. ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾. قال: «نزلت في بني مُدْلِجٍ، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّا قد حَصِرَتْ صدورنا أن نشهد أنّك رسول الله فلسنا معك ولا مع قومنا عليك، فواعدهم إلى أن يفرغ من العرب، ثمّ يدعوهم، فإن أجابوا وإلّا قاتلهم»[3].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن قوّى قلوبهم، و بسط صدورهم وأزال الرّعب عنهم. ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ و لم يكفّوا عنكم ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾: فإن لم يتعرّضوا لكم ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الاستسلام و الانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: فما أذن لكم في أخذهم و قتلهم.

قال: «كانت السّيرة من رسول الله ﷺ ألّا يقاتل إلّا من قاتله، و لا يحارب إلّا من حاربه و أراده، و قد كان نزل في ذلك من الله "فإن اعتزلوكم" الآية. حتّى نزلت عليه سورة براءة و أمر بقتل المشركين من اعتزله، و من لم يعتزله، إلّا الّذين قد كان عاهدهم يوم فتح مكّة إلى مدّة»[4] الحديث، ويأتي تمامه[5].

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾. قال: «نزلت في عُيَيْنَةَ بْنِ حَصِين الفزاريّ، أجدبت بلادهم، فجاء إلى رسول الله ﷺ و وادعه على أن يقيم ببطن نخل ولا يتعرّض له، و كان منافقاً ملعوناً، و هو الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الأحمق المطاع»[6]. ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: دعوا إلى الكفر، و إلى قتال المسلمين ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾: عادوا إليها، و قلبوا فيها أقبح قلب ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾: لم يعتزلوا قتالكم ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: و لم يستسلموا لكم ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٦٢، الحديث: ٢١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٣٢٧، الحديث: ٥٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٨١ـ٢٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في ذيل الآية: ٢ من سورة التوبة.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و القمّي ١: ١٤٧.

ولم يكفّوا أيديهم عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾: فأسروهم ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: حيث تمكّنتم منهم ﴿وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: حجّة واضحة في التّعرّض لهم بالقتل و السّبي، لظهور عداوتهم و كفرهم وغدرهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾: و ما صحّ لمؤمن، و ليس من شأنه ﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حقّ ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ لأنّه في عرضة الخطاء. قال: «هو الرّجل يضرب و لا يتعمّد القتل، أو رمى فأصاب رجلاً»[1]. و قال: «نزلت في عيّاش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل لأمّه، كان أسلم و قتل بعد إسلامه مسلماً و هو لم يعلم بإسلامه»[2]. ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ قال: «مقرّة قد بلغت الحنث»[3]. وسئل: كيف تعرف المؤمنة؟ قال: «على الفطرة»[4]. ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: مؤدّاة إلى أولياء المقتول. ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾: يتصدّقوا عليه بالدّية. سمّى العفو عن الدّية صدقة، حثّاً عليه و تنبيهاً على فضله. و ورد: «كلّ معروف صدقة»[5].

﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾. قال «يلزم قاتله كفّارة لقتله»[6]. و ورد: «في رجل مسلم في أرض الشّرك، فقتله المسلمون، ثمّ علم به الإمام بعد. فقال: يعتق مكانه رقبة مومنة، و ذلك قول الله ـ عزّو جلّ ـ " فإن كان من قوم عدوّ لكم " الآية»[7]. قال: «و ليس عليه دية»[8]. ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ﴾ كفرة ﴿بَيْنَكُمْ

١ـ العيّاشي ١: ٢٦٦، الحديث: ٢٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٠ عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «وهو لايعلم إسلامه».
٣ـ الكافي ٧: ٤٦٢، الحديث: ١٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٦٣، الحديث: ٢٢٠، عن أبي الحسن عليه السلام.
٥ـ الخصال ١: ١٣٤، الحديث: ١٤٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١١٠، الحديث: ٣٧٣؛ والعيّاشي ١: ٢٦٦، الحديث: ٢٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ٢٦٢، الحديث: ٢١٧؛ و ٢٦٣، الحديث ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عهد ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قال: «إن كان على رجل صيام شهرين متتابعين فافطر أو مرض في الشّهر الأوّل، فإنّ عليه أن يعيد الصّيام، و إن صام الشّهر الأوّل وصام من الشّهر الثّاني شيئاً، ثمّ عرض له ما له فيه عذر، فعليه أن يقضي»[1]. **أقول**: يعني يقضي ما بقي عليه.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. قال: «فجزاؤه جهنّم إن جازاه»[2]. سئل: عن المؤمن، يقتل المؤمن متعمّداً، أله توبة؟ فقال: «إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله لغضب أو لسبب شيء من أشياء الدّنيا[3] فإنّ توبته أن يقاد منه، و إن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فاقرّ عندهم بقتل صاحبهم، فإن عفوا عنه فلم يقتلوه، اعطاهم الدّية، وأعتق نسمة، وصام شهرين متتابعين، و اطعم ستّين مسكيناً، توبة إلى الله عزّوجلّ»[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: سافرتم للغزو ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: فاطلبوا بيان الأمر و ميّزوا بين الكافر و المؤمن. و على قراءة: "فتثبّتوا"[5]: توقّفوا و تأنّوا حتّى تعلموا من يستحقّ القتل. و المعنيان متقاربان، يعني: لا تعجلوا في القتل لمن أظهر إسلامه ظنّاً منكم بانّه لا حقيقة لذلك.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾: الانقياد. و في قراءة الصّادق عليه السلام، يعني: لمن حيّاكم بتحيّة السّلام. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ و إنّما فعلت ذلك خوفاً من القتل ﴿تَبْتَغُونَ

١ـ الكافي ٤: ١٣٩، الحديث: ٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ معاني الأخبار: ٣٨٠، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «من أمر الدنيا».
٤ـ الكافي ٧: ٢٧٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٤.

﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: تطلبون ماله الّذي هو حطام سريع الزّوال، و هو الّذي يبعثكم على العجلة و ترك التّثبّت. ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾: أوّل ما دخلتم في الإسلام و تفوّهتم بالشّهادتين فحقنت[1] بها دماؤكم وأموالكم من غير أن تعلم مواطاة قلوبكم ألسنتكم. ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان و الاستقامة في الدّين ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ .تأكيد لتعظيم الأمر و ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

القمّي: نزلت في أُسامة بن زيد حين بعثه رسول الله صلّي الله عليه و آله في خيل إلى بعض اليهود ليدعوهم إلى الإسلام، و كان رجل من اليهود يقال له «مِرْداس» في بعض القرى، فلمّا أحسّ بالخيل، جمع أهله و ماله و صار في ناحية الجبل، فأقبل يقول: أشهد أن لا إله الاّ الله، و أشهد انّ محمّداً رسول الله، فمرّ به أُسامة، فطعنه فقتله، فلمّا رجع إلى رسول الله أخبره بذلك، فقال: أفلا شققت[2] الغطاء عن قلبه؟ لا ما قال بلسانه قبلت، و لا ما كان في نفسه علمت، فحلف أُسامة أن لا يقاتل أحداً شهد الشّهادتين، فتخلّف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه»[3].

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الحرب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾: الأصحّاء ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾. روي: «نزلت من دون استثناء في جماعة تخلّفوا يوم تبوك، فجاء عبدالله بن أُمّ مكتوم و كان أعمى، و هو يبكي، فقال: يا رسول الله كيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فنزل " غير أولي الضّرر "»[4]، و ورد: «لقد خلّفتم في المدينة أقواماً ما سرتم مسيراً و لا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم، و هم الّذين صحّت نيّاتهم،

١ـ في «ب» و «ج»: «فحصنت».
٢ـ في المصدر: «فلا شققت».
٣ـ القمّي ١: ١٤٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٦ـ٩٧.

و نَصَحَتْ جُيُوبهم [١] ، و هوت أفئدتهم إلى الجهاد، و قد منعهم من المسير ضررٌ أو غيره»[٢] . ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

﴿ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ . روي : «أنّ الله فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة، بين كلّ درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمر» [٣] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ . يحتمل الماضي و المضارع . ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ : في أيّ شيء من أمر دينكم؟ ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ : يستضعفنا أهل الشرك بالله، في أرضنا و بلادنا، بكثرة عددهم و قوّتهم، و يمنعوننا من الإيمان بالله و اتباع رسوله . ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ : فتفارقوا من يمنعكم من الإيمان إلى قطر آخر، كما فعل المهاجرون إلى المدينة و الحبشة .

﴿ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ . قيل : نزلت في ناس من مكّة أسلموا و لم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة [٤] . و القمّي : نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام ، و لم يقاتل معه . "مستضعفين" أي : لم نعلم مع من الحقّ، "أرض الله واسعة" أي : دين الله و كتاب الله واسع ، فتنظروا فيه [٥] .

أقول : هذا تأويل و ذاك تفسير . ورد : « لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أُذنه و وعاها قلبه» [٦] .

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ «يدفعون بها

١ـ رجل ناصح الجَيْب : لاغشّ فيه . تقيّ القلب . القاموس المحيط ١ : ٢٦١ ؛ والصّحاح ١ : ٤١١ (نصح).
٢ـ جوامع الجامع ١ : ٢٨١ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .
٣ـ مجمع البيان ٤ـ٣ : ٩٧ .
٤ـ البيضاوي ٢ : ١١١ .
٥ـ القمّي ١ : ١٤٩ .
٦ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح) : ٢٨٠ ، من خطبة : ١٨٩ .

الكفر». كذا ورد [١]. ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال: «إلى الإيمان، لايستطيع أن يؤمن ولا يكفر؛ الصّبيان و من كان من الرّجال و النّساء على مثل عقول الصّبيان» [٢]. و قال: «البَلْهاء في خدْرِها [٣]، و الخادم، تقول لها: صلّي فتصلّي لا تدري إلاّ ما قلت لها، و الجليب [٤] الّذي لا يدري إلاّ ما قلت له، و الكبير الفاني، و الصّغير» [٥]. و في رواية: «لا يستطيعون حيلة إلى النّصب فينصبون، و لا يهتدون سبيلاً إلى الحقّ، فيدخلون فيه؛ هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة و باجتناب المحارم الّتي نهى الله عنها، و لا ينالون [٦] منازل الأبرار» [٧].

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ﴾: يفارق أهل الشّرك ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في منهاج دينه ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾: متحوّلاً من الرّغام، و هو التّراب و مخلصاً من الضّلال. ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزّق و إظهار الدّين. ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. روي: «لمّا نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين و هو «جُنْدَب بن ضَمْرة» و كان بمكّة، فقال: و الله ما انا ممّن استثنى الله، إنّي لأجد قوّة، و إنّي لعالم بالطّريق، و كان مريضاً شديد المرض، فقال لبنيه: و الله لا أبيت بمكّة حتّى اخرج منها، فإنّي أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتّى إذا بلغ التّنعيم مات، فنزلت» [٨].

١ و ٢ـ الكافي ٢: ٤٠٤، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الخدْر ـ بالكسر ـ ستر أعدّ للجارية البكر في ناحية البيت، و الجمع: خُدُور. و جارية مُخَدَّرَة: إذا ألزمت الخدر. «مجمع البحرين ٣: ٢٨٣ ـ خدر» و في الحديث: «عليك بالبَلْهاء! قلت: و ما البَلْهاء؟ قال: ذوات الخدور العفائف». مجمع البحرين ٦: ٣٤٣ (بله).
٤ـ الجليب: الّذي يجلب من بلد إلى آخر. «منه قدّه في الصّافي ١: ٤٥٥».
٥ـ معاني الأخبار: ٢٠٣، الحديث: ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في «الف»: «لاينازلون منازل الابرار».
٧ـ معاني الأخبار: ٢٠١، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ـ المجمع ٣ـ٤: ١٠٠.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بتنصيف الرّباعيات. قيل: كأنّهم ألفوا الإتمام وكان مظنّة لأن يخطر ببالهم أنّ عليهم نقصاناً في التّقصير، فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمأنّوا إليه[١]. قال: «التّقصير في السّفر واجب كوجوب التّمام في الحضر»[٢]. وفي رواية: «فرض المسافر ركعتان غير قصر»[٣]. ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أنفسكم أودينكم، و هذا الشّرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت، فإنّ القصر ثابت في حال الامن ايضاً. ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: ظاهر العداوة.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾: في أصحابك الضّاربين في الارض، الخائفين عدّوهم أن يغترّوهم ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ بان تؤمّهم ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم﴾: من أصحابك ﴿مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾: تحرّزهم و تيقّظهم ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

ورد في بيان صلاة الخوف: «أنّ طائفة تقوم بإزاء العدّو، و أُخرى خلف الإمام، يصلّي بهم ركعة، ثمّ يقومون فيَمثُلُ[٤] الإمام قائماً حتّى يتمّ من خلفه صلاتهم وينصرفوا إلى العدوّ، فيجيء الطّائفة الأُولى، فيصلّي بهم الإمام ركعة[٥] الثّانية و يسلّم، ثمّ يقوم

١ـ البيضاوي ٢: ١١٣.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٧٨، الحديث: ١٢٦٦؛ و العيّاشي ١: ٢٧١، الحديث: ٢٥٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الدّرّ المنثور ٢: ٦٥٧؛ والعيّاشي ١: ٢٧١، الحديث: ٢٥٤و٢٥٥، عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ مَثَلَ الرّجل يَمثُلُ مُثُولاً: إذا انتصب قائماً. مجمع البحرين ٥: ٤٧١ (مثل).
٥ـ في «ج» و «ب»: «ركعته الثّانية».

من خلفه فيتمّون صلاتهم»[1]. ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها. ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ كيلا يهجم عليكم العدوّ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فرغتم منها و أنتم محاربوا عدوّكم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: ادعوا الله في هذه الأحوال، لعلّ الله ينصركم على عدوّكم ويظفركم بهم. ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: فإذا استقررتم في أوطانكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فأتمّوا الصّلاة الّتي أذن لكم في قصرها و تخفيفها حال السّفر و الخوف، و أتمّوا حدودها. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ قال: «مفروضاً»[2].

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾: لا تضعفوا في طلبهم ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ ممّا ينالكم من الجراح منهم ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ أيضاً ممّا ينالهم من ذلك ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من إظهار الدّين و استحقاق الثّواب، فأنتم أولى و أحرى على حربهم و قتالهم، منهم على قتالكم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح خلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره إيّاهم.

القمّي: إنّ النّبيّ ﷺ لمّا رجع من وقعة أُحُد و دخل المدينة، نزل عليه جبرئيل، فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلّا من به جراحة، فأقبلوا يضمدون[3] جراحاتهم ويداوونها، فنزلت "ولا تهنوا" الآية؛ و قوله[4] "إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله" إلى قوله "شهداء"؛ فخرجوا على ما بهم من

١ـ الكافي ٣: ٤٥٥، الحديث: ١ عن أبي عبد الله ﷺ، مع تفاوت في العبارة.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٢٥، الحديث: ٦٠١، عن أبي عبدالله ﷺ؛ و العيّاشي ١: ٢٧٣، الحديث: ٢٥٩، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ ضَمَدَ الجُرْحَ يَضْمِدُهُ و يَضْمُدُهُ و ضَمَّدَه: شَدَّه بالضِّمادة و هي العصابة. القاموس المحيط ١: ٣٢١ (ضمد).
٤ـ عطفٌ على: «ولاتهنوا» أي: و نزلت «و لا تهنوا» الآية و نزلت: «إن يمسسكم» الآية.

الألم و الجراح [١].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾: بما عرّفك و أوحى به إليك. قال: «ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسول الله و إلى الأئمّة عليهم السّلام، ثمّ تلا هذه الآية. قال: و هي جارية في الأوصياء» [٢]. ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾: لأجلهم و الذّبّ عنهم ﴿خَصِيمًا﴾ للبراء.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. القمّي ما ملخّصه: إنّ بني أُبَيْرِق: بشيراً و مبشّراً و بشراً ـ و كانوا منافقين ـ نقبوا على عمّ قَتَادَة بن النّعمان، فأخرجوا طعاماً و سيفاً و درعاً، فشكى قَتَادة ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال بنو أُبَيْرِق: هذا عمل لَبيد بن سَهْل، و كان لَبيد مؤمناً، فخرج عليهم بالسّيف و قال: اترمونني بالسَّرِق و انتم أولى به منّي؟ و أنتم المنافقون تهجون رسول الله و تنسبون الهجاء إلى قريش، فداروه؛ ثمّ جاء رجل من رهط بني أُبيرق ـ و كان منطيقاً بليغاً ـ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ قَتَادَة عمد إلى أهل بيت منّا، أهل شرف و حسب و نسب، فرماهم بالسَّرِق؛ فاغتمّ رسول الله وعاتب قَتادة عتاباً شديداً، فاغتمّ قتادة، و كان بدريّاً، فنزلت الآيات [٣].

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يدبّرون و يزوّرون باللّيل ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾: من رمي البريء. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: محامياً عنهم يحميهم عن [٤] عذاب الله.

١ـ القمّي ١: ١٢٤ـ١٢٥.
٢ـ الكافي ١: ٢٦٧، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٥٠ـ١٥١.
٤ ـ في «ب» و «ج»: «من عذاب الله».

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾ : قبيحاً يسوء به غيره ﴿ أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ بما يختصّ به، و لا يتعدّاه ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ . قال: «من أُعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة»[1] . ثمّ تلا الآية.

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ .

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً ﴾ : ذنباً على غير عمد ﴿ أَوْ إِثْمًا ﴾ : ذنباً تعمّده ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بإعلام ما هم عليه بالوحي ﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ عن القضاء بالحقّ، مع علمهم بالحال. و ليس القصد فيه إلى نفي همّهم بل إلى نفي تأثيره فيه. ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ ﴾ لأنّ و باله عليهم ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ فإنّ الله عاصمك و ناصرك ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

ورد: «إنّ أُناساً من رهط بشير الأدنين قالوا: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ نكلّمه في صاحبنا و نعذره، فإنّ صاحبنا بريء، فلمّا أنزل الله. "يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ"[2] الآية، أقبلت رهط بشير، فقالت: يا بشير استغفر الله وتب من الذّنب. فقال: والّذي أحلف به ما سرقها إلّا لبيد، فنزلت "وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً"[3] الآية. ثمّ إنّ بشيراً كفر و لحق بمكّة. وأنزل الله في النّفر الّذين أعذروا بشيراً و أتوا النّبيّ ليعذروه: "وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْك" الآية. و نزل في بشير و هو بمكّة: "وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِما تَبيَّنَ لَهُ الْهُدَى"[4] الآية.»[5].

١ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٩٤، الحكمة: ١٣٥؛ والخصال ١: ٢٠٢، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ النّساء(٤): ١٠٨.
٣ـ النّساء(٤): ١١٢.
٤ـ النّساء(٤): ١١٥.
٥ـ القمّي ١: ١٥٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

و ورد في تأويل "إذ يبيّتون": «فلان وفلان والجرّاح»[١]. و في رواية: «المغيّرون الكلم عن مواضعه بعد فقد رسول الله ﷺ لإقامة أوَد[٢] باطلهم، كما فعلته اليهود والنّصارى من تغيير التّوراة والإنجيل»[٣].

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قال: «القرض»[٤]. ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بأن يستمع[٥] من الرّجل كلاماً يبلغه، فتخبث نفسه[٦]، فتلقاه، فتقول: سمعت من فلان فيك من الخير كذا و كذا خلاف ما سمعت منه. ورد: «ثلاث يحسن فيهنّ الكذب: المكيدة في الحرب، و عدتك زوجتك، والإصلاح بين النّاس»[٧]. و ورد: «إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم، كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم»[٨]. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: يخالفه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾: ظهر له الحقّ ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ما هم عليه من الدّين الحنيفيّ ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نجعله والياً لما تولّى من الضّلال بأن نخذله و نخلّي بينه و بين ما اختاره ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. القمّي: نزلت في بشير[٩] كما مرّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. كرّره لقصّة بشير أو

١ـ الكافي ٨: ٣٣٤، الحديث: ٥٢٥، عن أبي الحسن عليه السلام. والجرّاح: هو ابو عُبَيْدَة الجرّاح، كما في المصدر.
٢ـ الأوَد: العوج. أقام أوَدَهُ: أي عوّجه. مجمع البحرين ٣: ٩ (أود).
٣ـ الاحتجاج ١: ٣٧١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٤: ٣٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف» و «ج»: «بأن تسمع».
٦ـ الخبيث، ضدّ الطّيب، يقال: خَبُثَ الشّيء خُبثاً ـ من باب قَرُبَ ـ و خَبَاثَة: ضدّ طاب. مجمع البحرين ٢: ٢٥١ (خبث).
٧ـ الخصال ١: ٨٧، الحديث: ٢٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النّبيّ ﷺ.
٨ـ القمّي ١: ١٥٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٩ـ القمّي ١: ١٥٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

للتأكيد. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾: ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ قيل: يعني اللاّت والعزّى و منات الثّالثة الأُخرى و إساف و نائلة، كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه و يسمّونه أُنثى بني فلان [1]. روي [2]: «كان في كلّ واحدة منهنّ شيطانة أُنثى تتراءى للسّدنة [3]، وتكلّمهم، و ذلك من صنيع إبليس، وهو الشّيطان الّذي ذكره الله و لعنه» [4]. ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ لأنّه الّذي أمرهم بعبادتها و أغراهم عليها. والمَريدُ: الخارج عن الطّاعة.

﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعده عن الخير ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشّيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: قُدِّرَ لي و فُرِضَ؛ قاله عداوة و بغضاً. روي: «في هذه الآية من بني آدم تسعة و تسعون في النّار و واحد في الجنّة» [5]. و في رواية: «من كلّ ألف واحد لله وسايرهم للنّار و لإبليس» [6].

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحقّ ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الأمانيّ الباطلة، كطول العمر، و أن لابعث ولا عقاب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾. قيل: كانوا يَشقّون آذانها إذا وَلَدَتْ خمسةَ أبطُنٍ والخامس ذكَرٌ، و حرّموا على أنفسهم الانتفاع بها [7]. و في رواية: «ليقطّعنّ الأُذن من أصلها» [8]. ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾. قال: «يريد دين الله و أمره، و يؤيّده قوله سبحانه: "فِطْرَةَ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لاتَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدّينُ القَيِّم"» [9]. و لعلّه يندرج فيه كلّ تغيير لخلق الله من دون إذن من الله،

١ـ البيضاوي ٢: ١١٧.
٢ـ في «ب»: «ورد مقطوعاً»؛ وفي «ج»: «ورد».
٣ـ السَّدَنَة جمع سادن ـ بكسر الدّال ـ: خادم الكعبة أو بيت الصّنم. القاموس المحيط ٤: ٢٣٥ (سدن).
٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١١٢، عن أبي حمزة الثّمالي في تفسيره.
٥ و ٦ـ المصدر: ١١٣، عن النّبيّ ﷺ.
٧ـ الكشّاف ١: ٥٦٤.
٨ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة الرّوم(٣٠): ٣٠.

كفقئهم [1] عين الفحل الّذي طال مكثه عندهم و إعفائه عن الرّكوب، و خصاء العبيد و كلّ مثلة؛ ولا ينافيه التّفسير بالدّين والأمر، لأنّ ذلك كلّه داخل فيهما. ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بان يؤثر طاعته على طاعة الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ إذ ضيّع رأس ماله و بدّل مكانه من الجنّة بمكانه من النّار.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ مالا يُنْجِز ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لاينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو إظهار النّفع فيما فيه الضّرر. و هذا الوعد إمّا بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه.

ورد: «لمّا نزلت هذه الآية: "وَالّذينَ إذا فَعَلُوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم" [2]، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثَوْر، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه فَمَنْ لها؟ قام عفريت من الشّياطين فقال: أنا لها بكذا و كذا. قال: لَسْتَ لها. فقام آخر، فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعِدُهم و أُمَنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فاذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار. فقال: أنت لها. فوكّله بها إلى يوم القيامة» [3].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: معدلاً و مهرباً.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾. تأكيد بليغ.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. القمّي: ليس ما تتمنّون انتم ولا أهل الكتاب، يعني أن لاتعذّبوا بأعمالكم [4]. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ عاجلاً أو آجلاً.

ورد: «إنّ الله تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً و له ذنب ابتلاه بالسّقم، فإن لم يفعل

١ـ الفَقْءُ ـ بالهمزة ـ: الشقّ، يقالُ: فَقَأْتُ عَيْنَهُ اي: شَقَقْتُها. مجمع البحرين ١: ٣٣٢ (فقا).
٢ـ آل عمران(٣): ١٣٥.
٣ـ الامالي (للصّدوق): ٣٧٦، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ١٥٣، و فيه: «بافعالكم».

ذلك به ابتلاه بالحاجة. فإن لم يفعل ذلك به شدّد عليه الموت، ليكافيه بذلك الذّنب»[1].

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ﴾: لنفسه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: من يواليه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنه العذاب.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: بعضها ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ بنقص شيء من الثّواب.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أخلص نفسه له ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: آتٍ بالحسنات. و ورد: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[2].

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الّتي هي دين الإسلام والمتّفق على صحّتها. يعني اقتدٰى بدينه وبسيرته و طريقته ﴿حَنِيفًا﴾: مايلاً عن سائر الأديان ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

قال: «لأنّه لم يُرِد أحداً و لم يسأل أحداً قطّ غير الله»[3]. و في رواية: «لكثرة سجوده على الأرض»[4]. و في أُخرى: «لكثرة صلاته على محمّد و أهل بيته»[5]. و في أُخرى: «لإطعامه الطّعام و صلاته باللّيل والنّاس نيام»[6].

و في أُخرى: «إنّ الخليل مشتقّ من الخَلّة والخُلّة إنّما معناها الفقر والفاقة، فقد كان خليلاً إلى ربّه فقيراً، و إليه منقطعاً، و عن غيره متعفّفاً معرضاً مستغنياً؛ و ذلك أنّه لمّا أُريد قذفه في النّار فرمي به في المنجنيق، فبعث الله إلى جبرئيل، فقال له: أدرك عبدي، فجاءه فلقيه في الهواء، فقال: كلّفني ما بدا لك، فقد بعثني الله لنصرتك. فقال: بل حسبي الله و نعم الوكيل، إنّي لاأسأل غيره ولا حاجة لي إلاّ إليه، فسمّاه خليله أي: فقيره و محتاجه والمنقطع إليه عمّا سواه. قال: وإذا جُعل معنى ذلك من الخلّة، وهو أنّه

١ـ الكافي ٢: ٤٤٤، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١١٦، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.
٣ـ علل الشّرايع ١: ٣٤، الباب: ٣٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام.
٤ـ المصدر، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣، عن عليّ بن محمّد العسكري عليهما السّلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٤، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.

قد تخلّل معانيه، و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان معناه العالم به وبأُموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله»[١].

أقول: لاتنافي بين هذه الاخبار لاشتراكها في معنى انقطاعه إلى الله واستغنائه عمّا سواه، وإنّه الموجب لخلّته إيّاه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وامراً، مُلكاً وملكاً[٢]، فهو مستغن عن جميع خلقه، وجميع خلقه محتاجون إليه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ علماً وقدرة.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: ويسئلونك الفتوى، أي: تبيين الحكم ﴿فِي ٱلنِّسَآءِ﴾: في ميراثهنّ. قال: «سئل النّبيّ ﷺ عن النّساء، مالهنّ من الميراث؟ فأنزل الله الرّبع والثّمن»[٣].

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: يبيّن لكم ماسألتم في شأنهنّ ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: ويفتيكم ايضاً مايقرأ عليكم من القرآن ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾: لاتعطونهنّ ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث. قال: «كان أهل الجاهليّة لايورّثون الصّغير ولا المرأة، وكانوا يقولون: لانورّث إلاّ من قاتل ودفع عن الحريم. فأنزل الله آيات الفرايض الّتي في أوّل السّورة، وهو معنى قوله: "لاتُؤتونهنّ ماكُتب لهنّ"»[٤]. ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ عن نكاحهنّ. القمّي: إنّ الرّجل كان في حجره اليتيمة، فتكون دميمة[٥] ساقطة، يعني حمقاء، فيرغب الرّجل أن يتزوّجها ولايعطيها مالها، فينكحها غيره من أجل مالها ويمنعها النّكاح ويتربّص بها الموت ليرثها؛ فنهى الله عن ذلك[٦]

١ـ الاحتجاج ١: ١٩، عن حسن بن عليّ العسكري، عن ابي عبدالله، عن النّبيّ عليهم السّلام.
٢ـ في «ب»: «ومُلكاً وملكاً».
٣ـ القمّي ١: ١٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١١٨، عن ابي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.
٥ـ الدّميمة: القبيحة المنظر، يقال: دمّ الرجل دمامة: قُبح منظره وصغُر جسمه. مجمع البحرين ٦: ٦٤ (دم).
٦ـ القمّي ١: ١٥٤.

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: ويفتيكم في المستضعفين ﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾: من الصّبيان الصّغار أن تعطوا حقوقهم، فإنّ فيما يتلىٰ عليكم: "وآتوا اليتامىٰ أموالهم"[1] كما سبق[2]. ﴿وَأَن تَقُومُوا﴾: ويفتيكم في أن تقوموا ﴿لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ في أنفسهم وفي أموالهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في أمر النّساء واليتامى وغير ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾. وعد لمن آثر الخير في ذلك.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا﴾: توقّعت لماظهر لها من المخايل[3] ﴿نُشُوزًا﴾: تجافياً عنها، وترفّعاً عن صحبتها، وكراهةً لها، ومنعاً لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بأن يقلّ مجالستها ومحادثتها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾. قال: «هي المرأة تكون عند الرّجل فيكرهها، فيقول لها: أُريد أن أُطلّقك، فتقول له: لاتفعل، إنّي أكره أن يشمت بي، ولكن أُنظر في ليلتي فاصنع بها ماشئت، وماكان سوى ذلك من شيء فهو لك، ودَعْني على حالتي، قال: هذا هو الصّلح»[4]. ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة وسوء العشرة. ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾[5] لكونها مطبوعة عليه، فلاتكاد المرأة تسمح بإعراض الزوّج عنها وتقصيره في حقّها، ولا الرّجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقّها على ماينبغي إذا كرهها أو احبّ غيرها. القمّي: وأُحضرت الشّحّ، فمنها من اختارته، ومنها من لم تختره[6]. ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النّشوز والإعراض ونقص الحقّ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ قال: «ان تسوّوا بينهنّ في المحبّة والمودّة

١ـ النّساء (٤): ٢.
٢ـ في تفسير الآية: ٢ من هذه السّورة.
٣ـ المخايل، جمع المَخيلة، وهي مايوقع في الخيال، يعني به الامارات. وخِلْتُ الشيءَ خيلاً ومَخيلةً: ظننتُه. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).
٤ـ الكافي ٦: ١٤٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الشّحّ: البخل مع حرص، فهو أشدّ من البخل؛ لأنّ البخل في المال، وهو في مالٍ ومعروف. مجمع البحرين ٢: ٣٧٩ (شحح).
٦ـ القمّي ١: ١٥٥، وفيه: «ما» بدل «من» في الموضعين.

بالقلب»[١]. وفي رواية: «التّسوية في كلّ الأُمور من جميع الوجوه»[٢]. ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ كلّ الحرص فإنّ ذلك ليس إليكم، ولاتملكونه ولاتكلّفونه ولاتؤاخذون به. روي: «إنّ النّبيّ ﷺ كان يقسّم بين نسائه ويقول: اللّهمّ هذه قسمتي فيما أملك فلاتلمني فيما تملك ولاأملك»[٣]. ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ الّتي ليست ذات بعل ولا أيّماً[٤]. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ كان يقسّم بين نسائه في مرضه، فيُطاف به بينهنّ، وإنّ عليّاً عليه السلام كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لايتوضّأ في بيت الأُخرى»[٥]. ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ ماتفسدون من أُمورهنّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفرلكم مامضى.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ ببدل أوسلو[٦]، ويرزقه من فضله ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لايتعذّر عليه الإغناء بعد الفرقة والإيناس بعدالوحشة. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾. قال: «في هذه الآية قدجمع الله مايتواصى به المتواصون، من الأوّلين والآخرين، في خصلة واحدة، وهي التّقوى، وفيه جماع كلّ عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدّرجات العُلى»[٧]. ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لايتضرّر

١ـ الكافي ٥: ٣٦٣، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ٢٧٩، الحديث: ٢٨٥؛ والقمّي ١: ١٥٥؛ ومجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٣ـ المصدر؛ والدرّ المنثور ٢: ٧١٢.

٤ـ الأيِّم، فيما يتعارفه أهل اللسان: الّذي لازوج له، من الرّجال والنّساء. يقال: رجلٌ أيِّم، سواء كان تزوج من قبل أو لم يتزوج؛ والمرأة أيِّم، أيضاً، بكراً كانت أو ثيباً. وإنّما قيل للمرأة «أيِّم» ولم يقل «أيمة»؛ لأنّ أكثر ذلك للنّساء، فهو كالمستعار. مجمع البحرين ٦: ١٦ (ايم)

٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السّلام.

٦ـ السَّلْوَة والسُّلْوَة: رخاء العيش. يقال: هو في سلوة من العيش، أي: في نعمة ورفاهية ورغد. مجمع البحرين ١: ٢٢٣؛ ولسان العرب ١٤: ٣٩٦ (سلا)

٧ـ مصباح الشّريعة: ١٦٣، الباب: ٧٧، في الوصيّة، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بكفرانكم وعصيانكم، كما لاينتفع بشكركم وتقواكم، وإنّما وصّاكم لرحمته لالحاجته. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ في ذاته، حُمِدَ أولم يُحْمَدْ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلّ يدلّ بحاجته على غناه، وبما فاض عليه من الوجود والكمال على كونه حميداً ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافظاً للجميع، لايعزب عنه مثقال ذرّة فيهما.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يفنكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ مكانكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾. روي: «لمّا نزلت هذه الآية ضرب النّبيّ ﷺ يده على ظهر سلمان ـ رضي الله عنه ـ وقال: هم، قوم هذا، يعني عجم الفرس»[1].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ كمن يجاهد للغنيمة ﴿فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فليطلب الثّوابين جميعاً من عندالله تعالى، وما باله يكتفي بأخسّهما ويدع أشرفهما، على أنّه لوطلب الأشرف لم يخطئه الأخسّ. ورد: «من كانت الآخرة همّته، كفاه الله همّته[2] من الدّنيا»[3]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ عالماً بالاغراض، فيجازي كلاً بنيّته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾: مواظبين على العدل، مجتهدين في إقامته ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ بالحقّ، تقيمون شهادتكم لوجه الله ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾: ولو كانت الشّهادة على انفسكم بأن تقرّوا عليها ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه أوالمشهود له[4] ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلاتمتنعوا عن إقامة الشّهادة للغنيّ على الفقير، لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه، ولا عن إقامة الشّهادة للفقير على

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢٢؛ والبيضاوي ٢: ١٢٢.
٢ـ في «ب»: «همّه».
٣ـ الخصال ١: ١٢٩، الباب: ٣، الحديث: ١٣٣، عن أمير المؤمنين ﷺ، وفيه: «همّه» في الموضعين.
٤ـ في «الف»: «المشهود أو المشهود عليه».

الغنيّ، تهاوناً بالفقير و توقيراً للغنيّ، أو خشية منه، او حشمة له ﴿فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ﴾: بالغنيّ والفقير وانظر لهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ﴾: لأن تعدلوا عن الحقّ، من العدول؛ او لأجل ان تعدلوا في الشّهادة، من العدل. نهى عن متابعة الهوى في إقامتها؛ كمراعاة صداقة، أو عداوة، او وحشة، أو عصبيّة، أو غير ذلك. ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾ قال: «تبدلوا الشّهادة»[١]. ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ قال: «تكتموها»[٢]. وفي رواية: «إن تلووا الامر، أو تعرضوا عمّا أمرتم به»[٣]. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بالسنتهم وظاهرهم ﴿ءَامِنُواْ﴾ بقلوبكم وباطنكم ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [يعني محمّد ﷺ][٤] ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [أي: القرآن][٥] ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ [أي: التّوراة والإنجيل، أوالجنس][٦] ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ يعني بشيء من ذلك ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ حتّى لم يبق فيهم من الإيمان شيء. قال: «نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا برسول الله ﷺ في أوّل الامر، ثمّ كفروا حين عرضت عليهم الولاية، حيث قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ثمّ آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين ﷺ حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه، ثمّ كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقرّوا بالبيعة، ثمّ ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء»[٧]. والقمّي: آمنوا إقراراً لاتصديقاً[٨].

١ و٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢٤، عن ابي جعفر ﷺ.
٣ـ الكافي ١: ٤٢١، الحديث: ٤٥، عن ابي عبدالله ﷺ.
٤، ٥و٦ـ مابين المعقوفات من «ب».
٧ـ العيّاشي ١: ٢٨١، الحديث: ٢٨٩؛ والكافي ١: ٤٢٠، الحديث: ٤٢، عن ابي عبدالله ﷺ.
٨ـ القمّي ١: ١٥٦.

في الموضعين. وفي رواية: «نزلت في ابن أبي سرح[1]، الّذي بعثه عثمان إلى مصر»[2].

﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ إلى الجنّة لأنّ بصائرهم عميت عن الحقّ، فلايتأتّى منهم الرّجوع إليه.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وقد كتبها لأوليائه. القمّي: نزلت في بني أُميّة حيث حالفوا على أن لايردّوا الأمر في بني هاشم[3].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿أَنْ﴾: أنّه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾. ورد في تفسيرها: «إذا سَمِعْتَ الرّجل يجحد الحقّ ويكذّب به ويقع[4] في أهله، فقم من عنده ولاتقاعده»[5]. "اِنَّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ" في الكفر، إن رضيتم به وإلاّ ففي الإثم، لقدرتكم على الإنكار أو الإعراض. ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ القاعدين والمقعود معهم ﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾: ينتظرون وقوع أمر بكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: مظاهرين لكم، فاسهموا لنا فيما غنمتم ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾

١ـ هو عبدالله بن سعد بن ابي سرح، اسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله ﷺ، وكان يكتب له، ثمّ ارتدّ مشركاً وسار إلى قريش بمكّة، فلمّا كان يوم فتح مكّة، امر رسول الله ﷺ بقتله اينما وجد، حتّى لحق استار الكعبة، ففرّ إلى عثمان بن عفّان فغيّبه حتّى أتى به إلى رسول الله وأسلم ثانياً. وولاّه عثمان في زمانه مصر، سنة خمس وعشرين. وفتح إفريقيّة، فاعطاه عثمان جميع ما أفاءالله على المسلمين من فتح إفريقيّة بالمغرب. وهو اخو عثمان من الرّضاع. وأسوأ أحواله خاتمته، حيث شهد صفّين مع معاوية، على ماقيل. «راجع: تنقيح المقال ١ : ٢٨١».

٢ـ العيّاشي ١ : ٢٨٠، الحديث: ٢٨٧، عن الصادقين عليهما السلام، وفيه: «عبدالله بن ابي سَرْح».

٣ـ القمّي ١ : ١٥٦، وفيه: «خالفوا نبيّهم على أن ...».

٤ـ وَقَعَ في النّاس وَقيعَةً: اغتابهم. مجمع البحرين ٤ : ٤٠٨ (وقع).

٥ـ الكافي ٢ : ٣٧٧، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ والعيّاشي ١ : ٢٨١، الحديث: ٢٩٠، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

من الحرب ﴿قَالُوٓا۟﴾ للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾: الم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فأبقينا عليكم. والاستحواذ: الاستيلاء. ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن اخذلناهم عنكم، بتخييل ماضعفت به قلوبهم، وتوانينا[1] في مظاهرتهم، وكنّا عيوناً لكم حتّى انصرفوا عنكم وغلبتموهم، فاشركونا فيما أصبتم. سُمّي ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً، لخسّة حظّهم. ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بالحق ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾. قال: «يعني لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجّة»[2].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾. سبق تفسيره[3]. ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين كالمكره على الفعل ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ليخالوهم مؤمنين ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ المرائي لايفعل إلاّ بحضرة من يرائيه. ورد: «من ذكر الله في السرّ، فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولايذكرونه في السرّ، فقال الله عزّوجلّ: "يُراؤُنَ النّاسَ وَلايَذْكُرُونَ اللهَ إلاّ قَليلاً"»[4].

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: مردّدين بين الإيمان والكفر؛ من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطرباً، وأصله: الذبّ بمعنى الطرد. ﴿لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: يظهرون الإيمان كمايظهره المؤمنون، ولكن لايضمرونه كمايضمرون، ويضمرون الكفر كمايضمرونه[5] الكافرون، ولكن لايظهرونه كمايظهرون. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾: حجّة واضحة، فإنّ موالاة الكافرين دليل النّفاق.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: في قعر جهنّم، فإنّ للنّار دركات

١ـ توانى في الأمر: ترفّق. مجمع البحرين ١: ٤٦٥ (ونا).
٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٤، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ٥.
٣ـ ذيل الآية: ٩، من سورة البقرة.
٤ـ الكافي ٢: ٥٠١، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ في «ب» و «ج»: «كمايضمره».

متداركة، بعضها تحت بعض، كما أنّ للجنّة درجات متدرّجة، بعضها فوق بعض.

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجهم منه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾: وثقوا به وتمسّكوا بدينه ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: لا يريدون بطاعتهم إلّا وجهه ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: «لا يحبّ الله الشتم في الانتصار»[1].

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ قال: «فلا بأس له أن ينتصر ممّن[2] ظلمه، بما يجوز الانتصار به في الدّين»[3]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ مع قدرتكم على الانتقام، من دون جهر بالسّوء من القول؛ وهو المقصود ذكره، وما قبله تمهيد له، ولذا رتّب عليه قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ وهو حثّ للمظلوم على العفو، بعد ما رخّص له في الانتصار، حملاً على مكارم الأخلاق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾: ببعض الأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ كاليهود والنّصارى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين الإيمان والكفر ﴿سَبِيلًا﴾ إلى الضّلالة. القمّي: هم الّذين أقرّوا برسول الله ﷺ وأنكروا بأمير المؤمنين عليه السلام[4].

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بل آمنوا بجميعهم

١ و ٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «الف»: «من».
٤ـ القمّي ١: ١٥٧.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾. روي: «إنّ كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا: يامحمّد! إن كنت نبيّاً، فأتنا بكتاب من السّماء جملة، كماأتىٰ موسى بالتّوراة جملة، فنزلت»[١]. ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ﴾ وهو تعنّتهم وسؤالهم المستحيل ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾: عبدوه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: المعجزات الباهرات ﴿فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾ لسعة رحمتنا ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾: حجة بيّنة تبين عن صدقه.

﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل ﴿بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ ليقبلوه ﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ﴾ على لسان موسى ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾: باب حطّة ﴿وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾: لاتتجاوزوا في يوم السّبت ماأُبيح لكم إلى ماحُرّم عليكم ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ على ذلك.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ يعني: فخالفوا ونقضوا، ففعلنا بهم مافعلنا بسبب نقضهم؛ و «ما» مزيدة للتّأكيد. ﴿وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾: أوعية للعلوم أوفي أكنّة، كماسبق تفسيره[٢]. ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ﴾ بعيسى ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ يعني: نسبتها إلى الزّنا. ورد: «إنّ رضا النّاس لايملك، وألسنتهم لاتضبط، ألم ينسبوا مريم ابنة عمران عليهما السّلام إلى أنّها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف»[٣].

﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ يعنون رسول الله بزعمه.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣٣.
٢ـ ذيل الآية: ٨٨ من سورة البقرة.
٣ـ الأمالي (للصّدوق): ٩١، المجلس الثاني والعشرون، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾. قيل: إنّما ذمّهم بمادلّ عليه الكلام من جرأتهم على الله، وقصدهم قتل نبيّه المؤيّد بالمعجزات القاهرة وبتجحججهم[1] به، لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم[2]. وقد سبق ذكر هذه القصّة في آل عمران[3]. ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾. قيل: قال بعضهم: كان كاذباً فقتلناه حقّاً، وتردّد آخرون، فقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال من سمع منه إنّ الله يرفعني إلى السّماء: رُفع إلى السّماء، وقال قوم: صُلب النّاسوت وصعد اللاّهوت[4]. ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾.

﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾. ردّ وإنكار لقتله. ورد: «إنّ لله بقاعاً في سماواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله يقول في قصّة عيسى بن مريم: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾»[5]. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾. قال: «إنّه ينزل قبل يوم القيامة إلى الدّنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره، إلاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ عليه السلام»[6]. وفي رواية: «ليؤمننّ بمحمّد صلى الله عليه وآله قبل موت الكتابي»[7]. ورد: «ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلاّ رأى رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السّلام حقّاً، من الأوّلين والآخرين»[8]. ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ قال: «يعني لحوم الإبل

١ـ جَحْجَحَ: افْتَخَرَ. المعجم الوسيط ١: ١٠٧ (جحجح). وفي «ب»: «بتبجّحهم» وهي بمعناه.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٢٧ـ١٢٨.
٣ـ ذيل الآيات: ٣٥ إلى ٥٥.
٤ـ البيضاوي ٢: ١٢٨.
٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٢٧، ذيل الحديث: ٤؛ وعلل الشرايع ١: ١٣٣، الباب: ١١٣، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٦ـ القمّي ١: ١٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣٧ـ١٣٨.
٨ـ العيّاشي ١: ٢٨٤، الحديث: ٣٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

والبقر والغنم»[١]. ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾. قيل: يعني ويؤمنون بالمقيمين، يعني الانبياء[٢]. وقيل: بل نصب بالمدح[٣]. ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ قال: «إني أوحيت إليك، كما أوحينا إلى نوح والنّبيّين من بعده، فجمع له كلّ وحيٍ»[٤]. ورد: «أُعطيت السّور الطّول مكان التّوراة، وأُعطيت المئين مكان الإنجيل، وأُعطيت المثاني مكان الزّبور، وفضّلت بالمفصّل ثمان وستون سورة»[٥][٦]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

﴿وَرُسُلًا﴾: وأرسلنا رسلاً ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾

١ـ الكافي ٥: ٣٠٦، الحديث: ٩؛ والعيّاشي ١: ٢٨٤، الحديث: ٣٠٤؛ والقمّي ١: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٤٠؛ والتفسير الكبير ١١: ١٠٦؛ والبيضاوي ٢: ١٢٩.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٥، عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ الكافي ٢: ٦٠١، الحديث: ١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه: «الطوال» مكان: «الطول».
٦ـ السّبع الطّول: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التّوبة؛ لأنّها تدعى القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بسم الله الرّحمن الرّحيم. وإنّما سمّيت هذه السّور الطّول؛ لأنّها أطول سور القرآن. وامّا المثاني، فهي السورة التالية للسّبع الطول، وأولها سورة يونس، وآخرها النّحل. وإنّما سمّيت مثاني؛ لأنّها ثنت الطول، أي: تلتها، فكان الطول هي المبادئ، والمثاني لها ثواني. وامّا المأون، فهي كلّ سورة تكون نحواً من مائة آية، أو فويق ذلك، أو دوينه. وهي سبع أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون. وقيل: أنّ المائين ما ولي السّبع الطول، ثمّ المثاني بعدها، وهي الّتي يقصر عن المائين ويزيد على المفصّل. وسمّيت مثاني؛ لأنّ المائين مباد لها. وامّا المفصّل، فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، طوالها من سورة محمّد إلى النّبأ، ومتوسّطاته منه إلى الضّحى، وقصاره منه إلى آخر القرآن. وسمّيت مفصّلاً؛ لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرّحمن الرّحيم. «راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ١٤؛ ومرآة العقول ١٢: ٤٨١ـ٤٨٢».

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. قال: «كان بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن، فلم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء، وهو قول الله عزّوجلّ: "ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك" يعني: لم يسمّ المستخفين، كما سمّي المستعلنين من الأنبياء»[١].

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا: لولا ارسلت إلينا رسولاً، فينبّهنا ويعلّمنا مالم نكن نعلم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾. قيل: لمّا نزلت "إنّا أوحينا إليك" قالوا: مانشهد لك بهذا، فنزلت[٢]. ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ بأنك مستأهل له ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وإن لم يشهد غيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ لأنهم قدجمعوا[٣] بين الضّلال والإضلال، ولأنّ المضلّ يكون اغرق في الضّلال وأبعد من الانقلاع عنه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ جمعوا بينهما ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾. ورد: «نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: إنّ الّذين كفروا وظلموا آل محمّد حقّهم»[٤]. والقمّي: إنّ الصّادق عليه السلام قراها هكذا[٥].

١ـ كمال الدّين ١: ٢١٥، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢؛ والعيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٣٠.
٣ـ في «ج»: «لأنّهم جمعوا».
٤ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٧؛ والكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي الكافي: «إنّ الّذين ظلموا آل محمّد حقّهم».
٥ـ القمّي ١: ١٥٩.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾: يكن الإيمان خيراً لكم ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾. غلت اليهود في حطّ عيسى، حتّى رموه بأنّه ولد لغير رِشْدَةٍ[1]؛ والنّصارىٰ في رفعه، حتّى اتّخذوه إلهاً. ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ يعني: تنزيهه عن الشّريك والصّاحبة والولد ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ قال: «روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى»[2]. وفي رواية: «مخلوقان اختارهما[3] واصطفاهما»[4]. ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ الآلهة ثلاثة: الله، والمسيح، ومريم؛ كمايدلّ عليه قوله تعالى: "ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتّخِذوُني وأُمّي إلٰهَيْنِ مِنْ دوُنِ الله"[5]. ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن التّثليث ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾: يكن الانتهاء خيراً ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ وحدة حقيقيّة، لايتطرّق إليها نحو من أنحاء الكثرة والتّعدّد أصلاً ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾. تنبيه على غناه عن الولد، فإنّ الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء، كاف في ذلك، مستغن عمّن يخلفه أو يعينه.

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾: لن يأنف ﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ لأنّ عبوديّة الله شرف يباهىٰ به، وإنّما المذلّة في عبوديّة غيره. روي: «إنّ وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: لِمَ تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأيّ شيء أقول؟ قالوا: تقول: إنّه عبدالله. قال: إنّه ليس بعارٍ أن يكون عبداً لله. قالوا: بلى. فنزلت»[6]. ﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ

١ـ يقال: هذا ولد رِشْدة إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضدّه: ولد زِنْية. النّهاية ٢: ٢٢٥ (رشد).
٢ـ الكافي ١: ١٣٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «هي روح الله مخلوقة ...».
٣ـ في «ب»: «خلقهما».
٤ـ التوحيد: ١٧٢، الباب: ٢٧، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المائدة (٥): ١١٦.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٤٦؛ والبيضاوي ٢: ١٣١.

ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾: وترفّع[1] عنها. والاستكبار دون الاستنكاف؛ وإنّما يستعمل حيث لااستحقاق، بخلاف التكبّر، فإنّه قديكون باستحقاق، كما هو في الله سبحانه. ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾. قال: «البرهان: محمّد ﷺ، والنّور: عليّ عليه السلام، والصّراط المستقيم: عليّ عليه السلام»[2]. والقمّي: النّور: إمامة عليّ، والاعتصام: التّمسّك بولايته، و ولاية الأئمّة عليهم السّلام بعده[3].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: في الكلالة، كما يدلّ عليه الجواب، وقد سبق تفسيرها[4]. روي: «إنّ جابر بن عبدالله كان مريضاً، فعاده رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لي كلالة فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت»[5]. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ قال: «أُخت لأمّ وأب او أُخت لأب»[6]. ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ أي والمرء يرث أُخته جميع مالها إن كانت الأُخت هي الميتة. ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ﴾ ولا والد، لأنّ الكلام في ميراث الكلالة، ولما ثبت أنّ الإخوة لايرثون مع الأب. ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾. الضّمير لمن يرث بالأُخوّة. ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا

١ـ في «ج»: «يترفّع».
٢ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٥٩.
٤ـ ذيل الآية: ١٢ من هذه السّورة.
٥ـ البيضاوي ٢: ١٣٢؛ والدّرّ المنثور ٢: ٧٥٣.
٦ـ الكافي ٧: ١٠١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. قال: «إذا مات الرّجل وله أُخت، تأخذ نصف الميراث بالآية، كما تأخذ البنت لو كانت، والنّصف الباقي يردّ عليها بالرّحم، إذا لم يكن للميّت وارث أقرب منها؛ فإن كان موضع الأُخت أخ، أخذ الميراث كلّه بالآية، لقول الله تعالى "وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ" فإن كانت[1] أُختين أخذتا الثّلثين بالآية، والثّلث الباقي بالرّحم؛ وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً "فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ" وذلك كلّه إذا لم يكن للميّت ولد وأبوان أو زوجة»[2]. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾: كراهة أن تضلّوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ قيل: هي آخر آية نزلت في الأحكام[3].



١ـ الكافي: «كانتا».
٢ـ القمّي ١: ١٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «إذا لم يكن للميّت ولد أو أبوان أو زوجة». وفي «الف»: «... ولد وأبوان وزوجة».
٣ـ البيضاوي ٢: ١٣٢؛ والكشّاف ١: ٥٨٩.

سورة المائدة

[مدنيّة، و هي مائة و عشرون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ قال: «أي: بالعهود» [2].

أقول: الإيفاء والوفاء بمعنًى. والعقد: العهد الموثّق، ويشمل هنا كلّ ما عقد الله على عباده وألزمه إيّاهم من الإيمان به، وبملائكته وكتبه و رسله وأوصياء رسله، وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والإتيان بفرائضه و سننه، و رعاية حدوده و أوامره و نواهيه، وكلّ ما يعقده المؤمنون على أنفسهم لله وفيما بينهم من الأمانات والمعاملات الغير المحظورة.

وورد: «إنّ رسول الله ﷺ عقد عليهم لعليّ صلوات الله عليه بالخلافة في عشرة [3] مواطن، ثمّ أنزل الله "يا أيّها الّذين آمنوا أوفوا بالعقود" الّتي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام» [4].

١ـ الزّيادة من: «ب».
٢ـ القمّي ١: ١٦٠؛ والعيّاشي ١: ٢٨٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ب»: «عشر مواطن».
٤ـ القمّي ١: ١٦٠، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾. قيل: أُريد به الأزواج الثمانية[١]. و ورد في تفسيرها: «الجنين في بطن أُمّه إذا أشعرَ و أوبرَ، فذكاته ذكاة أُمّه. قال: فذلك الّذي عنى الله به»[٢]. وفي رواية: «وإن لم يكن تامّاً فلاتأكله»[٣].

أقول: لعلّ هذا أحد معانيها، فلاينافي عمومها، مع أنّه نصّ في حلّ الأُمّ.

سئل: عن أكل لحم الفيل والدّبّ والقرد فقال: «ليس هذا من "بهيمة الأنعام" الّتي تؤكل»[٤].

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾. قيل: يعني أُحلّت لكم في حال امتناعكم من الصّيد وأنتم محرمون، لئلاّ يتحرّج عليكم[٥].

أقول: و هو لا ينافي عموم حلّها ساير الأحوال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: لاتتهاونوا بحرمات الله ممّا جعله شعار الدّين وعلامته ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه. «نزلت حين أراد المسلمون قتل كافر باغ في أشهر الحرم». كذا ورد[٦]. ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: ما أُهدي إلى الكعبة ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾: ماقلّد به الهدي من نعل وغيره، ليعلم أنّه هدي فلايتعرّض له. ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: قاصدين لزيارته ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾: أن يثيبهم ويرضى عنهم. يعني لاتتعرّضوا لهم.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من إحرامكم ﴿فَاصْطَادُوا﴾ إن شئتم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولايحملنّكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: شدّة بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ

١ـ البيضاوي ٢: ١٣٣. والمراد بها: المعز والضّأن والبقر والإبل، ذكرُها و أُنثاها.

٢ـ الكافي ٦: ٢٣٤، الحديث: ١، عن أحدهما عليهما السّلام.

٣ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٢٩٠، الحديث: ١٢، عن جعفر بن محمّد، عن ابيه، عن عليّ عليهم السّلام.

٥ـ جوامع الجامع ١: ٣٠٩؛ والكشّاف ١: ٥٩١.

٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ٣: ١٠.

﴿الْحَرَامِ﴾ : لأن صدّوكم. يعني عام الحُدَيْبِيَّة. ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ بالانتقام ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ : على العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ للتشفّي والانتقام ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ . بيان لما يتلى عليكم ﴿وَالدَّمُ﴾ أي: المسفوح منه، لقوله: "أَوْ دَماً مَسْفُوحاً"[1] . قيل: كانوا في الجاهليّة يصبّونه في الأمعاء ويشوونها[2] . ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ وإن ذكّي. خصّه بالذّكر دون الكلب و غيره، لاعتيادهم أكله دون غيره.

﴿وَمَا أُهِلَّ﴾ : رُفِعَ الصَوتُ ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كقولهم: باسم اللّات والعُزّىٰ عند ذبحه. قال: «ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر»[3] . ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ قال: «الّتي انخنقت بأخناقها حتّى تموت»[4] . ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ قال: «الّتي مرضت و وقذها[5] المرض، لم يكن بها حركة»[6] . وفي رواية: «كانوا يشدّون أرجلها و يضربونها حتّى تموت»[7] . ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ قال: «الّتي تردّى من مكان مرتفع إلى أسفل فتموت»[8] . ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ قال: «الّتي تنطحها بهيمة أُخرى فتموت»[9] . ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه فمات.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ . قال: «يرجع إلى جميع ماتقدّم ذكره من المحرّمات سوى مالا يقبل الذّكاة من الخنزير والدّم»[10] . قال: «إنّ أدنى ما يُدْرَكُ به الذّكاةُ ان يدركه و هو يحرّك أُذُنَه أو ذَنَبَه أو يطرف عينيه»[11] . وفي رواية: «إذا طرفت العين أو ركضت الرّجل أو تحرّكت

١ـ الأنعام (٦): ١٤٥.

٢ـ البيضاوي ٢: ١٣٤. شَوَى الماء: اسخنه. «القاموس المحيط ٤: ٣٥٢؛ وتاج العروس ١٠: ٢٠٤». شوى شيأ اللّحمَ: عرّضه للنّار فنضج. المنجد في اللغة: ٤١٠ (شوى).

٣، ٤، ٦، ٨و٩ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.

٥ـ الوَقْذُ في الأصل: الضّرب المُثْخِنُ والكسر. وَقَذَها المرض أي: كسرها وضَعَّفَها. النّهاية ٥: ٢١٢ (وقذ).

٧ـ القمّي ١: ١٦١.

١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١٥٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

١١ـ المصدر: ١٥٧، عن الصّادقين عليهما السّلام، و فيه: «ان تُدرِكَهُ يَتحرَّكُ أُذُنُه او ذَنَبُه او تَطرِفُ عينه».

الذِّئبُ، فكُلْ منه فقد أدركت ذكاته»[١] . ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ . قال: «على حجر أو صنم، إلّا ما أُدرك ذكاته فيذكّى»[٢] . ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ .

قال: «كانوا في الجاهليّة يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس ويقتسمون عليه بالقِداح، وكانت عشرة؛ سبعة لها أنْصِباءٌ وثلاثة لا أنْصِباءَ لها، ثمّ ذكر أسماء القداح ثمّ قال: فكانوا يُجيلون السّهام بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم من الّتي لا أنْصِباءَ لها أُلزم ثلث ثمن البعير، فلا يزالون كذلك حتّى تقع السّهام الثّلاثة الّتي لا أنصباء لها إلى ثلاثة منهم، فيلزمونهم ثمن البعير، ثمّ ينحرونه ويأكله السبعة الّذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثّلاثة الّذين أنقدوا[٣] ثمنه شيئاً. فلمّا جاء الإسلام حرّم الله ذلك فيما حرّم، فقال ـ عزّوجلّ ـ: "وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق" يعني حرام»[٤] .

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ : الآن ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ : انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه، وترجعوا منه إلى الشّرك. القمّي: ذلك لمّا نزلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٥] .

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا على دين الإسلام ويردّوكم عن دينكم ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ إن خالفتم أمري أن تحلّ بكم عقوبتي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ . قال: «الفريضة تنزل بعد الفريضة الأُخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله: "اليوم اكملت لكم دينكم" قال:[٦] لا أُنزلُ بعد هذه فريضةً، قد أكملت لكم الفرائض»[٧] .

١ـ الكافي ٦: ٢٣٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٣ـ في «ب» و «ج»: «نقدوا».
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧ ـ ٢١٨، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ١٦٢.
٦ ـ في المصدر: «قال ابوجعفر عليه السلام: يقول الله عزّوجلّ: لا أُنزل عليكم ...».
٧ ـ الكافي ١: ٢٨٩، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

أقول: وإنّما أُكملت الفرائض بالولاية، لأنّ النّبيّ ﷺ أنهى[1] جميع ما استودعه الله من العلم إلى أمير المؤمنين ثمّ إلى ذريّته الأوصياء عليهم السّلام، واحداً بعد واحد، فلمّا أقامهم مقامه وتمكّن النّاس من الرّجوع إليهم في حلالهم وحرامهم، واستمرّ ذلك بقيام واحد مقام آخر إلى يوم القيامة، كمل الدّين وتمّت النّعمة. وقد ورد هذا المعنى بعينه عنهم عليهم السّلام[2]، والحمد لله على ذلك، وصلّى الله على محمّد و أهل بيته الأوصياء وسلّم.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾. متّصل بالمحرّمات، وما بينهما اعتراض، والمعنى: فمن اضطرّ إلى تناول شيء من هذه المحرّمات. ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ قال: «غير متعمّد»[3]. ﴿لِإِثْمٍ﴾.

أقول: وذلك بأن يأكلها تلذّذاً أو مجاوزاً حدّ الرّخصة. وهذا كقوله سبحانه: "غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ" و قد سبق تفسيرهما في سورة البقرة[4].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يؤاخذه بأكله.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: مالم تستخبثه الطّباع السّليمة ولم تتنفّر عنه ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ أي: صيدهنّ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مؤدّبين لها. والمكلّب: مؤدّب الجوارح ومُغْريها بالصّيد. قال: «هي الكلاب»[5]. قال: «فما خلا الكلاب فليس صيده بالّذي يؤكل إلّا أن يدرك ذكاته»[6]. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: ممّا ألهمكم من طرق التّأديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

١ـ الإنهاء: الإبلاغ والإعلام. يقال: أنهيتُ الأمرَ إلى الحاكم: أعلَمتُه به. مجمع البحرين ١: ٤٢٦ (نها).
٢ـ راجع: الكافي ١: ٢٩٠، الحديث: ٤؛ و ٢٨٩، الحديث: ٦؛ و ٢٢٢، الحديث: ٦؛ و ٢٢٣، باب أنّ الأئمّة ورثوا علم النّبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء الّذين من قبلهم.
٣ـ القمّي ١: ١٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في ذيل الآية: ١٧٣.
٥ـ الكافي ٦: ٢٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٢٠٥ الحديث: ١٤؛ ومن لايحضره الفقيه ٣: ٢٠١، الحديث: ٩١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: «إن أرسله صاحبه وسمّى، فليأكل كلّ ما أمسك عليه وإن قتل، وإن أكل فكلْ ما بقي»[١]. و قال: «إذا أرسلت الكلب المعلّم فاذكر اسم اللهّ عليه فهو ذكاته»[٢].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾. قال: «إنّ المراد به الحبوب والبقول والفاكهة، غير الذّبايح الّتي يذبحونها، فإنّهم لايذكرون اسم الله خالصاً على ذبايحهم»[٣]. وفي رواية: «الذّبيحة بالاسم ولايؤمن عليها إلاّ أهل التّوحيد»[٤]. وفي أُخرى: «إذا شهدتموهم وقد سمّوا اسم الله فكلوا ذبايحهم، وإن لم تشهدوهم فلاتأكلوا، وإن أتاك رجل مسلم فأخبرك أنّهم سمّوا فكل»[٥].

وفي أُخرى: «لاتأكله ولا تتركه، تقول: إنّه حرام، ولكن تتركه تنزّهاً عنه، إنّ في آنيتهم الخمر ولحم الخنزير»[٦]. ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلاعليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ يعني: وأُحلّ لكم نكاح المحصنات، يعني: العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال: «هنّ المسلمات»[٧]. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال: «هنّ العفائف»[٨]. و ورد: «إنّها منسوخة بقوله تعالي: "وَلاتُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ"»[٩]. وفي رواية: «و بقوله: "وَلاتَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ"»[١٠]. وفي أُخرى:

١ـ الكافي ٦: ٢٠٥ الحديث: ١٤؛ ومن لايحضره الفقيه ٣: ٢٠١، الحديث: ٩١١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ القمّيّ ١: ١٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٦: ٢٣٩، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٩: ٦٩، الحديث: ٢٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٦: ٢٦٤، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٥، الحديث: ٢؛ والبرهان ١: ٤٤٩، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٧٦، الحديث: ١٣١٣؛ والعيّاشي ١: ٢٩٦، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الكافي ٥: ٣٥٨، الحديث: ٨، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الممتحنة (٦٠): ١٠.
١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١٦٢، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في سورة البقره (٢): ٢٢١.

«إنّها ناسخة لقوله: "وَلاتَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ"»[١]. ويؤيّده ما ورد: «إنّ سورة المائدة آخر القرآن نزولاً، فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها»[٢].

و ورد: إنّه سئل عن الرّجل المؤمن يتزوّج النّصرانيّة واليهوديّة. قال: «إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهوديّة والنّصرانيّة. فقيل له: يكون له فيها الهوى، قال: فإن فعل فليمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير؛ واعلم أنّ عليه في دينه غضاضة»[٣]. وفي رواية: «لايتزوّج الرّجل اليهوديّةَ والنّصرانيّةَ على المسلمة، ويتزوّج المسلمةَ على اليهوديّة والنّصرانيّة»[٤]. وفي أُخرى: «لابأس أن يتمتّع الرّجل باليهوديّة والنّصرانيّة وعنده حرّة»[٥]. ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ ﴿مُحۡصِنِينَ﴾: أعفّاءَ بالنّكاح ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: غير مجاهرين بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٍ﴾: ولامسرّين به. والخِدْنُ: الصّديق، يقع على الذّكر والأُنثى.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾. قال: «ترك العمل الّذي أقرّ به، من ذلك أن يترك الصّلاة من غير سقم ولاشغل»[٦]. وفي رواية: «ترك العمل حتّى يدعه أجمع»[٧]. وفي أُخرى: «الّذي لايعمل بما أمر الله ولايرضى به»[٨]. ﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

١ـ الكافي ٥: ٣٥٧، الحديث: ٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ـ الدرّ المنثور ٣: ٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ الكافي ٥: ٣٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. والغضاضة: الذّلّة والمنقصة. مجمع البحرين ٤: ٢١٨ (غضض).
٤ـ المصدر: ٣٥٧، الحديث: ٤و٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٧: ٢٥٦، الحديث: ١١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٣٨٤، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٩٧، الحديث: ٤٣، عن احدهما عليهما السّلام.
٨ـ المصدر، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ قال: «من النّوم»[١].

اقول: فوجوب الوضوء بغير حدث النّوم مستفاد من الاخبار، كوجوب الغسل بغير الجنابة.

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾. الوجه ما يواجه به. قال: «كلّ ما أحاط به الشّعر فليس على العباد أن يطلبوا ولا أن يبحثوا عنه ولكن يجري عليه الماء»[٢].

اقول: ولمّا كانت اليد تطلق على ما تحت الزّند وعلى ما تحت المرفق وعلى ما تحت المنكب؛ بيّن الله سبحانه غاية المغسول منها، فلا دلالة في الآية على ابتداء الغسل بالأصابع وانتهائه إلى المرافق؛ وكذلك القول في الأرجل، فإنّها تطلق على القدم وعلى ماتحت الرّكبة وعلى ما يشمل الفخذين، والمرفق مجمع عظمي الذّراع والعضد، والكعب عظم مائل إلى الاستدارة واقع في ملتقى السّاق والقدم، ويعبّر عنه بالمفصل لمجاورته له.

ورد: إنّه سئل: اين الكعبان؟ قال: «ههنا، يعني المفصل دون عظم السّاق»[٣]. وسئل: بم علم أنّ المسح ببعض الرّأس وبعض الرّجلين؟ فأجاب: «لمكان الباء»[٤] يعني أنّها للتّبعيض. وسئل: "وأرجلكم" على الخفض هي أم على النّصب؟ فقال: «بل هي على الخفض»[٥]. وقال: «فإذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى اطراف الأصابع فقد أجزأه»[٦].

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: فاغتسلوا. عطف على فاغسلوا، كقوله: "وَإِنْ

١ـ التّهذيب ١: ٧، الحديث: ٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٨، الحديث: ٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٣: ٢٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٣٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ١: ٧٠ـ٧١، الحديث: ١٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٣: ٢٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

كُنْتُمْ مَرْضى». قال: «تبدأ فتغسل كفّيك، ثمّ تفرغ بيمينك على شمالك فتغسل فرجك ومرافقك، ثمّ تمضمض واستنشق، ثمّ تغسل جسدك من لدن قرنك[1] إلى قدميك، ليس قبله ولا بعده وضوء، وكلّ شيء أمسسته الماء فقد أنقيته، ولو أنّ رجلاً ارتمس في الماء ارتماسةً واحدةً أجزأه ذلك وإن لم يدلك جسده»[2]. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾. قد سبق تفسير هذه الآية في سورة النّساء[3].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بفرض الطّهارات ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: من ضيق ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذّنوب، فإنّ الطّهارة كفّارة للذّنوب، كما هي رافعة للأحداث ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بهذا التّطهير ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾. قيل: يعني عند إسلامكم بأن تطيعوا الله فيما يفرضه عليكم.[4] و ورد: «إنّ المراد به ما بيّن لهم في حجّة الوداع، من تحريم المحرّمات وكيفيّة الطّهارة وفرض الولاية وغير ذلك»[5]. **أقول:** وهذا داخل في ذاك.

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ في إنساء نعمته ونقض ميثاقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيّاتها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾. سبق تفسيره[6].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولا يحملنّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: شدّة عداوتهم و بغضهم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا

١ ـ القَرْنُ: جانب الرّأس. مجمع البحرين ٦: ٣٠٠ (قرن).
٢ ـ التّهذيب ١: ١٤٨، الحديث: ٤٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ ذيل الآية: ٤٣.
٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٦٨.
٥ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في سورة النّساء ذيل الآية: ١٣٥.

تَعْدِلُواْ﴾ فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحلّ، كمُثْلَة وقذف و قتل نساء وصبيّة ونقض عهد، تشفياً ممّا في قلوبكم. ﴿اعْدِلُواْ﴾ في اوليائكم واعدائكم ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ﴾: يبطشوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾. القمّي: يعني أهل مكّة من قبل فتحها، فكفّ أيديهم بالصّلح يوم الحديبيّة [١]. ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: كفيلاً أميناً شاهداً من كلّ سبط ينقّب عن أحوال قومه ويفتّش عنها ويعرف مناقبهم. ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: ونصرتموهم وقوّيتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

قيل: أُمروا بعد هلاك فرعون بأن يخرجوا إلى «أريحا» من أرض الشّام ويجاهدوا مع ساكنيها من الجبابرة ويستقرّوا فيها، وأمر موسى بان يأخذ من كلّ سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أُمروا به، فاختار النّقباء وأخذ الميثاق عليهم، فلمّا دنوا من أرضهم بعث النّقباء يتجسّسون فرأوا أجراماً عظاماً وقوّة، فرجعوا فأخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا ذلك، فحدّثوا بذلك قومهم، إلاّ كالب بن يوفنّا من سبط يهودا ويوشع

١- القمّي ١: ١٦٣.

بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف وكانا من النّقباء [١].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾: طردناهم من رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: لاتنفعل عن الآيات والنّذر ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾: تركوا نصيباً وافراً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: خيانة او فرقة خائنة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. القمّي: منسوخة بقوله: "اُقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ" [٢].

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كنعت محمّد ﷺ وآية الرّجم في التّوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لايخبر به ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طرق السّلامة من العذاب ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: أنواع الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإسلام ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: فمن يمنع من قدرته و إرادته شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾: أشياع [٣] ابنيه: عُزَيْر ومسيح

١ـ الكشّاف ١: ٥٩٩؛ ومجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٧١.

٢ـ القمّي ١: ١٦٤. والآية في سورة التّوبة (٩): ٥.

٣ـ في «ب»: «أتباع».

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ في الدّنيا بالقتل والأسر والمسخ، وفي الآخرة بالنّار أيّاماً معدودة كما زعمتم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: يعاملكم معاملة ساير النّاس ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ ما يحتاج إلى البيان ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾: على فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾: كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلاتعتذروا. قال: «إنّ الأمم تجحد تأدية رسالات رسلهم وتقول: "ما جاءنا من بشير ولا نذير"، والرّسل يستشهدون نبيّنا صلوات الله عليهم، فيقول نبيّنا لكلّ أمّة: "بلى قد جاءكم بشير و نذير"»[1]. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: «اي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرّسل إليكم رسالاتهم»[2].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام و إنزال المنّ والسّلوى وغير ذلك.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قال: «يعني الشّام»[3]. ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ان تكون مسكناً لكم. ورد: «إنّهم لم يدخلوها حتّى حرّمها عليهم وعلى أبنائهم، و إنّما دخلها أبناء الأبناء»[4]. وفي رواية: «كتبها لهم ثمّ محاها»[5]. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾: ولا ترجعوا مدبرين ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ثواب الدّارين.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: شديدي البطش والبأس والخلق، لايتأتّى

١ و٢ـ الاحتجاج ١: ٣٦٠: عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٠٦، ذيل الحديث: ٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٣٠٤، الحديث: ٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٣٠٤، الحديث: ٦٩، عن الصّادقين عليهما السّلام.

لنا مقاومتهم ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ قال: «هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا وهما ابنا عمّه»[1] . ﴿ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ : يخافون الله ويتّقونه ﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ بالإيمان والتّثبيت ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾ : باب قريتهم ، أي: باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الإصحار ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ لتعسّر الكرّ عليهم في المضائق من عظم أجسامهم، ولأنّهم أجسام لا قلوب فيها. ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ في نصرته على الجبّارين ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ به وبوعده.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ . قالوها استهانةً بالله و رسوله وعدم مبالاة بهما.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ : يسيرون فيها متحيّرين لا يرون طريقاً ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ لأنّهم أحقّاء بذلك لفسقهم. قال: «إذا كان العشاء وأخذوا في الرّحيل نادوا: الرّحيل الرّحيل، الوحا الوحا[2]؛ فلم يزالوا كذلك حتّى تغيب الشّمس، حتّى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله تعالى للأرض: ديري بهم فلا يزالون[3] كذلك، حتّى إذا أسحروا وقارب الصّبح قالوا: إنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا، فإذا أصبحوا إذاً أبنيتهم[4] ومنازلهم الّتي كانوا فيها بالأمس، فيقول بعضهم لبعض: يا قوم لقد ضللتم

١ـ العيّاشي ١: ٣٠٣، الحديث: ٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الوحا الوحا ـ بالمدّ والقصر ـ أي: السّرعة السّرعة، وهو منصوب بفعل مضمر. مجمع البحرين ١: ٤٣٢ (وحا).

٣ـ في «ب»: «فلم يزالوا»؛ وفي «ج» والعيّاشي: «فلا يزالوا».

٤ـ في جميع النُّسَخ: «تيههم»، ولعلّ الأصحّ ما أثبتناه كما في المصدر. تاه يتيه تيهاً: إذا تحيّر وضلّ. النّهاية ١: ٢٠٣ (تيه).

وأخطاتم الطّريق، فلم يزالوا كذلك حتّى أذن اللّه لهم فدخلوها، وقد كان كتبها لهم»[١].

و ورد: «مات هارون قبل موسى وماتا جميعاً في التّيه»[٢].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾: قابيل وهابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصّدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾. القربان: ما يتقرّب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ لأنه رضي بحكم اللّه وأخلص النّيّة لله وعمد إلى أحسن ما عنده، وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ لأنّه سخط حكم اللّه و لم يخلص النّيّة في قربانه و قصد إلى أخسّ ما عنده، وهو قابيل ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾. توعّده بالقتل، لفرط حسده له على تقبّل قربانه. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ يعني إنّما أتيت من قبل نفسك بترك التّقوى لا من قبلي. فيه إشارة إلى أنّ الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره، ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظّه؛ فإنّ ذلك ممّا يضرّه ولا ينفعه، وإنّ الطّاعة لاتقبل إلّا من مؤمن تقيّ.

﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ﴾: أن ترجع ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾. لعلّ غرضه بالذّات أن لايكون ذلك له، لا أن يكون لأخيه. ورد: «من قتل مؤمناً أثبت اللّه على قاتله جميع الذّنوب، ويبرىء المقتول منها، وذلك قول الله عزّو جلّ: "إنّي أُريد أن تبوأ" الآية»[٣].

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ﴾: اتسعت ﴿نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ديناً ودنياً، إذ بقي مدّة عمره مطروداً محزوناً نادماً. قال: «إنّ الله أوحى إلى آدم أن يدفع الوصيّة واسم الله الأعظم إلى هابيل وكان قابيل أكبر، فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: أنا أولى

١ ـ العيّاشي ١: ٣٠٥، الحديث: ٧٤؛ والبحار ١٣: ١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام، ذيل الآية: ١٣ من سورة القصص.
٣ ـ ثواب الأعمال: ٥٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه «من قتل مؤمناً متعمّداً».

بالكرامة والوصيّة، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً بوحي من الله إليه، ففعلا، فتقبّل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله»[١]. وفي رواية: «إنّ عدوّ الله إبليس قال لقابيل: إنّه قد تقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربانك، فإن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله قابيل»[٢]. ورد: «فلم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه فقال: ضع رأسه بين حَجَرَيْن ثمّ اشدخه»[٣].

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على قتله. قال: «فلمّا قتله لم يدر ما يصنع به. فجاء غرابان فاقتتلا حتّى قتل أحدهما صاحبه ثمّ حفر الّذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيها[٤] صاحبه. قال قابيل: "ياويلتى" الآية، فحفر له حفيرة فدفنه فيها، فصارت سنّة يدفنون الموتى»[٥].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. القمّي: لفظ الآية خاصّ في بني إسرائيل ومعناها جار في النّاس كلّهم[٦]. ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يوجب الاقتصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطّريق ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ لهتكه حرمة الدّماء وتسنينه سنّة القتل وتجرئته النّاس عليه. قال: «واد في جهنّم لو قتل النّاس جميعاً كان فيه ولو قتل نفساً واحدةً كان فيه»[٧].

١ـ العيّاشي ١: ٣١٢، الحديث: ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كمال الدّين ١: ٢١٣، الباب: ٢٢، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٦٥، عن السّجّاد عليه السلام. والشَّدْخُ: الكسر في الشّيء الأجوف، يقال: شَدَخْتُ رأسَهُ: كَسَرْتُه. مجمع البحرين ٢: ٤٣٥ (شدخ).
٤ـ في جميع النُّسَخ: «فيه».
٥ـ القمّي ١: ١٦٥، عن السّجّاد عليه السلام. والمَخالب جمع مِخْلَب بمنزلة الظّفر للإنسان. مجمع البحرين ٢: ٥٣ (خلب).
٦ـ القمّي ١: ١٦٧.
٧ـ العيّاشي ١: ٣١٣، الحديث: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾: ومن تسبّب لبقاء حياتها بعفو أو منعٍ من القتل أو استنقاذٍ من بعض أسباب الهلاك، فكأنّما فعل ذلك بالنّاس جميعاً. قال: «من أنقذها من حرق أو غرق. قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى قال: ذاك تأويلها الأعظم»[1]. وفي رواية: «من أخرجها من ضلال إلى هدىً فكأنّما أحياها؛ ومن أخرجها من هدىً إلى ضلالٍ فقد قتلها»[2]. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بعد ما كتبنا عليهم هذا التّشديد الوكيد كي يتحاموا عن أمثال هذه الجنايات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: مجاوزون عن الحقّ. قال: «المسرفون هم الّذين يستحلّون المحارم و يسفكون الدّماء»[3].

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: ذلّ وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

«قدم قوم من بني ضبّة على رسول الله ﷺ مرضى، فبعثهم إلى إبل الصّدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها؛ فلمّا برأوا واشتدّوا قتلوا ثلاثة ممّن كان في الإبل وساقوا الإبل. فبعث إليهم عليّاً عليه السلام فأسرهم، فنزلت. فاختار رسول الله ﷺ القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف». كذا ورد.[4] سئل: عن هذه الآية. فقال: «ذلك إلى الامام يفعل به ما شاء. قيل: فمفوّض ذلك إليه؟ قال: لا ولكن نحو

١ - الكافي ٢: ٢١١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ - الكافي ٢: ٢١٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ - مجمع البيان ٣ - ٤: ١٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ - الكافي ٧: ٢٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الجناية»[1].

وفي رواية: «من قطع الطّريق فقتل وأخذ المال، قطّعت يده و رجله وصلّب، ومن قطع الطّريق فقتل ولم يأخذ المال، قتل. ومن قطع الطّريق وأخذ المال ولم يقتل، قطّعت يده و رجله. ومن قطع الطّريق و لم يأخذ مالاً و لم يقتل، نفي من الأرض»[2]. وسئل: كيف ينفى؟ فقال: «ينفى من المصر الّذي فعل فيه ما فعل إلى مصر آخر غيره، ويكتب إلى أهل ذلك المصر بأنّه منفيّ، فلاتجالسوه ولا تبايعوه ولا تناكحوه ولا تؤاكلوه ولاتشاربوه، فيفعل ذلك به سنة، فإن خرج من ذلك المصر إلى غيره كتب إليهم بمثل ذلك حتّى تتمّ السّنة»[3]. وفي رواية: «إنّ معنى نفي المحارب إيداعه الحبس»[4]. وفي أُخرى: «أن يقذف في البحر ليكون عدلاً للقتل والصّلب»[5]. و ورد: «من حمل السّلاح باللّيل فهو محارب إلّا أن يكون رجلاً ليس من أهل الرّيبة»[6].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: ما تتوسّلون به إلى ثوابه والزّلفى منه. القمّي: تقرّبوا إليه بالإمام[7]. و ورد: «الأئمّة هم الوسيلة إلى اللّه»[8]. وفي رواية: «إنّها أعلى درجة في الجنّة»[9] ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ بمحاربة أعدائه الظّاهرة والباطنة ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ بالوصول إلى اللّه والفوز بكرامته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من صنوف الأموال ﴿جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ

١ـ الكافي ٧: ٢٤٦، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٧: ٢٤٧، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: الحديث: ٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣١٥، الحديث: ٩١، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٥ـ الكافي ٧: ٢٤٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٦ـ المصدر: ٢٤٦، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ القمّيّ ١: ١٦٨.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٥٨، الباب: ٣١، الحديث: ٢١٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٩ـ الكافي ٨: ٢٤، ذيل خطبة الوسيلة، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

معه ليفتدوا به﴾ انفسهم ﴿من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾.

﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾. قال: «إنّهم أعداء علي عليه السلام»[1].

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾. سئل: في كم يقطع السّارق؟ قال: «في ربع دينار»[2]. قال: «وتقطع الاربع أصابع ويترك الإبهام، يعتمد عليها في الصّلاة، ويغسل بها وجهه للصّلاة»[3]. و «إذا قطعت الرّجل ترك العقب، لم يقطع»[4]. وفي رواية: «إذا سرق قطعت يمينه، فإذا سرق مرّة أُخرى قطعت رجله اليسرى، ثمّ إذا سرق مرّة أُخرى سجن وترك رجله اليمنى، يمشي عليها إلى الغائط؛ ويده اليسرى، يأكل بها ويستنجي بها»[5]. ﴿جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾: عقوبة منه ﴿والله عزيز حكيم﴾.

﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾: بعد سرقته ﴿وأصلح﴾ امره بردّ المال والتّفصّي عن التّبعات ﴿فإنّ الله يتوب عليه إنّ الله غفور رحيم﴾. قال: «في رجل سرق أو شرب الخمر أو زنى، فلم يعلم ذلك منه، ولم يؤخذ، حتّى تاب و صلح وعرف منه أمر جميل، لم يقم عليه الحدّ»[6]. وفي رواية: «من أخذ سارقاً فعفا عنه، فذاك له؛ فإذا رفع إلى الإمام قطعه. فإن قال الّذي سرق منه: أنا أهب له، لم يدعه الإمام حتّى يقطعه. قال: وذلك قول الله تعالى "والحافظون لحدود الله"[7] فإذا انتهى الحدّ إلى الإمام، فليس لأحد أن

١ـ العيّاشي ١: ٣١٧، الحديث: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام و ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٧: ٢٢٢، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٢٢٥، الحديث: ١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٢٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٢٢٣، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٢٥٠، الحديث: ١، عن أحدهما عليهما السّلام، وفيه «... ولم يؤخذ حتّى تاب وصلح؟ فقال: إذا صلح وعرف منه امر جميل، لم يقم عليه الحدّ».
٧ـ التّوبة (٩): ١١٢.

يتركه»[1]

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ يعني المنافقين.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: قائلون له، أوسمّاعون كلامك ليكذبوا عليك ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾: لجمع آخر من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾: لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبّراً أو إفراطاً في البغضاء، يعني: مصغون لهم، قائلون كلامهم؛ أو سمّاعون منك لأجلهم وللإنهاء إليهم. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يميلونه عن مواضعه الّتي وضعه الله فيها، بتغييره وحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده أو إهماله. ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾: إن أُوتيتم هذا المحرّف، فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم محمّد بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ قبول ما أفتاكم به.

القمّي: نزلت في عبد الله بن أُبيّ، حيث مشت إليه بنو النّضير فقالوا: سل محمّداً أن لاينقض شرطنا في هذا الحكم الّذي بيننا وبين بني قُرَيْظَة في القتل؛ وكان شرطهم مخالفاً للتّوراة. فقال ابن أُبيّ: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون، وإلّا فلاترضوا به.[2] هذا ملخّص القصّة. ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: اختباره ليفضح ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يعني في دفعها ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هوان بإلزام الجزية على اليهود، واجلاء بني النّضير منهم، وإظهار كذبهم في كتمان الحقّ، وظهور كفر

١ ـ الكافي ٧: ٢٥١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ١٦٨ ـ ١٦٩.

المنافقين، وخوفهم جميعاً عن المؤمنين. ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الخلود في النّار.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾. كرّره تاكيداً. ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي: الحرام؛ من سَحَتَهُ إذا استأْصلَه لأنّه مسحوت البركة. قال: «هو الرّشاء في الحكم»[1]. وفي رواية: «ثمن الميتة، وثمن الكلب، وثمن الخمر، ومهر البغي، والرّشوة، وأجر الكاهن»[2]. وفي أخرى: «و للسّحت أنواع كثيرة»[3]. ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. تخيير[4] له ﷺ. قال: «إنّ الحاكم إذا أتاه أهل التّوراة و أهل الإنجيل يتحاكمون إليه، إن شاء حكم بينهم وإن شاء تركهم»[5]. ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾. تعجيب من تحكيمهم من لايؤمنون به، والحال أنّ الحكم منصوص عليه في الكتاب الّذي عندهم، وفيه تنبيه على أنّهم ماقصدوا بالتّحكيم معرفة الحقّ و إقامة الشّرع، و إنّما طلبوا به ما يكون أهون عليهم و إن لم يكن حكم الله في زعمهم. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم، لإعراضهم عنه أوّلاً، و عمّا يوافقه ثانياً.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾: بيان للحقّ ﴿وَنُورٌ﴾ يكشف ما اشتبه من الاحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾: انقادوا لله. قيل: وصفهم بالإسلام لأنّه دين الله.[6]

١ـ الكافي ٧: ٤٠٩، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ١٢٧، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام، وفيه: «والرشوة في الحكم».
٣ـ المصدر: ١٢٦، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «الف» و «ج»: «تخيّر».
٥ـ التّهذيب ٦: ٣٠٠، الحديث: ٨٣٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٩٨.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ يحكمون لهم ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: ويحكم بها الرّبّانيّون والأحبار. قال: «الرّبّانيّون هم الأئمّة دون الأنبياء، الّذين يربون النّاس بعلمهم، والأحبار هم العلماء دون الرّبّانيّين»[1].

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾. قال: «ولم يقل بما حمّلوا منه»[2] وفي رواية: «فينا نزلت»[3].

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾. نهي للحكّام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾: ولا تستبدلوا بأحكامي الّتي أنزلتها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من رشوة أوجاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. قال: «من حكم بدرهمين بحكم جور، ثمّ جبر عليه كان من أهل هذه الآية»[4].

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وفرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾: في التّوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ يعني: تقتل بها ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾: تفقأ بها ﴿وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ﴾: تجدع بها ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾: تصلم بها ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾: تقلع بها ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: ذات قصاص ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص، أي: عفي عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ قال: «يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح و غيره»[5]. وفي رواية: «ما عفا عن العمد»[6]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾: واتبعنا على آثار النّبيّين الّذين أسلموا ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ

١ و٢ـ العيّاشي ١: ٣٢٣، ذيل الحديث: ١١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٣ـ المصدر: ٣٢٢، الحديث: ١١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ الكافي ٧: ٤٠٨، الحديث: ٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و فيه: «في درهمين».

٥ـ المصدر: ٣٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٨٠، الحديث: ٢٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: و رقيباً على سائر الكتب، يحفظه عن التّغيير ويشهد له بالصّحّة والثّبات ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾: شريعة. وهي الطّريقة إلى الماء، شبّه بها الدّين، لأنّه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبديّة. ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: وطريقاً واضحاً. قال: «الشّرعة والمنهاج: سبيل وسنّة؛ و أمر كلّ نبيّ بالأخذ بالسّبيل والسّنّة. وكان من السّبيل والسّنّة الّتي أمر الله بهما موسى، أن جعل عليهم السّبت»[١].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: جماعةً متّفقةً، على دين واحد ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشّرائع المختلفة المناسبة لكلّ عصر، هل تعملون بها، مصدّقين بوجود الحكمة في اختلافها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: فابتدروها انتهازاً للفرصة، وحيازةً لقصب السّبق والتّقدّم ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾. وعد و وعيد للمبادرين والمقصّرين. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحقّ، والمبطل، والمبادر، والمقصّر.

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. قال: «إنّما كرّر الامر بالحكم بينهم، لانّهما حكمان أمر بهما جميعاً؛ لأنّهم احتكموا إليه في زنا المحصن، ثمّ احتكموا إليه في قتل كان بينهم»[٢]. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾: يصرفوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾. فيه تنبيه على أنّ

١ـ الكافي ٢: ٢٩، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٠٤، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «في قتيلٍ كان بينهم».

لهم ذنوباً كثيرةً، والتّولّي عن حكم الله مع عظمته واحد منها. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾. تسلية للنّبيّ ﷺ عن امتناع القوم من الإقرار بنبوّته؛ بأنّ أهل الإيمان قليل.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾. إنكار على تولّيهم عن حكم الله. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: هذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنّهم يعلمون ذلك. قال: «الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهليّة؛ فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهليّة»[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾: لاتعتمدوا على الاستنصار بهم، متودّدين إليهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنّصرة، ويدهم واحدة عليكم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: من استنصر بهم فهو كافر مثلهم.

ورد: «من تولّى آل محمّد، وقدّمهم على جميع النّاس بما قدّمهم من قرابة رسول الله ﷺ، فهو من آل محمّد بمنزلة آل محمّد، لا أنّه من القوم بأعيانهم وإنّما هو منهم بتولّيه إليهم واتّباعه إيّاهم. وكذلك حكم الله في كتابه: "ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم"»[2]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الّذين ظلموا أنفسهم، والمؤمنين بموالاة الكفّار.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كابن أُبيّ وأضرابه ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ومعاونتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: يعتذرون بأنّهم يخافون أن تصيبهم دائرة من الدّوائر، بأن ينقلب الأمر ويكون الدّولة للكفّار. روي: «أنّ عبادة بن الصّامت قال لرسول الله ﷺ: إنّ لي موالي من اليهود كثيراً عددهم، وإنّي أبرء إلى الله

١ـ الكافي ٧: ٤٠٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «التولّيه» بدل: «بمنزلة».

ورسوله من ولايتهم و أُوالي الله و رسوله. فقال ابن أُبيّ إنّي رجل أخاف الدّوائر، لاابرء من ولاية مواليّ، فنزلت»[1]. ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ لرسوله ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾. فيه إعزاز المؤمنين، وإذلال المشركين، وظهور الإسلام. ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾ أي: هؤلاء المنافقون ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من النّفاق والشّكّ في أمر الرّسول ﴿نَٰدِمِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أغلظ أيمانهم ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾. تعجباً من حال المنافقين وتبجحاً بما منّ الله عليهم من الإخلاص ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾. إمّا من جملة[2] المقول أو من قول الله، وفيه معنى التّعجّب كأنّه قيل: ما أحبط أعمالهم! ما أخسرهم!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾. جوابه محذوف؛ يعني: فلن يضرّ دين الله شيئاً؛ فإنّ الله لايخلّي دينه من أنصار يحمونه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: يحبّهم الله ويحبّونه. قد سبق معنى المحبّة من الله ومن العباد[3]. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: رحماء عليهم؛ من الذّلّ الّذي هو اللّين، لا من الذّلّ الّذي هو الهوان. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: غلاظ شداد عليهم. من عزّه إذا غلبه. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالقتال لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ فيما يأتون من الجهاد والطّاعة. قال: «هم أمير المؤمنين وأصحابه، حين قاتل من قاتله من النّاكثين والقاسطين والمارقين»[4]. وقال عليه السلام يوم البصرة: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتّى اليوم وتلاها»[5]. والقمّي: نزلت في مهديّ الأمّة

١ـ البيضاوي ٢: ١٥٤.

٢ـ في «ب»: «من جهة».

٣ـ في سورة آل عمران، ذيل الآية: ٣١.

٤ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٠٨، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٥ـ المصدر، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

واصحابه.[1] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: جواد ﴿عَلِيمٌ﴾ بموضع جوده وعطائه.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. قال في تفسيرها: «يعني أولى بكم اي: أحقّ بكم وبأُموركم من أنفسكم وأموالكم، " الله و رسوله والّذين آمنوا ". يعني عليّاً و أولاده الأئمّة عليهم السّلام إلى يوم القيامة ثمّ وصفهم الله عزّو جلّ، فقال: " الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون ". وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظّهر، وقد صلّى ركعتين، وهو راكع، وعليه حلّة قيمتها ألف دينار، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله أعطاه، وكان النّجاشيّ أهداها له. فجاء سائل فقال: السّلام عليك يا وليّ الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ تصدّق على مسكين. فطرح الحلّة إليه، وأومى بيده إليه أن احملها. فأنزل الله عزّوجلّ فيه هذه الآية، وصيّر نعمة أولاده بنعمته. فكلّ من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النّعمة مثله، فيتصدّقون وهم راكعون. والسّائل الّذي سأل أمير المؤمنين من الملائكة، والّذين يسألون الأئمّة من أولاده يكونون من الملائكة»[2].

وفي رواية: «إنّه عليه السلام ناول السّائل الخاتم من إصبعه»[3]. كما يأتي؛ وهي أشهر. وقد روته العامّة أيضاً[4]. ولعلّه عليه السلام تصدّق في ركوعه مرّة بالحلّة، وأُخرى بالخاتم؛ والآية نزلت بعد الثّانية، فإنّ " يؤتون " يشعر بالتّكرار والتّجدّد، كما أنّه يشعر بفعل أولاده أيضاً.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: فإنّهم

١ ـ القمّي ١: ١٧٠.

٢ ـ الكافي ١: ٢٨٨، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٣ ـ الخصال ٢: ٥٨٠، ذيل الحديث: ١ عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٤ ـ راجع: الدرّ المنثور ٣: ١٠٦؛ والكشّاف ١: ٦٢٤؛ والبيضاوي ٢: ١٥٦؛ وإحقاق الحقّ ٢: ٣٩٩ و ٣: ٥٠٢؛ والغدير ١: ٢١٤.

الغالبون. وضع الظّاهر موضع المضمر، تنبيهاً على البرهان عليه، وكأنّه قيل: فإنّهم حزب الله وإنّ حزب الله هم الغالبون، وتنويهاً بذكرهم، وتعظيماً لشأنهم، وتشريفاً لهم بهذا الاسم، وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاء بأنّه حزب الشّيطان. وأصل الحزب: القوم، يجتمعون لأمر حزبهم.

ورد: «إنّ رهطاً من اليهود أسلموا، فقالوا: يا نبيّ اللّه إنّ موسى أوصى إلى يوشع ابن نون، فمن وصيّك يا رسول الله، ومن ولّينا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: "إنّما وليّكم الله". قال رسول الله ﷺ: قوموا. فقاموا فأتوا المسجد، فإذاً سائل خارج. فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم، هذاالخاتم. قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرّجل الّذي يصلّي. قال: على أيّ حال أعطاك؟ قال: كان راكعاً. فكبّر النّبيّ ﷺ وكبّر أهل المسجد. فقال النّبيّ ﷺ: عليّ بن أبي طالب وليّكم بعدي. قالوا: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً، وبعليّ بن أبي طالب وليّاً. فأنزل الله تعالى: "ومن يتولّ الله" الآية»[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾: تنكرون منّا وتعيبون ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن أمر الله، طلباً للرّياسة وحسداً على منزلة النّبوّة.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ المنقوم؟ يعني: إن كان ذلك شرّاً عندكم فأنا أُخبركم بشرّ منه. ﴿مَثُوبَةً﴾: جزاءً ثابتاً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾. والمثوبة مختصّة بالخير، كالعقوبة

١ـ الامالي (للصّدوق): ١٠٨، المجلس السّادس والعشرون، الحديث: ٤، عن أبي جعفر ﷺ.

بالشرّ؛ وضعت موضعها، كما في: "بَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أليم"[١]. ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾: مسخهم ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: ومن عبدالطّاغوت وهو الشّيطان. قيل: هم أصحاب العجل، كما أنّ القردة والخنازير أصحاب السّبت والمائدة[٢]. ﴿أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. أريد بالتّفضيل مطلق الزّيادة.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾: يخرجون من عندك كما دخلوا، لايؤثّر فيهم ما سمعوا منك. القمّي: نزلت في ابن أُبيّ[٣]. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: المعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: تعدّي حدود الله ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: الحرام، كالرّشوة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَوْلَا﴾: هلاّ ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: علماؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ كالكذب وكلمة الشّرك، مثل قولهم: "عزير ابن الله"[٤]. ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. قال: «إنّما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي، ولم ينهاهم الرّبانيّون والأحبار عن ذلك»[٥].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. قال: «قالوا: قد فرغ من الأمر، فلايزيد ولاينقص»[٦] وفي رواية: «فليس يُحدث شيئاً. قال: ألم تسمع الله

١ـ آل عمران(٣): ٢١.
٢ـ الكشّاف ١: ٦٢٦.
٣ـ القمّي ١: ١٧٠.
٤ـ التّوبة(٩): ٣٠.
٥ـ الكافي ٥: ٥٧، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «لم ينههم».
٦ـ معاني الأخبار: ١٨، الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يقول: «يمحو الله مايشاء ويثبت»»[١]. وقيل: غلّ اليد كناية عن البخل، وبسطها عن الجود.[٢] ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾. دعاء عليهم. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. القمّي: أي: يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البدا والمشيّة[٣].

أقول: لعلّ تثنية اليد إشارة إلى تقابل أسمائه سبحانه، وكناية عن غاية الجود؛ فإنّ الجواد في الغاية إنّما يعطي بيديه جميعاً.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: على طغيانهم وكفرهم، كما يزداد المريض مرضاً من تناول غذاء الأصحّاء.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكلماتهم مختلفة، وقلوبهم شتّى، فلا تقع بينهم موافقة. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: كلمّا أرادوا محاربةً غُلبوا. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد بمخالفة أمر الله، والاجتهاد في محو ذكر الرّسول من كتبهم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. قال: «فإنّ الإسلام يجبّ ما قبله»[٤] و إن جلّ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بإقامة أحكامهما وإذاعة ما فيهما ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال: «يعني: الولاية»[٥]. ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: لوسّع عليهم أرزاقهم، وأُفيض عليهم بركات من السّماء والأرض. القمّي: من فوقهم

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٨٢، الباب: ١٣، الحديث: ١. والآية في سورة الرّعد: (١٣): ٣٩.

٢ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٥٩.

٣ـ القمّي ١: ١٧١.

٤ـ راجع: عوالي اللئالي ٢: ٥٤ و ٢٢٤؛ و الجامع الصغير (للسيوطي) ١: ١٢٣؛ و كنز العمّال ١: ٦٦ و ٧٥؛ و مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٩٩، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ـ العيّاشي ١: ٣٣٠، الحديث: ١٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

المطر ومن تحت أرجلهم النّبات.[١] ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ قد دخلوا في الإسلام ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ حيث أقاموا على الجحود والكفر. فيه معنى التّعجّب، أي: ما أسوء عملهم!

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: «في عليّ»[٢]. كذا نزلت. ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: إن تركت تبليغ ما أُنزل إليك في ولاية عليّ وكتمته، كنت كأنّك لم تبلّغ شيئاً من رسالات ربّك. ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾: يمنعك من أن ينالوك بسوء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

وقال في حديث: «ثمّ نزلت الولاية وإنّما أتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله تعالى: "اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي"[٣]. وكان كمال الدّين بولاية عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ. فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: أُمّتي حديثوا عهد بالجاهليّة، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمّي، يقول قائل، ويقول قائل. فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني. فأتتني عزيمة من الله بَتْلَةً[٤] أوعدني إن لم أُبلّغ أن يعذّبني. فنزلت: "ياأيّها الرّسول" الآية. فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ عليه السلام فقال: يا أيها النّاس إنّه لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلاّ وقد عمّره الله ثمّ دعاه فأجابه، فأوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد إنّك قد بلّغت، ونصحت، وأدّيت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين. فقال: اللّهمّ اشهد ـ ثلاث مرّات ـ ثمّ قال: يا معشر المسلمين هذا وليّكم من بعدي فليبلّغ

١ ـ القمّي ١: ١٧١.

٢ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٢٣؛ والعيّاشي ١: ٣٣٢؛ والقمّي ١: ١٧١؛ و شواهد التّنزيل ١: ١٨٨؛ والدّرّ المنثور ٣: ١١٧؛ والغدير ١: ٢١٦.

٣ ـ المائدة (٥): ٣.

٤ ـ بتلة: مقطوعة، من البتْل وهو القطع. ومنه قوله: طلّقها بتّة بتْلة. مجمع البحرين ٥: ٣١٦ (بتل).

الشّاهد منكم الغائب»[1] الحديث.

وفي رواية «فخرج رسول الله ﷺ من مكّة، يريد المدينة حتّى نزل منزلاً يقال له «غدير خمّ»، وقد علّم النّاس مناسكهم وأوعز إليهم وصيّته إذا نزل عليه هذه الآية: "يا أيّها الرّسول". فقام رسول الله فقال: تهديد و وعيد. فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أيّها النّاس، هل تعلمون من وليّكم؟ قالوا: نعم، الله و رسوله. قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكم منكم بأنفسكم؟ قالوا بلى. قال: اللّهمّ اشهد، فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً، كلّ ذلك يقول مثل قوله الأوّل، ويقول النّاس كذلك، ويقول: اللّهمّ اشهد؛ ثمّ أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتّى بدا للنّاس بياض إبطيهما، ثمّ قال: ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه، ثمّ قال: اللّهمّ اشهد عليهم وأنا من الشّاهدين»[2]. و روت العامّة عن ابن عباس وجابر بن عبدالله: «إنّ الله أمر نبيّه أن ينصب عليّاً للنّاس، ويخبرهم بولايته، فتخوّف عليه السلام[3] أن يقولوا: حابى[4] ابن عمّه، وأن يشقّ ذلك على جماعة من أصحابه، فنزلت هذه الآية، فأخذ بيده يوم غدير خمّ وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه»[5]. وقرئ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: على دين يعتدّ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بالتّصديق لما فيهما من البشارة بمحمّد ﷺ والإذعان لحكمه ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم

١ـ الكافي ١: ٢٩٠ـ ٢٩١، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ القمّي ١: ١٧٣ـ ١٧٤.

٣ـ في «ب»: «فتخوّف عليهم».

٤ـ حابَى الرّجلَ حِباءً: نَصَره واختصّه و مال إليه. «لسان العرب ١٤: ١٦٣ـ حَبَا». و في «ب»: «حامَى» ـ بالميم ـ والانسب ما أثبتناه كما في المصدر.

٥ـ جوامع الجامع ١: ٣٤٢ عن جابر بن عبدالله. والظّاهر أنّ قوله: «و قُرِئَ» زائد هنا لا معنى له، أو حذفت الجملة الّتي كانت بعده فإنّها في المصدر هكذا: «و قُرِئَ: فما بَلَّغْتَ رِسالاته».

مِن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[1]. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: فلاتتأسّف عليهم، فإنّ ضرر ذلك يرجع إليهم، لايتخطّاهم؛ وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ﴾ [منهم][2] ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. سبق تفسيرها في سورة البقرة[3].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بالتّوحيد والنّبوّة والولاية ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليذكّروهم، وليبيّنوا لهم أمر دينهم، ويقفوهم على الاوامر والنّواهي ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ من التّكاليف ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾. حكى الحال الماضية استحضاراً لها، واستفظاعاً للقتل، وتنبيهاً على أنّ ذلك ديدنهم ماضياً ومستقبلاً، ومحافظةً على رؤوس الآي.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أن لايصيبهم من الله بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الدّين ﴿وَصَمُّوا﴾ عن استماع الحقّ ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ كرّة أُخرى ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. قال: «"وحسبوا ألاّ تكون فتنة"، حيث كان النّبيّ بين أظهرهم، "فعموا وصمّوا" حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله "ثمّ تاب الله عليهم"، حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام "ثمّ عموا وصمّوا" إلى السّاعة»[4].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

١ـ العيّاشي ١: ٣٣٤، الحديث: ١٥٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الزّيادة من: «ب» و «ج».
٣ـ في ذيل الآية: ٦٢.
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾. وضع الظّاهر موضع المضمر، تسجيلاً على أنّ الشّرك ظلم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾. قيل: القائلون بذلك جمهور النّصارى، يقولون: ثلاثة أقانيم جوهر واحد؛ أب وابن و روح القدس إله واحد، ولايقولون ثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة، وإن كان يلزمهم ذلك، لأنّهم يقولون: الابن إله والأب إله و روح القدس إله؛ والابن ليس هو الأب[1]. و ورد: «أمّا المسيح فعصوه عظّموه في انفسهم حتّى زعموا أنّه إله وأنّه ابن الله؛ وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة؛ وطائفة منهم قالوا: هو الله»[2] ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ و هو الله وحده لاشريك له ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: من دام على كفره ولم ينقلع عنه ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾: فيه تعجيب من إصرارهم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فإن أحيا الله الموتى على يده فقد أحيا العصا على يد موسى وجعلها حيّة تسعى، وهو أعجب؛ وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير اب وأُمّ، وهو اغرب. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدّقت بكلمات ربّها وكتبه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ قال: «معناه أنّهما كانا يتغوّطان»[3]. وفي رواية: «يعني أنّ من أكل الطّعام كان له ثقل، ومن كان له ثقل فهو بعيد ممّا ادّعته النّصارىٰ لابن مريم»[4]. ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن استماع الحقّ وتأمّله. و "ثمّ" لتفاوت ما بين العجبين؛ يعني أنّ بياننا

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٢٨.
٢ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠١، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ١.
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

للآيات عجيب، وإعراضهم عنها أعجب.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يعتقدون.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ غلوّاً باطلاً ولاترفعوا عيسى من حدّ النّبوّة إلى حدّ الأُلوهيّة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾. هم أئمّتهم في النّصرانيّة الّذين كانوا في الضّلال قبل مبعث النّبيّ ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ممّن تابعهم على التّثليث ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ لمّا بعث رسول الله ﷺ حين كذّبوه وبغوا عليه.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ قال: «أمّا داود فإنّه لعن أهل أيلة[1] لمّا اعتدوا في سبتهم، وكان اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللّهمّ ألبسهم اللّعنة مثل الرّداء ومثل المِنْطَقَة[2] على الحَقْوَيْن فمسخهم الله قردة. وأمّا عيسى فإنّه لعن الّذين أُنزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعد ذلك[3]. فقال عيسى عليه السلام: اللّهمّ عذّب من كفر بعدما أكل من المائدة عذاباً لاتعذّبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السّبت. فصاروا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل»[4]. وفي رواية: «الخنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى»[5]. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: لاينهى بعضهم بعضاً عن المنكر أو لا ينتهون عنه ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. القمّي: كانوا يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور

١ـ أَيْلَة ـ بالفتح ـ مدينة على ساحل بحر القُلْزُم ممّا يلي الشّام. معجم البلدان ١: ٢٩٢.

٢ـ المِنْطَقَة: ما يشدّ به الوسط، و شقّة تلبسها المرأة و تشدّ وسطها ثمّ ترسل أعلاها على أسفلها إلى الرّكبة والأسفل إلى الأرض. «مجمع البحرين ٥: ٢٣٩ـ نطق» والحَقْو: موضع شدّ الإزار، و هو الخاصرة، ثمّ توسّعوا حتّى سمّوا الإزار الّذي يشدّ على العورة. مجمع البحرين ١: ١٠٥ (حقا).

٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ جوامع الجامع ١: ٣٤٦.

٥ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ويأتون النّساء أيّام حيضهن[١]. و ورد: «لمّا وقع التّقصير في بني إسرائيل، جعل الرّجل منهم يرى أخاه في الذّنب فينهاه فلا ينتهي، فلايمنعه ذلك من أن يكون أكيله وجليسه وشريبه، حتّى ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن حيث يقول: "لعن الّذين كفروا" الآية»[٢].

وفي رواية: «أما إنّهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولايجلسون مجالسهم ولكن كانوا إذا لقوهم أنِسُوا بهم»[٣]. وفي أُخرى: «سئل عن قوم من الشّيعة، يدخلون في أعمال السّلطان، ويعملون لهم ويَجْبُون لهم[٤]، ويوالونهم. قال: ليس هم من الشّيعة ولكنّهم من أُولئك ثمّ قرأ: "لعن الّذين كفروا" الآية»[٥].

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يوالونهم ويصادقونهم ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: لبئس زادهم إلى الآخرة ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. قال: «يتولّون الملوك الجبّارين، ويزيّنون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم»[٦].

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فإنّ الإيمان يمنع ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لشدّة

١ـ القمّي ١: ١٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ ثواب الأعمال: ٣١١، عن أبي عبدالله، عن أميرالمؤمنين عليهما السّلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٣٥، الحديث: ١٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم».
٤ـ في المصدر: «و يجبونهم»، يقال: جَبَيْتُ الخراج جِبايَةً و جَبَوْتُه جِباوَةً: جَمَعْتُهُ. مجمع البحرين ١: ٨٠ (جبا).
٥ـ القمّي ١: ١٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

شكيمتهم[1]، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتّباع الهوى، و ركونهم إلى التّقليد، وبعدهم عن التّحقيق، وتمرّنهم على تكذيب الأنبياء، ومعاداتهم إيّاهم. ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ للين جانبهم، و رقّة قلوبهم، وقلّة حرصهم على الدّنيا، وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: رؤساء في الدّين والعلم ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحقّ إذا فهموه و يتواضعون.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: من الّذين شهدوا بأنّه حقّ. قال: «أُولئك كانوا بين عيسى و محمّد، ينتظرون مجيء محمّد»[2].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. استفهام إنكار و استبعاد.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾ عن اعتقاد و إخلاص، كما دلّ عليه قوله: "مّما عرفوا من الحقّ" والقول إذا اقترن بالمعرفة، كمل الإيمان. ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

القمّي: إنّ النّجاشي مَلِكَ الحبشة بعث إلى رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً من القسّيسين، فقال لهم: أُنظروا إلى كلامه، و إلى مقعده، و مشربه، و مصلاّه. فلمّا وافوا المدينة، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، و قرأ عليهم القرآن: "إذْ قالَ اللّهُ يا عيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتي عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ" إلى قوله" سِحْرٌ مُبينٌ"[3]

1ـ يقال: فلان شديد الشّكيمة: إذا كان لا ينقاد لأحد، لما فيه من الصّلابة والصّعوبة على العدوّ و غيره. مجمع البحرين ٦: ٩٩ (شكم).

2ـ العيّاشي ١: ٣٣٦، ذيل الحديث: ١٦٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

3ـ المائدة (٥): ١١٠. في كلّ النُسخ و كذا المصدر: «و إذْ قالَ اللّه» بزيادة «و» و هو زائدٌ ليس في القرآن.

فلمّا سمعوا ذلك من رسول الله، بكوا و آمنوا و رجعوا إلى النّجاشي، و أخبروا خبر رسول الله، و قرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النّجاشي، وبكى القسّيسون وأسلم النّجاشي، ولم يظهر للحبشة إسلامه، وخافهم على نفسه، وخرج من بلاد الحبشة، يريد النّبيّ ﷺ، فلمّا عبر البحر توفّى. فانزل الله على رسوله "لتجدنّ أشدّ النّاس" إلى قوله "وذلك جزاء المحسنين"[١].

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا ﴾: لاتمنعوا انفسكم ﴿ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾: ما طاب منه و لذّ ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ عمّا حدّ الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾: مباحاً لذيذاً ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾. قال: «نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال و عثمان بن مظعون؛ فأمّا أمير المؤمنين فحلف أن لاينام باللّيل أبدا؛ وأمّا بلال فإنّه حلف أن لا يفطر بالنّهار أبداً؛ وأمّا عثمان بن مظعون فإنّه حلف أن لاينكح أبدا. فدخلت امرأة عثمان على عايشة، وكانت امرأة جميلة. فقالت عايشة: مالي أراك متعطّلة؟ فقالت: و لمن أتزيّن؟ فوالله ما قرّبني زوجي منذ كذا و كذا، فإنّه قد ترهّب، ولبس المُسُوح[٢]، وزهد في الدّنيا. فلمّا دخل رسول الله ﷺ أخبرته عايشة بذلك. فخرج فنادى: الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطّيّبات؟ إنّي أنام باللّيل، وأنكح، وأفطر بالنّهار؛ فمن رغب عن سنّتي فليس منّي. فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله، فقد حلفنا على ذلك، فأنزل الله: "لايؤاخذكم الله" الآية»[٣].

أقول: ليس في مثل هذا الخطاب والعتاب بأس على صاحبه، نظيره قوله سبحانه:

١ـ القمّي ١: ١٧٩.

٢ـ المُسُوح جمع المِسْح: البَلاس، وهو كساء معروف. مجمع البحرين ٢: ٤١٤ (مسح).

٣ـ القمّي ١: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

" يـا أيُّها النَّبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مـا أحَلَّ اللّـهُ لَكَ " [1] الآيتين. وقد ورد: «القرآن كلّه تقريع، وباطنه تقريب»[2].

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾: بما يبدو من غير قصد. قال: «هو قول الرّجل: لا والله وبلى والله ولا يعقد على شيء»[3]. ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾: بما وثّقتم الأيمان عليه، بالقصد والنّيّة؛ يعني: إذا حنثتم ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾. قال: «الأوسط: الخلّ والزّيت، والتّمر، والخبز، تشبعهم به مرّة واحدة؛ والكسوة: ثوب واحد»[4]. وفي رواية: «ثوب يواري به عورته»[5]. وفي أُخرى: «مُدّ من حنطة لكلّ مسكين، والكسوة: ثوبان»[6].

أقول: ينبغي حمله على ما إذا أشبعه المُدّ وعلى ما إذا لم يواره الواحد.

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ قال: «إذا لم يكن عنده فضل عن قوت عياله، فهو ممّن لا يجد»[7].

﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ قال: «متتابعات لا يفصل بينهنّ»[8]. ﴿ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ أي: حلفتم وحنثتم ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ عن بذلها لكلّ أمر، وعن الحنْث بعد الوقوع، وعن ترك التّكفير مع الحنْث ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

ورد: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فأتى ذلك، فهو كفّارة يمينه»[9]. وقال:

١ـ التّحريم (٦٦): ١.
٢ـ معاني الأخبار: ٢٣٢، باب معنى قول الأنبياء، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٧: ٤٤٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٤٥٤، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٤٥٣، الحديث: ٤و٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٤٥٢، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٤٥٢، الحديث: ٢، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٨ـ الكافي ٤: ١٤٠، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الكافي ٧: ٤٤٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

«لايمين لولد مع والده ولا للمراة مع زوجها»[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾. قال: «لمّا نزلت، قيل: يا رسول الله ما الميسر؟ فقال: كلّ ما تقومر عليه، حتّى الكعاب والجوز. قيل: فما الأنصاب؟ قال: ما ذبحوا لآلهتم. قيل: فما الأزلام؟ قال: قداحهم الّتي يستقسمون بها»[2].

وورد: «إنّ أوّل ما نزل في تحريم الخمر قوله تعالى: "يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا"[3]. فلمّا نزلت هذه الآية، أحسّ القوم بتحريمها، علموا أنّ الإثم ممّا ينبغي اجتنابه، ولا يحمل الله عليهم من كلّ طريق، لأنّه قال: "ومنافع للنّاس". ثمّ انزل الله آية أُخرى: "إنّما الخمر والميسر" الآية فكانت هذه الآية أشدّ من الأُولى وأغلظ في التّحريم، ثمّ ثلّث بآية أُخرى، فكانت أغلظ من الآية الأُولى والثّانية و أشدّ، فقال: "إنّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء" الآية؛ فأمر باجتنابها وفسّر عللها الّتي لها ومن أجلها حرّمها؛ ثمّ بيّن الله تعالى تحريمها، وكشفه في الآية الرّابعة مع ما دلّ عليه في هذه الآي المذكورة المتقدّمة بقوله تعالى: "إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ"[4]. وقال في الأُولى: "فيهما إثم" وقال في الرّابعة: "والإثم"؛ فخبّر أنّ الإثم في الخمر و غيرها و انّه حرام. و ذلك انّ الله تعالى إذا أراد أن يفترض فريضة، انزلها

١ـ الخصال ٢: ٦٢١، ذيل الحديث أربعمائة، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ١٢٢ـ١٢٣، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ البقرة(٢): ٢١٩.
٤ـ الأعراف (٧): ٣٣.

شيئاً بعد شيء، حتّى يوطّن النّاس انفسهم عليها، ويسكنوا إلى أمر الله تعالى ونهيه فيها؛ وكان ذلك على وجه التّدبير فيهم أصوب وأقرب لهم إلى الأخذ بها و أقلّ لنفارهم منها»[1].

وفي رواية: «ولو حمل عليهم جملة[2] واحدة، لقطع بهم دون الدّين. قال: ليس أحد أرفق من الله، و مِنْ رِفْقه أنّه ينقلهم من خصلة إلى خصلة»[3] و ورد: «كلّ مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام»[4]. وقال: «ما عصي الله بشيء أشدّ من شرب المسكر؛ إنّ أحدهم ليدع الصّلاة الفريضة، ويَثِبُ على أُمّه، وأُخته، وابنته، وهو لايعقل»[5]. و قال: «إنّه شرٌّ مِنْ تركِ الصّلاة لأنّه يصير في حال لايعرف معها ربّه»[6]. وقال: «شارب الخمر كعابد الوثن»[7]. وقال: «من شرب الخمر فاجلدوه؛ فإن عاد فاجلدوه؛ فإن عاد فاجلدوه؛ فإن عاد في الرّابعة فاقتلوه»[8]. إلى غير ذلك من الأخبار في ذمّها.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ عمّا نهيا عنه، أو عن مخالفتهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ قال: «من الحلال»[9]. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾

١ـ الكافي ٦: ٤٠٦ـ ٤٠٧، الحديث: ٢، عن بعض أصحابنا، مرسلاً.
٢ـ في جميع النُّسَخ: «حملة» وما اثبتناه من المصدر.
٣ـ الكافي ٦: ٣٩٥، الحديث: ٣، عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ المصدر: ٤٠٩، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٤٠٣، الحديث: ٧، عن أحدهما عليهما السّلام.
٦ـ المصدر: ٤٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ عوالي اللّئالي ٢: ١٤٨؛ والكشّاف ١: ٦٤٢؛ و الجامع الصغير ٢: ٣٩؛ والدّرّ المنثور ٣: ١٧٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ الكافي ٧: ٢١٨، الحديث: ٢، ٣ و ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٠، في تفسير أهل البيت عليهم السّلام.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. القمّي: لمّا نزل تحريم الخمر والميسر والتّشديد في أمرهما، قالوا: يا رسول اللّه، قتل أصحابنا، وهم يشربون الخمر، أفيضرّهم ذلك بعد ما ماتوا؟ فأنزل الله هذه الآية. فهذا لمن مات أو قتل قبل تحريم الخمر. والجناح هو الإثم، و هو على من شربها بعد التّحريم[1].

أقول: فمعنى الآية: أنّ الذين كانوا يشربون الخمر قبل نزول تحريمها، إذا كانوا بهذه المثابة من الإيمان والتّقوى والعمل الصّالح، فلا جناح عليهم في شربها. و لمّا كان لكلّ من الإيمان والتّقوى درجات و منازل كما ورد[2]، جاز أن يكون تكريرهما في الآية إشارة إلى تلك الدّرجات والمنازل. و قد بسطنا الكلام فيه في الصّافي والوافي[3].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ يعني في حال إحرامكم. قال: «حشر لرسول الله ﷺ في عمرة الحديبيّة الوحوش، حتّى نالتها أيديهم و رماحهم»[4]. و قال: «الّذي تناله الأيدي، فراخ الطّير، و صغار الوحش والبيض؛ والّذي تناله الرّماح، الكبار من الصّيد»[5]. ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: ليتميّز الخائف لقوّة إيمانه بالغيب، من غير الخائف لضعف إيمانه به. ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾: محرمون. قال: «إذا أحرمت فاتّق قتل الدّوابّ كلّها إلاّ الأفعي والعقرب والفارة»[6]. قال: «والكلب العقور والسّبع

١ـ القمّي ١: ١٨١.
٢ـ الكافي ٢: ٤٢، الحديث: ١و٢؛ ومصباح الشّريعة: ٣٨، الباب: ١٧، في التّقوى، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ راجع: الصّافي ٢: ٨٤ـ ٨٥؛ و الوافي ٤: ١٢٩.
٤ـ الكافي ٤: ٣٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «حَشَرتُ لرسول الله».
٥ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٤: ٣٦٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إذا أراداك فاقتلهما، فإن لم يريداك فلا تردهما، و كذا الحيّة والأسود الغَدِر [١] فاقتله على كلّ حال، وارم الغرابَ رمياً، والحِدَأَة [٢] على ظهر بعيرك»[٣]. وفي رواية: «يقتل المحرم الزّنبور، والنَّسْر، والأسود الغدر، والذّئب، وما خاف أن يعدو عليه»[٤].

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾. قال في تفسيرها: «في الظّبي شاة، وفي حمار وحش بقرة، وفي النّعامة جزور، وفي البقرة بقرة»[٥].

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: «ذو عدل»[٦]. وقال: «العدل رسول الله ﷺ، والإمام من بعده. ثمّ قال: هذا ممّا أخطأت به الكتّاب»[٧]. وفي رواية: «يعني رجلاً واحداً»[٨].

أقول: يعني أنّ رسم الألف في "ذوا عدل" من تصرّف نسّاخ القرآن، والصّواب عدم نسخها، و ذلك لأنّه يفيد أنّ الحاكم إثنان، والحال أنّه واحد، وهو الرّسول ﷺ في زمانه، ثمّ كلّ إمام في زمانه على سبيل البدل. و قرئ: ذوعدل أيضاً،[٩] كما هو الصّواب. وفي رواية: «العدل رسول الله ﷺ والإمام من بعده، وهو ذو عدل فإذا علمت ما حكم به رسول الله ﷺ والإمام عليه السلام، فحسبك ولاتسأل عنه»[١٠].

١ـ الأسود: العظيم من الحيّات. «لسان العرب ٣: ٢٢٦ ـ سود». الغَدْر: ضدّ الوفاء بالعهد. لسان العرب ٥: ٨ (غدر).

٢ـ الحِدَأَة ـ كعنَبة ـ طائرٌ خبيث. مجمع البحرين ١: ٩٦ (حدا).

٣ـ الكافي ٤: ٣٦٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الكافي ٤: ٣٦٤، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ التّهذيب ٥: ٣٤١، الحديث: ١١٨٠و١١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ الكافي ٨: ٢٠٥، الحديث: ٢٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ ومجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٧ـ الكافي ٤: ٣٩٦، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و٣٩٧، الحديث: ٥ عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ١: ٣٤٤، ذيل الحديث: ١٩٧، عنه عليه السلام.

٨ـ العيّاشي ١: ٣٤٤، الحديث: ١٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.

١٠ـ التّهذيب ٦: ٣١٤، الحديث: ٨٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿هَدْيَا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾. قال: «من وجب عليه فداء صيد أصابه وهو محرم، فإن كان حاجاً، نحر هديه الّذي يجب عليه بمنى؛ و إن كان معتمراً، نحر بمكّة قبالة الكعبة»[١]. ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾. قال: «في النّعامة وحمار الوحش بدنة، ثمّ إطعام ستّين مسكيناً، لكلّ مدّ، ثمّ صيام ثمانية عشر يوماً، وفي البقرة بقرة، ثمّ إطعام ثلاثين [مسكيناً][٢]، ثمّ صيام تسعة أيّام. وفي الظّبي شاة، ثمّ إطعام عشرة مساكين، ثمّ صيام ثلاثة أيّام». كذا ورد.[٣] وفي رواية: «يقوّم الصّيد قيمة، ثمّ تفضّ تلك القيمة على البرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعاً؛ فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً»[٤]. ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾: هذا الجزاء ليذوق ثقل فعله، و سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ يعني: الدّفعة الأولى. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾. قال: «إذا أصاب المحرم الصّيد خطأ، فعليه الكفّارة؛ فإن أصابه ثانية خطأ، فعليه الكفّارة أبداً إذا كان خطأ؛ فإن أصابه متعمّداً كان عليه الكفّارة؛ فإن أصابه ثانية متعمّداً، فهو ممّن ينتقم الله منه، ولم يكن عليه الكفّارة»[٥].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: ولسيّارتكم يتزوّدونه قديراً ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾. قال: «لا بأس أن يصيد المحرم السّمك و يأكل مالحه و طريّه و يتزوّد، ثمّ تلا الآية. قال: و فصل ما بينهما: كلّ طير يكون في الآجام يبيض في البرّ و يفرخ في البرّ فهو من صيد البرّ؛ و ما كان من صيد

١ـ الكافي ٤: ٣٨٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ الزّيادة من المصدر.

٣ـ الكافي ٤: ٣٨٥، الحديث: ١ عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٤٧، الحديث: ٢٠٨، عن زين العابدين عليه السلام.

٥ـ التّهذيب ٥: ٣٧٣، الحديث: ١٢٩٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

البرّ يكون في البرّ و يبيض في البحر، فهو من صيد البحر»[١]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ لمعايشهم ومكاسبهم، يستقيم به أمور دينهم و دنياهم، يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضّعيف، و يربح عنده التّجار باجتماعهم عنده من ساير الأطراف، و يغفر بقصده للمذنب، ويفوز حاجّه بالمثوبات. قال: «من أتى هذا البيت يريد شيئاً في الدّنيا والآخرة، أصابه»[٢]. وفي رواية: «ما دامت الكعبة قائمة و يحجّ النّاس إليها لم يهلكوا، فإذا هدمت وتركوا الحجّ هلكوا»[٣]. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾. سبق تفسيرها[٤]. ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: إذا اطّلعتم على ما في الحجّ و مناسكه من الحِكَم، علمتم أنّ الله يعلم الأشياء جميعاً.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وعيد و وعد لمن هتك محارمه و لمن حافظ عليها. ورد: «قال الله تعالى: من أذنب ذنباً، صغيراً أو كبيراً، وهو يعلم أنّ لي أن أعذّبه وأن أعفو عنه، عفوت عنه»[٥].

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾. تشديد في إيجاب القيام بما أمر به. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ إنساناً كان، أوعملاً، أومالاً، أوغير ذلك ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإنّ العبرة بالجودة والرّداءة، لا الكثرة والقلّة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

١ـ الكافي ٤: ٣٩٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «يريد شيئاً للدّنيا والآخرة».
٣ـ القمّي ١: ١٨٧؛ ومجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٧.
٤ـ في ذيل الآية: ٢ من سورة المائدة.
٥ـ التّوحيد: ٤١٠، الباب: ٦٣، الحديث: ١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ في تحرّي[١] الخبيث و إن كثر، و آثروا الطيّب و إن قلّ ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾ قال: «عن أشياء لم تبد لكم»[٢]. ﴿ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ ﴾. قال: «لمّا نزل فرض الحجّ، قيل: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه، حتّى عاد مرّتين أو ثلاثاً؛ فقال رسول الله ﷺ: ويحك و ما يؤمّنك أن أقول نعم! والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم كفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، و إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»[٣].

وفي رواية: «إنّ عمر آذى و أبكى إحدى قرابة رسول الله ﷺ وقال لها: إنّ قرابتك من رسول الله ﷺ لاتنفعك شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ فنادى: الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لاتنفع، لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في خارجكم[٤] لايسألني اليوم أحد من أبوه[٥] إلاّ أخبرته. فقام إليه رجل فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الّذي تدعى له، أبوك فلان بن فلان. فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: أبوك الّذي تدعى له. ثمّ قال رسول الله ﷺ: ما بال الّذي يزعم أنّ قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه، فقام إليه عمر فقال له: أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسول الله، اعف عنّي عفى الله عنك. فأنزل الله: "يا أيّها الّذين آمنوا

١ـ التّحرّي: القصد والاجتهاد في الطّلب والعزم على تخصيص الشّيء بالفعل والقول. مجمع البحرين ١: ٩٨ (حرا).

٢ـ الكافي ٨: ٢٠٥، الحديث: ٢٤٨، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٥٠، عن امير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ في المصدر: «في أحوجكم».

٥ـ في المصدر: «من ابواه».

لاتسألوا" الآية»[1].

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ ﴾: عن مسائلكم الّتي سلفت، فلا تعودوا إلى مثلها، أولا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلّف بها وكفّ عن ذكرها. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾.

﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ حيث لم يأتمروا و جحدوا.

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾: ماشرع الله ﴿مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾. قال: «إنّ أهل الجاهليّة إذا ولدت النّاقة خمسة أبطن خامسها أُنثى، بحروا أُذنها أي: شقّوه وحرّموها على النّساء، فإذا ماتت حلّت؛ و إذا ولدت عشراً جعلوها سائبة، لايستحلّون ظهرها ولا أكلها و ربّما تسيّب[2] بنذر، و إذا ولدت ولدين في بطن واحد، أو الشّاة ولدت في السّابع ذكراً و أُنثى في بطن واحد، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح ولم تؤكل، وحرّموا ولدي الشّاة على النّساء حتّى يموت أحدهما، فيحلّ. والحام: الفحل إذا ركب ولد ولده، أو نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمي ظهره، فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء، فانزل الله عزّوجلّ: إنّه لم يحرّم شيئاً من ذلك»[3]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ بتحريم ذلك ونسبته إليه ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ أنّ ذلك افتراء و كذب. يعني: الأتباع الّذين يقلّدون في تحريمها رؤساءهم، الّذين يمنعهم حبّ الرّياسة من الاعتراف به.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾. بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التّقليد وأن لاسند لهم سواه.

١ـ القمّي ١: ١٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ سيّبتُ الدّابة: تركتُها تَسيبُ حيث تشاء. كان الرّجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة. مجمع البحرين ٢: ٨٤ (سيب).

٣ـ معاني الأخبار: ١٤٨، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: أو حسبهم ولو كانوا جهلة ضالّين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: احفظوها و الزموا صلاحها. ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾. قيل: نزلت لمّا كان المؤمنون يتحسّرون على الكفرة ويتمنّون إيمانهم[1]. والقمّي: أصلحوا أنفسكم ولا تتّبعوا عورات النّاس ولا تذكروهم، فإنّه لا يضرّكم ضلالتهم إذا كنتم أنتم صالحين[2]، وفي رواية: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: «ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر، فإذا رأيت دنياً مؤثرةً وشحّاً مطاعاً وهوىً متّبعاً و إعجاب كلّ ذي رأي برأيه، فعليك بخُوَيْصّة[3] نفسك و ذر عوامّهم»[4].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وعد و وعيد للفريقين: على أنّ أحداً لا يؤاخذ بذنب غيره.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾: الإشهاد الّذي شرع بينكم فيما أُمرتم به ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: إذا شارفه و حضرت أماراته ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾. فيه تنبيه على أنّ الوصيّة ممّا لا يتهاون فيه. ﴿ٱثْنَانِ﴾: شهادة اثنين ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: «مسلمان»[5].

﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: «من أهل الكتاب فإن لم تجدوا فمن المجوس، لأنّ رسول الله ﷺ سنّ في المجوس سنّة أهل الكتاب في الجزية؛ و ذلك إذا مات الرّجل في أرض غربة فلم يجد مسلمين»[6].

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: سافرتم ﴿فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: قاربكم

١ـ البيضاوي ٢: ١٧٢.
٢ـ القمّي ١: ١٨٨ ـ ١٨٩.
٣ـ الخُوَيْصّة: تصغير الخاصّة.
٤ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٥٤. عن رسول الله ﷺ، و فيه: «و ذر النّاس و عوامهم».
٥ـ العيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٧: ٤، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

الأجل ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾ : تقفونهما ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ لتغليظ اليمين بشرف الوقت، ولأنّه وقت اجتماع النّاس ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي: الآخران ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ قال: «إن ارتاب وليّ الميّت في شهادتهما»[١]. ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا﴾ : عوضاً من الدّنيا ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾ المُقْسَمُ له ﴿ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ الّتي أمر بإقامتها ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾ أي: إن كتمنا.

﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾ : فإن اطّلع وحصل العلم ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾ أي: الآخرَيْن ﴿ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ قال: «شهدا بالباطل»[٢]. وفي رواية: «حلفا على كذب»[٣]. ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ : فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾. قال: «فليس له أن ينقض شهادتهما حتّى يجيء بشاهدين فيقومان مقام الشّاهدين الأولين»[٤]. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ﴾ أي: الّذين جُنِيَ عليهم؛ أراد بهم الورثة. قال: «يعني من أولياء المدّعي»[٥]. ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ : الأحقّان بالشّهادة لقرابتهما ومعرفتهما ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ قال: «يحلفان بالله أنّهما أحقّ بهذه الدّعوى منهما، و أنّهما قد كذبا فيما حلفا بالله»[٦].

﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي: يميننا أصدق. سمّيت شهادة، لوقوعها موقعها، كما في اللّعان. ﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾ : وما تجاوزنا فيها الحقّ ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: «فإذا فعل ذلك، نقض شهادة الأوّلَيْن و جازت شهادة الآخرَيْن»[٧].

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ : أقرب ﴿أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾ : على نحو ما تحمّلوها من غير تحريف ولا خيانة فيها ﴿أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ﴾ أي: تردّ اليمين على المدّعين ﴿بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة؛ جمع اليمين ليعمّ الشّهود

١، ٢و٤ـ الكافي ٧: ٤، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣، ٥و٦ـ الكافي ٧: ٥، ذيل الحديث: ٧، مرفوعة عليّ بن إبراهيم.
٧ـ المصدر: ٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

كلّهم.

ورد: «إنّ تميم الدّاري كان في سفر، وكان معه نصرانيّان، فاعتلّ علّة شديدة، فلمّا حضره الموت دفع ما كان معه إليهما ليوصلاه إلى ورثته، فأخذا منه آنية وقلادة وأوصلا سائره إلى الورثة، فقالوا: افتقدنا أفضل شيء كان معه، آنية منقوشة مكلّلة بالجوهر وقلادة. فقالا: ما دفع إلينا فقد أدّينا إليكم. فقدّموهما إلى رسول الله ﷺ، فأوجب عليهما اليمين فحلفا، فخلّى عنهما؛ ثمّ ظهرت الآنية والقلادة عليهما، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فانتظر الحكم من الله، فنزلت، فأمر رسول الله ﷺ أولياء تميم الدّاري أن يحلفوا بالله على ما أمرهم به، فحلفوا فأخذ رسول الله ﷺ القلادة والآنية من النّصرانيّين وردّهما على أولياء تميم»[1]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ سَمْعَ إجابة وقبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾. قيل: السّؤال توبيخ، ولذلك وكلوا الأمر إلى علمه بسوء إجابتهم، ولجاوا إليه في الانتقام منهم[2]. ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. قال: «يقولون: لا علم لنا بسواك، وقال: القرآن كلّه تقريع وباطنه تقريب»[3]. وفي رواية: «إنّ لهذا تأويلاً، يقول: "ماذا أُجبتم" في أوصيائكم الّذين خلّفتموهم على أُممكم؟ فيقولون: "لا علم لنا" بما فعلوا من بعدنا»[4].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: في جميع أحوالك على سواء ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا

١ـ الكافي ٧: ٥ـ٦، الحديث: ٧، مرفوعة.
٢ـ راجع: الكشّاف ١: ٦٥٢.
٣ـ معاني الأخبار: ٢٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٣٣٨، الحديث: ٥٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾. قد سبق تفسيره في آل عمران[1]. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ يعني: اليهود حين همّوا بقتله ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ قال: «ألهموا»[2] و قد مرّ وجه تسميتهم بذلك[3]. ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾. قيل: أي بحسب الحكمة والإرادة، لابحسب القدرة[4]. و وردت مقطوعاً[5] قراءتها: «"هل تستطيع ربَّك" بالخطاب، يعني: هل تستطيع أن تدعو ربّك»[6]. ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾. المائدة: الخِوانُ إذا كان عليه الطّعام. ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ من هذا السّؤال ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بكمال قدرته.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾. تمهيد عذر و بيان لما دعاهم إلى السّؤال ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بالمشاهدة ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادّعاء النّبوّة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند الّذين لم يحضروها.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾. ورد: «إنّ عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثمّ

١ - ذيل الآية: ٤٩.
٢ - العيّاشي ١: ٣٥٠، الحديث: ٢٢١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ - في سورة آل عمران، ذيل الآية: ٥٢.
٤ - البيضاوي ٢: ١٧٥.
٥ - الحديث المقطوع هو ما جاء عن التّابعين و من في حكمهم كالتّابع المصاحب للإمام. الدّراية: ٤٦.
٦ - العيّاشي ١: ٣٥٠، الحديث: ٢٢٢، عن يحيى الحلبي.

سلوا الله ما شئتم يعطكموه[١]، فصاموا ثلاثين، فلمّا فرغوا قالوا: إنّا لو عملنا لأحد من النّاس فقضينا عمله لأَطْعَمَنا طعاماً، و إنّا صمنا وجُعنا فادع الله ان ينزّل علينا مائدة من السّماء. فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها؛ عليها سبعة أرْغِفَة[٢] وسبعة إحوات[٣]، حتّى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر النّاس كما أكل أولهم»[٤].

و في رواية: «نزلت المائدة خبزاً و لحماً، و ذلك أنّهم سالوا عيسى طعاماً لاينفد ياكلون [منه][٥]. فقيل لهم: فإنّا مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفّعوا، فإن فعلتم ذلك عذّبتكم[٦]. فقال: فما مضى يومهم حتّي خبأوا[٧] و رفّعوا و خانوا»[٨]. وفي رواية: «كانت المائدة تنزل عليهم، فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثمّ ترفع[٩]. فقال كبراؤهم ومترفوهم: لاندع سفِلتنَا يأكلون منها، فرفع الله المائدة ببغيهم، ومسخوا قردة وخنازير»[١٠].

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾. قال: «إنّه لم يقله وسيقوله. إنّ الله إذا علم شيئاً هو كائن أخبر عنه خبر ما قد كان»[١١]. ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن

١ـ في المصدر: «ثمّ اسالوا الله ما شئتم يُعطيكم».

٢ـ الأرغِفَةُ جمع الرَّغيف: الخُبْزَة. مجمع البحرين ٥: ٦٤ (رغف).

٣ـ في نسخة «الف» و «ب»: «و سبعة خوان»وفي «ج»: «وسبعة أخوان». ولعلّ الأصحّ ما اثبتناه كما في المصدر. والخوان: مايؤكل عليه، معرّب. المصباح المنير ١: ٢٢٤ (خون).

٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام.

٥ـ الزّيادة من: «ب» و«ج». و في المصدر: «ياكلون منها».

٦ـ في المصدر: «عذّبتم».

٧ـ الخَبْء: التّقيّة والاستتار. يقال: خَبأتُ الشّيء خبأً ستَرتُه: مجمع البحرين ١: ١١٩ (خبا).

٨ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٩ـ في المصدر: «ترتَفع».

١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٧.

١١ـ العيّاشي ١: ٣٥١، الحديث: ٢٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.

﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾؟! توبيخ للكفرة وتبكيت لهم. والقمّي: إنّ النّصارى زعموا أنّ عيسى قال لهم: إنّي و أُمّي إلٰهين من دون الله فإذا كان يوم القيامة يجمع الله بين النّصارى وبين عيسى فيقول له: "ءأنت قلت للنّاس" الآية" [1]. ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾: أنزّهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾: ما لا يحقّ لي أن أقوله ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾: تعلم ما أُخفيه ولا أعلم ما تخفيه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾.

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾: رقيباً مطّلعاً، أمنعهم من أن يقولوا ذلك و يعتقدوه ﴿مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ بالرّفع إليك ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: المراقب لأحوالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾: مطّلع مراقب له.

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ تملكهم و تطّلع على جرائمهم ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: القادر القويّ على الثّواب والعقاب، الّذي لايثيب ولا يعاقب إلّا عن حكمة و صواب.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾. فيه دلالة على أنّ عيسى عليه السلام لم يقل ذلك. قال: «إنّه يدعى يوم القيامة الملائكة والنّبيّين [2] والأئمّة عليهم السّلام، فيسأل واحد واحد عمّا انتهى إليه من ربّه، و ما بلّغ إلى من أمر بتبليغه إليه، فيحتجّون بحجّتهم، فيقبل الله عذرهم و يجيز حجّتهم، ثمّ يقول الله عزّوجلّ: "هذا يوم ينفع الصّادقين صدقهم"». كذا ورد. [3] ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ

١ـ القمّي ١: ١٩٠ـ ١٩١.
٢ـ كذا في النّسخ و الصّواب: «النّبيّون» بالرّفع.
٣ـ القمّي ١: ١٩١ ـ ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام. والحديث مفصّل لخّصه قدّس سرّه.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . قال: «كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، و إنّما [1] يؤخذ من أمر رسول اللّه ﷺ بآخره، وكان من آخر ما نزل إليه سورة المائدة، نسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء» [2].



١ـ في المصدر: «و إنّما كان يؤخذ».

٢ـ العيّاشي ١: ٢٨٨، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين ﷺ.

سورة الأنعام

[مكيّة، و هي مائة و خمس و ستّون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾. وصف نفسه بما نبّه به على أنّه المستحقّ للحمد، حُمِدَ أولم يُحْمَد ليكون حجّة على العادلين [به] [2]. ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾: أنشأهما. والفرق بين الخلق والجعل، أنّ الخلق فيه معنى التّقدير؛ والجَعْلَ فيه معنى التّصيير كإنشاء شيء من شيء. ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يعني: أنّه خَلَقَ ما لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ هُم يسوّون به ما لا يقدر على شيء منه. ومعنى "ثُمَّ": استبعاد عدولهم بعد هذا الوضوح.

«والآية ردّ على ثلاثة أصناف: فـ" خلق السّماوات والأرض" ردّ على الدّهريّة، الّذين قالوا: إنّ الأشياء لابَدْوَلها وهي قائمة؛ و "جعل الظّلمات والنّور" ردّ على الثّنويّة، الّذين قالوا: إنّ النّور والظّلمة هما المدبّران؛ و "ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون" ردّ على مشركي العرب، الّذين قالوا: «إنّ أوثاننا آلهة». كذا ورد [3].

1 و 2ـ ما بين المعقوفات من نسخة «ب».

3ـ الاحتجاج 1: 25، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ أي: ابتدأ خلقكم منه ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾: كتب وقدّر أجلاً لموتكم محتوماً ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ لموتكم أيضاً، يؤخّر بالدّعاء والصّدقة وصلة الرّحم وغيرها، و يقدّم بأضدادها، وفيه سرّ البداء. قال: «الأجل المقضيّ هو المحتوم الّذي قضاه الله و حتَمَهُ، والمسمّى هو الّذي فيه البداء يقدّم ما يشاء و يؤخّر مايشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير»[1]. ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾: تشكّون. استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنّه خالقهم و خالق أُصولهم، و محييهم إلى آجالهم، و مُوقفهم في الأجل، بين الخوف والرّجاء[2] بعد قضائه المحتوم و قدَره النّافذ.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال: «كذلك هو في كلّ مكان»[3].

﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾: بما جاء به محمّد ﷺ ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾: عند نزول العذاب بهم.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾: من أهل زمان ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: أعطيناهم من البسطة في الأجسام، والسّعة في الأموال ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾: ما لم نعطكم. و في الكلام التفات. ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾: المطر ﴿ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ فعاشوا في الخِصب ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ بدلاً منهم، فنقدر أن نفعل ذلك بكم.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾. و لم يقتصر[4] بهم على

١ـ القمّي ١: ١٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ في جميع النّسخ: «و بين الخوف والرّجاء» بزيادة «و» والظّاهر انّها زائدة؛ إلاّ ان يكون عطفاً على قوله: موقفهم أي: بعد ما ثبت انّه موقفهم في الأجل و موقفهم بين الخوف والرّجاء.

٣ـ التّوحيد: ١٣٣، الباب: ٩، ذيل الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ في «ب» و«ج»: «و لم نَقْتَصِر بهم».

الرّؤية، لئلاّ يقولوا: سُكِّرَتْ أبصارُنا. ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ لعظم عنادهم و قسوة قلوبهم.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ قال: «يعني: يصدّقه[1] و نشاهده، بل يكون نبيّاً دونه»[2]. ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾: لحقّ إهلاكهم، فإنّ سنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: لايُمْهَلون بعد نزوله، طرفةَ عين.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ لمثّلناه رجلاً، كما مثّل جبرئيل في صورة دحْيَة[3]؛ فإنّ القوّة البشريّة لاتقوىٰ علىٰ رؤية المَلَك في صورته. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾: و لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم، فيقولون: ما هذا إلّا بشر مثلنا، وكذّبوه كما كذّبوك.

ورد: «إنّه قيل لرسول الله ﷺ: لو كنت نبيّاً لكان معك مَلَكٌ يصدّقك و نشاهده؛ بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا مَلَكاً لا بشراً مثلنا، فنزلت هذه الآية؛ فقال ﷺ للقائل: المَلَكُ لم يشاهده حواسُّكم، لأنّه من جنس هذا الهواء لاعِيانَ منه، ولو شاهدتموه، بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم: ليس هذا مَلَكاً بل هذا بشر، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الّذي ألفتموه، لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق المَلَك، و أنّ ما يقوله حقّ؟ بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات الّتي ليست في طبائع البشر الّذين قد علمتم ضمائر قلوبهم، فتعلمون بعجزكم عمّا جاء به أنّه معجزة، و أنّ ذلك شهادة من الله بالصّدق له، ولو ظهر لكم مَلَكٌ وظهر على يده ما يعجز عنه البشر، لم يكن في ذلك ما يدلّكم أنّ ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتّى يصير ذلك

١ـ اي: يُصَدِّقُ المَلَكُ النَّبِيَّ و نُشاهدُ المَلَكَ. و في «ب»: «نُصَدِّقُه».

٢ـ الاحتجاج ١: ٢٧، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام، مع تفاوت.

٣ـ اي: دِحيَةُ الكَلْبي.

معجزاً، ألا ترون أنّ الطّيور الّتي تطير ليس ذلك منها بمعجز، لأنّ لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها، ولو أنّ آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً، فالله تعالى سهّل عليكم الأمر وجعله مثلكم بحيث يقوم عليكم حجّته[1]، وأنتم تقترحون عمل الصّعب الّذي لاحجّة فيه»[2].

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾. تسلية للرّسول ﷺ على ما يرى من قومه. ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فأحاط بهم الّذي يستهزؤون به من العذاب.

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ قال: «أنظروا في القرآن وأخبار الأنبياء»[3].

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. سؤال تبكيت[4]. ﴿قُل لِّلَّهِ﴾. تقرير لهم، أي: هو للّه لا خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره.

﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾. أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته والعلم بتوحيده، بنصب الحجج وإنزال الكتب والإمهال على الكفر والذّنوب، لتدارك ما فُرّط. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ قرناً بعد قرن ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بتضييع رأس مالهم الّذي هو الفطرة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنّ إبطال الفطرة أدّاهم إلى الإصرار على الكفر.

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾: وللّه ما تمكّن وحلّ فيهما، ولا يخفى عليه شيء. ذكر في الأوّل السّماوات والأرض، المشتملتين على الأمكنة

١ـ في المصدر: «وجعله بحيث تقوم عليكم حجّته».

٢ـ الاحتجاج ١: ٢٧ و ٣٠، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.

٣ـ القمّي ١: ١٩٤؛ والكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

٤ـ التّبكيتُ: التّقريع والتّوبيخ. يقال: يا فاسق أما استحييت أما خفت اللّه. ويقال: بكّتَهُ بالحجّة إذا غلبه. مجمع البحرين ٢: ١٩٢ (بكت).

جميعاً، و ثانياً الليل والنّهار، المشتملين على الأزمنة جميعاً، ليعمّ الموجودات الّتي تندرج تحت الظّرفين.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: مُبْدِعهما بقدرته من غير احتذاء مثالٍ[1] ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾: يرزُق ولا يُرْزَق. يعني: أنّ المنافع كلّها من عنده، ولا يجوز عليه الانتفاع. ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: و قيل لي: ولا تكوننّ، أو عطف على "قُلْ".

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. قطع لأطماعهم بالكلّيّة، وتعريض لهم بأنّهم عُصاة مستوجبون للعذاب. قال: «ما ترك رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتّى نزلت سورة الفتح، فلم يَعُدْ إلى ذلك الكلام»[2].

﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني: العذاب ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ وتفضّل عليه. ورد: «والّذي نفسي بيده ما من النّاس أحد يدخل الجنّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا، إلّا أن يتغمّدني الله برحمة منه و فضل»[3]. ﴿ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: ببليّة، كمرض و فقر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾: فلا قادر على كشفه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: بنعمة، كصحّة و غنى ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يقدر على إدامته و إزالته.

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾: أعظم شهادة و أصدق ﴿ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: قل: الله الّذي غير خاف أنّه أكبر شيءٍ شهادة، هو الّذي يشهد لي بالنّبوّة.

١ـ احتذىٰ مثاله: اقتدىٰ به. الصّحاح ٦: ٢٣١١ (حذا).

٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٠، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٨٠، عن النّبي ﷺ.

«وإنّما جاز إطلاق الشّيء على الله تعالى لإخراجه عن حدّ التّعطيل، ولكنّه شيء بخلاف الأشياء». كذا ورد[١]. ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾. قيل: يعني: و أنذر سائر من بلغه إلى يوم القيامة[٢]. و ورد: «و من بلغ أن يكون إماماً من آل محمّد ﷺ فهو يُنْذِرُ بالقرآن كما أَنْذَرَ به رسول الله ﷺ»[٣]. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾. تقرير مع إنكار و استبعاد. ﴿قُل لَّا أَشْهَدُ﴾ بما تشهدون ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾: يعرفون رسول الله ﷺ بحلْيَته[٤] ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ بحلاهم؛ و قد سبق تفسيره[٥]. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كقولهم: الملائكة بنات الله، وهؤلاء شفعاؤنا عندالله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كان كذّبوا القرآن والمعجزات و سمّوها سحراً، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ قال: «هم المقرّون في دار الدّنيا بالتّوحيد، فلم ينفعهم إيمانهم بالله مع مخالفتهم رسله، و شكّهم فيما أتوا به عن ربّهم، و نقضهم عهودهم في أوصيائهم، واستبدالهم الّذي هو أدنى بالّذي هو خير؛ فكذّبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله: "أنظر كيف كَذَبُوا على أنفسهم"»[٦].

١ـ الكافي ١: ٨٣، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و٨٥، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ راجع: الكشّاف ٢: ١٠.

٣ـ الكافي ١: ٤١٦، الحديث: ٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الحِلْيَة ـ بالكسر ـ الخلقه والصّورة والصّفة. «و حلية الإنسان: ما يُرىٰ من لونه و ظاهره و هيئته». القاموس المحيط ٤: ٣٢١ (الحلي).

٥ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ١٤٦.

٦ـ الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ قال: «يعني معذرتهم»[١]. ﴿ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ قال: «يعنون بولاية عليّ عليه السلام»[٢]. والقمّي: إنّ الآية في قدريّة هذه الأمّة ومجوسهم الّذين يقولون: لا قدر، و يزعمون أنّ المشيّة والقدرة إليهم و لهم[٣].

﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الشّركاء.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حين تتلو القرآن ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾: اغطية ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ يمنع عن استماعه. كناية عن نبوّ قلوبهم وأسماعهم عن قبوله. ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ لفرط عنادهم و استحكام التّقليد فيهم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾: يخاصمونك ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾. الأساطير: الاباطيل، و أصل السّطر بمعنى الخطّ.

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾. القمّي: بنو هاشم كانوا ينصرون رسول الله صلى الله عليه وآله ويمنعون قريشاً عنه[٤]. ﴿ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾: و يباعدونه ولا يؤمنون به ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾: إنّ ضررهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾. جوابه محذوف، يعني: لرأيت أمراً فظيعاً. القمّي: نزلت في بني أميّة[٥]. ﴿ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾. تمنّوا أن يرجعوا إلى الدّنيا. ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ قال: «إنّهم ملعونون في الأصل»[٦].

﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ ﴾ أي: الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٩٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ و ٥ـ القمّي ١: ١٩٦.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٥٩، الحديث: ١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ للتوبيخ والسؤال، كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه، أوالوقوف بمعنى الاطلاع. ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ﴾. تعيير من الله لهم على تكذيبهم بالبعث. ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾: و ما أعمالها إلّا لعب و لهو، يلهي النّاس ويشغلهم عمّا يعقّب منفعة دائمة ولذّة حقيقيّة، وهي جواب قولهم: "إن هي إلّا حياتنا الدّنيا". ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ لخلوصها و دوام لذّاتها ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾. ضمن الجحود معنى التكذيب فعدّاه بالباء. قال: «بلى والله لقد كذّبوه أشدّ التّكذيب، ولكنّها مخفّفة؛ "لا يكذبونك": لا يأتون بباطل يكذبون به حقّك»[١]. وفي رواية: «لا يأتون بحقّ يبطلون حقّك»[٢]. و في أُخرى: «لا يستطيعون إبطال قولك»[٣]. يعني: أنّه من أكْذَبَه: إذا وجده كاذباً؛ و على التّشديد يكون المعنى: لايكذّبونك اعتقاداً بقلوبهم. و روي: «أنّ رسول الله ﷺ لقى اباجهل فصافحه[٤]، فقيل له في ذلك، فقال: والله إنّي لاعلم أنّه صادق، ولكنّا متى كنّا تبعاً لعبد مناف؛ فنزلت»[٥].

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا

١ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٤١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٩٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٥٩، الحديث: ٢١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في المصدر: فصافَحَهُ ابوجهل.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٩٤.

﴿مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قيل: أي لمواعيده من قوله: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ"[1]. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: من قصصهم وما كابدُوا[2] من قومهم.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾: عظم و شقّ ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك و عن الإيمان بما جئت به.

قال: «كان رسول الله ﷺ يحبّ إسلام الحارث بن نَوْفَل بن عبد مناف، دعاه وجهد به أن يُسلم، فغلب عليه الشّقاء، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية»[3].

﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: مَنْفَذاً تنفذ فيه إلى جوف الارض ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ مصعداً تصعد به إلى السّماء ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾: فتطلع لهم آية من الأرض أو تنزل آية من السّماء يؤمنون بها، و جوابه محذوف، أي: فافعل. والجملة جواب الشّرط الأوّل، والغرض بيان حرصه البالغ على إيمان قومه، و إنّه لو قدر على ذلك لفعل، ولكنّه لايقدر، نظيره "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ"[4]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بأن تأتيهم آية يخضعوا لها. ورد: «إنّ الله قد قضى الفُرْقَة والاختلاف على هذه الأمّة، فلو شاءالله لجمعهم على الهدى حتّى لايختلف إثنان من هذه الأمّة، ولا ينازع[5] في شيء من أمره، ولا يجحد المفضولُ لذي الفضل فضْلَه»[6]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. القمّي: مخاطبة للنّبيّ والمَعْنِيُّ النّاس[7].

١ـ الكشّاف ٢: ١٥ والآية في سورة الصّافّات (٣٧): ١٧١ و ١٧٢.

٢ـ الكَبَدُ ـ بالتّحريك ـ: الشّدّة والمشقّة، من المكابدة للشّيء، و هي تحمّل المشاقّ في شيء. مجمع البحرين ٣: ١٣٥ (كبد).

٣ـ القمّي ١: ١٩٨، عن أبي جعفر ﷺ، و فيه: «... الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، دعاه رسول الله ﷺ أن يسلم، فغلب عليه الشّقاء ...».

٤ـ الكهف (١٨): ٦.

٥ـ في «الف» و «ج»: «ولا تنازع».

٦ـ كمال الدّين ١: ٢٦٤، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ١٠، عن النّبيّ ﷺ.

٧ـ القمّي ١: ١٩٨ و فيه: «والمعنى للنّاس».

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾: يتفهّمون و يتدبّرون ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيحكم فيهم ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فحينئذٍ يسمعون[1]؛ يعني: أنّ الّذين تحرص على إيمانهم بمنزلة الموتى؛ لايسمعون حتّى يرجعوا إلى الله بعد البعث.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾؟ يعني: ممّا اقترحوه. ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ﴾ يخضعوا لها ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنّه قادر و أنّ حكمته لاتقتضي ذلك. والقمّي: لايعلمون أنّ الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها لهلكوا[2]. ورد: «سيريكم في آخر الزمان آياتٍ؛ منها دابّة الأرض والدّجّال و نزول عيسى و طلوع الشّمس من مغربها»[3].

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾: خلق مثلكم محفوظة أحوالها، مقدّرة أرزاقها، مكتوبة آجالها. ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾: «القرآن». كذا ورد[4]. ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾: شيئاً من التّفريط، لانّ «فرط» لايتعدّى بنفسه وقدعدّي بـ«في». ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾. ورد: «أيُّ بعير حجّ عليه ثلاث سنين، جعل من نَعَم الجنّة»[5]. و ورد: «سبع سنين»[6]. وفي معناه ـ ممّا يدلّ على حشر الحيوانات ـ أخبار كثيرة[7].

١ـ في نسخة «الف» و «ب»: «يستمعون».

٢ـ القمّي ١: ١٩٨، وفيه: «ليهلكوا».

٣ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٦١، الخطبة: ١٨؛ وعيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٦، الباب: ٢٠، الحديث: ١.

٥ـ من لايحضره الفقيه ٢: ١٩١ الحديث: ٨٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أيُّ بعير حجّ عليه ثلاث حجج يجعل من نعم الجنّة».

٦ـ المصدر، الحديث: ٨٧٣.

٧ـ الخصال ١: ٢٠٤، الحديث: ١٩و٢٠؛ وثواب الأعمال: ٧٥، الحديث: ١؛ والقمّي ١: ٢٤٨، ذيل الآية: ١٧٦ من سورة الأعراف.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ ﴾ قال: «عن الهدى»[١]. ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ قال: «لايتكلّمون بخير»[٢]. ﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ قال: «ظلمات الكفر»[٣]. ﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾: يخذله فيضلّ، لأنّه ليس من أهل الهدى. قال: «نزلت في الّذين كذّبوا الأوصياء»[٤]. ﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾: أرأيت أنفسكم، بمعنى: أخبروني ﴿ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ في الدّنيا ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ﴾ يعني: القيامة مَنْ تدعون؟ ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ ﴾؟ تبكيت لهم ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ بأنّ الأصنام آلهة.

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾: بل تخصّون الله بالدّعاء دون الآلهة. ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾: ما تدعون إلى كشفه ﴿ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾: و تتركون آلهتكم لما ركز في العقول أنّه القادر على كشف الضّرّ دون غيره، أو لا تذكرونها من شدّة الأمر و هَوْله.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ يعني: الرّسل، فكذّبوهم. ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ ﴾: بالشدّة والفقر ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾: والمرض و نقصان الأنفس والأموال ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾: لكي يتضرّعوا و يتذلّلوا و يتوبوا عن ذنوبهم.

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يعني: لم يتضرّعوا و لم يكن لهم عذر في ذلك إلّا قساوة قلوبهم و إعجابهم بأعمالهم.

قال: «لو أنّ النّاس حين تنزل بهم النِّقَم و تزول عنهم النِّعَمْ، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم و وَلَه من قلوبهم، لَرَدَّ عليهم كلّ شارد و أصلح لهم كُلّ فاسد»[٥].

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ من البأساء والضّرّاء: تركوا الاتّعاظ به ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

١، ٢و٣ـ القمّي ١: ١٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ١٩٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٥٧، الخطبة: ١٧٨.

﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الصحّة والتّوسعة في الرّزق ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من الخير والنّعم، واشتغلوا بالنّعم [١] عن المنعم. ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾: مفاجأة من حيث لايشعرون ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيسون من النّجاة والرّحمة، متحسّرون.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ اي: آخرهم لم يترك منهم أحد من دبره إذا تبعه.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إهلاك أعدائه و إعلاء كلمته، فإنّ تخليص أهل الأرض من سوء عقائد الكفّار وقبيح أعمال الفجّار نعمة جليلة يحقّ أن يحمد عليها. قال: «إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإنّ ذلك استدراج منه، ثمّ تلا هذه الآية» [٢]. وفي رواية: «فلمّا نسوا ما ذكّروا به من ولاية عليّ عليه السلام وقد أُمروا بها "فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء": دولتهم في الدّنيا و ما بسط لهم فيها؛ "أخذناهم بغتة" يعني بذلك: قيام القائم، حتّى كأنّهم لم يكن لهم سلطان قطّ» [٣]. وقال: «نزلت في ولد العبّاس» [٤].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ بان يصمّكم و يعميكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بان يغطّي عليها ما يذهب عقلكم و يسلب تمييزكم. قال: «إن اخذ الله منكم الهدى» [٥]. ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ قال: «يعرضون» [٦].

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: من غير مقدّمة و ظهور أمارة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تتقدّمه [٧] أمارة. قابلَ البغتةَ بالجهْرة لما في البغتة من معنى الخُفْيَة. ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾

١ـ في «الف» و «ج»: «بالنّعمة».
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٠٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ القمّي ١: ٢٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦٠، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «يعترضون».
٧ـ في «الف»: «يتقدّمه».

هلاك تعذيب و سخط ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. القمّي: نزلت لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، و أصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إليه. يعني: لايصيبكم إلّا الجهد والضرّ في الدّنيا، فامّا العذاب الأليم الّذي فيه الهلاك فلا يصيب إلّا القوم الظّالمين[1]. و في رواية: «يؤاخذ بني أُميّة بغتة و بني العبّاس جهرة»[2].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾. ورد في القدسيّ: «إنّما خزائني[3] إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن، فيكون»[4]. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الّذي اختصّ الله بعلمه، وإنّما أعلم منه ما يعلّمني الله ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾: من جنس الملائكة، اقدر على ما يقدرون عليه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ فيما أُنبئكم به ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾. تبرّأ من دعوى الألوهيّة والملكيّة، و ادّعى النبوّة الّتي هي من كمالات البشر، ردّاً لاستبعادهم دعواه. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ قال: «من لايعلم و من يعلم»[5] ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: «و أنذر بالقرآن الّذين يرجون الوصول إلى ربّهم، ترغّبهم فيما عنده، فإنّ القرآن شافع مشفّع»[6].

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾: يعبدونه على الدّوام ﴿يُرِيدُونَ

١ـ القمّي ١: ٢٠١.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٦٠، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ج»: «خزائني».
٤ـ التّوحيد: ١٣٣، الباب: ٩، الحديث: ١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٠٤، عن اهل البيت عليهم السّلام؛ والقمّي ١: ٢٠١.
٦ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَجْهَهُۥ﴾: يبتغون مرضاته مخلصين له. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾. جواب النفي. ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. جواب النّهي. القمّي: كان سبب نزولها: أنّه كان بالمدينة قومٌ فُقَراء مؤمنون يُسَمَّون أصحاب الصُّفَّة، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في صُفَّةٍ يأوُون إليها، وكان يتعاهدهم بنفسه، و ربّما يحمل إليهم ما يأكلون. وكانوا يختلفون إليه فيقرّبهم و يقعد معهم ويؤنسهم، و كان إذا جاء الأغنياء والمُتْرَفون من أصحابه، ينكرون عليه ذلك ويقولون له: اطردهم عنك، فنزلت[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثلُ ذلك الفتن، و هو اختلاف أحوال النّاس في أُمور الدّنيا. ﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ في أمر الدّين، فقدّمنا هؤلاء الفقراء على أشراف قريش بالسّبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾؟! أي: هؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتّوفيق لما يسعدهم دوننا و نحن الأكابر والرّؤساء وهم المساكين والضّعفاء. و هو إنكار لأن يخصّ هؤلاء من بينهم بإصابة الحقّ والسّبق إلى الخير، كقولهم: "لو كان خيراً ما سبقونا إليه"[2]. واللاّم للعاقبة. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾. قال: «إنّها نزلت في التّائبين»[3]. قيل: جاءه قوم فقالوا: إنّا أصبنا ذنوباً عظاماً فلم يردّ عليهم شيئاً، فانصرفوا، فنزلت»[4] و يؤيّده تمام الآية. و روي: «أنّها نزلت في الّذين نهى الله عن طردهم، و كان النّبيّ ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسّلام و قال: الحمد لله

١ـ القمّي ١: ٢٠٢.
٢ـ الأحقاف (٤٦): ١١.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر، عن أنس بن مالك.

الّذي جعل في أُمّتي من أمرني ان أبدأهم بالسّلام»[1]. ﴿أَنَّهُ﴾ بدل من الرّحمة، وعلى الكسر استيناف، يفسّرها ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ بالتّدارك ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المصرّين منهم والأوّابين.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: صُرِفتُ و زُجِرتُ عنه بما نصب لي من الادلّة و أنزل عليّ من الآيات في أمر التّوحيد. ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ .تاكيد لقطع أطماعهم، و إشارة إلى الموجب للنّهي و علّة الامتناع من متابعتهم بانّ ما هم عليه هوىً و ليس بهدىً، و تنبيه لمن تحرّى الحقّ على ان يتّبع الحجّة ولا يقلّد. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: على حجّة واضحة من معرفته و إنّه لا معبود سواه ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ حيث أشركتم به غيرَهُ ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾. قيل: يعني العذاب الّذي استعجلوه بقولهم: ائتنا بالّذي تعدنا[2]. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في التّعجيل والتّاخير ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ في كلّ ما يقْضي ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: القاضين.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: لأهلكتكم عاجلاً، غضباً لربّي، و انقطع ما بيني و بينكم. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. في معنى استدراك كانّه قال: ولكنّ الأمر إلى الله، و هو اعلم بمن ينبغي أن يؤخذ أو يمهل.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائنه، إن كان جمعَ المَفْتَح ـ بفتح الميم ـ بمعنى المخزن، أو مفاتيحه إن كان جمعَ المِفْتَح ـ بكسر الميم ـ بمعنى المفتاح، أي: ما يتوصّل به إلى

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٠٧، عن عكرمة.

٢ـ البيضاوي ٢: ١٩١.

٣ـ و قُرِئَ: «يقُصُّ الحقَّ» اي: يَتْبَعُهُ فيما يَحكُمُ به و يُقَدِّرُهُ من قولِهِم: قصَّ أثرَه. راجع: الصّافي ٢: ١٢٥ جوامع الجامع ١: ٣٨٣.

المَغيبات. ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ فيظهرُها على ما اقتضته حكمته ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قال: «من ورقة من شجرة»[١]. و في رواية: «الورقة: السّقط، والحبّة: الولد، و ظلمات الأرض: الأرحام، والرّطب: ما يحيى من النّاس، واليابس: ما يغيض[٢]، و كلّ ذلك في إمام مبين»[٣]. و في أُخرى: «الورقة: السّقط يسقط من بطن أُمّه من قبل أن يهلّ الولد، والحبّة: الولد في بطن أُمّه إذا أهلّ و سقط من قبل الولادة، والرّطب: المضغة إذا استكنّت في الرّحم قبل أن يتمّ خلقها و قبل أن تنتقل، واليابس: الولد التّامّ، والكتاب المبين: الإمام المبين»[٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾: يقبضُ أرواحكم عن التّصرف بالنّوم كما يقبضُها بالموت ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: ما كسبتم من الاعمال ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: ينبّهكم من نومكم في النّهار ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: لتستوفوا آجالكم. قال: «هو الموت»[٥] يعني بلوغه. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: المقتدر المستعلي عليهم ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ يحفظونكم ويحفظون أعمالكم، يذبّون عنكم مردةَ الشّياطين وهوامّ[٦] الأرض وساير الآفات، ويكتبون ما تفعلون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾

١ـ من لايحضره الفقيه ١: ٣٢٦، ذيل الحديث: ١٤٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ في الكافي: «مايقبض». والصّحيح ما اثبتناه كما في جميع النّسخ والصّافي والعيّاشي. والغَيْض: السّقط الّذي لم يتمّ خلقه. القاموس المحيط ٢: ٣٥٢ (غيض).

٣ـ الكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث: ٣٤٩؛ والعيّاشي ١: ٣٦١، الحديث: ٢٨؛ ومعاني الاخبار: ٢١٥، باب معنى الورقة و ...، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٣٦١-٣٦٢، الحديث: ٢٩، عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام.

٥ـ القمّي ١: ٢٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ الهوامّ جمع الهامّة كدوابّ و دابّة: المخوف من الأحناش كالحيّة و نحوها. مجمع البحرين ٦: ١٨٩ (همم).

ملك الموت وأعوانه، وقد سبق بيانه في سورة النّساء [١]. ﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾: لايقصّرون بالتّواني والتّأخير.

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: إلى حكمه و جزائه ﴿ مَوْلَىٰهُمُ ﴾ الّذي يتولّى أمرهم ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾: العدل الّذي لايحكم إلاّ بالحقّ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾: يومئذٍ لاحكم لغيره ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ قال: «يحاسب الخلائق في مقدار لمح البصر» [٢]. الحديث. وقد مرّ في سورة البقرة [٣].

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾: من شدائدهما، استعيرت الظّلمة للشّدّة لمشاركتهما في الهول و إبطال الإبصار، فقيل لليوم الشّديد: يوم مُظْلِمٌ. ﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا ﴾ بالسنتكم ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ في انفسكم ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ولا توفون بالعهد بعد قيام الحجّة.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال: «هوالدّخان والصّيحة» [٤]. ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «هوالخسف» [٥]. ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾: يَخْلِطَكم فِرَقاً مختلفي الأهواء. قال: «هوالاختلاف في الدّين، وطعن بعضكم على بعض» [٦]. ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال: «هو أن يقتل بعضكم بعضاً ـ قال: ـ وكلّ هذا في أهل القبلة» [٧]. ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾.

وفي رواية: «"من فوقكم": من السّلاطين الظّلَمة؛ و "من تحت أرجلكم": العبيد

١ـ لم يسبق منه في سورة النّساء بيان لذلك إلاّ قوله: «يحتمل الماضي والمضارع» عند قوله تعالى: (توفّيهم الملائكة) (الآية: ٩٧). لعلّه ـ قدّس سرّه ـ أراد ما بيّنه في ذيل تلك الآية من سورة النّساء في الصّافي ١: ٤٥١ـ ٤٥٣.

٢ـ مجمع البيان ١ـ ٢: ٢٩٨؛ وبحار الأنوار ٧: ٢٥٤.

٣ـ ذيل الآية: ٢٠٢.

٤، ٥، ٦و ٧ـ القمّي ١: ٢٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

السّوء ومن لا خير فيه؛ "أو يلبسكم شيعاً": يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبيّة؛ "و يذيق بعضكم باس بعضٍ": هو سوء الجوار»[1]. و ورد: «سألت ربّي أن لايُظهِر على أُمّتي أهل دين غيرهم فأعطاني، و سألته أن لايهلكهم جوعاً فأعطاني، وسألته أن لايجمعهم على ضلال فأعطاني، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فمنعني»[2].

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴾ قيل: بالقرآن[3]، و قيل: بالعذاب[4]. ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الصّدق، أوالواقع لابدّ أن ينزل ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾: بحفيظ.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت استقرار و وقوع ﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عند وقوعه.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والطّعن فيها ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾: فلا تجالسهم وقم من عندهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾.

قال: «هوالكلام في الله والجدال في القرآن، قال: و منه القصّاص»[5].

و ورد: «ليس لك أن تقعد مع من شئت، لأنّ الله يقول "و إذا رأيت"»[6]. الآية.

وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس في مجلس يسبّ فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم، ثمّ تلا هذه الآية»[7].

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ النّهي ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: معهم؛ نبّه بالإظهار على ظلمهم.

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه: «على ضلالة» بدل: على ضلال.
٣ـ المصدر: ٣١٦ والبيضاوي ٢: ١٩٢.
٤ـ البيضاوي ٢: ١٩٢.
٥ـ العيّاشي ١: ٣٦٢، الحديث: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ علل الشّرايع ٢: ٦٠٥، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٨٠، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٧ـ القمّي ١: ٢٠٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ : و ما يَلْزَمُ المتقين الّذين يجالسونهم ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ : ممّا يُحاسَبون عليه من قبايح أعمالهم و أقوالهم ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ : ولكن عليهم أن يُذَكِّروهم ذكرى، و يمنعوهم عن الخوض ويظهروا كراهته ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ : يجتنبون ذلك حياءاً أو كراهة لمساءتهم.

قال: «لمّا نزل "فلا تقعد بعد الذكرى" قال المسلمون: كيف نصنع إن كان كلّما استهزأ المشركون قمنا وتركناهم؟ فلا ندخل إذاً المسجد الحرام، ولا نطوف بالبيت الحرام. فأنزل الله هذه الآية، أمر بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا»[1].

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ : سخروا به، أو بنوا أمره على التّشهّي، أو جعلوا عيدهم الّذي جعل ميقات عبادتهم زمان لعب و لهو؛ والمعنى: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم و أقوالهم. ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ : فألهتهم عن العقبىٰ ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ مخافة أن تُسْلَمَ إلى الهلاك و ترهن بسوء عملها؛ و أصل البَسْل: المنع. ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ : و إن تفد كلّ فداء؛ والعدل: الفدية، لأنّها تعادل المفديّ. ﴿ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ أي: سلّموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة و عقايدهم الزّائفة ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ بين ماء مغليّ يتجرجر في بطونهم، و نار تشتعل بأبدانهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ ﴾ : أنعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ : لا يقدر على نفعنا وضرّنا ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ : و نرجع عن دين الإسلام إلى الشّرك ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ له ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ كالّذي ذهب به مردة الجنّ في المَهامه[2]؛ من

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤ : ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ المَهامِه جمع المَهْمَه والمَهْمَهَة: المفازة البعيدة والبلد المُقْفِر. القاموس المحيط ٤: ٢٩٤ (مه).

هَوىٰ: إذا ذهب. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: متحيراً ضالاًّ عن الطّريق ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾: لهذا المستهوى رفقة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾: إلى الطّريق المستوي، أو إلى أن يهدوه الطّريقَ المستوي ﴿ٱئْتِنَا﴾. يقولون له: ائتنا و قد اعتسف التّيه تابعاً للجنّ لا يُجيبهم ولا ياتيهم؛ و هذا مبنيّ على ما تزعمه العرب: انّ الجنّ تستهوي الإنسان كذلك. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الّذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وحده و ما سواه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ اي: أُمِرْنا للإسلام و لإقامة الصّلاة والتّقوى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾. قيل: أي: قوله الحقّ يوم يقول؛ واليوم: بمعنى الحين. يعني: انّه الخالق للسّماوات والأرض، و قوله الحقّ نافذ في الكائنات؛ أو "يوم" معطوف على السّماوات، و "قوله الحقّ" مبتدأ و خبر، أو فاعل "يكون"، اي: حين يكوّنُ الاشياءَ و يُحْدثها ويقول لقضائه: كن فيكون قولُه الحقّ، أي: قضائه[1]. وله وجوه أُخر من التّفسير. ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ كقوله: "وَالْمُلْكُ يَوْمَئذ لِلّه"[2]. روي: «انّ الصّوْرَ قرن التقمه إسرافيل فينفخ فيه، و انّ فيه بعدد كلّ إنسان ثقبة فيها روحه»[3]. و وصف بالسّعة والضّيق؛ يعني انّ أحد طرفيه واسع والآخر ضيق. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ و هذا كالفذلكة للآية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى

١ـ البيضاوي ٢: ١٩٤.
٢ـ الحجّ (٢٢): ٥٦.
٣ـ راجع: الدّرّ المنثور ٣: ٢٩٨؛ و سنن التّرمذى ٤: ٤٢؛ و روح البيان ٣: ١٥٣ ومسند احمد بن حنبل ٢: ١٦٢، ١٩٢؛ و تفسير القرآن العظيم، (لابن كثير) ٢: ١٥١.

﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ربوبيّتها. قال: «كَشَطَ[1] الله له عن الأرضين حتّى رآهنّ و ما تحتهنّ، و عن السّماوات حتّى رآهنّ و ما فيهنّ من الملائكة و حملة العرش»[2]. ورد: «إنّه فعل ذلك بالنّبيّ والأئمّة عليهم السّلام أيضاً»[3]. ﴿وَلِيَكُونَ﴾: ليراه و ليكون ﴿مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾: أظلم عليه و ستره بظلامه ﴿رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ على سبيل الإنكار والاستدلال؛ لأنّه كان طالبه[4] في حداثة سنّه ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾: مبتدءاً في الطّلوع ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾. استعجز نفسه و استعان بربّه.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

ورد: «إنّ إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزّهرة و صنف يعبد القمر وصنف يعبد الشّمس، و ذلك حين خرج من السَّرَب[5] الّذي أُخفي فيه، "فلمّا جنّ عليه اللّيل" رآى الزّهرة "قال هذا ربّي" على الإنكار والاستخبار، "فلمّا أفل" الكوكب "قال

١ـ كَشَطَ، اي: كشف. القاموس المحيط ٢: ٣٩٦ (كشط).

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ القمّي ١: ٢٠٥، عن أبي عبدالله عليه السلام و فيه: «و فعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام».

٤ـ في «ب» و «ج»: «لأنّه كان طالباً».

٥ـ السَّرَب ـ بالتّحريك ـ جُحْرُ الوحشيّ والحفير تحت الأرض والقناة الّتي يدخل منها الماء الحائط. القاموس المحيط ١: ٨٤ (سرب). و لعلّ المراد الغار الّذي وضعته امّه فيه و اخفته فيه من النّمرودية ثلاث عشرة سنة. راجع: القمّي ١: ٢٠٧.

لا أُحبّ الآفلين" ، لأنّ الأُفول من صفات المُحْدَث لا من صفات القديم؛ "فلمّا رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي" على الإنكار والاستخبار؛ "فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ" يقول: لكنت من القوم الضّالّين [1] . و في رواية: «أي: ناسياً للميثاق» [2] . قال: «فلمّا أصبح "ورأى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر" من الزّهرة والقمر، على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار. "فلمّا أفلت" قال للأصناف الثّلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشّمس: "يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي" الآية. وإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أنّ العبادة لخالقها وخالق السّماوات والأرض، و كان ما احتجّ به على قومه ما ألهمه الله و آتاه؛ كما قال الله: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْراهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِه"» [3] .

و في رواية: «فلمّا أصبح وطلعت الشّمس ورأى ضوءها و قد أضاءت الدّنيا لطلوعها، "قال: هذا ربّي هذا أكبر وأحسن، فلمّا تحرّكت و زالت، كَشَطَ الله له عن السّماوات حتّى رأى العرش ومن عليه، و أراه الله ملكوت السّماوات والأرض، فعند ذلك "قال: يا قوم إنّي بريء"» [4] . و في أُخرى: «و لم يكن ذلك من إبراهيم شركاً وإنّما كان في طلب ربّه؛ و هو من غيره شرك» [5] .

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾: و خاصموه في التّوحيد ﴿ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ ﴾: في وحدانيّته ﴿ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ إلى توحيده ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ أي: لا أخاف

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، الحديث: ١، و فيه: «لأكوننّ من القوم الضّالّين، يقول: لو لم يهدني ربّي لكنت من القوم الضّالّين».

٢ـ لاحظ: العيّاشي ١: ٣٦٤، الحديث: ٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، الحديث: ١، والآية في الأنعام(٦): ٨٣.

٤ـ القمّي ١: ٢٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «كَشَفَ» بدل «كَشَطَ».

٥ـ العيّاشي ١: ٣٦٥، الحديث: ٤١؛ والقمّي ١: ٢٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

معبوداتكم قطّ؛ لأنّها لا قدرة لها على ضرّ او نفع ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ ان يصيبني بمكروه، وكأنّه جواب لتخويفهم إيّاه من جهة آلهتهم.

﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال مخوف بي ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميّزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يضرّ شيئاً ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: حجّة؛ يعني و ما لكم تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ولاتنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف. ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾: الموحّدون أو المشركون ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ قال: «ولم يخلطوا»[1]. ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾. ورد: «إنّه من تمام قول إبراهيم عليه السلام»[2]. و روي: «لمّا نزلت هذه الآية شقّ على النّاس و قالوا: يا رسول الله و أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنّه ليس الّذي تعنون، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح "يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللّه إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ"»[3]. و في رواية: «إنّ الظّلم: الضّلال فما فوقه»[4]. وفي أُخرى: «الشكّ»[5]. وفي أُخرى: «آمنوا بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من الولاية و لم يخلطوها بولاية فلان وفلان»[6].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾: ارشدناه إليها و علّمناه إيّاها ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في رفعه و خفضه ﴿عَلِيمٌ﴾ بحال من يرفعه و يخفضه.

١ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ المصدر، عن ابن مسعود. والآية في لقمان (٣١): ١٣.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٤٨؛ والكافي ٢: ٣٩٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ يعني هديناهم لنجعل الوصيّة في أهل بيتهم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾. ورد: «والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم عليه السلام من قِبَلِ النّســاء، ثمّ تلا هذه الآية»[1]. و في رواية: «وكذلك ألحقنا بذراري النّبيّ ﷺ من قِبَلِ أُمّنا فاطمة عليها السّلام»[2] ﴿وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ مع علوّ شأنهم ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يريد به الجنس ﴿وَالْحُكْمَ﴾ أي: الحكمة، أو الحكم بين النّاس ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بالنّبوّة، أو الثّلاثة ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني قريشاً ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ قال: «قوماً يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويذكرون الله كثيراً»[3].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾. يريد الأنبياء المقدّم ذكرهم. ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الهاء للوقف. ورد: «لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء؛ لأنّه المنهج الأوضح والمقصد الأصحّ. قال الله لأعزّ خلقه محمّد ﷺ: "أُولئك الّذين هدى الله فبهديٰهم اقتده"؛ فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الاقتداء لَنَدَبَ أنبياءَه و أولياءَه إليه»[4]. وفي

١ـ العيّاشي ١: ٣٦٧، الحديث: ٥٢؛ والمحاسن ١: ١٥٦، الباب: ٢٣، الحديث: ٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٨٤، الباب: ٧، ذيل الحديث الطّويل: ٩، عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٣ـ المحاسن ٢: ٥٨٨، الباب: ١٧، الحديث: ٨٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مصباح الشّريعة: ١٥٧، الباب: ٧٤، في الاقتداء، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رواية: «أحسن الهدى هدى الأنبياء»[1] . ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ اي: على التّبليغ؛ و هذا من جملة ما أمر بالاقتداء بالأنبياء ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ تذكيراً[2] و عظةً.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: و ما عرفوه حقّ معرفته، و ما عظّموه حقّ عظمته، وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به من الرّحمة والإنعام على عباده واللّطف بهم. ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ حين أنكروا الوحي و بعثة الرّسل، و ذلك من جلائل نعمته و عظائم رحمته و لطفه. القمّي: و هم قريش واليهود[3]. ورد: «إنّ الله لا يوصف، و كيف يوصف و قد قال الله في كتابه: "و ما قدروا الله حقّ قدره" فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك»[4]. و يأتي فيه حديث آخر في الزّمر إن شاء الله[5]. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾. أُلزِمُوا بما لابدّ لهم من الإقرار به مع توبيخهم بتحريفهم بإبداء بعضٍ وإخفاء بعض، وجَعْلِها ورقاتٍ متفرّقة ليتمكّنوا ممّا حاولوه. قال: «كانوا يكتبونه في القراطيس، ثمّ يبدون ما شاؤوا ويخفون ما شاؤوا»[6]. والقمّي: يخفون يعني من أخبار رسول الله ﷺ[7]. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ اي: أنزله الله. قيل: أمره بأن يجيب عنهم إشعاراً بأنّ الجواب متعيّن لا يمكن غيره، وتنبيهاً على أنّهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب[8]. ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. القمّي: يعني ما خاضوا فيه من التكذيب[9].

١ـ القمّي ١: ٢٩١، عن النّبيّ ﷺ، ذيل الآية: ٤٢ من سورة التّوبة.
٢ـ في «الف»: «تذكّراً».
٣و٧و٩ـ القمّي ١: ٢١٠.
٤ـ الكافي ١: ١٠٣، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ ذيل الآية: ٦٧.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٦٩، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ البيضاوي ٢: ١٩٨.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾: كثير النفع والفائدة ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾: الكتب الّتي قبله ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعني مكّة؛ سمّيت بها لأنّه دُحيت الأرض من تحتها، فكأنّها تولّدت منها. ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾: أهل الشّرق والغرب ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فإنّ من صدّق بالآخرة خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النّظر والتّدبّر حتّى يؤمن به ويحافظ على الطّاعة؛ وتخصيص الصّلاة لأنّها عماد الدّين.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾. قال: «نزلت في ابن أبي سرْح الّذي كان عثمان استعمله على مصر، و هو ممّن كان رسول الله ﷺ هدر دمه و كان يكتب لرسول الله ﷺ، فإذا أُنزل "إنّ الله عزيز حكيم"[1] كتب: إنّ الله عليم حكيم، فيقول له رسول الله ﷺ: دعها فإنّ الله عليم حكيم، و كان يقول للمنافقين: إنّي أقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيّر عليّ»[2]. وفي رواية: «كان أخا عثمان من الرّضاعة، وكان له خطّ حسن. قال: فارتدّ كافراً وكان من الطّلقاء»[3]. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾: شدائده، مِنْ غَمَرَهُ الماءُ: إذا غشيه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ لقبض أرواحهم كالمتقاضي المسلّط ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ قال: «العطش يوم القيامة»[4]. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾: لا تؤمنون بها.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ عن أموالكم و أولادكم و أوثانكم و لباسكم. وفي رواية:

١ـ البقرة (٢): ٢٠٩، ٢٢٠ و ٢٦٠؛ الأنفال (٨): ١٠؛ التّوبة (٩): ٧١؛ لقمان (٣١): ٢٧.

٢ـ الكافي ٨: ٢٠١، الحديث: ٢٤٢، عن أحدهما عليهما السّلام. و قوله ﷺ: «دعها» أي: أتركها كما نزلت ولا تغيّرها فإنّه و إن كان قولك: «إنّ الله عليم حكيم» حقّاً ولكن لايجوز تغيير ما نزّل من القرآن.

٣ـ القمّي ١: ٢١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٣٧٠، الحديث: ٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

«عراة»[١]. ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ على الهيئة الّتي ولدتم عليها ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾: ما ملكناكم في الدّنيا فشُغلتُم به عن الآخرة ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾: شركاء الله في ربوبيّتكم واستحقاق عبادتكم ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: ما بينكم؛ وعلى الرّفع: تقطّع وَصْلُكم وتشتّت جمعكم. والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾: ضاع وبطل ﴿ مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾. ورد: «نزلت هذه الآية في معاوية و بني أُميّة، وشركاؤهم أئمّتهم "لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُم" يعني المودّة»[٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ بالنّبات والشّجر ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾: ما ينمو من الحيوان والنّبات ممّا لا ينمو، كالنّطفة والحبّ ﴿ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾: ومخرج ذلك من الحيوان والنّبات. ورد: «الحبّ: طينة المؤمنين؛ ألقى الله عليها محبّته، والنّوى: طينة الكافرين الّذين نأوا عن كلّ خير، والحيّ الّذي يخرج من الميّت: هو المؤمن الّذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميّت الّذي يخرج من الحيّ هو الكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن»[٣]. ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾ الّذي يحقّ له العبادة ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾: تُصرَفُون عنه إلى غيره.

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾: شاقُّ عمودِ الصّبح عن ظلمة اللّيل ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق، كما قال "لِتَسْكُنُوا فيه"[٤]. ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ ﴾ الّذي قهرهما و سيّرهما على الوجه الخاصّ ﴿الْعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾: في ظلمات

١ـ الخرائج والجرائح ١: ٩١، الحديث: ١٥٠، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ القمّي ١: ٢١١، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيه: «وشركاؤهم وأئمّتهم».
٣ـ الكافي ٢: ٥، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ يونس (١٠): ٦٧؛ القصص (٢٨): ٧٣؛ الغافر (٤٠): ٦١.

اللّيل في البرّ والبحر، أو في مشتبهات الطّرق أو الأمور. القمّي: النّجوم: آل محمّد ﷺ[١]. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾: بيّناها فصلاً، فصلاً ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنّهم منتفعون به.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ و هو آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾. ورد: «المستقرّ: من استقرّ الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع: الّذي يستودع الإيمان زماناً ثمّ يسلبه، وقد كان الزّبير منهم»[٢]. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾. ذكرهنا "يفقهون" لأنّه غامض، و هناك "يعلمون" لأنه ظاهر.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾: نبتاً غضّاً أخضر ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ قد ركب بعضه على بعض، و هو السّنبل. ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾: أعذاق؛ جمع قنو. ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة من المتناول ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: بعضها متشابه في الهيئة والمقدار واللّون والطّعم، و بعضها غير متشابه ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾: ثمر كلّ واحد ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: إذا أخرج ثمره، كيف يكون صغيراً حقيراً لايكاد ينتفع به ﴿وَيَنْعِهِ﴾: و إلى حال نضجه، أو إلى نضيجه، كيف يعود ضخماً ذا نفع و لذّة؛ مصدر يَنَعَت الثّمرةُ: إذا أدركت، أو جمع يانع. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: الملائكة، جعلوهم أنداداً لله فعبدوهم، وقالوا: إنّهم بنات الله؛ سمّاهم جنّاً لاختفائهم. و نحوه: "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً"[٣]، أو أُريد بالجنّ: الشّياطين، لأنّهم أطاعوهم كما يطاع الله، أو عبدوا الاوثان بتسويلهم، أو قالوا: إنّ الله خالق الخير و إبليس خالق الشرّ. ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: و قد خلقهم، أي: و قد

١ـ القمّي ١: ٢١١.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧١، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الصّافّات (٣٧): ١٥٨.

علموا أنّ الله خالقهم دون الجنّ. و ليس من يخلق كمن لايخلق. ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ ﴾: واختلقوا لله ﴿ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ﴾ فإنّ المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، و أهل الكتابَيْن: عُزَيْرٌ ابن الله والمسيح ابن الله. ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ ﴾: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه، ولكن جهلاً منهم بعظمة الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: [يقولون] [1].

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾ قال: «أي: هو مبدعهما و منشؤهما بعلمه ابتداءاً لا من شيء ولا على مثال سبق» [2]. ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ ﴾ يكون منها الولد ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فهو غنيّ عن كلّ شيء.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. ورد: «أفعال العباد مخلوقة خَلْقَ تقدير لا خَلْقَ تكوين والله خالق كلّ شيء ولا نقول بالجبر والتّفويض» [3]. ﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ فإنّ من استجمع هذه الصّفات استحقّ العبادة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ مدبّر.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: «لا تحيط به الأوهام» [4]. ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ ﴾. قال: «يحيط بها» [5]. و في رواية: «إنّما عَنَى إحاطةَ الْوَهْمِ، كما يقال: فلان بصير بالشِّعْرِ وفلان بصير بالفقه؛ الله أعظم من أن يُرى بالعين» [6]. و في أُخرى: «أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، و أوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون» [7]. ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾: «النّافذ في الأشياء». كذا ورد [8]. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ قال: «الّذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته» [9].

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ ﴾. البصيرة للقلب كالبصر للبدن. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحقّ

١ـ الزّيادة من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٤٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ـ الخصال: ٦٠٨، ذيل الحديث: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام. و فيه: «ولا يقول».

٤و٥ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن امير المؤمنين عليه السلام.

٦ـ المصدر: ١١٢، الباب: ٨، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ المصدر: ١١٣، الحديث: ١٢، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.

٨و٩ـ الكافي ١: ١٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

و آمن به ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ابصر؛ لأنّ نفعه لها ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عن الحقّ و ضلّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وباله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ و إنّما أنا منذر، والله هو الحفيظ عليكم، يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: ننقلها من حال إلى حال، بإجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة. ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ صرفنا؛ واللاّم للعاقبة؛ والدّرس: القراءة والتّعلّم. القمّي: كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: إنّ الّذي تخبرنا به تتعلّمه من علماء اليهود و تدرسه[1]. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. اللام هنا على أصله، لأنّ التّبيين مقصود التّصريف؛ والضّمير للآيات بإعتبار المعنى.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ بالتديّن به ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. اعتراض. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾. قال: «ولو شاء الله أن يجعلهم كلّهم مؤمنين معصومين حتّى كان لايعصيه أحد، لما كان يحتاج إلى جنّة ولا إلى نار، ولكنّه أمرهم ونهاهم وامتحنهم و أعطاهم ماله عليهم به الحجّة من الآلة والاستطاعة ليستحقّوا الثّواب والعقاب»[2]. ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيباً ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تقوم بأمورهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ولا تذكروا آلهتهم الّتي يعبدون، بما فيها من القبايح ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾: تجاوزاً عن الحقّ إلى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به.

قال: «كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّارُ إله

١ـ القمّي ١: ٢١٢.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٤٦، في تفسير اهل البيت عليهم السّلام.

المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون»[١]. وفي رواية: «أرأيت أحداً يسبّ الله؟ فقيل: لا، و كيف؟ قال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله»[٢]. وفي أُخرى: «و إيّاكم و سبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم»[٣].

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ في الخير والشرّ[٤] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ من مقترحاتهم ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ هو قادر عليها، يُظهر منها ما يشاء على مقتضى الحكمة، ليس شيء منها بقدرتي و إرادتي. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بكسر الهمزة[٥] وبفتحها[٦]. قيل: "لا" مزيدة[٧]، و قيل: إنّها بمعنى لعلّها، كما في قراءة أُبيّ[٨].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ عن الحقّ فلا يفقهونه. قال: «نُكس قلوبهم فجعل أعلاها أسفلها فلم تقبل خيراً أبداً»[٩]. ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ قال: «فلا يبصرون الهدى»[١٠]. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بما أُنزل من الآيات. والقمّي: «يعني في الذرّ والميثاق»[١١].

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: يضلّون.

١ـ القمّي ١: ٢١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في جميع النّسخ: «يسبّوا الكفّار» وما أثبتناه من المصدر.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧٤، الحديث: ٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٧، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ في «ج»: «في الخير والشرّ بعد اختيارهم ودخولهم فيه».
٥ ـ في «ج»: «بكسر الهمزة واضح، وبفتحها».
٦ـ اي: بكسر همزة "انّها" و فتحها فالمعنى على الفتح: انا اعلم انّها إذا جاءت لايؤمنون بها و انتم لاتدرون بذالك؛ و على الكسر يكون الكلام قد تمّ قبله، والمعنى: و ما يشعركم ما يكون منهم، ثمّ أخبرهم بعلمه فيهم، فقال: إنّها إذا جاءت لايؤمنون بها البتّة. «راجع: الصّافي ٢: ١٤٨؛ وجوامع الجامع ١: ٤٠٣».
٧و٨ـ البيضاوي ٢: ٢٠٣؛ ومجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٤٨ـ ٣٤٩.
٩ و١٠ـ القمّي ١: ٢١٣، عن ابي جعفر عليه السلام، مع اختلاف في بعض العبارات.
١١ ـ القمّي ١: ٢١٣.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾: عياناً، كما اقترحوا فقالوا: «لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ»[1] «فَأْتُوا بِآبائِنا»[2] «أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً»[3]. ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾: و كما جعلنا لك عدواً ﴿ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ﴾ سبقك ﴿ عَدُوًّا ﴾. قال: «ما بعث الله نبيّاً إلّا و في أُمّته شيطانان يؤذيانه و يضلّان النّاس بعده»[4]. ثمّ ذكر أسماء أعداء أُولي العزم اثنتين اثنتين. ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾: مردتهما ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾: الأباطيل المموّهة من زخرفه إذا زيّنه. قال: «من لم يجعله الله من أهل صفة الحقّ، فأُولئك شياطين الإنس والجنّ»[5]. و في رواية: «الإنس على ثلاثة أجزاء فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، و جزء عليهم الحساب والعذاب، و جزء وجوههم وجوه الآدميّين و قلوبهم قلوب الشّياطين»[6]. ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾.

﴿ وَلِتَصْغَىٰ ﴾: تميل ﴿ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ لأنفسهم ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴾: و ليكتسبوا ﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ من الآثام.

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾؟! يعني قل لهم: أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم، ويفصل المحقّ منّا من المبطل؟ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ ﴾: القرآن ﴿ مُفَصَّلًا ﴾: مبيّناً فيه الحقّ والباطل، بحيث ينفي التّخليط والالتباس ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾:

١ـ الفرقان (٢٥): ٢١.
٢ـ الدّخان (٤٤): ٣٦.
٣ـ الإسراء (١٧): ٩٢.
٤ـ القمّي: ٢١٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ١١، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الخصال ١: ١٥٤، الحديث: ١٩٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

التوراة والإنجيل ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ لتصديق ما عندهم إيّاه، و لتصديقه ما عندهم، مع انّه ﷺ لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ما تكلّم به من الحجّة بلغت الغاية أخباره و أحكامه ومواعيده ﴿صِدْقًا﴾ في الاخبار والمواعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأقضية والأحكام ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بما هو أصدق و أعدل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يضمرون.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لانّ الاكثر في الغالب يتّبعون الاهواء ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقولون عن تخمين وتقليد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ اي: أعلم بالفريقين.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. مسبّب عن إنكار اتباع المضلّين الّذين يحرّمون الحلال و يحلّون الحرام؛ و ذلك انّهم قالوا للمسلمين: اتاكلون ممّا قتلتم أنتم ولا تاكلون ممّا قتل ربكم؟! فقيل: كلوا ممّا ذكر اسم الله على ذبحه خاصّة دون ما ذكر عليه اسم غيره، او مات حتف أنفه. ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإنّ الإيمان بها يقتضي استباحةَ ما أحلّه الله و اجتنابَ ما حرّمه.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ بقوله: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ"[1] الآية. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحقّ إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: ما يعلن و ما يسرّ. القمّي: الظّاهر من الإثم:

١ـ المائدة (٥): ٣.

المعاصي، والباطن: الشرك والشكّ في القلب[١]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: يعملون.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. ورد: «إنّه سئل عن مجوسيّ قال: بسم الله و ذبح. قال: كُلْ. فقيل: مسلم ذبح ولم يسمّ. فقال: لا تأكل. ثمّ تلا هذه الآية»[٢]. وفي رواية: «في ذبيحة النّاصب واليهوديّ والنّصرانيّ قال: لا تأكل ذبيحته حتّى تسمعه يذكر اسم الله عليه، ثمّ تلا هذه الآية»[٣]. ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: ليوسوسون ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ من الكفّار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ بقولهم: تاكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم و تدعون ما قتله الله. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ يعني مَثَلُ من هداه الله و أنقذه من الضّلال، و جعل له حجّةً يهتدي بنورها، كمن صفته البقاء في الضّلالة لا يفارقها بحال. قال: «"ميْتاً": لايعرف شيئاً؛ و"نوراً يمشي به في النّاس": إماماً يؤتمّ به "كمن مثله في الظّلمات": الّذي لايعرف الإمام»[٤]. و في رواية: «كان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، و حياته حين فرّق الله بينهما بكلمته»[٥]. و ورد: «إنّ الآية نزلت في عمّار بن ياسر و ابي جهل»[٦]. ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ اي: كما جعلنا في مكّة. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لانّ وباله يحيق بهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ذلك.

١ـ القمّي ١: ٢١٥.
٢ـ التّهذيب ٩: ٦٩، الحديث: ٢٩٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٦٨، الحديث: ٢٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر ٢: ٥، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٥٩، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا﴾ يعني الاكابر: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾. روي: «انّ اباجهل قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشّرف حتّى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبيّ يوحى إليه؛ والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت»[1]. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ﴾: ذلّ و حقارة بعد كبرهم ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فيتّسع له و يفسح فيه مجاله[2]. ورد: «لمّا نزلت هذه الآية، سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصّدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن، فينشرح صدره و ينفسح. قالوا: فهل لذلك أمارة يعرف بها؟ فقال: نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتّجافي عن دارالغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[3]. ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. قال: «قد يكون ضيّقاً وله منفذ يسمع منه و يبصر، والحَرَجُ هو المُلْتَامُ الّذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه»[4]. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾. مبالغة في ضيق صدره، بتشبيهه بمن يُزاول مالا يقدر عليه؛ و هو مَثَلٌ فيما لا يستطاع. ورد: «إنّ القلب ليتجلجل[5] في الجوف يطلب الحقّ فإذا أصابه اطمأنّ وقرّ، ثمّ تلا هذه الآية»[6].

أقول: يتخلخل بالخائين المعجمتين أوالجيمين أي: يتحرّك.

و ورد: إنّه سئل عن هذه الآية فقال: «من يرد الله ان يهديه بإيمانه في الدّنيا و إلى جنّته و دار كرامته في الآخرة؛ يشرح صدره للتّسليم للّٰه والثّقة به والسّكون إلى ما وعده

١ـ راجع: البيضاوي ٢: ٢٠٧.
٢ـ في «الف»: «ويفسح فيه لامحالة».
٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٦٣، في رواية صحيحة.
٤ـ معاني الأخبار: ١٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «ليتخلخل».
٦ـ الكافي ٢: ٤٢١، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من ثوابه، حتّى يطمئنّ إليه؛ و من يرد أن يضلّه عن جنّته و دار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدّنيا، يجعل صدره ضيّقاً حرجاً، حتّى يشكّ في كفره و يضطرب من اعتقاده قلبُه، حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السّماء»[١].

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: «الرّجس: الشّكّ»[٢].

﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾. قيل: يعني طريقه و عادته في التّوفيق والخذلان[٣].

﴿مُسْتَقِيمًا﴾: عادلاً مطّرداً ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾: لِلّذين تذكّروا و عرفوا الحقّ، دارُالله، أو دارالسّلامة من كلّ آفةٍ وبليّةٍ. القمّي: يعني في الجنّة؛ والسّلام: الأمان والعافية والسّرور[٤]. و يأتي فيه حديث في يونس إن شاءالله[٥]. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه؛ يوصلهم إليها لا محالة ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: مولاهم و محبّهم[٦]. القمّي: أي: أولى بهم[٧]. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾: نقول يا معشر الشّياطين ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: اضللتم منهم كثيراً. القمّي: كلّ من والى قوماً فهو منهم، وإن لم يكن من جنسهم[٨]. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: الّذين اتّبعوهم و أطاعوهم: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: انتفع الإنسُ بالشّياطين، حيث دلّوهم على الشّهوات ومايوصل إليها، وانتفع الشّياطينُ بالإنس، حيث أطاعوهم و حصّلوا مرادهم. ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني القيامة ﴿قَالَ﴾: قال الله لهم: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: مُقامكم

١ـ التّوحيد: ٢٤٢، الباب: ٣٥، الحديث: ٤؛ ومعاني الأخبار ١٤٥، الحديث: ٢،، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، و فيهما: «بإيمانه في الدّنيا إلى جنّته» من دون «و».
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧٧، الحديث: ٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ٢٠٧.
٤ـ القمّي ١: ٢١٦.
٥ـ ذيل الآية: ٢٥.
٦ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الأنسب بالسّياق: «مواليهم و محبّهم».
٧و٨ـ القمّي ١: ٢١٦.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾: نكل بعضهم إلى بعض ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾. قال: «ما انتصر الله من ظالم إلّا بظالم، و ذلك قوله عزّوجلّ: "وكذلك نولّي" الآية»[١].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؟ ورد: «سئل: هل بعث الله نبيّاً إلى الجنّ؟ فقال: نعم، بعث إليهم نبيّاً يقال له: يوسف، فدعاهم إلى الله عزّوجلّ، فقتلوه»[٢]. و ورد: «إنّ الله عزّوجلّ أرسل محمّداً ﷺ إلى الجنّ والإنس»[٣]. ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ بالجرم والعصيان ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسال الرّسل ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾: لأن لم يكن ﴿رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: لم ينبهوا برسول.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلّفين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده و عن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ يترحّم عليهم بالتّكليف، ليُعرّضهم للمنافع العظيمة الّتي لايحسن إيصالهم إليها إلّا بالاستحقاق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بخارجين من ملكه.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ قيل: على غاية تمكّنكم واستطاعتكم، أو على حالكم الّتي أنتم عليها[٤] ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكانتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ

١ـ الكافي ٢: ٣٣٤، الحديث: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٢، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ١.

٣ـ المصدر ١: ٥٦، الباب: ٦، الحديث: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ البيضاوي ٢: ٢٠٩.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: أيّنا يكون له العاقبة الحسنى الّتي خلق الله لها هذه الدّار. والتّهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد، و تسجيل للمأمور بأنّه لا يأتي منه إلاّ الشرّ. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾ يعني مشركي العرب ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾: ممّا خلق الله ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير ان يؤمروا به ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: أصنامهم الّتي أشركوها في أموالهم ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. روي: «أنّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرث و نِتاجٍ لِلّه ويصرفونه إلى الضّيفان والمساكين، و شيئاً منهما لآلهتهم و ينفقون على سَدَنَتِها ويذبحون عندها، ثمّ إن رأوا ما عيّنوا لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم، واعتلّوا لذلك بأنّ الله غنيّ»[1]. و ورد: «كان إذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله ردّوه، و إذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه للأصنام تركوه، وقالوا: الله غنيّ، و إذا انخرق الماء من الّذي لله في الّذي للأصنام لم يسدّوه، وإذا انخرق من الّذي للأصنام في الّذي لله سدّوه، و قالوا: الله غنيّ»[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوَأد[3]؛ خيفة العَيْلَة أو العار، أو بالنّحر لآلهتهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الشّياطين أو السَّدَنَة ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: و ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ﴾. إشارة إلى ما جعل لآلهتهم. ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرام

١ـ البيضاوي ٢: ٢٠٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧٠، عن أئمّتنا عليهم السّلام.
٣ـ وأد بنته يئدها: دفنها حيّة. القاموس المحيط ١: ٣٥٥ (وأد).

﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير حجة ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ القمّي: يعني البَحيرةَ والسّائبة والوَصيلةَ والحام[1]. ﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذّبح والنّحر. و قيل: لا يَحجّون عليها ولا يُلبّون على ظهورها[2]. ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾: فعلوا ذلك كلّه على جهة الافتراء على الله ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾. القمّي: كانوا يحرّمون الجنين الّذي يخرجونه من بطون الأنعام، على النّساء، فإذا كان ميّتاً ياكله الرّجال والنّساء[3]. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: جزاءَ وَصْفِهِمُ الكَذِبَ على الله في التّحريم والتّحليل، من قوله: "تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذا حَلالٌ و هٰذا حَرامٌ"[4]. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ كانوا يقتلون بناتهم مخافة السّبي والفقر ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفّة عقلهم و جهلهم بانّ الله رازق أولادهم لاهُمْ. ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ من البحائر و نحوها ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: مُلقَيات على وجه الارض ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾: اكل ذلك، أي: ثمره الّذي يؤكل، في اللّون والطّعم والحجم والرّائحة ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ بعض أفرادهما في الطّعم واللّون والحجم ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: ولا يتشابه بعضها ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: «افتحِ الفمَ بالحاء»[5].

١ـ القمّي ١: ٢١٧.
٢ـ البيضاوي ٢: ٢١٠؛ والكشّاف ٢: ٥٥. و اشار إليه في مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧٢.
٣ـ القمّي ١: ٢١٨.
٤ـ النّحل (١٦): ١١٦.
٥ـ قرب الإسناد: ٣٦٨، الحديث: ١٣١٦، عن الرّضا عليه السلام.

ورد: «إنّه غير الزّكاة، الضِّغْثُ[1] من السّنبل بعد الضّغْث، والكفّ من التّمر بعد الكفّ»[2]. وفي رواية: «في الزّرع حقّان: حقّ تؤخذ به و حقّ تعطيه؛ أمّا الّذي تؤخذ به فالعُشْر و نصف العُشْر، و أمّا الّذي تعطيه فقول الله عزّوجلّ: "وآتوا حقّه يوم حصاده" يعني من حَصْدِكَ الشّيء بعد الشّيء»[3]. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ﴾ في التّصدّق. ورد: «من الإسراف في الحَصاد والجِداد[4] أن يتصدّق الرّجل بكفّيه جميعاً»[5]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: لا يرتضي فعلهم.

﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾: و أنشأ من الأنعام ما تحمل الأثقال، وما يُنْسَجُ من وبَره و صوفه و شَعْره الفرشُ. ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ منها ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ في تحريم شيء منها من عند انفسكم. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ﴾. الزّوج: ما معه آخر من جنسه، و قد يقال لمجموعهما ﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾: «الأهليّ والوحشيّ الجبليّ». كذا ورد في الجميع[6]. ﴿وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾: الاهليّ والجبليّ ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾: ذكر الضّأن و ذكر المَعْز ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾: أم أنثييهما ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾: او ما حملته إناث الجنسين؛ ذكراً كان او أُنثى ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾: بامر معلوم يدلّ على انّ الله حرّم شيئاً من ذلك ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في دعوى التّحريم عليه.

١ـ الضِّغْثُ ـ بالكسر ـ: قبضة حشيش مختلطة الرّطب باليابس. القاموس المحيط ١: ١٧٥ (ضغث).

٢ـ القمّي ١: ٢١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكافي ٣: ٥٦٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الجَداد ـ بالفتح والكسر ـ صرام النّخل و هو قطع ثمرتها. مجمع البحرين ٣: ٢٢ (جدد).

٥ـ الكافي ٣: ٥٦٦، الحديث: ٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٦ـ القمّي ١: ٢١٩.

﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ ﴾ : «البخاتيّ والعراب»[1] . كذا ورد[2] . ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ : الأهليّ والجبليّ . ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ كما مرّ. قيل: كانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارةً، و إناثها تارةً و أولادها كيف كانت تارةً، زاعمين أنّ الله تعالىٰ حرّمها[3] ، فردّ الله عليهم ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ : حاضرين شاهدين ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ : حين وصّاكم بهذا التّحريم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ﴾ : طعاماً محرّماً ﴿ عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ . فيه إيذان بأنّ التّحريم إنّما يثبت بالوحي لا بالهوى. ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ : مصبوباً، كالدّم في العروق، لا كالكبد والطّحال، أوالمختلط باللّحم لايمكن تخليصه منه. ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ : قذرٌ ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ . سمّي ما ذبح على اسم الصّنم فسقاً لتوغّله[4] في الفسق. ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لا يؤاخذه بأكله. قد سبق تفسير الباغي والعادي في سورة البقرة[5] .

فإن قيل: لِمَ خصّ هذه الأربعةَ هنا بذكر التّحريم مع أنّ غيرها محرّم أيضاً، فإنّه سبحانه ذكر في المائدة[6] تحريمَ المُنْخَنِقَةِ والمَوْقُوذَةِ والمُتَرَدِّيَةِ و غيرها، وقد ورد الأخبار

١ـ البُخْتُ ـ بالضمّ ـ الإبل الخراسانيّة، الواحد بُخْتيّ مثل روم و روميّ، والجمع بَخاتيّ. والإبل العِراب: خلاف البَخاتيّ. القاموس المحيط ١ : ١٤٨؛ ومجمع البحرين ٢ : ١٩١ (بخت)؛ ومجمع البحرين ٢ : ١١٩ (عرب).

٢ـ القمّي ١ : ٢١٩.

٣ـ البيضاوي ٢ : ٢١١.

٤ـ وَغَلَ في الشّيء: دخل و توارىٰ، أو بَعُدَ و ذهب. و أوغَلَ في البلاد والعلم: ذهب و بالغ و أبعد. القاموس المحيط ٤ : ٦٧ (وغل).

٥ـ ذيل الآية: ٧٣.

٦ـ الآية: ٣.

الصّحيحة بتحريم كلّ ذي مِخْلَبٍ من الطّير و كُلّ ذي ناب من الوحش[١]، وما لا قشر له من السّمك[٢] إلى غير ذلك. قلنا: أمّا المذكورات في المائدة فكلّها يقع عليه اسم الميتة، فتكون في حكمها، فأجمل هاهنا وفصّل هناك؛ و أمّا غيرها فليس بهذه المثابة في الحرمة، فخصّ هذه الأربعة بالتّحريم تعظيماً لحرمتها، و بيّن تحريم ما عداها رسول الله ﷺ. و ورد: «إنّه ممّا يعاف عنه تقزّزاً»[٣]، يعني تنزّهاً. والقمّي: إنّما هذه الآية ردّ على ما أحلّت العرب و حرّمت على أنفسها، فلا دلالة فيها على عدم تحريم غير ما فيها[٤].

أقول: هذا لا يساعده الأخبار المعصوميّة؛ كما يظهر لمن تتبّع لها؛ و كذا ما قيل: إنّ هذه السّورة مكّيّة، والمائدة مدنيّة، فيجوز أن يكون غيرُ ما في هذه الآية إنّما حُرّمَ فيما بعد[٥].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ من دابّة أو طير ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾: الثُّروب[٦] و شحوم الكُلى[٧]. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾: ما علقت بظهورهما ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾: ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحم الألْيَة ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في الاخبار والوعد والوعيد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما تقول ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ لايُعجِلُ بالعقوبة ﴿وَلَا

١ـ الكافي ٦: ٢٤٥، الحديث: ٢و٣، عن أبي عبدالله ؑ.
٢ـ المصدر: ٢١٩، الاحاديث: ١و٥ إلى ٩.
٣ـ أُشير إليه في العيّاشي ١: ٣٨٢، الحديث: ١١٩، عن أبي جعفر ؑ.
٤ـ القمّي ١: ٢١٩.
٥ـ راجع: مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٧٨.
٦ـ الثَّربُ: شَحْمٌ رقيق يَغْشَى الكَرِشَ والأمعاء، والجمع: ثُروب و أثْرُب. القاموس المحيط ١: ٤٢ (ثرب).
٧ـ الكُلىٰ ـ بضمّ الكاف والقصر ـ جمع الكُلْيَة والكُلْوَة و هي من الأحشاء معروفة. مجمع البحرين ١: ٣٦٢ (كلا).

يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فلا تغترّوا بإمهاله، فإنّه لا يُرَدّ إذا جاء وقته.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: من أمر معلوم يصحّ الاحتجاج به على ما زعمتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: فتظهروه لنا ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾. [قال: «الحجّة البالغة الّتي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه»][1]. ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾: أحضروهم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ يعني: قُدْوَتَهم فيه، استحضرهم ليلزمهم الحجّة ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدّقهم فيه ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عَديلاً.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. لمّا أوجب ترك الشّرك والإحسان إلى الوالدين، فقد حرّم الشرك والإساءة إليهما؛ لأنّ إيجاب الشّيء نهي عن ضدّه، فيصحّ ان يقع تفصيلاً لما حرّم. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. وضعه موضع النّهي عن الإساءة للدّلالة على أنّ ترك الإساءة في شأنهما غير كاف. القمّي: الوالدين[2]: رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السّلام[3]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: من أجل فقر، أو من خشية فقر؛ لقوله: "خَشْيَةَ إِمْلاقٍ"[4]. ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: كبائر الذّنوب، أو الزّنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال: «ما ظهر: نكاح

١ـ ما بين المعقوفتين من «ج» و «ب». والحديث في البرهان ١: ٥٦٠، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، نقلاً عن العلاّمة الحلّي في الكشكول.

٢ـ في «ب» و «ج»: «الوالدان».

٣ـ القمّي ١: ٢٢٠.

٤ـ الإسراء (١٧): ٣١.

امرأة الأب، و ما بطن: الزّنا»[١]. و في رواية: «ما ظهر هو الزّنا، وما بطن: المُخالّة»[٢]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقَوَد[٣] و قتل المرتدّ و رجم المحصن ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلاّ بالخصلة الّتي هي أحسن ما يفعل بماله، كحفظه و تثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: قوّته. قال: «انقطاع يُتْمِ اليتيم: الاحتلام وهو أشدّه، و إن احتلم ولم يؤنس منه رشد و كان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليّه ماله»[٤] و في رواية: «إذا بلغ أشدّه ثلاث عشرة سنة و دخل في الأربع عشرة، وجب عليه ما وجب على المحتلمين، احتلم أو لم يحتلم؛ كتبت عليه السيّئات و كتبت له الحسنات، وجاز له كلّ شيء إلاّ أن يكون ضعيفاً أو سفيهاً»[٥]. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والتّسوية ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلاّ ما يسعها ولا يعسر عليها؛ اعتراض فيه تنبيه على تعسّر الإيفاء، وأنّ ماوراء الوسع فيه معفوّ. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكومة ونحوها ﴿فَاعْدِلُوا﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل و تادية أحكام الشّرع. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون به. ورد: «هذه الآيات المحكمات الّتي لم يَنْسَخْهُنَّ شيءٌ شيّعها سبعون ألف ملك: "قل تعالوا أتل" الآيات»[٦].

١ـ العيّاشي ١: ٣٨٣، الحديث: ١٢٤، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام. و فيه: «و ما بطن هو المُخالّة» والمخالّة ـ من خالّه مُخالّةً و خلالاً ـ: المصادقة. «القاموس المحيط: ٣: ٣١٨ـ خلّ» و لعلّ المراد بها المصادقة بين الاجنبيّين.

٣ـ القَوَدُ ـ بالتّحريك ـ: القصاص. مجمع البحرين ٣: ١٣٢ (قود).

٤ـ التّهذيب ٩: ١٨٣، الحديث: ٧٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ المصدر، الحديث: ٧٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «سفيهاً و ضعيفاً».

٦ـ العيّاشي ١: ٣٨٣، الحديث: ١٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ . قيل: الإشارة فيه إلى ما ذكر في السّورة، فإنّه التّوحيد والنّبوّة والشّريعة [١] . ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ .

عن النّبيّ ﷺ: «أنا الصّراط المستقيم الّذي أمركم باتّباعه، ثمّ عليّ من بعدي، ثمّ وُلْدي من صلبه أئمّة يهدون إلى الحقّ [٢] و به يعدلون» [٣] . و في رواية: «يعني ولاية عليّ والأوصياء "فاتّبعوه"، يعني عليّاً "ولا تتّبعوا السّبل" ولاية فلان و فلان، "فتفرّق بكم عن سبيله"، يعني سبيل عليّ عليه السلام» [٤] . ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الضّلال والتّفرّق عن الحقّ.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ "ثمّ" للتّراخي في الإخبار. ﴿تَمَامًا﴾ للكرامة والنّعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ : أحسن القيام به ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ : كثير النّفع ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ ﴾ : أنزلناه كراهة أن تقولوا: ﴿ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ : اليهود والنّصارى ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ .

﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ ﴾ : أعرض، أو صدّ ﴿ عَنْهَا ۗ﴾ فضلّ وأضلّ. ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ .

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ قال: «هل ينتظر المنافقون والمشركون» [٥] . ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال: «فيما ينوهم» [٦] . ﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ قال: «أمر ربّك» [٧] . ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ

---

١ ـ البيضاوي ٢ : ٢١٤ .

٢ ـ في «الف» و «ج»: «يهدون بالحقّ»، وفي «ب»: «يدعون بالحقّ» وما أثبتناه من المصدر .

٣ ـ الاحتجاج ١ : ٧٨ ـ ٧٩ . و فيه: «أنا صراط الله المستقيم» .

٤ ـ العيّاشي ١ : ٣٨٤ ، الحديث : ١٢٥ ، عن ابي جعفر عليه السلام .

٥ ، ٦ و ٧ ـ الاحتجاج ١ : ٣٧٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ قال: «هي العذاب في دار الدّنيا، كما عذّب الأمم السّالفة والقرون الخالية»[١]. ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ كان المعنى: أنّه لاينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدّمة إيمانها، غير كاسبة في إيمانها خيراً. قال: «"من قبل" يعني من قبل أن تجيء هذه الآية، وهذه الآية: طلوع الشّمس من مغربها»[٢]. و في رواية: «طلوع الشّمس من المغرب، وخروج الدّجّال والدّخان، والرّجل يكون مصرّاً ولم يعمل عمل الإيمان، ثمّ تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه»[٣]. "أو كسبت في إيمانها خيراً". قال: «المؤمن العاصي حالت بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه وقلّة حسناته، فلم يكسب في إيمانه خيراً»[٤]. و في رواية: «"من قبل" يعني في الميثاق، "أو كسبت في إيمانها خيراً" قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصّة؛ لاينفع إيمانها لأنّها سلبت»[٥] و في أخرى: «الآيات: هم الأئمّة عليهم السّلام، والآية المنتظرة: القائم عليه السلام، فيومئذ لاينفع نفساً إيمانها»[٦].

﴿ قُلِ انتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾: وعيد لهم و تهديد.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾: بدّدوه، فآمنوا ببعض و كفروا ببعض وافترقوا فيه؛ وعلى قراءة: "فارقوا"، كما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام[٧] أي: باينوا. ﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾: فرقاً يشيّع كلّ فرقة إماماً ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

١ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ التّوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٨٤، الحديث: ١٢٨، عن الصّادقين عليهما السّلام. و فيه: «و خروج الدّابّة والدّجّال والرّجل يكون مصرّاً».
٤ـ المصدر: ٣٨٥، الحديث: ١٣٠، عن أحدهما عليهما السّلام. مع اختلاف يسير.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٨، الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ كمال الدّين: ٣٣٦، الباب: ٣٣، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٨٨.

كَانُوا۟ يَفۡعَلُونَ ﴾. قال: «هم أهل الضّلال و أصحاب الشّبهات والبدع من هذه الأُمّة»[١].

والقمّي: فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام و صاروا أحزاباً[٢].

و في الحديث المشهور: «ستفترق أُمّتي على ثلاث و سبعين فِرْقَة، كلّها في النّار إلاّ واحدة، و هي الّتي تتبع وصيّي عليّاً»[٣].

﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ فضلاً من الله تعالى. قال: «لمّا نزلت "من جاء بالحسنة فله خير منها"[٤] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ربّ زدني فانزل الله: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها"»[٥].

أقول: هذا أقلّ ما وُعِدَ من الأضعاف، و قد جاء الوعد بسبعين، و بسبعمائة، وبغير حساب. و ورد في هذه الآية: «هي للمسلمين عامّة»[٦]. قال: «قد قال الله: "يُضٰاعِفَهُ لَهُ أَضْعٰافاً كثيرة"[٧]، فالمؤمنون هم الّذين يضاعف الله لهم حسناتهم، لكلّ حسنة، سبعون ضعفاً، فهذا فضل المؤمن، و يزيد الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرةً، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير»[٨].

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾ عدلاً من الله؛ وقد ذكرنا سرّ ذلك في الصّافي والوافي[٩]. ﴿ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ بنقص الثّواب و زيادة العقاب.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٨٩، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ـ القمّي ١: ٢٢٢.

٣ـ الخصال٢: ٥٨٥. من غير تعرّض بالذّيل: «و هي الّتي ...».

٤ـ القصص (٢٨): ٨٤.

٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٩ ذيل الآية: ٢٤٥ من سورة البقرة؛ ومعاني الأخبار: ٣٩٨، الحديث: ٥٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٦ـ القمّي ٢: ١٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ البقرة(٢): ٢٤٥.

٨ـ الكافي ٢: ٢٧، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ راجع: الصّافي ٢: ٧١٦؛ والوافي ٥: ١٠٢١ باب الهمّ بالسّيّئة أو الحسنة.

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا ﴾: هداني ديناً ﴿قِيَمًا﴾: قياماً. وصف بالمصدر مبالغةً. ﴿ مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾. سبق تفسيره[1]. ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾: عبادتي و قرباني[2] ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾: وما أنا عليه في حياتي و أموت عليه من الإيمان والطّاعة ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: خالصة له.

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾: لا اشرك فيها غيره. ورد في حديث ذكر فيه: «إبراهيم عليه السلام دينه ديني و ديني دينه، و سنّته سنّتي و سنّتي سنّته، و فضلي فضله وأنا أفضل منه»[3].

﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: «لأنّه أوّل من أجاب في الذرّ». كما ورد[4].

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ فاشركه في عبادتي؟! و هو جواب عن دعائهم إلى عبادة آلهتهم. ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: والحال أنّ كلّ ما سواه مربوب مثلي لايصلح للرّبوبيّة.

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾: لا تحمل نفس آثمة إثم نفسٍ اُخرىٰ. جواب عن قولهم: "إتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم"[5]. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾. قيل: يخلف بعضكم بعضاً، كلّما مضى قرنٌ خلفهم قرنٌ، او خلفاء الله في أرضه تتصرّفون فيها[6]. ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

١ـ لاحظ: البقرة ذيل الآية: ١٣٥، و آل عمران ذيل الآية: ٩٥، والنّساء ذيل الآية: ١٢٥.

٢ـ القُرْبان ـ على وزن فُعْلان ـ من القُرْب كالفرقان من الفرق: ما يقصد به القرب من رحمة الله من أعمال البرّ. «مجمع البحرين ٢: ١٤١ ـ قرب» و في نسخة «ب» و «ج»: «قُرُباتي» جمع القُرْبَة: ما يتقرّب به إلى الله تعالىٰ.

٣ـ العيّاشي ١: ١٦٩، الحديث: ٣٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

٤ـ الكافي ٢: ١٠، الحديث: ١و١٢، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٥ـ العنكبوت (٢٩): ١٢.

٦ـ البيضاوي ٢: ٢١٧؛ وروح المعاني ٨: ٧١.

﴿دَرَجَٰتٍ﴾ في الشّرف والغنى والعقل و غير ذلك ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الجاه والمال، كيف تشكرون نعمه ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن كفر نعمه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن قام بشكرها. ورد: «إنّ سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً، شيّعها سبعون الف ملكٍ، فَعظِّمُوها و بَجِّلُوها، فإنّ اسم الله فيها في سبعين موضعاً»[1].



١ـ ثواب الاعمال: ١٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. و بَجِّلُوها اى: وَقِّرُوها وَعَظِّمُوها. مجمع البحرين ٢: ٣١٧ (بجل).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الأعراف

[مكيّة، و هي مائتان و ستّ آيات] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿المص﴾. مضى الكلام في تأويله في أوّل سورة البقرة.

﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: ضيق من تبليغه. قيل: كان النّبيّ ﷺ يخاف تكذيب قومه، فكان يضيق صدره في الأداء ولا يتبسط له، فأمّنه الله سبحانه بهذه الآية. [2] ﴿لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: شياطين الجنّ والإنس، فيحملوكم على الأهواء والبدع ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾: بائتين، كقوم لوط ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: أو قائلين نصف النّهار؛ من القيلولة كقوم شعيب، يعني أخذهم في غفلة منهم و أمنٍ و في وقتَي دَعَة و استراحة.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ الكشّاف ٢: ٨٦.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ ﴾: ما كانوا يدّعونه من دينهم، أو دعائهم و استغاثتهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾: إلّا اعترافهم ببطلانه و بظلمهم فيما كانوا عليه، و تحسّرهم على ما كان منهم.

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ يعني الأمم عن قبول الرّسالة و إجابتهم الرّسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني الأنبياء عن تأدية ما حمّلوا من الرّسالة. ورد في حديث:

«فيقام الرّسل فيُسألون عن تأدية الرّسالات الّتي حمّلوها إلى أممهم، فيخبرون أنّهم قد أدّوا ذلك إلى أممهم، و يُسأل الأمم فيجحدون، كما قال الله: "فلنسألنّ" الآية، فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير. فيستشهد الرّسول ﷺ، فيشهد بصدق الرّسل ويكذب من جحدها من الأمم، فيقول لكلّ أمّة منهم: "قد جاءكم بشير ونذير، والله على كلّ شيء قدير"[١] أي: مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم، بتبليغ الرّسل إليكم رسالاتهم، و لذلك قال الله لنبيّه: "فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً"[٢]؛ فلا يستطيعون ردّ شهادته؛ خوفاً من أن يختم الله على أفواههم، وأن يشهد عليهم جوارحهم بما فعلوا»[٣].

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ ﴾: على الرّسل والمرْسَلِ إليهم ما كان منهم ﴿ بِعِلْمٍ ﴾: عالمين بأحوالهم الظّاهرة والباطنة ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ عنهم و عن أفعالهم و عن أحوالهم؛ والغرض من السّؤال: التّوبيخ والتّقرير عليهم، و ازدياد سرور المثابين بالثّناء عليهم، وغمّ المعاقَبين بإظهار قبائحهم.

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ أي: وزن الاعمال والتّميّز[٤] بين راجحها و خفيفها ﴿فَمَن

١ـ المائدة (٥): ١٩.
٢ـ النّساء (٤): ٤١.
٣ـ راجع: الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن أمير المؤمنين ؑ، مع تفاوت يسير.
٤ـ في «ب» و «ج»: التّمييز.

ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: حسناته؛ جمع موزون، أو ما يوزن به حسناته، جمع ميزان.
﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾. ورد: إنّه سُئِلَ عن قول الله عزّوجلّ: "و نضع الموازين القسط ليوم القيامة" قال: «هم الأنبياء والأوصياء». [1] و في رواية: «نحن الموازين القسط» [2].

اقول: و ذلك لأنّ ميزان كلّ شيء هو المعيار الّذي به يعرف قدر ذلك الشّيء؛ فميزان النّاس ليوم القيامة: ما يوزن به قدر كلّ إنسان وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله، لتجزى كلّ نفس بما كسبت؛ و ليس ذلك إلاّ الأنبياء والأوصياء، إذ بهم وباتّباع شرائعهم و اقتفاء آثارهم و ترك ذلك، وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار النّاس و قدر حسناتهم و سيّئاتهم؛ فميزان كلّ أُمّة هو نبيّ تلك الأُمّة و وصيّ نبيّها والشّريعة الّتي أتى بها؛ فمن ثقلت حسناته و كثرت، فأُولئك هم المفلحون، ومن خفّت و قلّت حسناته، فأُولئك الّذين خسروا انفسهم، أي: ضيّعوا فطرتهم بسبب ظلمهم عليها، بتكذيبهم الأنبياء والأوصياء. و تمام تحقيق هذا المقام يطلب من رسالتنا الموسومة بميزان القيامة.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مكنّاكم مِنْ سُكْناها وزرعها والتّصرّف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ تعيشون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾. قال: «أمّا "خلقناكم"، فنطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظماً ثمّ لحماً، و أمّا "صوّرناكم"، فالعين والأنف والأُذنين والفم واليدين

١ـ معاني الأخبار: ٣١، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكلمات المكنونة: ١٥٨، عنهم عليهم السّلام.

والرِّجلَين؛ صوّر هذا و نحوه، ثمّ جعل الدّميم والوسيم [١] والجسيم والطّويل والقصير وأشباه هذا» [٢].

أقول: الاقتصار على بيان الخلق والتّصوير لبني آدم في الحديث، لا ينافي شمول الآية لآدم، فإنّه خلقه طيناً غير مصوّر ثمّ صوّره، فلاينافي الحديث تمام الآية.

﴿ ثُمَّ قُلْنَا ﴾ اي: بعد خلق آدم و تصويره ﴿ لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ اي: أن تسجد. تزاد «لا» في مثله لتاكيد معنى الفعل الّذي دخلت عليه، نظيره: "لئلاّ يعلَم" [٣]، و فيه تنبيه على انّ الموبّخ عليه، ترك السّجود؛ على أنّ الممنوع عن الشّيء مضطرّ إلى خلافه، فكأنّه قيل: ما اضطرّك ان لا تسجد. ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾. قال: «إنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار و خلقته من طين، فلو قاس الجوهر الّذي خلق منه آدم، بالنّار؛ كان ذلك أكثر نوراً و ضياءً من النّار» [٤]. و في رواية: «ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النّار، عرف فضل ما بين النّورين و صفاء أحدهما على الآخر» [٥]. و في أُخرى: «كذب إبليس؛ ما خلقه الله تعالى إلاّ من طين؛ قال الله عزّوجلّ: "الّذي جعل لكم من الشّجر الأخضر ناراً" [٦] قد خلقه الله من تلك النّار ومن تلك الشّجرة، والشّجرة أصلها من طين» [٧].

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾: من المنزلة الّتي انت عليها في السّماء و زمرة الملائكة ﴿ فَمَا

١ـ الدّميم: القبيح المنظر، والوسيم: الحسن الوجه. مجمع البحرين ٦: ٦٤ (دهم). الصّحاح ٥: ٢٠٥١ (وسم).
٢ـ القمّي ١: ٢٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام، و ليس فيه: «الجسيم».
٣ـ الحديد (٥٧): ٢٩.
٤ـ الكافي ١: ٥٨، الحديث: ١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٢٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ يونس (١٠): ٨٠.
٧ـ القمّي ٢: ٢٤٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

يَكُونُ لَكَ ﴾: فما يصحّ لك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ و تعصي، فإنّها مكان الخاشع المطيع؛ وفيه تنبيه على أنّ التكبّر لايليق بأهل الجنّة. ﴿ فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ فإنّ من تكبّر وَضَعَهُ الله.

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾: أمهلني إلى يوم القيامة، فلا تُمِتْني ولا تُعَجِّلْ عقوبتي.

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾. أجابه الله إلى ما ساله من الإمهال، ولم يجبه إلى ما ساله من غايته، لأنّ الله تعالى يقول في موضع آخر: "فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم"[١] و هو النّفخة الأُولى و يوم البعث، والقيامة هو النّفخة الثّانية. و ورد: «يموت إبليس ما بين النّفخة الأُولى والثّانية»[٢]. و في رواية: «انظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا»[٣]. وفي إسعافه[٤] إليه، ابتلاء العباد و تعريضهم للثّواب بمخالفته.

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾: فبسبب إغوائك إيّاي، و هو تكليفه إيّاه ما وقع به في الغيّ، ولم يثبت كما ثبتت الملائكة، فإنّه لمّا أمره الله بالسّجود حملته الأَنَفَةُ على معصيته.

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: لأجتهدنّ في إغوائهم حتّى يَفْسُدوا بسببي كما فسدت بسببهم، بأن أترصّد لهم على طريق الإسلام كما يترصّد القطّاع على الطّريق ليَقْطَعَهُ على المارّة. ورد: «الصّراط هنا: عليّ عليه السلام»[٥]. وفي رواية: «يا زرارة[٦] إنّما عمد لك ولأصحابك، فامّا الآخرون فقد فرغ منهم»[٧].

١ـ الحجر (١٥): ٣٧و٣٨؛ و صٓ (٣٨): ٨٠ و ٨١.
٢ـ علل الشرايع ٢: ٤٠٢، الباب: ١٤٢، الحديث: ٢ عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الإسعاف: الإعانة و قضاء الحاجة. مجمع البحرين ٥: ٧٠ (سعف).
٥ـ العيّاشي ٢: ٩، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة: «يازرارة».
٧ـ الكافي ٨: ١٤٥، الحديث: ١١٨ عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «إنّما صَمَدَ لك».

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ ﴾ من الجهات الاربع جُمَع ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ قال: «معناه أُهَوِّن عليهم أمر الآخرة»[1]. ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ قال: «آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم»[2]. ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ قال: «أُفْسدُ عليهم أمرَ دينهم؛ بتزيين الضَّلالة و تحسين الشّبهة»[3]. ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ قال: «بتحبيب اللّذّات إليهم وتغليب الشّهوات على قلوبهم»[4]. ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾: مطيعين. قاله تظنّناً؛ لقوله سبحانه: "وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ"[5]. ورد: «إنّه استوجب من الله أن أعطاه ما أعطاه بركعتين ركعهما في السّماء في أربعة آلاف سنة»[6].

﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومًا ﴾: مذموماً، من ذأمه: إذا ذمّه. ﴿ مَّدۡحُورًاۖ ﴾: مطروداً ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ ﴾. اللاّم فيه لتوطية القسم؛ و جوابه: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ أي: منك و منهم.

ورد ما معناه إنّه قال: «فكيف و أنت العدل الّذي لا تجور، فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من أمر الدّنيا ما شئت، أُعطك. فاوّل ما سال البقاء، ثمّ تسلّطه على ولد آدم، ثمّ أن يجريه فيهم مجرى الدّم، ثمّ أن لا يُولَدَ لهم ولد إلاّ ولد له إثنان، ثمّ أن يراهم ولا يرونه و يتصوّر لهم في كلّ صورة شاء، ثمّ أن يجعل صدورهم أوطاناً له و لذرّيّته؛ فأعطاه الله ذلك كلّه، فعند ذلك قال: "فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"[7] "ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ" الآية»[8].[9]

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢، ٣و٤ ـ مجمع البيان٣ـ ٤: ٤٠٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ ـ سبا (٣٤): ٢٠.
٦ ـ القمّي ١: ٤٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ صٓ (٣٨): ٨٢ و٨٣.
٨ـ الاعراف (٧): ١٧
٩ـ القمّي ١: ٤٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

سبق تفسيرها في سورة البقرة[1].

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾: أوهمهما النّصحية لهما؛ و هي في الأصل: الصّوت الخفيّ. ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ﴾: ليظهر لهما ﴿ مَا وُۥرِيَ ﴾: غطّي ﴿ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾: عوراتهما. قيل: و كانا لا يريانها من أنفسهما ولا احدهما من الآخر[2]. ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴾.

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾: اقسم لهما ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾. قال: «قال إنّكما إن اكلتما من هذه الشّجرة الّتي نها كما الله عنها، صرتما ملكين و بقيتما في الجنّة أبداً، وإن لم تاكلا منها، اخرجكما من الجنّة؛ و حلف لهما أنّه لهما ناصح، فقبل آدم قوله»[3].

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾: فنزلهما إلى الأكل منها. نبّه به على أنّه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة؛ فإنّ التّدلية: إرسال الشّيء من أعلى إلى أسفل. ﴿ بِغُرُورٍ ﴾: بما غرّهما به من القسم؛ فإنّهما ظنّا أنّ أحداً لا يحلف بالله كاذباً.

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ قال: «سقط عنهما ما ألبسهما الله من لباس الجنّة، و أقبلا يستتران من ورق الجنّة»[4]. ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾: و اخذا يرقعان و يلزقان ورقة فوق ورقة ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

١ ـ ذيل الآية: ٣٥.
٢ ـ البيضاوي ٣: ٦.
٣ و ٤ ـ القمّي ١: ٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ .سبق تفسيرها مع تمام القصّة [١] .

﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ .

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ و يغنيكم عن خصف الورق ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ تتجمّلون به. والرّيش ما يتجمّل به، مأخوذ من ريش الطّائر، فإنّه لباسه وزينته. ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ : خشية الله. قال: «فأمّا اللّباس: فالثّياب الّتي تلبسون؛ وأمّا الرّياش: فالمال والمتاع [٢] ؛ و أمّا لباس التّقوىٰ: فالعفاف؛ إنّ العفيف لا تبدوله عورة وإن كان عارياً من الثّياب، والفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً من الثّياب» [٣]. ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ قال: «يقول: والعفاف خير» [٤]. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إنزال اللّباس ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالّة على فضله و رحمته ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعرفون نعمته، أو يتّعظون فيتورّعون عن القبائح.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ : لا يمتحننكم، بأن يمنعكم دخول الجنّة بإغوائكم ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾ . أُسند النّزع إليه للتّسبّب. ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ . تعليل للنّهي، وتأكيد للتّحذير من فتنته، و "قبيله" : جنوده. ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لما بينهم من التّناسب.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ﴾ : فَعلَةً متناهيةً في القبح، كعبادة الأصنام، والايتمام بأئمّة الجور ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ . قال: «هل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمر بالزّنا، و شُرْبِ الخمر،

١ـ في سورة البقره، ذيل الآية: ٣٦.

٢ـ في «ب» و «ج»: «فالمتاع و المال».

٣و ٤ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

أو شيء[١] من هذه المحارم؟ فقيل: لا؛ ثمّ قال: إنّ هذا في أئمّة الجور، ادّعوا أنّ الله أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمرهم الله بالايتمام بهم؛ فردّ الله ذلك عليهم، فأخبر أنّهم قد قالوا عليه الكذب، وسمّى ذلك منهم فاحشة»[٢].

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والاستقامة ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: نحو القبلة، أو توجّهوا إلى عبادته مستقيمين، غير عادلين إلى غيرها ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: في كلّ وقت سجود، أو في كلّ مكان سجود، و هو الصّلاة. قال: «هذه في القبلة»[٣]. و في رواية: «مساجد محدثة، فأُمروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام»[٤]. و في أُخرى: «عند كلّ مسجد، يعني: الأئمّة عليهم السّلام»[٥].

﴿وَادْعُوهُ﴾: واعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الطّاعة، فإنّ إليه مصيركم.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: كما أنشأكم ابتداء ﴿تَعُودُونَ﴾ بإعادته. قال: «يعني: خلقهم حين خلقهم مؤمناً و كافراً، و شقيّاً و سعيداً؛ و كذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضالّ»[٦].

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ بأن وفّقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إذ لم يقبلوا الهدىٰ.

قال: «هم القَدَرِيّة الّذين يقولون: لا قدر، و يزعمون أنّهم قادرون على الهُدىٰ والضّلال، و ذلك إليهم، إن شاؤوا اهتدوا و إن شاؤوا ضلّوا؛ و هم مجوس هذه الأُمّة، و كذب أعداء الله المشيّة والقدرة لله، كما بدأهم يعودون؛ مَنْ خَلَقَهُ شقيّاً يوم خلقه،

١ـ في «الف» و «ج» و العيّاشي: «و شيء».
٢ـ الكافي ١: ٣٧٣، الحديث: ٩ مضمراً؛ والعيّاشي ٢: ١٢، الحديث: ١٥، عن العبد الصّالح عليه السلام.
٣ـ التّهذيب ٢: ٤٣، الحديث: ١٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «هذه القبلة».
٤ـ المصدر، الحديث: ١٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٢، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

كذلك يعود إليه شقياً، و من خلقه سعيداً يوم خلقه، كذلك يعود إليه سعيداً»[١] . قال رسول الله ﷺ: «الشقيّ من شقي في بطن أُمّه، والسّعيد من سعد في بطن أُمّه»[٢].

﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: «يعني أئمّة دون أئمة الحقّ»[٣].

و ﴿ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ قال: «خذوا ثيابكم الّتي تتزيّنون بها للصّلاة في الجمعات والأعياد»[٤]. و في رواية: «من ذلك، التّمشّط عند كلّ صلاة»[٥]. وفي أُخرى: «الغسل عند لقاء كلّ إمام»[٦]. ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ ما طاب لكم ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ بالإفراط والإتلاف، وبالتّعدّي إلى الحرام، و بتحريم الحلال وغير ذلك. قيل: لقد جمع الله الطّبّ في نصف آية[٧].

أقول: و هو ناظر إلى الإفراط في الأكل.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾. قال: «من سأل النّاس شيئاً، وعنده ما يقوته يومه فهو من المسرفين»[٨].

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ من الثّياب و سائر ما يتجمّل به ﴿ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ من الارض، كالقطن والكتّان والابريسم والصّوف والجواهر ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾

١ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٢٧.
٣ـ علل الشرايع ٢: ٦١٠، الباب: ٣٨٥، ذيل الحديث: ٨١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «يعني: أئمّة الجور».
٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٧٥، الحديث: ٣١٩، عن الرّضا عليه السلام؛ ومجمع البيان ٣ـ ٤: ٤١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ التّهذيب ٦: ١١٠، الحديث: ١٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ البيضاوي ٣: ٨.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٤، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

المستلذّات من المآكل والمشارب؛ و هو إنكار لتحريم هذه الأشياء. ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: «المغصوبين عليها»[1]. ﴿خَالِصَةً﴾ لهم ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ قال: «بلا غصب»[2]. ورد: «إنّ المتّقين حازوا عاجلَ الخير و آجله؛ شاركوا أهل الدّنيا في دنياهم و لم يشاركهم أهل الدّنيا في آخرتهم، أباحهم الله في الدّنيا ما كفاهم به وأغناهم؛ ثمّ تلا هذه الآية»[3]. ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ قال: «يعني: الزّنا المعلن، ونصب الرّايات الّتي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة»[4]. ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ قال: «يعني: ما نكح من أزواج الآباء، لأنّ النّاس كانوا قبل أن يبعث النّبيّ ﷺ إذا كان الرّجل له زوجة و مات عنها، تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه، فحرّم الله ذلك»[5]. ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ قال: «هي الخمر بعينها، و قد قال الله في موضع آخر: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ"[6] فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر، و إثمهما كبير»[7]. ﴿ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ قال: «هي الزّنا سرّاً»[8]. ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾: ما لم يدلّ عليه برهان ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: تتقوّلوا و تفتروا. ورد: «لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كلّ ما تعلم»[9]. وفي رواية: «من أفتى النّاس بغير علم لعنته ملائكة السّماوات والأرض»[10].

١و٢ـ الكافي ١: ٤٠٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الأمالي (للمفيد): ٢٦٣، المجلس الحادي والثلاثون، ذيل الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «أباحهم الله من الدّنيا ما كفاهم و به أغناهم».
٤، ٥و٧ـ الكافي ٦: ٤٠٦، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ١٧، الحديث: ٣٨، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٦ـ البقرة (٢): ٢١٩.
٨ـ العيّاشي: ٢: ١٧، الحديث: ٣٨، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٩ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٨١، الحديث: ١٦٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
١٠ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٤٦، الباب: ٣١، الحديث: ١٧٣، عن النّبيّ ﷺ.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾. قال: «هو الّذي سُمّي لملك الموت في ليلة القدر»[١]. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾. قال: «تعدّ السّنين، ثمّ تعدّ الشّهور، ثمّ تعدّ الأيّام، ثمّ تعدّ النّفس، "فإذا جاء أجلهم" » الآية[٢].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ضمّت «ما» إلى «إن» الشّرطيّة تاكيداً لمعنى الشّرط.

﴿ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾: من جنسكم ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى ﴾ التّكذيب منكم ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾: تقوّل عليه ما لم يقله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾: أو كذّب ما قاله ﴿ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾: ممّا كتب لهم من الأرزاق والآجال ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾. "حتّى" غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم إيّاه؛ أي: إلى وقت وفاتهم، و هي الّتي يُبْتَدَءُ بعدها الكلام. والمراد بالرّسل هنا: ملك الموت و أعوانه. ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الآلهة الّتي تعبدونها ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾: غابوا عنّا ﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ أي: قال الله تعالى لهم يوم القيامة. ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ الّتي ضلّت بالاقتداء بها ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾: تداركوا و تلاحقوا في النّار. قال: «برئ بعضهم من بعض، و لعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم ان يَحُجَّ ـ اي: يَغْلِبَ[٣] بعضاً رجاءَ الفَلْجِ[٤]،

١ـ العيّاشي ١: ٣٥٤، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٣: ٢٦٢، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «تعدّ السّاعات، ثمّ تعدّ النّفس».

٣ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة: «اي يغلب».

٤ ـ الفَلْجُ: الظّفر و الفوز. مجمع البحرين ٢: ٣٢٣ (فلج).

فَيَفْلِتُوا[1] من عظيم ما نزل بهم، و ليس بأوان بلوىً ولا اختبارٍ ولا قبول معذرة ولات حين نجاة»[2]. ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ ﴾ منزلةً، و هي الاتباع والسفلة ﴿ لِأُولَىٰهُمْ ﴾ منزلةً أي: لأجلهم، إذ الخطاب مع الله لا معهم، و هم القادة والرؤساء. قال: «يعني أئمة الجور»[3]. ﴿ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ مضاعفاً؛ لأنهم ضلّوا وأضلّوا ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ أمّا القادة فبكفرهم و تضليلهم؛ و امّا الأتباع فبكفرهم وتقليدهم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ ﴾ مخاطبين لهم: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾.

عطفوا كلامهم على قول الله سبحانه للأتباع: "لكلٍّ ضعفٌ" أي: فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا، و إنّا و إيّاكم متساوون في الضّلال و استحقاق الضِّعْف ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ شماتةً بهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ لأدعيتهم و أعمالهم و لنزول البركة عليهم و لصعود أرواحهم، إذا ماتوا.

﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾: لا يدخلونها حتّى يكونَ ما لا يكونُ أبداً. من وُلُوج الجمل ـ الّذي لا يلج إلاّ في باب واسع ـ في ثقْبِ الإبرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾: فراش ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾: أغْطِيَةٌ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: ما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم؛ والجملة اعتراض للترغيب. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

١ـ الإفلات: التخلّص من الشيء. مجمع البحرين ٢: ٢١٣ (فلت).

٢ـ الكافي ٢: ٣١، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ على إخوانهم في الدّنيا فسلمت قلوبهم وطهرت من الحقد و الحسد و الشّحْناء[1]؛ و لم يكن منهم إلاّ التّراحم والتّعاطف والتّوادد. ورد: «العداوة تنزع منهم، يعني: من المؤمنين في الجنّة»[2].

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾. قال: «إذا كان يوم القيامة، دُعي بالنّبيّ ﷺ و بأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام فينصبون للنّاس؛ فإذا رأتهم شيعتهم، قالو: "الحمد لله الّذي هدانا لهذا". يعني: هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين و الأئمة من ولده عليهم السّلام»[3].

﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ فاهتدينا بإرشادهم. يقولون ذلك؛ اغتباطاً وتبجّحاً[4]، إذ صار علم يقينهم في الدّنيا عين يقينهم في الآخرة. ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ ﴾ إذا رأوها ﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

روي: «ما من أحد إلاّ و له منزل في الجنّة و منزل في النّار؛ فامّا الكافر فيرث المؤمن منزله من النّار، و المؤمن يرث الكافر منزله من الجنّة؛ فذلك قوله تعالى "أورثتموها بما كنتم تعملون"»[5].

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾؟ قالوه تبجّحاً بحالهم و شماتة بأصحاب النّار و تحسّراً لهم، وإنّما لم يقل: «مَا وَعَدَكُمْ» كما قال: «مَا وَعَدَنَا»، لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وَعْدُه بهم، كالبعث و الحساب و نعيم الجنّة لأهلها. ﴿ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ

١ـ الشّحْناء: العداوة والبغضاء. مجمع البحرين ٦: ٢٧١ (شحن).
٢ـ القمّي ١: ٢٣١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٨، الحديث: ٣٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ البَجَح ـ بالتّحريك ـ: الفرح. مجمع البحرين ٢: ٣٤١ (بجح).
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٠، عن النّبيّ ﷺ.

بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ زيغاً و ميلاً عمّا هو عليه ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾. قال: «المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام يؤذّن أذاناً يسمع الخلايق»[1].

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أي: بين الفريقين، أو بين الجنّة و النّار. ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾. أعراف الحجاب أي: أعاليه: رجال من الموحّدين العارفين المعروفين. ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّا ﴾ من أهل الجنّة و النّار ﴿ بِسِيمَٰهُمْ ﴾: بعلامتهم الّتي أعلمهم الله بها، لأنّهم من المتوسّمين أهل الفراسة. قال: «الأعراف كُثْبانٌ[2] بين الجنّة و النّار، يوقف عليها كلّ نبيّ و كلّ خليفة نبيٍّ مع المذنبين من اهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضّعفاء من جنده، و قد سبق المحسنون الى الجنّة»[3] الحديث.

و في رواية: «نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، و نحن الأعراف الّذين لايُعْرَفُ الله عزّوجلّ إلاّ بسبيل معرفتنا، و نحن الأعراف يوقفنا الله عزّوجلّ يوم القيامة على الصّراط»[4]. و في لفظ آخر: «نوقف بين الجنّة و النّار، فلا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا و عرفْناه، و لايدخل النّار إلاّ من أنْكرنا و أنْكرناه»[5]. و في رواية: «إنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فقصرت بهم الاعمال، و إنّهم لكما قال الله»[6]. و زيد في أُخرى: «فإن أدخلهم النّار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنّة فبرحمته»[7].

١ـ القمّي ١: ٢٣١؛ و الكافي ١: ٤٢٦، عن ابي الحسن عليه السلام.
٢ـ الكُثْبان جمع كثيب: التّلّ من الرّمل. القاموس المحيط ١: ١٢٦ (كثب).
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٣؛ و جوامع الجامع ١: ٤٣٨ـ٤٣٩، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ٢٣١ مايقرب منه.
٤ـ الكافي ١: ١٨٤، الحديث: ١، عن امير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يُعَرِّفُنا الله» بدل: «يوقفُنا الله».
٥ـ بصائر الدّرجات: ٤٩٧، الباب: ١٦، الحديث: ٦، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٤٠٨، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٣٨١، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أقول: لاتنافي بين الرّوايتين: لأنّ هؤلاء القوم يكونون مع الرّجال الّذين على الأعراف، و كلاهما أصحاب الأعراف كما دلّ عليه الحديث الأوّل.

﴿وَنَادَوْا﴾ قال: [١] يعني: و نادى أصحاب الأعراف الّذين كانوا عليه مع الأئمّة عليهم السّلام، من مذنبي شيعتهم الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الّذين سبقوا إليها، وذلك حين يقول لهم الأئمّة عليهم السّلام: أُنظروا إلى إخوانكم في الجنّة، قد سبقوا إليها بلاحساب. ﴿أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إذا نظروا إليهم سلّموا عليهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن يدخلهم الله إيّاها بشفاعة النّبيّ ﷺ والإمام عليه السلام.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: في النّار. وفي قراءة الصّادق عليه السلام: «قالوا: ربّنا عائذاً بك أن لاتجعلنا» [٢].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ يعني: الأئمّة عليهم السّلام ﴿رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ من رؤساء الكفّار ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ في الدّنيا ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحقّ.

﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تتمّة قول الأئمّة عليهم السّلام للرّجال، و الإشارة إلى شيعتهم الّذين كانوا معهم على الأعراف، الّذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدّنيا، و يحلفون أنّ الله لايدخلهم الجنّة. ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ «اي: فالتفتوا إلى أصحابهم و قالوا لهم: "ادخلوا الجنّة" الآية». كذا ورد في تفسير هذه الآيات [٣].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ أي: صبّوه؛

---

١ ـ كذا في جميع النُّسخ، و لعلّ قوله: «قال» زائد؛ أو كان قائله المصنّف لا الإمام المعصوم عليه السلام كما يظهر من الصّافي فراجع.

٢ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٤، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «ان تجعلنا».

٣ ـ جوامع الجامع ١: ٤٣٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

وذلك لانّ الجنّة فوق النّار ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأطعمة و الفواكه ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرّموا ما شاؤوا و استحلّوا ما شاؤوا ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ قال: «نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا. و قال: إنّما يجازي من نسيه و نسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال الله تعالى: "ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم"[1]. و في رواية: «يعني بالنّسيان انّه لم يُثِبْهُمْ كما يثيب أولياءه، الّذين كانوا في دار الدّنيا مطيعين ذاكرين، حين آمنوا به و برسوله[2] ﷺ و خافوه في الغيب. قال: وقد يقول العرب في باب النّسيان: قد نَسِيَنا فُلانٌ فلا يَذْكُرُنا. أي: انّه لا يأمر لهم بخير ولا يَذْكُرُهُم به»[3]. ﴿وَمَا كَانُوا﴾: وكما كانوا ﴿بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: ما يؤل إليه أمره؛ من تبيّن صدقه بظهور ما نطق به من الوعد و الوعيد. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾. القمّي: ذلك في قيام القائم عليه السلام ويوم القيامة.[4] ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوه ترك النّاسي ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: قد تبيّن انّهم جاؤوا بالحقّ.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بصرف أعمارهم في الكفر ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

١ـ التّوحيد: ١٦٠، الباب: ١٦، الحديث: ١، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام. والآية في الحشر (٥٩): ١٩.

٢ـ في «ب» و «ج» و المصدر: «برسله».

٣ـ التّوحيد: ٢٥٩، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ القمّي ١: ٢٣٥.

بطل فلم ينفعهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾. قال: «ولو شاء أن يخلقها في اقلّ من لمح البصر لخلق، و لكنّه جعل الأناة[1] و المداراة مثالاً لأُمنائه، وإيجاباً للحجّة على خلقه»[2]. و في رواية: «كان قادراً على ان يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّوجلّ خلقها في ستّة أيّام، ليظهر على الملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرّة بعد مرّة»[3].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قال: «يعني استوى تدبيره و علا أمره»[4]. و في رواية: «استولى على ما دقّ و جلّ»[5]. وفي أُخرى: «استوى على كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه»[6]. و في أُخرى: «استوى من كلّ شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء»[7]. وفي أخرى: «استوى في كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب»[8].

أقول: المستفاد من هذه الروايات، أنّ المراد بالعرش، مجموع الأشياء، كما ورد في أخبار أُخر ايضاً، و من الثّلاث الأخيرة بألفاظها، أنّ المراد بالاستواء، استواء النّسبة، وضمّن الاستواء ما يتعدّى بـ«على» تارةً، كالاستيلاء و الاشراف و نحوهما، لموافقة لفظ القرآن. فيصير المعنى: استوى نسبته إلى كلّ شيء حال كونه مستولياً على الكلّ، واتى بلفظة «مِنْ» تارةً، تحقيقاً لمعنى الاستواء في القرب و البعد، وبلفظة «في» تارةً،

١ـ الأناة ـ كقَناة ـ: الرّفق. مجمع البحرين ١: ٣٦٠ (أنا).
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٧٩، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ التّوحيد: ٣٢٠، الباب: ٤٩، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٣، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ المصدر ٢: ١٥٧، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ١٢٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ التّوحيد: ٣١٥، الباب: ٤٨، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ١٢٨، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه.

ففي الآية دلالة على نفي المكان عنه سبحانه، خلاف ما يفهمه الجمهور منها. وفيها إشارة إلى معيّته القيّوميّة، و اتّصاله المعنويّ بكلّ شيء على السّواء، على الوجه الّذي لاينافي أحديّته و قدس جلاله؛ و إلى إفاضة رحمته العامّة على الجميع على نسبة واحدة، و إحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد، وقربه من كلّ شيء على نهج سواء. وأمّا اختلاف المقرّبين كالأنبياء و الأولياء مع المبعدين كالشّياطين و الكفّار في القرب والبعد، فليس ذلك من قبَله سبحانه؛ بل من جهة تفاوت أرواحهم في ذواتها.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يغطّيه به ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: يعقبه سريعاً كالطّالب له، لايفصل بينهما شيء. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾: عالم الاجسام ﴿وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾: عالم الأرواح ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: تعالى بالوحدانيّة في الألوهيّة و تعظّم بالفردانيّة في الرّبوبيّة.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ﴾ فإنّ الاخفاء أقرب إلى الإخلاص ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين ما أُمروا به في الدّعا و غيره. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ كان في غزاة، فاشرف على واد فجعل النّاس يهلّلون و يكبّرون و يرفعون أصواتهم، فقال ﷺ: يا أيها النّاس اربَعُوا[1] على أنفسكم اما إنّكم لاتدعونَ أصمَّ و لاغائباً، إنّكم تدعون سميعاً قريباً، إنّه معكم»[2]. و عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية: «الاعتداء من صفة قرّاء زماننا هذا وعلامتهم»[3].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر و المعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الأنبياء وشرع الاحكام. قال: «إنّ الارض كانت فاسدةً فاصلحها الله عزّوجلّ بنبيّه، فقال: "ولا

١ـ إربَعْ على نفسك: ارفق بنفسك و كفّ و تمكث. مجمع البحرين ٤: ٣٣١ (ربع).

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٢٩.

٣ـ مصباح الشّريعة: ٥٨، الباب: ٢٥، في آفة القرّاء، عن النّبيّ ﷺ.

تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"»[١]. والقمّي: أصلحها برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام[٢]. ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من الردّ لقصور أعمالكم و عدم استحقاقكم ﴿وَطَمَعًا﴾ في إجابته؛ تفضّلاً و إحساناً لفرط رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ترجيح للطّمع و تنبيه على ما يتوصّل به إلى الإجابة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾. جمع بُشير. ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: قدّام رحمته؛ يعني: المَطَر، فإنّ الصبا تُثير السّحاب، و الشّمال تجمعه، و الجنوب تجلبه، و الدّبور تفرّقه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾: حملَتْ ﴿سَحَابًا﴾: سحائب ﴿ثِقَالًا﴾ بالماء ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لاحيائه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من الأجداث[٣] أحياءً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون انّ من قدر على ذلك قدر على هذا.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الأرض الكريمة التُّربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بامره و تيسيره. عبّر به من كثرة النّبات و حسنه و غزارة نفعه، بقرينة المقابلة. ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ كالحَرَّة[٤] والسَّبخَة[٥] ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلاً عديم النّفع ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نردّدها و نكرّرها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله، فيتفكّرون فيها ويعتبرون بها.

قيل: الآية مَثَلٌ لمن تدبّر الآيات و انتفع بها، و لمن لم يرفع إليها رأساً و لم يتأثر بها.[٦]

و القمّي: مثل للأئمّة عليهم السّلام يخرج علمهم بإذن ربّهم، و لأعدائهم لايخرج

١ـ الكافي ٨: ٥٨، الحديث: ٢٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٣٦.
٣ـ الأجداث جمع جَدَث ـ بالتّحريك ـ: القبر. القاموس المحيط ١: ١٦٩ (جدث).
٤ـ الحَرَّة: أرض ذات حجارة نَخِرة سُود. القاموس المحيط ٢: ٧ (حر).
٥ـ السَّبَخَة ـ محرّكة ومسكّنة ـ: أرض ذات نزّ ومِلح. القاموس المحيط ١: ٢٧٠ (سبخ).
٦ـ البيضاوي ٣: ١٣ ـ ١٤.

علمهم إلاّ كدراً فاسداً[١].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحده ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ إن لم تؤمنوا.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾ أي: الأشراف ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾. إنكار، و ذلك أنّهم تعجّبوا من إرسال البشر ﴿أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: موعظة منه ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: على لسانه ﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ و هم من آمن به ﴿فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾: عَمِي القلوب غيرَ متبصّرين، و أصله عميين، و يأتي تمام القصّة في سورة هود إن شاء الله[٢].

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾. هم قبيلة من العرب سمّوا باسم أبيهم الأكبر[٣]، و يعنى بالأخ: الواحد منهم، كقولهم: «يا أخا العرب» للواحد منهم. ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عذاب الله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ إذ فارقت دين قومك ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ ﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿أَمِينٌ﴾: مأمون في

١ـ القمّي ١: ٢٣٦، و فيه: «إلاّ كذباً فاسداً».

٢ـ الآيات: ٢٥ إلى ٤٩.

٣ـ و هو «هودُ بن شالَخَ بن ارْفَخْشَذَ بن سام بن نوح». راجع: جوامع الجامع ١: ٤٤٥.

تادية الرّسالة لا أكْذبُ و لا أُغيّرُ.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ . في إجابة الأنبياء عليهم السّلام الكفَرَةَ عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا، و الإعراض عن مقابلتهم بمثلها، مع علمهم بأنّهم أضلُّ الخلق و أسْفَهُهُم ادَبٌ حسن؛ وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السّفهاء و يدارونهم.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خلفتموهم في الأرض بعد هلاكهم بالعصيان ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾: قامةً وقوةً. ورد: «كانوا كالنّخل الطُّوال، و كان الرّجل منهم ينحو الجبل[1] بيده فيهدم منه قطعة»[2]. ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ بالشكر. ورد: «اعظم آلاء الله على خلقه ولايتنا»[3]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله: "افلا تتّقون"[4] ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب؛ من الارتجاس، و هو الاضطراب ﴿وَغَضَبٌ﴾: إرادة انتقام.

﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾: في أشياء ما هي إلاّ أسماء ليس تحتها مسمّيات لأنكم سمّيتموها آلهة، و معنى الإلهيّة فيها معدوم؛ نظيره: "ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِه مِنْ شَيءٍ"[5]. ﴿مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾: من حجّة و لو استحقّت للعبادة لكان استحقاقها بإنزال آية من الله و نصب حجّة منه ﴿فَانتَظِرُوا﴾ نزول

١ـ ينحو الجبل: يقصده. القاموس المحيط ٤: ٣٩٦ (نحو).
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٣٧ عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «بيديه».
٣ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الآية: ٦٥ من نفس السّورة.
٥ـ العنكبوت (٢٩): ٤٢.

العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ في الدين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: استأصلناهم؛ و كان ذلك بأن أنشأ الله سبحانه سحابة سوداء زعموا أنّها ممطرهم، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم، كما يأتي في مواضع أُخر.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾. هم قبيلة أُخرى من العرب سمّوا باسم جدّهم[1]. ورد: «هي قرية واحدة لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر؛ صغيرة»[2]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزة ظاهرة الدّلالة على صحّة نبوّتي ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾. أضافها إلى الله، لأنّها خلقت بلا واسطة، ولذلك كانت آيةً. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾. روي: «أنّهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا في الجبال بيوتاً، لأنّ السّقوف و الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم»[3].

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ اي: و لا تبالغوا في الفساد.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾: أنفوا من اتّباعه ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: للّذين استذلّوهم ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾. قالوه استهزاءً ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾. أُسند العقر إلى جميعهم و إن لم يعقرها إلّا بعضهم، لأنّه كان

١ـ و هو «ثمودُ بن عابر بن إرَم بن سام بن نوح». أنظر: جوامع الجامع ١: ٤٤٧.
٢ـ كمال الدّين: ٢٢٠، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٤٠.

برضاهم. ﴿وَعَتَوْا﴾: تولّوا عاتين ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ على لسان صالح: "فذروها تأكل في أرض الله". ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزّلزلة؛ و في سورة هود: "و أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ"[١] و في الحِجْر: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ"[٢] و لعلّها كانت من مباديها. القمّي: فبعث الله عليهم صيحة و زلزلة فهلكوا[٣]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: خامدين ميّتين لا يتحركون؛ يقال: النّاس جثّمٌ، أي: قُعودٌ لا حَراك بهم، وأصل الجثُوم: اللّزوم في المكان.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾. قاله متحسّراً على ما فاته من إيمانهم، متحزّناً لهم بعد ما أبصرهم موتى صرْعى.

ورد: «إنّه بُعِثَ إلى قومه و هو ابن ستّ عشرة سنة، فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين ومائة سنة لايجيبونه إلى خير، و كان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله. فقال لهم: إن شئتم فاسألوني حتّى أسألَ إلهي فيجيبكم فيما سألتموني السّاعة، وإن شئتم سألت آلهتكم، فإن أجابتني بالّذي أسألها خرجت عنكم؛ فقد سئمتكم وسئمتموني[٤]. فقالوا: قد أنصفت. فدعا[٥] كُلّها بأسمائها فلم يجبه منها شيء؛ فنحّوا بسطهم وفرشهم و ثيابهم، و تمرّغوا على التّراب[٦]، و طرحوا التّراب على رؤوسهم، وقالوا لأصنامهم: لئن لم تجيبي صالحاً اليوم لنفتضحنّ[٧]، ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح أُدعها، فدعاها، فلم

١ـ الآية: ٦٧.
٢ـ الآية: ٧٣ و ٨٤.
٣ـ القمّي ١: ٢٣٢.
٤ـ أي: مللتكم وملكتموني.
٥ـ في «ب» و «ج»: «فدعاها».
٦ـ تمرّغ في التّراب: تقلّب. القاموس المحيط ٣: ١١٦ (مرغ).
٧ـ في المصدر: «لنفتضحنّ».

تجبه. قال: فاسألوني حتّى أدعو إلهي يُجبكم السّاعة، فقالوا: أُدع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل السّاعة ناقةً حمراء شَقْراء وبْراء عُشَراء بين جنبيها ميل[1]. فقال لهم: لقد سألتموني شيئاً يعظم عليّ و يهون على ربّي تعالى، فسأل الله ذلك، فانصدع الجبل صدعاً[2] كادت تطير منه عقولهم لمّا سمعوا ذلك، ثمّ اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المَخاض، ثمّ لم يفجأهم[3] إلّا رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصّدع، فما استمّت رقبتها حتّى اجترّت[4]، ثمّ خرج ساير جسدها ثمّ استوت قائمةً على الأرض فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك، أُدع لنا يخرج لنا فَصيلَها[5]؛ فسأل الله ذلك، فرمت به، فدبّ[6] حولها. فقال لهم: يا قوم أبَقِيَ شيء؟ قالوا: لا، انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا و يؤمنون بك. قال: فرجعوا؛ فلم يبلغ السّبعون إليهم حتّى ارتدّ منهم أربعة و ستّون رجلاً، وقالوا: سحْرٌ و كذْبٌ. قالوا: فانتهوا إلى الجميع، فقال السّتّة: حقّ، وقال الجميع: كِذْبٌ و سِحْرٌ، فانصرفوا على ذلك، ثمّ ارتاب من السّتّة واحد، فكان فيمن عقرها»[7].

و ورد: «إنّ الله أوحى إلى صالح: قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه النّاقة من الماء شِرْبَ[8] يوم و لكم شِرْبَ يوم، فكانت النّاقة إذا كان يوم شِرْبِها شَرِبَتْ ذلك اليوم الماء

١ ـ شَقْراء اي: شديد الحمرة، وبْراء اي: كثيرالوبر، عُشراءاي: اتى على حملها عشرة أشهر. و قوله: «بين جنبيها ميل» اي: يكون عرضها قدر ميلٍ. «انظر: مرآة العقول ٢٦: ٧٨».

٢ ـ اي: انشقّ الجبل شقاً.

٣ ـ اي: لم يظهر لهم فجاة شيء إلّا رأسها.

٤ ـ الاجترار هو ما يفعله بعض الدّوابّ من إخراجها ما في بطنها مضغةً و ابتلاعه ثانياً.

٥ ـ فَصيلُ النّاقة: ولدها إذا فُصلَ عن امّه. القاموس المحيط ٤: ٣٠ (فصل).

٦ ـ دَبَّ يَدِبُّ دبّاً: مشى على هيْئته. القاموس المحيط ١: ٦٧ (دب).

٧ ـ الكافي ٨: ١٨٥ ـ ١٨٦، الحديث: ٢١٣، عن ابي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، مع الاختصار.

٨ ـ الشِّرْبُ ـ بالكسر ـ الحظّ والنّصيب من الماء. مجمع البحرين ٢: ٨٧ (شرب).

فيحلبونها، فلا يبقى صغير و لا كبير إلاّ شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان اللّيل وأصبحوا، غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم و لم تشرب النّاقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاءالله، ثمّ إنّهم عتوا على الله و مشى بعضهم إلى بعض و قالوا: اعقروا هذه النّاقة و استريحوا منها، لا نرضى أن يكون لها شرب يوم و لنا شرب يوم، فجعلوا جُعْلاً لرجل أحمر، أشقر، أزرق، ولد زناً لايعرف له اب، يقال له قدّار، شقيّ من الأشقياء مشؤم عليهم؛ فقتلها و هرب فَصيلُها، و اقتسموا لحمها فيما بينهم، فاوحى الله إلى صالح قل لهم: إنّي مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام، فإن هم تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و صددت عنهم، و إن هم لم يتوبوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثّالث، فقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين، فقال: يا قوم إنّكم تصبحون و وجوهكم مصفرّة و اليوم الثّاني محمرّة و الثّالث مسودّة، فجاءهم ما قاله لهم فلم يتوبوا و لم يرجعوا، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت أسْماعَهم وفلقت قلوبَهم و صدعت أكبادَهم»[1]. هذا ملخّص القصّة.

﴿وَلُوطًا﴾: و ارسلنا لوطاً. ورد: «انّه كان ابن خالة إبراهيم، و كانت سارة امرأة إبراهيم أُختَه، خرجوا من بلاد نمرود إلى أن نزل إبراهيم بأعلى الشّامات وخلّف لوطاً بادناها»[2]. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾. من أتى المرأة: إذا غشيها. ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: متجاوزون الحدّ في الفساد حتّى تجاوزتم المعتاد إلى غير المعتاد. ورد: «إنّ إبليس أتى شبّانهم في صورة حسنة فيها تأنيث، عليه ثياب حسنة، فأمرهم أن يقعوا

١ـ الكافي ٨: ١٨٧ـ ١٨٩، الحديث: ٢١٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٢ـ علل الشّرايع ٢: ٥٤٩، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن ابي جعفر عليه السلام؛ والكافي ٨: ٣٧١ـ٣٧٣، الحديث: ٥٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

به فلمّا وقعوا به التّذوه، ثمّ ذهب عنهم و أحال بعضهم على بعض»[١].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من الخبائث.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ المختصّين به من الهلاك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فإنّها كانت تسرّ[٢] الكفر وتُوالي أهْلَ القرية ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: من الّذين غَبَرُوا في ديارهم، أي: بقوا فيها فهلكوا.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: نوعاً من المطر عجيباً، و هي أمطار حجارة من سجّيل؛ كما يأتي في موضع آخر[٣]. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. ورد: «إنّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة، و كان نازلاً فيهم و لم يكن منهم، يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش و يحثّهم على الطّاعة، فلم يجيبوه و لم يطيعوه، و كانوا لايتطهّرون من الجنابة، بُخَلاء أشحّاء على الطّعام؛ فأعقبهم البخل الدّاء الّذي لادواء له في فروجهم، و ذلك أنّهم كانوا على طريق السّيّارة إلى الشّام و مصر، و كان ينزل بهم الضّيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضّيف فضحوه، وإنّما فعلوا ذلك لتنكل النّازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك، فأوردهم البخل هذا الدّاء، حتّى صاروا يطلبونه من الرّجال ويعطون عليه الجُعْلَ، و كان لوط سخيّاً كريماً يقرى الضّيف إذا نزل بهم[٤]، فنهوه عن ذلك فقالوا: لاتقري ضيفاناً تَنَزَّلُ بك[٥]، فإنّك إن فعلت فضحنا ضيفك، وكان لوط إذا نزل به الضّيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، و ذلك

١ـ علل الشّرايع ٢: ٥٤٨، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٣؛ والكافي ٥: ٥٤٤، الحديث: ٤، عن أحدهما عليهما السّلام.

٢ـ في «ب»: «تستر».

٣ـ أنظر: سورة هود (١١): ٨٢، و الحجر (١٥): ٧٤.

٤ـ كذا في جميع النُّسَخ و الصّافي و لعلّ الصّواب: «إذا نزل به» كما في المصدر.

٥ـ في المصدر: «لاتقرين ضيفاً جاء ينزل بك».

أنّه لم يكن له عشيرة فيهم»[1].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: و أرسلنا إليهم. قيل: هم أولاد "مدين بن إبراهيم" و شعيب منهم؛ سمّوا باسم جدّهم و سمّيت به قريتهم[2]. القمّي: هي على طريق الشّام[3]. و ورد: «إنها لاتكمل اربعين بيتاً»[4]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزة شاهدة بصحّة نبوّتي؛ و هي غير مذكورة في القرآن، و لم نجدها في شيء من الأخبار. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: و لاتنقصوهم حقوقهم؛ جيء بالأشياء للتّعميم ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر و الحيف ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بعد ما أصلح فيها الأنبياء وأتباعهم؛ بإقامة الشّرايع والسّنن ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإنسانيّة و حسن الأُحدوثة وما تطلبونه من الرّبح، لأنّ النّاس إذا عرفوا منكم النّصَفَةَ و الامانة رغبوا في مُتاجَرَتِكم. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدّقين لي في قولي.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: بكلّ منهج من مناهج الدّين مقتدين بالشّيطان في قوله: "لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقيمَ"[5]. ﴿تُوعِدُونَ﴾: تتوعّدون ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾. قيل: كانوا يجلسون على الطّرق فيقولون لمن يمرّ بها: إنّ شعيباً كذّاب فلا يفتننّكم عن دينكم؛ كما كان يفعل قريش بمكّة[6]. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تطلبون لسبيل الله عوجاً؛ يعني: تصفونها للنّاس بأنّها سبيل مُعْوَجَّة غير مستقيمة بإلقاء

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٤٥، عن أبي جعفر عليه السلام. و الظّاهر انّ قوله في ذيل الحديث: «و ذلك إنّه ...» كلام المصنّف و ليس في المصدر.

٢ـ في «ألف»: «وسمّيتهم به»

٣ـ القمّي ١: ٢٣٧.

٤ـ كمال الدّين: ٢٢٠، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ الأعراف (٧): ١٦.

٦ـ البيضاوي ٣: ١٨؛ والكشّاف ٢: ٩٤.

الشّبه، لتصدّوهم عن سلوكها و الدّخول فيها. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح و هود و صالح ولوط، و كانوا قريبي العهد بهم.

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي: بين الفريقين بأن ينصر المُحقّ على المبطل، و هذا وعد للمؤمنين و وعيد للكافرين. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ إذ لا معقّب لحكمه و لا حيف فيه.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ على تغليب الجماعة على الواحد، و ذلك لأنّ شعيباً لم يكن على ملّتهم قطّ. ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: كيف نعود فيها و نحن كارهون لها.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: فيما دعوناكم إليه ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ بالبيان و البرهان ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ خذلاننا ومَنْعَنا الألطاف، بأن يعلم أنّه لاينفع فينا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أحاط علمه بعواقب الأمور و مكنوناتها ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبّتنا على الإيمان، ويوفّقنا لازدياد الإيقان.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: أُحكم بيننا، فإنّ الفتّاح: القاضي، والفُتاحة: الحكومة. أو أظهر امرنا حتّى ينكشف ما بيننا و بينهم، و يتميّز الحقّ من المبطل؛ من فتَحَ المشكل: إذا بيّنه. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ أي: أشرافُهم قالوه لمن دونهم يثبّطونهم عن الإيمان ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ و تركتم دينكم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزّلزلة. و في سورة هود "وأخذتِ الّذين ظَلَموا

الصَّيْحَةُ[١]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: خامدين.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي: استؤصلوا[٢] كأن لم يقيموا بها؛ والمَغْنى: المنزل[٣]. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ دون أتباع شعيب، فإنّهم الرّابحون. و في هذا الابتداء و التّكرير تسفيه لرأي الملأ وردّ لمقالتهم و مبالغة في ذلك.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ﴾: أحزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: قوم ليسوا بأهلٍ للحزَنِ عليهم، لكفرهم واستحقاقهم العذابَ النّازلَ بهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾: بالبُؤسِ و الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الضُّرّ و المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: لكي يتضرّعوا و يتوبوا ويتذلّلوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: رفعنا ما كانوا فيه من البلاء و المحنة، و وضعنا مكانه الرّخاء و العافية ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ أي: كثُروا و نَمَوْا في أنفسهم و أموالهم، من قولهم: عفا النّبات أي: كثُر و منه: إعفاء اللّحى[٤].

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ أبطَرَتهُمُ النّعمة، فتركوا شكر الله ونسوا ذكر الله، و قالوا: هذه عادة الدّهر، يُعاقِبُ في النّاس بين الضّرّاء و السّرّاء، و قد مسّ آباءَنا نحوُ ذلك، فلم ينتقلوا عمّا كانوا عليه؛ فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم كذلك. ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾: فَجأَةً، عِبرَةً لمن كان بعدهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ العذاب نازل بهم إلّا بعد حلوله.

١ـ الآية: ٩٤.

٢ـ استأصَلَ الشّيءَ: قطعه من أصله. مجمع البحرين ٥: ٣٠٦ (اصل).

٣ـ أي: المنزل الّذي غَنِيَ به اهله، أي: اقاموا ثُمّ ظَعَنُوا.

٤ـ اللّحىٰ جمع اللّحيَة. و في الحديث عن رسول اللّه ﷺ: «... و أعفُوا اللّحىٰ» (معاني الاخبار: ٢٩١) أي: وَفّروها و كثّروها. مجمع البحرين ١: ٣٠٠ (عفا).

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ﴾: ولو انّهم ﴿ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ الشّرك والمعاصي ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾: لوسّعنا عليهم الخيرات و يسّرناها لهم من كلّ جانب، بإنزال المطر و إخراج النّبات و غير ذلك. ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ ﴾ المكذّبون لنبيّنا ﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾: عذابنا ﴿ بَيَاتًا ﴾: وقت بيات ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾.

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾: ضحوة النّهار؛ و هو في الأصل اسم لضوء الشّمس إذا أشرقت و ارتفعت. ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾: يشتغلون بما لاينفعهم.

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾. مكر الله استعارة لاستدراجه العبدَ و أخذه من حيث لايحتسب. قال: «المكر من الله: العذاب»[1]. ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.

فيه تنبيه على ما يجب أن يكون العبد عليه من الخوف لعقاب الله و اجتناب المعصية.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾ أي: أو لم يبيّن، و لذا عُدّيَ باللام. ﴿ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا ﴾ يخلفون مَنْ خلا قبلهم في ديارهم ﴿ أَن لَّوْ نَشَاءُ ﴾: انّه لو نشاء ﴿ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾: بجزاء ذنوبهم، كما أصبنا مَنْ قبلهم ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾. مستأنف، يعني: و نحن نطبع ﴿ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ سماعَ تفهّمٍ و اعتبارٍ.

﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ﴾: بعض أنبائها ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾ يعني: «في الذّرّ، حين كانوا في أصلاب الرّجال و أرحام النّساء». كما ورد[2]، و يأتي في سورة يونس[3]. قال: «إنّ الله خلق من أحبّ من طينة الجنّة، و خلق من أبغض من طينة النّار، ثمّ بعثهم في الظّلال. قيل: و أيّ

١ـ القمّي ١: ٢٣٦ و ٣٦٧.

٢ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٢٦، الحديث: ٣٦؛ والقمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ في ذيل الآية: ٧٤.

شيء الظّلال؟ قال: ألم تر إلى ظلّك في الشّمس شيء و ليس بشيء، ثمّ بعث منهم النّبيّين فدعوهم إلى الإقرار بالله، و هو قوله: "ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّه"[۱]. ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنّبيّين، فاقرّ بعضهم و أنكر بعض[۲]، ثمّ دعوهم إلى ولايتنا، فأقرّ بها والله من أحبّ و أنكرها من أبغض؛ و هو قوله: "ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل"[۳] ثمّ قال: كان التّكذيب ثمّ»[٤]. و في رواية: «فمنهم من أقرّ بلسانه و لم يؤمن بقلبه»[٥]. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: وفاء عهد ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾: وإنّه علمنا أكثرهم خارجين عن الطّاعة. قال: «إنّها نزلت في الشّاكّ»[٦]. وفي رواية: «إنّكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، و إنّكم لم تبدّلوا بنا غيرنا، و لو لم تفعلوا لعيّركم الله كما عيّرهم، حيث يقول: "وما وجدنا لأكثرهم من عهد" الآية»[٧]. وعن أبي ذرّ: «والله ما صدق أحد ممّن أخذ ميثاقه فوفى بعهد الله غير أهل بيت نبيّهم وعصابة قليلة من شيعتهم، و ذلك قول الله: "وما وجدنا" الآية»[٨].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾: بالمعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾. وهو لقب لمن ملك مصر. ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: بان كفروا بها مكان الإيمان الّذي هو من حقّها لوضوحها ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

۱ـ الزّخرف (٤۳): ۸۷.
۲ـ في «الف»: «و أنكر بعضهم».
۳ـ يونس (۱۰): ۷٤.
٤ـ الكافي ۲: ۱۰، الحديث: ۳، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و العيّاشي ۲: ۱۲٦ ـ ۱۲۷، الحديث: ۳۷، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ۱: ۲٤۸، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ۲: ۳۹۹، الحديث: ۱؛ و العيّاشي ۲: ۲۳، الحديث: ٦۰، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
۷ـ الكافي ۸: ۳٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۸ـ العيّاشي ۲: ۲۳، الحديث: ٥۹.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾: بأن لا أقول كما قرئ به، فوضع «علىٰ» مكان الباء، كقولهم: «رميت على القوس». ﴿ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾: فخلّهم حتّى يرجعوا معي إلى الأرض المقدّسة الّتي هي وطن آبائهم، و كان قد استعبدهم و استخدمهم في الأعمال الشاقّة.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾: ظاهرٌ أمرُهُ لا يُشكُّ في أنّه ثعبان، و هو الحيّة العظيمة. قال: «و كان له شعبتان قد وقع إحداهما في الأرض و الأُخرى في أعلى قبّة فرعون، و كان ارتفاعها ثمانين ذراعاً، فنظر فرعون إلى جوفه و هو يلتهب نيراناً، فأهوى إليه فأحدث [1] وصاح: يا موسى خذها» [2].

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ من جيبه ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾: بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشّمس. «و كان موسى آدمَ شديدَ الأُدمَة» فيما يُروىٰ [3].

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴾.

﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾: أخّرهما و أصدرهما عنك، حتّى ترى رأيك فيهما وتُدبّر أمرهما. ورد: «لم يكن في جلسائه يومئذ ولدُ سِفاحٍ، [4] و لو كان لأمر بقتلهما، قال: وكذلك نحن لايسرع إلينا [5] إلّا كلّ خبيث الولادة». [6] ﴿ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾.

١ـ أَحدَثَ فلان: تَغَوَّط. أقرب الموارد ١: ١٦٩ (حدث).
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٤ ذيل الحديث: ٦١، مرفوعة.
٣ـ تفسير أبي السّعود ٣: ٢٥٨؛ و الكشّاف ٢: ١٠٢؛ والبيضاوي ٣: ٢١.
٤ ـ السِّفاح ـ بالكسر ـ: الزّنا و الفجور. مجمع البحرين ٢: ٣٧٢ (سفح).
٥ـ في المصدر: «لاينزع إلينا».
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٤، الحديث: ٦٢، عن يونس بن ظبيان.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾. خيّروه مراعاةً للأدب، ولكن كانت رغبتهم في أن يُلقُوا قبله، فنبّهوا عليه بتغيير النّظم إلى ما هو ابلغ.

﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ كرماً و تسامحاً و قلّةَ مبالاةٍ بهم، و ثقةً بما كان بصدده من التّأييد الإلهيّ. ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ بأن خيّلوا إليها ما الحقيقة بخلافه بالحِيَلِ والشَّعْوَذَة[1]. ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: و أرهبوهم إرهاباً شديداً، كأنّهم طلبوا رَهْبَتَهُم ﴿وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ في فنّه. روي: «أنّهم ألقوا حِبالاً غِلاظاً وخُشُباً طِوالاً كأنّها حيّاتٌ، مَلأَت الوادي و ركب بعضها بعضاً»[2].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها فصارت حيّةً عظيمةً ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: ما يزوّرونه؛ من الإفك، و هو الصّرف و قلب الشّيء عن وجهه.

روي: «أنّها لمّا تلقّفت حبالَهُم و عِصيَّهُم و ابتلعتها بأسرها، أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتّى هلك جمع عظيم، ثمّ أخذها موسى فصارت عصا كما كانت، فقالت السّحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالُنا و عِصيُّنا»[3].

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾: فحصل و ثبت لظهور أمره ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السّحر و المعارضة.

۱ ـ الشَّعْوَذَةُ: خِفَّةٌ في اليد و أُخَذٌ كالسِّحرِ يُرَى الشّيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. القاموس المحيط ۱: ۳٦۸.

۲و۳ـ البيضاوي ۳: ۲۲.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾: صاروا اذلّاء منهزمين.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾: و خرّوا سجّداً، كأنّما ألقاهم مُلْقٍ لشدّة خرورهم، و لعلّ الحقّ بَهَرَهم[1] و اضطرّهم إلى السّجود، بحيث لم يبق لهم تمالك؛ لينكسر فرعون بالّذين أراد بهم كسر موسى، و ينقلب الأمر عليه.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ أبدلوا من الاوّل، لئلاّ يتوهّم أنّهم أرادوا به فرعون.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾: إنّ هذا الصّنيعَ لحيلة احتلتُموها أنتم و موسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصّحراء، و تواطأتم على ذلك ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ يعني: القِبْطَ، و تخلّص لكم ولبني إسرائيل؛ و كان هذا الكلام من فرعون تَمويهاً على النّاس لئلاّ يتّبعوا السّحرةَ في الإيمان. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. وعيد مجمل يفصّله ما بعده:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي: من كلّ شقٍّ طرفاً ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحاً لكم و تنكيلاً لامثالكم.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: لانبالي بالموت و القتل، لانقلابنا إلى لقاء ربّنا و رحمته.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾: و ما تُنكِر منّا و تَعيبُ إلاّ الإيمان بآيات الله، و هو أصل كلّ خير.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: أفِضْ ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ واسعاً كثيراً يَغمِرُنا كما يُفْرَغُ الماءُ ﴿وَتَوَفَّنَا

---

١ ـ البَهْرُ: الغلبة. القاموس المحيط ١: ٣٩٢ (بهر).

مُّسْلِمِينَ﴾: ثابتين على الإسلام.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بتغيير الناس عليك و دعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾: معبوداتك. القمّي: كان فرعون يعبد الأصنام، ثمّ ادّعى بعد ذلك الرّبوبيّة.[1] و عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنّه قرأ: "وَيَذَرَكَ وَإِلَهَتَكَ"»[2] يعني: عِبادَتَك. و قيل: إنّ فرعون صنع لقومه أصناماً، و امرهم أن يعبدوها تقرّباً إليه؛ و لذلك قال: "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ"[3] ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ كما كنّا نفعل من قبل، ليعلم أنّا على ما كنّا عليه من القهر و الغلبة، وأنّ غلبة موسى لا أثر لها في مُلْكِنا ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: غالبون، و إنّهم مقهورون [مغلوبون][4] تحت أيدينا.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: بني إسرائيل ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بالرّسالة بقتل الابناء ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادته. والقمّي: قبل المجيء بقتل الأولاد، و بعده لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى.[5] ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكرٍ و كفرانٍ و طاعةٍ و عصيانٍ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾: بالجُدوب، لقلّة الأمطار و المياه؛ و السَّنَة غلبت على عام القحط، لكثرة ما يُذْكَرُ عنه و يُورّخ به، ثمّ اشتقّ منها، فقيل: أَسْنَتَ

١ـ القمّي ١: ٢٣٦ـ٢٣٧.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٦٤.

٣ـ البيضاوي ٣: ٢٣؛ و الكشّاف ٢: ١٠٥. و الآية في النّازعات (٧٩): ٢٤.

٤ـ الزّيادة من «ب».

٥ـ القمّي ١: ٢٣٧.

القومُ: إذا أقْحَطُوا. ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لكي يتنبّهوا على أنّ ذلك بشؤم كفرهم و معاصيهم فيتّعظوا، و ليرقّ قلوبهم بالشّدايد، فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ من الخصْب و السَّعة ﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾: لاجلنا ونحن مستحقّوها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جَدْبٌ و بلاء ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾: يتشأّموا بهم و يقولوا: ما أصابتنا إلاّ بشؤمهم. القمّي: الحسنة هنا: الصّحّة والسّلامة والأمن والسَّعَة؛ و السيّئة هنا: الجوع و الخوف و المرض[1]. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: سبب خيرهم و شرّهم عنده، و هو حكمه و مشيّته، كما قال: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله»[2] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا﴾: لتُموّه علينا ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. ارادوا أنّهم مصرّون على تكذيبه و إن اتى بجميع الآيات.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ ما طاف بهم و غشيَهم. قال: «هو طوفان الماء والطّاعون»[3]. ﴿وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾. قيل: هي كبار القِرْدان[4] و قيل: صغار الجَراد[5]. ﴿وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾: مبيّنات. لايشكل أنّها آيات الله و نقمته، أو منفصلات، بين كل آيتين منها مدّة لامتحان أحوالهم ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾: العذاب ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٢٣٧.
٢ـ النّساء (٤): ٧٨.
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٥، الحديث: ٦٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ و ٥ـ الكشّاف ١: ٥٠٣؛ و البيضاوي ٣: ٢٤.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

قال: «لمّا سجد السّحرة و آمن به النّاس، قال هامان لفرعون: إنّ النّاس قد آمنوا بموسى، فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السّنة الطّوفان، فخرّب دورهم و مساكنهم حتّى خرجوا إلى البرّيّة و ضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: أُدع ربّك حتّى يكفّ عنّا الطّوفان حتّى أُخلّي عن[1] بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطّوفان، و همّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل، فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى و أزال ملكك، فقبل منه و لم يخلّ عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّانية الجَرادَ، فجرّدت كلّ شيء كان لهم من النّبت و الشّجر، حتّى كادت[2] تجرّد شَعْرَهم و لحيتَهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً و قال: يا موسى أُدع ربّك أن يكفّ عنّا الجَراد حتّى أُخلّي عن بني إسرائيل و أصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجَراد، فلم يدعه هامان أن يخلّي عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّالثة القُمَّلَ، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففتُ عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القُمّل و قال: أوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزّمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضّفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها تخرج من أدبارهم و آذانهم و آنافهم، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاؤوا إلى موسى فقالوا: أُدع الله يذهب عنّا الضّفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلّوا عن

١ـ في «الف»: «من بني إسرائيل».

٢ـ في «الف» و «ج»: «كانت».

بني إسرائيل حوّل الله ماء النّيل دماً، فكان القبْطي يراه دماً و الإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً و إذا شربه القبْطي يشربه [1] دماً، فكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبّه في فمي، فكان إذا صبّه في فم القبطي يحول دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لئن رفع عنّا الدّم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فلمّا رفع الله عنهم الدّم غدروا و لم يخلّوا عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الرّجز، و هو الثّلج، و لم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه و جزعوا و أصابهم ما لم يعهدوه قبله، فـ "قالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك، لئن كشفت عنّا" الرّجز لنؤمننّ لك و لنرسلنّ معك بني إسرائيل" فدعا ربّه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بني إسرائيل، فلمّا خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام و خرج موسى من مصر، واجتمع إليه مَنْ كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل، فقد استجمعوا إليه؛ فجزع فرعون و بعث في المدائن حاشرين، و خرج في طلب موسى» [2].

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني: بني أسرائيل، كان يستضعفهم فرعون و قومه بالاستعباد و ذبح الأبناء. ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ يعني: أرض مصر و الشّام، ملَكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة و العَمالقة و تمكّنوا في نواحيها. ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالخِصْب و العيش ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: ومضت عليهم، و اتّصلت بالإنجاز عدته إيّاهم بالنّصر و التّمكين، و هي قوله عزّوجلّ: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا" إلى قوله: "مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" [3]. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: بسبب صبرهم على الشّدائد ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: و خرّبنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ

١ـ في المصدر: «كان دماً».

٢ـ القمّي ١: ٢٣٧ـ٢٣٨؛ و في مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٦٨ـ٤٦٩ ما يقرب منه عن الصّادقين عليهما السّلام.

٣ـ القصص (٢٨): ٥ و ٦.

﴿وَقَوْمُهُ﴾ من القصور و العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الجنّات، أو ما كانوا يرفعون من البنيان.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ بعد مهلك فرعون ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾: فمرّوا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾: يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾: صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ يعبدونها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ﴾: مدمّر مكسّر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ يعني: إنّ الله يهدم دينهم الّذي هم عليه، و يحطّم أصنامهم هذه و يجعلها رُضاضاً ﴿وَبَاطِلٌ﴾: مضمحلّ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتها لا ينتفعون بها، و إن قصدوا بها التقرّب إلى الله عزّ وجلّ.

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾: اطلب لكم معبوداً؟ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: و الحال أنّه خصّكم بنعم لم يعطها غيركم.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: و اذكروا صنيعه بكم في هذا الوقت ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يكلّفونكم شدّة العذاب ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. قد سبق تفسيرها في سورة البقرة.[1] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: كن خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ ما يجب أن يُصلَح من أُمورهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: و لا تطع من دعاك إلى الإفساد و لاتسلُك طريقته.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾: لوقتنا الّذي وقّتنا له وحدّدناه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ من غير واسطة، كما يُكلّم الملائكة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى

١ـ في ذيل الآية: ٥١.

﴿ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ لمّا تجلّيت عليه ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾: ظهر له عظمتُه و تعرّض له اقتدارُه و أمرُه ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾: مدكوكاً مُفتّتاً[1] ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾: مغشياً عليه من هول ما رأىٰ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ﴾ تعظيماً لما رأىٰ ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

قال: «لمّا كلّمه الله و قرّبه نجيّا[2] رجع إلى قومه فأخبرهم بذلك، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعتَه، فاختار منهم سبعين، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح[3] الجبل و صعد إلى الطّور، و سأل الله أن يكلّمه و يُسمعَهم كلامَه. فكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق و أسفل و يمين و شمال و وراء و أمام، لأنّ الله أحدثه في الشّجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بأنّ هذا الّذي سمعناه كلامُ الله، حتّى نرى الله جهرةً، فلمّا قالوا هذا القول العظيم، واستكبروا و عتَوا، بعث الله عليهم صاعقةً، فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا؛ فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم و قالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك، فأحياهم وبعثهم معه؛ فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك؛ فتخبرنا كيف هو؟! ونعرفه حقّ معرفته؛ فقال: يا قوم، إنّ الله لا يُرى بالأبصار و لاكيفيّة له، و إنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه؛ فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله؛ فقال موسى: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه: يا موسى سَلْني ما سألوك فلن أُؤاخذك

١ـ الدَّكُّ: الدّقّ و الهَدْمُ. «القاموس المحيط ٣: ٣١١ـ دكّ» و الفَتّ: الدّقّ و الكسر بالأصابع و الشّقّ في الصّخرة. «القاموس المحيط ١: ١٥٩ـ فتّ». و «دكّاً» في الآية مصدرٌ بمعنى مفعول.

٢ـ قَرَّبَهُ نَجِيّاً أي: مناجياً و هو مصدر كالصّهيل و النّهيق يقع على الواحد و الجماعة. مجمع البحرين ١: ٤٠٨ (نجا).

٣ـ سَفْحُ الجَبَلِ: أسفله حيث يسفح فيه الماء. مجمع البحرين ٢: ٣٧٣ (سفح).

بجهلهم، فعند ذلك قال موسى: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَـٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ» و هو يهوي «فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ» بآية من آياته، «جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ» يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي، «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» منهم بأنّك لاتُرى»[١].

و في رواية: «فقال الله تبارك و تعالى: لن تراني في الدّنيا حتّى تموت فتراني في الآخرة، و لكن إن أردتَ أن تراني في الدّنيا «فَانْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ» الآية»[٢]. و ورد: «لمّا صعد إلى الجبل فتحت أبواب السّماء و اقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العُمُد[٣] وفي رأسها النّور، يمرّون به فوجاً بعد فوج، يقولون: يابن عمران أثبت فقد سألت أمراً عظيماً، قال: فلم يزل موسى واقفاً حتّى تجلّى ربّنا جلّ جلاله»[٤]. وفي رواية: «إنّ الملائكة أُمرت أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق و الرّعد و الرّيح و الصّواعق، فكلّ ما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرفع[٥] رأسه فيسأل أفيكم ربّي؟ فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يابن عمران»[٦]. و في رواية: «إنّه لمّا سأل ربّه ما سأل، أمَرَ واحداً من الكروبيّين[٧] فتجلّى للجبل و جعله دكّاً»[٨].

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: إخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: الّذين في زمانك ﴿بِرِسَـٰلَـٰتِي﴾ يعني: أسفارَ التّوراة ﴿وَبِكَلَـٰمِي﴾: وبتكليمي إيّاك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٠ـ٢٠١، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٢ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العُمُد ـ بضمّ العين و الميم و فتحهما ـ جمع العَمُود.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٦، الحديث: ٧٢، عن الصّادقين عليهما السّلام، و فيه: «فلمّا صعد موسىٰ على الجبل».
٥ـ في «الف» و «ج»: «فرفع».
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٧، الحديث: ٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكروبيّون ـ مخفّفة الرّاء ـ سادة الملائكة و المقرّبون منهم. مجمع البحرين ٢: ١٥٩ (كرب).
٨ـ السّرائر: ٤٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «رجلاً» بدل: «واحداً».

الرّسالة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾. روي: «أنّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة و إعطاء التّوراة يوم النّحر»[1].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾. ورد: «أنزلها عليه و فيها تبيان كلّ شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم السّاعة. قال: و هي عندنا»[2]. و ورد: «إنّ الألواح كانت من زَبَرْجَدَة من الجنّة»[3]. و في رواية: «كانت من زمرّد أخضر»[4]. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: بجدّ و عزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما فيها، كالصّبر و العفو بالإضافة إلى الانتقام و الاقتصاص، و هو مثل قوله تعالى: "وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ"[5] و قوله: "فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ"[6] ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾: منازل القرون الماضية المخالفة لأمر الله، الخارجة عن طاعة الله لتعتبروا.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالطّبع على قلوبهم، فلايتفكّرون فيها ولايعتبرون بها. ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لانهماكهم في الهوى. ورد: «إذا عظّمت أمّتي الدّنيا نُزعَتْ عنها هيبة الإسلام و إذا تركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر حُرمت بركة الوحي»[7]. ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ القمّي: إذا رأوا الإيمان و الصّدق والوفاء والعمل الصّالح لايتّخذوه سبيلاً، و إن يروا الشّرك و الزّنا و المعاصي يأخذوا بها و يعملوا بها[8]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾.

١ـ البيضاوي ٣: ٢٧.
٢و٣ـ العيّاشي ٢: ٢٨، الحديث: ٧٧؛ وبصائر الدّرجات: ١٤٠، الباب: ١١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ بصائر الدّرجات: ١٤١، الباب: ١١، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥و٦ـ الزّمر (٣٩): ٥٥ و ١٨.
٧ـ فيض القدير ١: ٤٠٤.
٨ـ القمّي ١: ٢٤٠.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: لاينتفعون بها ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد ذهابه للميقات ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾: خالياً من الرّوح ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: صوت البقر. قد سبق قصّة العجل في سورة البقرة[1]. و ورد: «إنّ فيما ناجىٰ موسىٰ ربّه[2] أن قال: يا ربّ هذا السّامريّ صنع العجل؛ فالخوار من صنعه؟! فاوحى الله إليه: يا موسى إنّ تلك فتنتي فلا تفحّص عنها»[3]. وفي رواية: «قال: يا ربّ، و مَنْ أخارَ الصنَمَ؟ فقال الله يا موسى أنا أخرتُه، فقال موسى: إن هي إلاّ فتنتك»[4]. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: واضعين الأشياء غيرَ مواضِعِها، فلم يكن اتّخاذ العجل بدعا منهم.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾. كناية عن اشتداد ندَمهم، فإنّ النّادم المتحسّر يَعَضُّ يَدَه غمّاً، فتصير يده مسقوطاً فيها. ﴿وَرَأَوْا﴾: و علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ باتّخاذ العجل ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾: شديد الغضب، أو حزيناً ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؟ يقال: عَجِلَ عن الأمر: إذا تركه غيرَ تامّ، و أعْجَلَه عنه غيره، و يُضَمَّن معنى سَبَقَ فيقال: عَجِلَ الأمر. و المعنى: اتركتم أمر ربّكم غير تامّ؟ والأمر: انتظار موسى حافظين لعهده ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: طرحها من شدّة الغضب لله، و فرط الضّجر حميّةً للدّين. ورد:

١ ـ في ذيل الآية: ٥١.

٢ ـ في «ب»: «ناجىٰ ربّه موسى» و في المصدر: «ناجَى الله موسى».

٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٩، الحديث: ٨٠، عن ابي جعفر عليه السلام.

٤ ـ المصدر الحديث: ٧٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

«إنّ منها ما تكسّر و منها ما بقي و منها ما ارتفع»[١].

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾. قال: «و ذلك لانّه لم يفارقهم لمّا فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى، و كان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب»[٢]. ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾. قال: «ولم يقل: يابن أبي، لانّ بني الأب إذا كانت أُمّهاتهم شتّى لم تستبعد العداوة بينهم إلاّ من عصمه الله منهم، و إنّما تستبعد العداوة بين بني أُمٍّ واحدة»[٣]. و ورد: «إنّه كان أخاه لأبيه وأُمّه»[٤]. قيل: و كان أكبر من موسى بثلاث سنين و كان حَمُولاً[٥] ليناً، و لذلك كان أحبّ إلى بني إسرائيل.[٦] ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾: قَهَروني و اتّخذوني ضعيفاً، ولم آلُ جُهداً في كفّهم بالإنذار و الوعظ. ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾: و قاربوا قتلي لشدّة إنكاري عليهم ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: معدوداً في عدادهم بالمَوْجدة عليّ[٧] و نسبة التّقصير إليّ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قيل: هو ما أُمروا به من قتل انفسهم و خروجهم من ديارهم و الجزية.[٨] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾. افتراؤهم قولهم: "هذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسىٰ".[٩] ورد: «إنّه تلا هذه الآية، فقال: فلا ترى صاحبَ بدعة إلاّ ذليلاً، و لا مفترياً على الله و على رسوله و أهل بيته

١ـ بصائر الدّرجات: ١٤١، الباب: ١١، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ و ٣ـ علل الشّرايع ١: ٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الكافي ٨: ٢٧، ذيل الحديث: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ حَمَلَ عنه: حَلُمَ فهو حَمُولٌ: ذوحِلْمٍ. القاموس المحيط ٣: ٣٧٢ (حمل).

٦ـ البيضاوي ٣: ٢٨.

٧ـ وَجَدَ عليه ـ يَجِدُ وَجْداً وجِدَةً و مَوْجِدَةً ـ غضب. «القاموس المحيط ١: ٣٥٦ ـ وجد». و في «ب»: «بالمؤاخذة عليّ».

٨ـ البيضاوي ٣: ٢٨؛ و الكشّاف ٢: ١١٩.

٩ـ طه (٢٠): ٨٨.

صلّى الله عليهم إلاّ ذليلاً»[1] .

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾ : و عملوا بمقتضى الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ : من بعد التّوبة ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ . عبّر عن سكون الغضب بالسكوت تنبيهاً على أنّ الغضب كان هو الحامل له على ما فعل، والآمر له به، و المُغْري عليه، و هذا من البلاغة في الكلام. ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التّي ألقاها ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى﴾ : بيان و دلالة لما يحتاج إليه من أمر الدّين ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ : نعمة و منفعة ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ المعاصي.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ : من قومه؛ من باب الحذف و الإيصال. ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ . سبقت قصّتهم[2] . ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ . تمنّىٰ هلاكهم و هلاكه قبل أن يرىٰ ما رأىٰ. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾؟ من التّجاسر على طلب الرّؤية.

ورد: «إنّ السّبعين لمّا صاروا معه إلى الجبل قالوا له: إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته؛ فقال: إنّي لم أره؛ فقالوا: "لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً"[3]، فأخذتهم الصّاعقة و احترقوا عن آخرهم و بقي موسى وحيداً؛ فقال: يا ربّ اخترتُ سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئتُ بهم و أرجع وحدي، فكيف يصدّقني قومي بما أخبرتهم به؟ فـ"لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا"؟ فأحياهم الله بعد موتهم»[4]. ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ : ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتّى طمعوا في الرّؤية. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ : القائم بأمرنا

١ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في ذيل الآية: ١٤٣ من نفس السّورة.
٣ـ البقرة(٢): ٥٥.
٤ـ التّوحيد: ٤٢٤، الباب: ٦٥، ذيل الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ تغفر السيّئة و تبدلها بالحسنة.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: حُسْنَ معيشة وتوفيقَ طاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: الجنّة ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: تبنا إليك؛ من هاد يهود: إذا رَجَعَ. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدّنيا؛ فما من مسلم و لا كافر و لا مطيع و لا عاص إلّا و هو متقلّب في نعمتي، أو في الدّنيا و الآخرة، إلّا أنّ قوماً لم يدخلوها لضلالهم. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: فسأُثبتها و أُوجبها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشّرك و المعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾. قال: «الرّسول: الّذي يظهر له المَلَكُ فيكلّمه، والنّبيّ: هو الّذي يرى في منامه، و ربّما اجتمعت النّبوّة و الرّسالة لواحد»[١]. ﴿الْأُمِّيَّ﴾ قال: «المنسوب إلى أمّ القرى و هي مكّة»[٢] ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ قال: «يعني: اليهودَ و النّصارى»[٣]. ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ قال: «صفة محمّد واسمه»[٤]. ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾.

قال: «لمّا أُنزلت التّوراة على موسى بشّر بمحمّد ﷺ فلم تزل الأنبياء تبشّر به حتّى بعث الله المسيح فبشّر به»[٥]. و ورد: «إنّ يهوديّاً قال له: إنّي قرأت نعتك في التّوراة محمّدبن عبدالله، مولده بمكّة و مهاجره بطيبة، ليس بفظّ و لاغليظ و لاسَخّاب،[٦] ولامُتَرَنِّنٍ[٧] بالفحش و لا قول الخَنا، و أنا أشهد أن لاإله إلّاالله و أنّك رسول الله؛ هذا

١ـ الكافي ١: ١٧٧، الحديث: ٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ و ٤ـ العيّاشي ٢: ٣١، الحديث: ٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.

٥ـ الكافي ٨: ١١٧، ذيل الحديث: ٩٢، عن ابي جعفر عليه السلام.

٦ـ السَّخّاب صيغة مبالغة من السَّخَب و هو شدّة الصّوت، من تساخب القوم: إذا تصايحوا و تضاربوا مجمع البحرين ٢: ٨١ (سخب).

٧ـ المُتَرَنِّن ـ بنونين ـ من الرَّنّة ـ بالفتح و التّشديد ـ: الصّوت. والخَنا ـ مقصور ـ: الفحش من القول. مجمع البحرين ٦: ٢٥٨ (رنن).

مالي فاحكم فيه بما أنزل الله»[1] . ﴿وَٱلْإِنجِيلِ﴾ . قال: «هو قول الله عزّوجلّ يخبر عن عيسى: "وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ"»[2] . ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ : و يخفّف عنهم ما كُلّفوا به من التّكاليف الشّاقّة. وأصل الأصْر: الثِّقْل.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ : و عظّموه بالتّقوية و الذّبّ عنه. وأصل التّعزير: المنع. ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ قيل: هو القرآن[3]. وورد: «النّور في هذا الموضع عليّ و الائمّة عليهم السّلام»[4]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ .

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ : ما أُنزِلَ عليه و على مَنْ تقدّمه من الرّسل ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى العلم اللّدنّي الموصل إلى محبّة الله و ولايته، فإنّه لايحصل إلّا بالإيمان و اتّباع النّبيّ ﷺ و مَنْ أمرَ النّبيُّ باتّباعه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ بينهم. قال: «هم أهل الإسلام»[5]. و في رواية: «إنّ هذه الأمّة قوم من وراء الصّين لم يغيّروا و لم يبدّلوا ليس لأحدهم مال دون صاحبه، يُمْطَرُون باللّيل و يُضْحَوْن بالنّهار و يَزْرَعُون، لا يصل إليهم منّا أحدٌ و لا منهم إلينا، و هم على الحقّ»[6]. و في أُخرى: «إنّهم يخرجون مع قائم آل

١ ـ امالي (الصّدوق): ٣٧٦، المجلس الحادي والسبعون، الحديث: ٦، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٨: ١١٧، ذيل الحديث: ٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام. و الآية في الصّفّ (٦١): ٦.
٣ ـ البيضاوي ٣: ٣٠؛ و الكشّاف ٢: ١٢٢.
٤ ـ الكافي ١: ١٩٤، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «عليّ أمير المؤمنين».
٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٢، الحديث: ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

محمّد عليهم السّلام»[1].

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾: و صيّرناهم قطعاً متميّزاً بعضهم عن بعض؛ والأسباط: وُلْدُ الأولاد، وهم في وُلْدِ يعقوب بمنزلة القبائل في أولاد إسماعيل.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التّيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ أي: فضرب فانْبَجَسَتْ؛ و في حذفه إشارة إلى أنّه لم يتوقّف في الامتثال. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: كلّ سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ ليقيهم حرَّ الشّمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بيْتَ المقْدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾. سبق تفسير هذه الآيات في سورة البقرة[2].

﴿وَسْأَلْهُمْ﴾: و اسأل اليهود؛ سؤال تقريع بقديم كفرهم و تجاوزهم حدود الله ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾: عن خبرها و ما وقع بأهلها ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: قريبةً منه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: يتجاوزون حدود الله تعالى بالصّيد يوم السّبت و قد نُهوا عنه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: يوم تعظيمهم أمْرَ السّبْت، مصدر سَبَتَتِ اليَهُودُ إذا عَظَّمَتْ سبتَها، بالتّجرّد للعبادة ﴿شُرَّعًا﴾: ظاهرةً على وجه الماء؛ من شَرَعَ عليه: إذا دنا منه و أشرف. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٨٩، مرويّاً عن أصحابنا.

٢ـ في ذيل الآية: ٥٩.

ورد: «إنّهم توصّلوا إلى حيلة ليُحلّوا بها ما حرّم الله؛ فخدّوا أخاديد [1] تؤدّي إلى حِياض يتهيّأ للحيتان الدّخول فيها من تلك الأخاديد و لايتهيّأ لها الخروج، فجاءت يوم السّبت جاريةً على أمان لها فدخلتِ الأخاديدَ و حَصَلَت [2] في الحِياض و الغُدْران [3]، فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرّجوع منها إلى اللُّجج [4] لتأمن من صائدها [5] فلم تقدر، وبقيت ليلها [6] في مكان يتهيّأ أخذها بلا اصطياد، و كانوا يأخذونها يوم الأحَد و يقولون: مَا أصطَدْنا في السّبت إنّما اصطدنا في الأحد؛ و كذب أعداء الله، بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم الّتي عملوها يوم السّبت» [7].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: جماعة من أهل القرية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بذنوبهم هلاك استيصال ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لتماديهم في العصيان ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ يعني: موعظتنا لإنهاءِ [8] عذرٍ إلى الله، حتّى لاينسب إلى تفريط في النّهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إذ اليأس لايحصل إلّا بالهلاك.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ترك النّاسي ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: ما ذكّرهم به الواعظون ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

١ـ أخاديدَ جمع أُخْدود: شقّ في الارض مستطيل. و خَدَّ الارضَ: شقّها. مجمع البحرين ٣: ٤٢ (خدد).

٢ـ حَصَلَ الشّيء: ثبتَ و بقي. و الحاصل من كلّ شيءٍ: ما بقي و ثبتَ. القاموس المحيط ٣: ٣٦٨ (حصل).

٣ـ الغُدْران جمع الغَدير: القطعة من الماء يغادرها السّيل أي: يتركها. القاموس المحيط ٢: ١٠٣ (غدر).

٤ـ اللُّجَجُ: جمع اللُّجّ: معظم الماء. القاموس المحيط ١: ٢١٢ (لجج).

٥ـ في المصدر و نسخة «الف»: «لتأمن صائدها».

٦ـ في المصدر: «و أبقيت ليلتها».

٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٨ـ٢٦٩.

٨ـ انهى الرّجلُ الشّيء إنهاءً: ابلغه. القاموس المحيط ٤: ٤٠٠ (نها).

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾: تكبّروا ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾. قال: «عن قبول الزّجر عمّا نُهوا عنه»[1]. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: «مُبعَّدين عن الخير»[2].

ورد: «إنّ الواعظين خرجوا من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء؛ فنزلوا قريباً منها، فلمّا أصبحوا غدَوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذا هو مُصْمَتٌ، فدقّوه فلم يُجابوا و لم يَسْمَعُوا منها حِسَّ أحدٍ، فوضعوا سُلَّماً على سُورِ المدينة، ثمّ أصعدوا رجلاً منهم، فأشرف على المدينة، فنظر فإذاً هو بالقوم قردةً يَتَعاوَوْنَ[3]، لها أذناب؛ فكسروا الباب ودخلوا المدينة، قال فَعَرَفَتِ القردةُ أنسابَها من الإنس، ولم يَعْرِفِ الإنسُ أنسابَها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهاكم؟»[4].

و ورد: «كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا و أمَرُوا فنجَوا، و صنف ائتمروا ولم يامُروا فمسخوا ذرّاً، و صنف لم يأتمروا و لم يامروا فهلكوا»[5].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلَمَ[6]؛ تَفَعّل من الإيذان، معناه عزَمَ، فإنّ العازم على الأمر يُؤْذِنُ نَفْسَه به ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: ليُسلِّطنّ على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾: يكلّفهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالقتل و الإذلال و ضربِ الجزية. قيل: بعث الله عليهم بعد سليمان بخت النّصر، فخرّب ديارهم وقتل مقاتليهم و سبي نسائهم و ذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم، و كانوا يُؤَدُّونَها إلى المجوس، حتّى بعث الله محمّداً ﷺ ففعل ما فعل، و ضرب عليهم الجزية، فلا تزال مضروبةً إلى آخر الدّهر. وفي

١ و ٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٣ ـ ألعُواء: صوت السِّباع و كأنّه بالذّئب و الكلب أخصّ. يُقال: عَوىٰ يَعْوِي عُواءً. النّهاية ٤: ٣٢٤ (عوا).

٤ ـ العيّاشي ٢: ٣٣ ـ ٣٤، الحديث: ٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و القمّي ١: ٢٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٨: ١٥٨، الحديث: ١٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ ـ في «ب»: «تأذّن: تفعّل».

رواية: «إنّ المَعْنيَّ بهم أُمّةُ محمّد ﷺ»[١]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ عاقبهم في الدّنيا ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب و آمن.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: و فرّقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو بلد من فرقة منهم. ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ اي: مُنْحطّون عن الصلاح ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنِّعَمِ و النِّقَمِ و المِنَحِ و المِحَنِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ينتبهون[٢] فينيبون.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: بدل سَوْءٍ؛ و هو بالتّسكين شايع في الشرّ، وبالتّحريك في الخير، والمراد به: الّذين كانوا في عصر النّبيّ ﷺ ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التّوراة من أسلافهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾: حُطامَ هذا الشّيء الأدنىٰ، يعني: الدّنيا. قيل: هو ما كانوا يأخذون من الرّشا في الحُكم، و على تحريف الكَلِمِ للتّسهيل على العامّة.[٣] ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: لا يؤاخِذُنا اللهُ بذلك و يتجاوز عنه. ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ اي: يرجون المغفرة، و هم مصرّون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين عنه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾؟ يعني: الميثاق في التّوارة بأن لايكذبوا على الله و لايُضيفوا إليه إلاّ ما أنزله. ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾: و قرؤوا ما فيه، فهم ذاكرون لذلك.

ورد: «إنّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه: أن لا يقولوا حتّى يعلموا، و لا يردّوا ما لم يعلموا، قال عزّوجلّ: "ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحقّ" و قال: "بَلْ كَذَّبوا بِما لَمْ يُحيطوا بعلمه"»[٤]. ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ في «ب»: «يتنبّهون».

٣ـ الكشّاف ٢: ١٢٨.

٤ـ الكافي ١: ٤٣، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام. و الآية الثانية في يونس (١٠): ٣٩.

يَتَّقُونَ﴾ محارمَ الله ممّا [1] يأخذ هؤلاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيعلمون ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾. قال: «نزلت في آل محمّد عليهم السّلام و أشياعهم» [2].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾: قلعناه و رفعناه؛ و أصلُه: الجَذْبُ. ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: سقيفة، و هي كلّ ما أظَلَّ. ﴿وَظَنُّوا﴾: و تيقّنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم، لأنّ الجبل لايَثْبُتُ في الجوّ، و لأنّهم كانوا يوعدون به. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: «بعزم من قلوبكم و أبدانكم». كذا ورد [3]. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. قال: «لمّا نزل التّوراة لم يَقبَلُوه، فرفع الله عليهم طور سَيْناء، فقال لهم موسى: إن لم تَقبَلُوا وقع عليكم الجبل، فقبلوه و طاطؤا رؤوسهم» [4].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أخرج من أصلابهم نسلَهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، يعني: نَثَرحقايقَهم بين يدي علمه فاستنطق الحقايقَ بالسنة قابليات جواهرها و ألسُن استعدادت ذواتها. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ أي: و نصب لهم دلائل ربوبيّته، و ركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتّى صاروا بمنزلة الإشهاد؛ على طريقة التّمثيل، نظير ذلك قوله عزّوجلّ: "إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [5] و قوله جلّ و علا: "فَقالَ لَها وَ لِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعينَ" [6].

١ـ في «ب»: «بما يأخذ».
٢ـ القمّي ١: ٢٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٣٧، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ النّحل (١٦): ٤٠.
٦ـ فصّلت (٤١): ١١.

ورد: «أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّرّ، فعرّفهم نفسه وأراهم صُنْعَه، و لولا ذلك لم يَعْرِفْ أحدٌ ربَّه»[1]. و في رواية: سُئِلَ: كيف أجابوا وهم ذرٌّ؟ فقال: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»[2]. و في أُخرى: سُئِلَ: مُعايَنَةً كان هذا؟ قال: «نعم، فثبتت المعرفة و نسوا الموقف و سيذكرونه، و لولا ذلك لم يَدْرِ أحدٌ مَنْ خالقُه و رازقُه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ و لم يؤمن بقلبه، فقال الله: "فَما كانُوا لِيُؤمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِه مِنْ قَبْلُ"»[3].

و ورد: «لمّا أراد الله أن يخلق الخلق نثرهُم بين يديه، فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله ﷺ و أمير المؤمنين و الائمّة عليهم السّلام، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلمَ والدّينَ، ثمّ قال للملائكة[4]: هؤلاء حملة ديني و علمي و أُمنائي في خلقي، و هم المسؤولون؛ ثمّ قال لبني آدم: أقِرُّوا للّه بالرّبوبيّة، و لهؤلاء النّفر بالولاية والطّاعة؛ فقالوا: نعم ربّنا أقررنا. فقال الله للملائكة: أشهدوا، فقال الملائكة: شهدْنا»[5].

﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: «على ان لا تقولوا غداً»[6]. ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يعني: آباءهم المؤسّسين أساس الشّرك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن التّقليد و اتّباع الباطل.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ هو بَلْعَمُ بنُ باعُورا من بني إسرائيل أُوتي علمَ بعضِ كتب الله. قال: «الأصل فيه بَلْعَمُ، ثمّ ضربه الله مثلاً لكلّ مُؤْثِرٍ هواه على

١ـ التّوحيد: ٣٣٠، الباب: ٥٣، الحديث: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٢: ١٢، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن ابي عبدالله عليه السلام. والآية في يونس (١٠): ٧٤.
٤ـ في «الف»: «الملائكته».
٥و٦ـ الكافي ١: ١٣٣، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.

هدى الله من أهل القبلة»[1]. ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ بأن كفر بها و نبذها وراءظهره ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: فلحقه الشّيطان و أدركه و صار قريناً له ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: من الضّالّين.

قال: «أُعطِيَ بَلْعَمُ بنُ باعورا الاسمَ الأعظمَ و كان يدعو به فيستجيب له[2]، فمال إلى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب[3] موسى و أصحابه، قال فرعون لِبَلْعَم: أُدع الله على موسى و أصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى، فامتنعت عليه حمارتُه فاقبل يضربها، فانطقها الله عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربني، أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله و قوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتّى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه، و هو قوله: "فَانْسَلَخَ مِنْهَا"»[4].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ بتلك الآيات و ملازمتها إلى منازل الأبرار من العلماء ﴿وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: مال إلى الدّنيا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إيثار الدّنيا و استرضاء قومه، و أعرض عن مقتضى الآيات فحططناه. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ في أخسّ أحواله ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطّرد و الزّجر، من الحَمْلة ﴿يَلْهَثْ﴾: يخرج لسانه بالتّنفّس الشّديد ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾: دائم اللّهث، بخلاف ساير الحيوان، فإنّه إذا هُيِّجَ و حُرِّكَ لَهَثَ و إلاّ لم يَلْهَثْ. والمعنى: إنْ وعظته فهو ضالّ، و إن لم تَعظْهُ فهو ضالّ. ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ المذكورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيتّعظون و يحذرون[5] مثل عاقبته.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾: مَثَلُ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ في المصدر: «فيستجاب له».

٣ـ في «الف»: «إلى طلب موسى».

٤ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٥ـ في «الف» و«ج»: «فيحذرون».

لاغيرهم.

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ .الإفراد فيه لاعتبار اللّفظ، والجمع في نظيره [١] لاعتبار المعنى؛ تنبيه على أنّ المهتدين كواحدٍ لاتّحاد طريقهم بخلاف الضالّين. ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قال: «طبع الله عليها فلا تعقل»[٢]. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ قال: «عليها غطاء عن الهدى»[٣]. ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ قال: «جعل في آذانهم وقراً فلم يسمعوا الهدى»[٤] ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه و الإبصار للاعتبار، و الاستماع للتدبّر، وفي أنّ مشاعرهم و قواهم متوجّهةٌ إلى أسباب التعيّش، مقصورةٌ عليها ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإنّها تُدرِكُ ما يمكن لها أن تُدرِكَ من المنافع و المضارّ، و تجتهد في جذبها و دفعها غاية جهدها، و هم ليسوا كذلك، بل أكثرهم يعلم أنّه معاند فيقدم على النّار. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة. ورد: «إنّ الله ركّبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقلٍ، و ركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غَلَبَ عقلُه شهوتَه فهو خير من الملائكة، و من غلب شهوتُه عقلَه فهو شرّ من البهائم»[٥].

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الّتي هي أحسن الأسماء، لتضمّنها معانيَ هي أحسن المعاني ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: فَسَمُّوهُ بتلك الأسماء. سُئِلَ: عن الاسم، فقال: «صفة لموصوف»[٦]. و في رواية: «إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله؛ و هو قول الله: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"»[٧].

١ـ المراد بنظيره هو قوله تعالى: «وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».
٢، ٣و٤ـ القمّي ١: ٢٤٩، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «فَلَنْ يَسْمَعُوا الْهُدىٰ».
٥ـ علل الشرايع ١: ٤، الباب: ٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله، عن امير المؤمنين عليهما السّلام.
٦ـ الكافي ١: ١١٣، الحديث: ٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٤٢، الحديث: ١١٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يعدلون بها عمّا هي عليه، فيُسَمُّون بها أصنامَهم أو يصفون اللهَ بما لايليق به، و يُسَمُّونَه بما لا يجوز تسميتُه به. قال: «و له الأسماء الحسنى الّتي لايسمّى بها غيره، و هي الّتي وصفها في الكتاب، فقال: "فادعوه بها و ذروا الّذين يلحدون في أسمائه" جهلاً بغير علم، فالّذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، و يكفر به و هو يظنّ أنّه يحسن، و لذلك قال: "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ"[1] فهم الّذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها غيرَ مواضعها»[2]. ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال: «هم الأئمّة»[3]. و في رواية علويّة: «والّذي نفسي بيده لتفترقنّ هذه الأُمّةُ على ثلاثٍ و سبعينَ فِرْقَةً، كلُّها في النّار إلاّ فِرْقَة "وَمِمَّنْ خَلَقْنَا" الآية؛ فهذه الّتي تنجو من هذه الأُمّة»[4]. و في أُخرى نبويّة: «هذه لكم و قد أُعطِيَ قومُ موسى مثلَها»[5]. و ورد: «إنَّ من أُمّتي قوماً على الحقّ حتّى ينزلَ عيسى بن مريم»[6].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: سَنَسْتَدْنِيهِم[7] قليلاً قليلاً إلى الهلاك حتّى يقعوا فيه بغتةً؛ و أصل الاستدراج: الاستصعاد، أو الاستنزال درجةً بعد درجةٍ.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يُراد بهم، و ذلك ان يتواتر عليهم النِّعَمُ فيظنّوا أنّه لطف من الله بهم، فيزدادوا بَطَراً و انهماكاً في الغيّ حتّى يحقَّ عليهم كلمةُ العذاب. قال: «هو العبد يذنب الذنب فتُجَدَّدُ له النعمةُ، تُلهيه تلك النّعمة عن الاستغفار عن ذلك

---

١ ـ يوسف (١٢): ١٠٦.

٢ ـ التّوحيد: ٣٢٤، الباب: ٥٠، ذيل الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٤١٤، الحديث: ١٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٤ ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٢، عن اميرالمؤمنين عليه السلام، و فيه: «لتفرقنّ».

٥و٦ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٠٣.

٧ ـ في «الف» و «ب»: «سَنَسْتَدْنِيهُم».

الذّنب»[1]. و في رواية: «إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة و يذكّره الاستغفار، و إذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب ذنباً، أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار و يتمادئ بها، و هو قول الله عزّوجلّ: "سنستدرجهم من حيث لايعلمون" بالنّعم عند المعاصي»[2].

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾: و أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ لايُدفع بشيء؛ إنّما سمّاه كيداً لانّ ظاهره إحسانٌ و باطنه خذلانٌ.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم ﴾ يعني: محمّداً ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ اي: جنون. روي: «أنّها نزلت حين حذّرهم بأس الله، فنسبوه إلى الجنون»[3]. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا ﴾ نظر اعتبار ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: في باطنهما وأرواحهما ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ ممّا يقع عليه اسمُ الشّيء من اجناس خلقه الّتي لايمكن حصرها، لتدلّهم على كمال قدرة صانعها و وحدة مُبدعها و عظم شان مالكها ومتولّي امرها، ليظهر لهم صحّةُ ما يدعوهم إليه. ﴿وَأَنْ عَسَىٰ﴾: و انّه عسىٰ ﴿أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ يعني: و اقتراب آجالهم و توقّع حلولها، فيسارعوا إلى طلب الحقّ والتّوجّه إلى ما يُنجيهم، قبل مُغافصة[4] الموت و نزول العذاب. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به. و المعنى: و لعلّ أجلَهُم قد اقترب فما بالهم لايبادرون الإيمان بالقرآن، و ماذا ينتظرون بعد وضوحه؟! فإن لم يؤمنوا به فبأيّ حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا؟

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ القمّي: يكله إلى

١ـ الكافي ٢: ٤٥٢، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الدرّ المنثور ٣: ٦١٨؛ و البيضاوي ٣: ٣٦، عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ غافصه: فاجاه و أخذه على غرة. القاموس المحيط ٢: ٣٢٢ (غفص).

نفسه[1].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: القيامة و هي من الأسماء الغالبة. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟: متى إرساؤها؟ أي: إثباتها و استقرارها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ استأثر به، لم يُطْلِعْ عليه ملكاً مقرباً و لا نبياً مرسلاً ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾: لايظهرها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يعني: أنّ الخفاء بها مستمرّ على غيره إلى وقت وقوعها؛ واللّام للتّوقيت. ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: عظمت على أهلها من الملائكة و الثّقلين لهولها وشدّتها. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فَجْأَةً على غفلة. روي: «انّ السّاعة تَهيج بالنّاس والرّجلُ يُصلِح حوضَه، و الرّجلُ يَسقي ماشيته، و الرّجل يقوّم سِلْعَتَه في سوقه، والرّجل يَخْفضُ ميزانَه و يرفعُه»[2].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ قيل: أي: عالم بها، و أصله: كأنّك أحفيت بالسّؤال حتّى علمتَها، اي: استقصيتَ و ألحفْتَ.[3] ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأنّه من علم الغيب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ انّه المختصّ بالعلم بها. القمّي: إنّ قريشاً بعثت قوماً إلى نَجْران ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل يسالونها رسولَ الله ﷺ، و كان فيها: سَلُوا محمّداً ـ ﷺ ـ متى تقوم السّاعة؟ فإن ادّعى علمَ ذلك فهو كاذب، فإنّ قيام السّاعة لم يُطْلِعِ اللهُ عليه ملَكاً مقرّباً و لا نبيّاً مرسلاً. فلمّا سالوه نزلت[4].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: جلْبَ نفعٍ و لا دَفْعَ ضررٍ، و هو إظهار للعبوديّة، و التّبرّي عن ادّعاء العلم بالغيوب. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من ذلك، فيُلْهِمُني إيّاه ويوفّقني له ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ قال:

١ـ القمّي ١: ٢٤٩.
٢و٣ـ جوامع الجامع ١: ٤٨٧.
٤ـ القمّي ١: ٢٤٩.

«يعني الفقر»[1]. القمّي: كنت أختار لنفسي الصحّة و السّلامة.[2] ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من فضل طينها ﴿زَوْجَهَا﴾: حوّاء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنس بها و يطمئنّ إليها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: خفّ عليها ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي: استمرّت بالحمل ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت﴾: صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها ﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾: ولداً سويّاً بريئاً من الآفة ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قال: «هما آدم وحوّاء، و إنّما كان شركهما شركَ طاعةٍ و ليس شركَ عبادة»[3]. وفي رواية: «جعل صنفا الذكر و الأنثى من أولادهما لله سبحانه شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّوجلّ. قال الله تعالى: "فتعالى الله عمّا يشركون"»[4].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني الأصنام.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾.

الخطاب إمّا للمسلمين و«هم» ضمير المشركين، و إمّا للمشركين و«هم» ضمير الشّركاء[5].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: تعبدونهم و تسمّونهم آلهة من دونه سبحانه

١- معاني الأخبار: ١٧٢، باب معنى السّوء، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢- القمّي ١: ٢٥٠.

٣- العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤- عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.

٥- فالمعنى على الأوّل: إن تدعوا المشركين إلى الإسلام لايجيبوكم، و على الثّاني: إن تدعوا الأصنام إلى أن يهدوكم لايتّبعوكم إلى مرادكم و لايجيبوكم كما يجيبكم الله «منه في الصّافي ٢: ٢٦٠».

﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: مملوكون مسخّرون ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ في مهمّاتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّهم آلهة.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي أنتم و شركاؤكم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: فلا تُمهِلوني، فإنّي لاأُبالي بكم لوثوقي على ولاية الله و حفظه.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾: ناصري و حافظي ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: ينصرهم و يحفظهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: يُشبِهونَ النّاظرين إليك، لأنّهم صوّروا[1] بصورة مَنْ ينظر إلى مَنْ يواجهه. ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: خذ ما عفا لك من أفعال النّاس و أخلاقهم و ما يأتي منهم من غير كُلْفَة و تَسهُّلٍ، و لاتطلب ما يشقّ عليهم و لاتُداقُّهم، واقبَلِ المَيْسورَ منهم؛ و نحوُه: «يَسِّرُوا و لاتُعَسِّرُوا»[2]؛ من العفو الّذي هو ضدّ الجَهْد.

قال: «إنّ الله أدّب رسوله ﷺ بذلك، أي: خُذْ منهم ما ظهر و ما تيسّر، قال: والعَفْوُ: الوَسَطُ»[3].

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بالمعروف الجميل من الأفعال و الحميد من الأخلاق ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: و لا تُمارِ السّفهاءَ و لاتُكافِهِمْ بمثل سَفَهِهِم.

روي: «لمّا نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبرئيلَ عن ذلك. فقال: لاأدري

١ـ اي: صوّروا أصنامَهم.

٢ـ جوامع الجامع ١: ٤٩١. مروياً عن المعصوم ﷺ.

٣ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٦، عن أبي عبدالله ﷺ.

حتّى أسأل العالمَ؛ ثمّ أتاه فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تعفُوَ عمّن ظلَمكَ، وتُعطيَ من حرَمَكَ، و تَصِلَ من قَطَعَك»[1]. و في رواية: «أمر الله نبيّه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آيةٌ أجمعُ لمكارم الأخلاق منها»[2]. و في أُخرى: «إنّ الله أمره بمداراة النّاس»[3].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: ينْخسَنَّكَ منه نَخْسٌ في القلب يوسوسك على خلاف ما أُمرْتَ به، كاعتراء غضب؛ شبّهَ وسوسته للنّاس إغراءً لهم على المعاصي وإزعاجاً بغرْزِ السّايقِ ما يسُوقُه. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. روي: لمّا نزلت الآية السّابقة قال النّبيّ ﷺ: «كيف يا ربّ و الغضب»[4]. فنزلت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: لَمَّةٌ منه، كأنّها طافت بهم ودارت حولهم و لم تقدر أن تؤثّر فيهم ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ ما أمر الله به و نهى عنه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ مَواقعَ الخطأ و مَكائدَ الشّيطان، فيتحرّزون عنها. قال: «هو العبد يهمّ بالذّنب ثمّ يتذكّر فيمسك»[5].

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾: و إخوانُ الشّياطين، يعني: الّذين لم يتّقوا ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ بالتّزيين و الحمل عليه ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: لايُمْسِكُون عن إغوائهم حتّى يُصِرّوا ولايرجعُوا فيهْلكُوا.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: هلاّ جمعتها تقوّلاً من عند نفسك كساير ما تقرأ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ للقلوب، بها تبصر الحقّ ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥١٢.

٢ـ جوامع الجامع ١: ٤٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٥٦، الباب: ٢٦، الحديث: ٩.

٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥١٢.

٥ـ الكافي ٢: ٤٣٥، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. قيل: نزلت في الصّلاة، كانوا يتكلّمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام و الإنصات له[1]. و ورد: «إن كنتَ خلف إمام فلا تقرأنّ شيئاً في الأولتين و أنصت لقراءته و لاتقرأنّ شيئاً في الأخيرتين، فإنّ الله عزّوجلّ يقول للمؤمنين: "وَ إذا قُرِئَ الْقُرآنُ" يعني في الفريضة خلف الإمام "فَاسْتَمِعُوا لَهُ" الآية و الأخيرتان تبعٌ للأولتين»[2]. و في رواية: «يجب الإنصات للقرآن في الصّلاة و في غيرها، و إذا قُرئ عندك القرآنُ وجب عليك الإنصات و الاستماع»[3].

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾. عامّ في كلّ ذكر ﴿تَضَرُّعًا﴾ قال: «يعني مستكيناً»[4]. ﴿وَخِيفَةً﴾ قال: «يعني خوفاً من عذابه»[5]. ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: «يعني من القراءة»[6]. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ قال: «يعني بالغداة و العشي»[7].

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله اللّاهين عنه. قيل: لأنّ الذّكر في النّفس ودون الجهر، الّذين يعبّر عنهما بالسرّ، أدخلُ في الإخلاص و أبعدُ من الرّياء وأقربُ إلى القبول.[8] و ورد: «لايكتبُ الملَكُ إلّا ما يَسْمَعُ، و قال الله عزّوجلّ: و "اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً و خيفةً" فلا يعلم ثواب ذلك الذّكر في نفس الرّجل غيرُ الله لعظمته»[9]. و في رواية: «قال الله من ذكرني سرّاً ذكرته علانيةً»[10]. و في رواية علويّة[11]: «من ذكر الله في السّرّ فقد ذكَرَ الله كثيراً إنّ المنافقين كانوا يذكرون

١ـ البيضاوي ٣: ٤٠.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٥٦، الحديث: ١١٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٤٤، الحديث: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ إلى ٧ـ المصدر، الحديث: ١٣٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ راجع: جوامع الجامع ١: ٤٩٣.
٩ـ الكافي ٢: ٥٠٢، الحديث: ٤، عن أحدهما عليهما السلام.
١٠ـ المصدر، ٥٠١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ ـ في «ب» و «ج»: «وفي أخرى».

الله علانيةً و لايذكرونه في السرّ، فقال الله تعالى: "يُراؤُنَ النّاس وَلايَذكُرُون الله إلاّ قَليلاً"»[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ القمّي: يعني الانبياء و الرّسل و الائمّة عليهم السّلام[٢].

وقيل: الملائكة[٣]. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: و ينزّهونه ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾: و يخصّونه بالعبادة و التّذلّل، لايشركون به غيره. هنا أوّل سَجَدات القرآن. ورد: «إذا قرأ ابن آدم السّجدةَ، فسجد اعتزل الشّيطان يبكي و يقول: يا ويله أُمِرَ هذا بالسّجود فَسَجَدَ فله الجنّة، و أُمِرتُ بالسّجود فعصيتُ فلي النّارُ»[٤].



١ـ الكافي ٢: ٥٠١، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين ﷺ، و الآية في النّساء: ١٤٢.
٢ـ القمّي ١: ٢٥٤.
٣ـ الكشّاف ٢: ١٤٠؛ و البيضاوي ٣: ٤٠.
٤ـ البيضاوي ٣: ٤٠، عن النّبيّ ﷺ.

سورة الأنفال

[مدنيّة إلاّ من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكيّة. و آياتها ٧٥، نزلت بعد البقرة][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾: عن حكمها، و هي غنائم خاصّة، و النَّفْلُ: الزّيادة على الشّيء، سمّيت به الغنيمة لأنّها عطيّة من الله و فضل، و في قراءتهم عليهم السّلام: «يسألونك الأنفال»[2] يعني أن تعطيهم. ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾: مختصّة بهما، يضعانها حيث شاءا. قال: «الأنفال كلّ ما أُخِذَ من دار الحرب بغير قتال، و كلّ أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال أيضاً، والأَرَضُونَ الموات و الآجام و بطون الأودية و قطائعُ الملوك و ميراث من لا وارث له؛ و هي للّه و لرسوله و لمن قام مقامَه بعدَه»[3]. و في رواية: «و كلّ أرض لا ربّ لها والمعادن»[4].

القمّي: نزلت ببدر حيث قاتل بعضهم، و أقام عند خيمة النّبيّ ﷺ آخرون،

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥١٧، عن السجّاد والباقر والصّادق عليهم السّلام.

٣ـ جوامع الجامع ٢: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ٢: ٤٨، الحديث: ١١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والقمّي ١: ٢٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لئلاّ يعرىٰ موضعُه فيميل عليه خيلُ المشركين، فخاف المقيمون ان لا يُعْطَوا من الغنائم شيئاً؛ لأنّها كانت قليلةً، فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا عنها[1]. ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ في الاختلاف والمشاجَرة ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال الّتي بينكم، بالمواساة والمساعَدَة فيما رزقكم الله، و تسليم أمره إلى الله و الرّسول ﷺ ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فَزِعَتْ لذكره استعظاماً له و هيبةً من جلاله ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: ازدادوا بها يقيناً وطُمأنينَةَ نفسٍ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: و إليه يُفوّضون أُمورَهم فيما يخافون و يرجون.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنّهم حقّقوا الإيمان بضمّ مكارم الأخلاق ومحاسن أفعال الجوارح إليه ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: كرامةٌ و علوُّ منزلةٍ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لما فَرَطَ منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أعدّ لهم في الجنّة. القمّي: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبي ذرّ وسلمان والمقْداد[2].

و ورد «إنّ الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها و فرّقه فيها، ثمّ بيّن عليه السلام ذلك، ثمّ قال: و لو كان كلُّه واحداً لازيادةَ فيه و لانقصانَ لم يكن لأحدٍ منهم فضل على الآخر، ولاستوت النِّعَمُ فيه و لاستوى النّاسُ و بطل التّفضيل، و لكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّةَ، و بالزّيادة في الإيمان تَفاضَلَ المؤمنون بالدّرجات عند الله، وبالنّقصان دخل المفرّطون النّارَ»[3].

١ـ القمّي ١: ٢٥٤ـ ٢٥٥.
٢ـ القمّي ١: ٢٥٥.
٣ـ الكافي ٢: ٣٤ و ٣٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ قال: «فالله ناصرك كما أخرجك»[1]. و قيل: يعني حالهم هذه في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثلُ حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب[2].

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ ﴾: في إيثارك الجهادَ إظهاراً للحقّ على تَلَقّي العير و أخذ المال الكثير ﴿بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ أنّهم يُنصَرُون أين ما توجّهوا، بإعلام الرّسول ﷺ ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ يعني يكرهون القتال كراهةَ مَنْ يُساق إلى الموت و هو يشاهد أسبابَه، و كان ذلك لقلّة عددهم و عدم تأهُّبهم للقتال.

﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾. القمّي ما ملخّصه: أنّ عيرَ قريش خرجت إلى الشّام فيها خزائنهم، فأمر النّبيّ ﷺ أصحابه بالخروج ليأخذوها، فأخبرهم أنّ الله قد وعده إحدى الطّائفتين: إمّا العيرَ أو قريش[3] أن يَظْفَرَ بهم، فخرج في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا قارب بدراً بلغ أباسفيان ذلك و كان في العير، فخاف خوفاً شديداً، و بعث إلى قريش فأخبرهم بذلك، و طلب منهم الخروج والمنع عن العير، وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر وتركوا الطّريق و مرّوا مسرعين، و نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره أنّ العير قد أفلتت، و أنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأمره بالقتال و وعده النّصر، فأخبر به رسول الله ﷺ أصحابه، فجزعوا من ذلك و خافوا خوفاً شديداً، إذ لم يتهيّؤوا للحرب؛ فقال رسول الله ﷺ أشيروا عليّ! فقام أبوبكر فقال: يا رسول الله إنّها قريش و خُيَلاؤها[4] ما آمنت منذ كفرت، و لا ذَلَّتْ منذ عَزَّتْ، ولم نخرج على هيئة الحرب، فقال رسول الله ﷺ: اجلس، فجلس. فقال: أشيروا عليّ! فقام

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥٢١ في حديث أبي حمزة.
٢ـ البيضاوي ٣: ٤١؛ و الكشّاف ٢: ١٤٣.
٣ـ كذا في جميع النُّسخ، و لعلّ الصّواب: «قُرَيْشاً».
٤ ـ الخُيَلاء ـ بضمّ الخاء و فتح الياء ـ: الكبر. القاموس المحيط ٣: ٣٨٣ (خال).

عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر، فقال: اجلس. ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله إنّها قريش و خيلاؤها، و قد آمنا بك و صدّقناك و شهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عندالله، ولو أمرتنا أن نخوض جمرَ الغضا و شوكَ الهَراس[1] لَخُضْنا معك، و لا نقول لك ما قالت بنوإسرائيل لموسى: "إذْهَبْ أنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتلا إنّا هاهُنا قاعدُونَ"[2] و لكنّا نقول: اذهب أنت و ربّك إنّا معكما مقاتلون، فجزاه النّبيّ خيراً، ثمّ جلس. ثمّ قال: أشيروا عليّ! فقام سعدبن مُعاذ فقال: بأبي أنت و أمّي يا رسول الله! كأنّك أردتنا؟ قال: نعم، قال: فلعلّك خرجت على أمر قد أُمِرْتَ بغيره. قال: نعم. قال: بأبي أنت و أمّي يارسول الله! قد آمنّا بك و صدّقناك، و شهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عندالله، فمُرْنا بما شئتَ، و خذ من أموالنا ما شئت. ثمّ قال: والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضنا معك، إلى أن قال: و لكن نعدّ لك الرّواحل و تلقى عدوّنا، فإنّا صُبُرٌ عند اللّقاء، أنجادٌ[3] في الحرب، و إنّا لنرجو أن يُقِرَّ الله عينيك بنا. فقال رسول الله ﷺ: كأنّي بمَصْرَع فلان هاهنا و بمَصْرَع فلان هاهنا و بمَصْرَع أبي جهل و عُتْبَة و شَيْبَة، فإنّ الله وعدني إحدى الطّائفتين و لن يُخلف الله الميعاد. فنزلت الآية "كَما أخْرَجَكَ" إلى قوله: "وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" فامر بالرّحيل حتّى نزل ماء بدر و أقبلت قريش[4].

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾: ذات الحدّة ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني العير، فإنّه لم يكن فيها إلاّ أربعون فارساً، و لذلك يتمنّونها و يكرهون ملاقاة قريش لكثرة عددهم

١ـ الجمر: النّار، القطعة الملتهبة. و الغَضا: شجر من الأثل خشبه من اصلب الخشب و جَمْرُهُ يبقى زماناً طويلاً لاينطفئ. و الهَراس: شجر كبير الشّوك. والشوك: مايخرج من النّبات شبيهاً بالإبر. «راجع: مصباح المنير: ١٠٨؛ والمنجد في اللّغة: ٥٥٤، ٨٦٢، ٤٠٩».

٢ـ المائدة (٥): ٢٤.

٣ـ النّجدة: الشّدّة و الشّجاعة و رجلٌ نَجِدٌ و نَجُدٌ: شديد البأس و منه حديث عليّ ؏: «امّا بنوهاشم فانجادٌ امجادٌ» أي: أشدّاءُ شُجْعان. النّهاية ٥: ١٨ (نجد).

٤ـ القمّي ١: ٢٥٦ ـ ٢٦٠.

وعُدّتهم. قال: «ذات الشوكة: الّتي فيها القتال»[1]. ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾: بأوليائه ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ و يستاصلهم. و المعنى: أنّكم تريدون مالاً، و أن لاتلْقوا مكروهاً، والله يريد إعلاء الدّين و إظهار الحقّ، و ما يحصل لكم به فوز الدّارين.

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ فعَلَ ما فعَلَ، و ليس بتكرير، لانّ الاوّل لبيان مراد الله و تفاوت ما بينه و بين مرادهم، والثّاني لبيان الدّاعي إلى حمل الرّسول ﷺ على اختيار ذات الشّوكة و نصره عليها. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ لمّا علمتم أن لا محيص عن القتال مع قلّتكم و كثرة عدوّكم. قال: «إنّ النّبيّ ﷺ لمّا نظر إلى كثرة عدد المشركين و قلّة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللّهمّ انجزلي ما وعدتني، اللّهمّ إن تُهلكْ هذه العصابةُ لاتُعبَدُ في الارض، فما زال يهتف ربّه مادّاً يديه حتّى سقط رداؤه عن منكبيه فنزلت»[2]. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: متّبعين.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ يعني الإمداد ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾: بشارةً لكم بالنّصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: و لا تأثير للإمداد و الإعداد و إنّما هي وسائط و روابط ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾: أمناً من الله بإزالة الرّعب عن قلوبكم ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ من الحدَث و الخَبث ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: الجنابة، و ذلك لأنّه احتلم بعضهم و غلب المشركون على الماء. القمّي: فلمّا امسى رسول الله ﷺ وجنّه اللّيل ألْقيَ على أصحابه النّعاسُ حتّى ناموا، وأنزل الله عليهم السّماء، و كانوا في موضع لايثبت فيه القدم فلبّد الأرضَ حتّى ثبتت

١ـ العيّاشي ٢: ٤٩، الحديث: ٢٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥٢٥، عن ابي جعفر عليه السلام.

أقدامُهم، و كان المطر على قريش مثلَ العَزالى [١]، و كان على أصحاب رسول الله ﷺ رَذاذاً [٢] بقدر ما يُلبِّدُ الأرضَ [٣]، و خافت قريش خوفاً شديداً، فاقبلوا يتحارسون يخافون البيات [٤]. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالوثوق على لطف الله تعالى بكم ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾: بالمطر ﴿ٱلْأَقْدَامَ﴾ حتّى لاتَسُوخَ [٥] في الرّمل، أو بالرّبط على القلوب حتّى يثبت في المعركة.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ في إعانتهم و تثبيتهم ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالبشارة لهم و بتكثير سوادهم و محاربة أعدائهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾: اعاليها الّتي هي المَذابحُ، او الرّؤوس. ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال: «أطراف الأصابع» [٦]. أي: جزّوا رقابهم واقطعوا اطرافهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: كانوا في شِقٍّ خلاف شِقِّهما ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. الخطاب فيه مع الكفّار على طريقة الالتفات، يعني: ذوقوا ما عجّل لكم من القتل و الأسر مع ما أجّل لكم في الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾: كثيراً بحيث يُرىٰ لكثرتهم كأنّهم يزْحفُون، أي: يدبون. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ بالانهزام.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ لان يكُرّ بعد الفرّ، يُخيِّلُ عدُوَّه انّه

١ـ العَزالي جمع العَزْلاء: مصبّ الماء من الرّاوية و نحوها. «القاموس المحيط ٤: ١٥ ـ عزل» و هنا إشارة إلى شدّة وقع المطر.

٢ـ الرّذاذ: المطر الضعيف. القاموس المحيط ١: ٣٦٧ (رذاذ).

٣ـ لبَّدَ المطرُ الارضَ: رشَّها. المنجد في اللّغة: ٧١٠ (لبد).

٤ـ القمّي ١: ٢٦١.

٥ـ ساخت قوائمه في الأرض: دخلت فيها و غابت. مجمع البحرين ٢: ٤٣٥ (سوخ).

٦ـ القمّي ١: ٢٦٧، عن أبي عبدالله ﷺ.

مُنْهَزِم؛ و هو من مكائد الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أو مُنْحازاً إلى فئة أُخرى من المسلمين ليستعين بهم من غير هزيمة ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾. «فمن انهزم حتّى يجوز صفّ أصحابه فقد باء». كذا ورد[1].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بقوّتكم؛ يعني: إن افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بأن أنزل الملائكة و القى الرّعبَ في قلوبهم و قوّى قلوبكم. ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أنت يا محمّد ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ حيث أثّرت الرَّمْيَةُ ذلك الأثَرَ العظيمَ.

روي: «انّ قريشاً لمّا جاءت بخُيَلائها أتاه جبرئيل فقال: خذ قبضة من تراب فَارْمِهِم بها. فقال لعليّ عليه السلام: أعطني قبضة من حَصْباء[2] الوادي، فأعطاه فرمى بها في وجوههم و قال: شاهَتِ الوُجُوهُ، فلم يبق مشرك إلّا شُغِلَ بعينَيْه فانهزموا، و ردَفَهُمُ المؤمنون يَقْتُلُونهم و يأسِرُونَهم، ثمّ لمّا انصرفوا أقبلوا على التّفاخر، فيقول الرّجل: قَتَلْتُ وأسَرْتُ، فنزلت»[3].

اثبت الرّمي لرسول الله صلّى الله عليه و آله لأنّه وُجِدَ منه صورةً، و نفاه عنه معنىً، لأنّ أثَرَهُ الّذي لايدخل في قدرة البشر فِعْلُ الله سبحانه، فكأنّه فاعِلُ الرَّمْيَةِ على الحقيقة، وكأنّها لم تُوجَدْ من الرّسول.

﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾: وليُنْعِمَ عليهم نعمةً عظيمةً بالنّصر و الغنيمة ومشاهدةِ الآيات فَعَلَ ما فَعَلَ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لاستغاثتهم و دعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم وأحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الغرض ذلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني أنّ المقصود إبلاء المؤمنين و توهين كيد الكافرين.

١ـ العيّاشي ٢: ٥١، الحديث: ٣١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٢ـ الحصْباء: الحصى. القاموس المحيط ١: ٥٧ (حصب).

٣ـ تفسير أبي السّعود ٤: ١٣؛ وروح المعاني ٩: ١٨٤؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ١٣٩.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾. قيل: خطاب لأهل مكّة على سبيل التهكّم[١].

ورد: «إنّ أبا جهل قال: اللّهمّ ربّنا ديننا القديم و دين محمّد الحديث، فأيّ الدّينين كان أحبّ إليك و أرضى عندك فانصر أهله اليوم»[٢]. ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن الكفر و معاداة الرّسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لتضمّنه سلامة الدّارين ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ لنصره ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: عن الرّسول ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن و المواعظ سماع فهم وتصديق.

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ سماعاً ينتفعون به.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ عن الحقّ ﴿الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهّم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم أن لاخير فيهم ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ ولم ينتفعوا به ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ لعنادهم. قال: «نزلت في بني عبدالدّار، لم يكن أسلم منهم غير مُصْعَب بن عُمَيْر و حليف لهم يقال له: سُوَيْط»[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطّاعة ﴿إِذَا دَعَاكُم﴾ الرّسول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. قال: «نزلت في ولاية عليّ عليه السلام»[٤]. والقمّي: الحياة: الجنّة[٥].

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ القمّي: يحول بينه و بين ما يريد[٦]. و في رواية: «يحول بين المؤمن و معصيته أن تقوده إلى النّار، و بين الكافر و بين طاعته أن يستكمل بها الإيمان. قال: واعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها»[٧]. و في أُخرى: «يحول بينه و بين

١ـ البيضاوي ٣: ٤٥؛ و الكشّاف ٢: ١٥٠. والتَّهَكُّمُ: الاستهزاء. القاموس المحيط ٤: ١٩٣ (هكم).

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٣١.

٣ـ المصدر: ٥٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «سُوَيْبط»، وفي جوامع الجامع ٢: ١٢: «سُوَيْد بن حَرْمَلَة».

٤ـ الكافي ٨: ٢٤٨، الحديث: ٣٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥و٦ـ القمّي ١: ٢٧١.

٧ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

أن يعلم أنّ الباطل حقّ»[1] . ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ بل يَعُمُّهُم و غيرَهم، كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر و افتراق الكلمة و ظهور البِدَع. قال: «أصابت النّاسَ فتنة بعد ما قبض الله نبيّه ﷺ حتّى تركوا عليّاً عليه السلام و بايعوا غيرَه، و هي الفتنة الّتي فُتِنُوا بها، و قد أمرهم رسول الله ﷺ باتّباع عليّ والأوصياء من آل محمّد عليهم السّلام»[2] . و ورد: لمّا نزلت قال النّبيّ ﷺ: « من ظلم عليّاً عليه السلام مَقْعَدِي هذا بعد وفاتي، فكأنّما جحد نبوّتي و نبوّةَ الأنبياء قبلي»[3] . والقمّي: نزلت في طلحة والزّبير، لمّا حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام و ظلموه[4] . و في قراءتهم عليهم السّلام: «لَتُصيبَنَّ »[5] . باللّام دون لا ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ : من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . قال: «نزلت في قريش خاصّة»[6] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انّكم تخونون. قال: «خيانةُ الله و الرّسول معصيتُهما، و أمّا خيانة الأمانة فكلّ إنسان مأمون على ما افترض الله عليه»[7] .

وقال: «نزلت في أبي لُبابَة بن عبد المنذر»[8] . فلفظ الآية عامّ و معناها خاصّ.

١ـ التّوحيد: ٣٥٨، الباب: ٥٨، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٥٣، الحديث: ٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٤. عن ابن عبّاس.
٤ـ القمّي ١: ٢٧١، و فيه: «لمّا حاربا».
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٢. عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٧١.
٧ـ القمّي ١: ٢٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٥، عن الصّادقين عليهما السّلام.

«وذلك أنّ رسول الله ﷺ حاصَرَ يهودَ بني قُرَيْظَةَ إحدى وعشرين ليلةً فسألوه الصّلح على ما صالح عليه بني النّضير أن يسيروا إلى أذْرُعات و أريحا من أرض الشّام، فأبى إلاّ أن ينزلوا على حكم سَعْدِ بن مُعاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة و كان مناصحاً لهم، لأنّ عياله و ماله و ولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة! أننزل على حكم سعد؟ فأشار بيده إلى حلقه أنّه الذّبح فلا تفعلوا، فأتاه جبرئيل فأخبره بذلك. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتّى عرفت أنّي خنتُ الله و رسولَه ﷺ فنزلت، فشدّ رأسه على سارية[1] من سواري المسجد و قال: والله لاأذوق طعاماً و لاشراباً حتّى أموت أو يتوبَ اللهُ عليّ. فمكث سبعة أيّام لايذوق فيها طعاماً و لاشراباً حتّى خرّ مغشياً عليه، ثمّ تاب اللهُ عليه فقال: لا والله لاأحُلُّ نفسي حتّى يكون رسول الله ﷺ هو الّذي يَحُلُّني، فجاءه فحلّه بيده، فقال: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي الّتي أصبت فيها الذّنب، و أن أنخلع من مالي، فقال النّبيّ ﷺ: يجزيك الثّلث أن تصدّقَ به»[2].

القمّي: و نزلت مع الآية الّتي في سورة التّوبة: ﴿وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾[3] الّتي نزلت في أبي لبابة[4].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ لإلهائهم إيّاكم عن ذكر الله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ لِمَنْ آثر رضا الله عليهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾: هداية في قلوبكم تفرّقون بها بين الحقّ و الباطل ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

١ـ السّارية: الأسطوانة. القاموس المحيط ٤: ٣٤٣ (سرى).
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٥ ـ ٥٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ الآية: ١٠٢.
٤ـ القمّي ١: ٢٧٢.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: قريشاً. ذَكَّرَه ذلك ليشكر نعمة الله عليه في خلاصه. ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ بالحبس ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكّة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بردّ مكرهم و مجازاتهم عليه ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

قال: «إنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أُناس إلى دار النَّدْوَة[1] ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله ﷺ، فإذا شيخ قائم بالباب، و إذا ذهبوا إليه ليدخلوا، قال: أدخلوني معكم. قالوا: و من أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ من مُضَر[2] ولي رأي أُشير به عليكم. فدخلوا و جلسوا و تشاوروا و هو جالس، و أجمعوا أمرهم على أن يُخْرِجُوه. فقال: هذا ليس[3] لكم برأي إن أخرجتموه أجْلَبَ عليكم النّاسَ فقاتلوكم. قالوا: صدقت ماهذا برأي، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يوثقُوه. قال: هذا ليس بالرّأي إن فعلتم هذا و محمّدٌ رجل حلو اللّسان أفسد عليكم أبناءكم و خَدَمَكم، و ما ينفع أحدهم إذا فارقه أخوه و ابنه أو امرأته، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، يخرجون من كلّ بطن منهم بشاهر فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكعبة، ثمّ قرأ هذه الآية»[4].

والقمّي ذكر ما يقرب منه مع زيادات، ثمّ قال: فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ و أخبره أنّ قريشاً قد اجتمعت في دار النَّدْوَة يدبّرون عليك، و أنزل عليه في ذلك: "و إذْ يَمْكُرُ بِكَ" الآية. فلمّا أمسى جاءت قريش ليدخلوا عليه، فقال أبولهب: لاأدعكم أن تدخلوا عليه باللّيل، فإنّ في الدّار صبياناً و نساءً و لاتأمن أن تقع بهم يدُ خاطئة فَنَحْرُسُه اللّيلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ و أمر رسول الله

---

١ ـ هي بمكّة أحدثها «قُصَيّ بن كِلاب» لمّا تملّك مكّة، و هي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة. معجم البلدان ٥: ١٨٦و٢٧٩.

٢ ـ في المصدر: «بنى مُضَر» و هي من القبائل العربيّة العدنانيّة منسوبة إلى مُضَر بن نِزار.

٣ ـ في «ج»: «ليس هذا».

٤ ـ العيّاشي ٢: ٥٣، الحديث: ٤٢، عن أحدهما عليهما السّلام.

ان يفرش له، و قال لعلّي عليه السلام: افْدِني بنفسك! قال: نعم يا رسول الله. قال: نَمْ على فِراشي و التحفْ بِبُرْدَتي. و جاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله فأخرجه على قريش و هم نيام و هو يقرأ عليهم: «وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ»[1] وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثَوْرٍ؛ و هو جبل على طريق منى له سَنامٌ كسَنام الثَّور، فدخل الغارَ و كان من أمره ما كان. فلمّا أصبحت قريش وثبوا إلى الحجرة و قصدوا الفِراش، فوثب عليّ عليه السلام في وجوههم، فقال: ما شانكم؟ قالوا له: اين محمّد؟ قال: جعلتموني عليه رقيباً؟! ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم. فاقبلوا يضربونه [2] و يقولون: أنت تَخْدَعُنا منذ اللّيلة، فتفرّقوا في الجبال. و كان فيهم رجل من خُزاعَة يقال له: أبوكُرْز، يَقْفُو الآثارَ، فقالوا: يا أباكرز! اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه قدم محمّد والله إنّها لأُخْتُ القدم الّتي في المقام، وكان أبوبكر استقبل رسولَ الله صلى الله عليه وآله فردّه معه، فقال أبوكرز: و هذه قدم ابن أبي قحافة او أبيه، ثمّ قال: و هاهنا عَبَرَ ابنُ أبي قحافة، فما زال بهم حتّى اوقفهم على باب الغار، ثمّ قال: ما جاوزوا [3] هذا المكان، إمّا أن يكونوا صعدوا السّماء أو دخلوا تحت الأرض. و بعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، و جاء فارس من الملائكة حتّى وَقف على باب الغار ثمّ قال: ما في الغار أحد فتفرّقوا في الشّعاب و صرفهم الله عن رسوله صلى الله عليه وآله ثمّ أذن له في الهجرة [4].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾. قيل: قائله

١ـ يس (٣٦): ٩.
٢ـ في المصدر: «يضربون اباالهب».
٣ـ في «الف» و «ج»: «ماجازوا» و في المصدر: «ماجاوزا هذا المكان إمّا ان يكونا صعدا إلى السّماء او دخلا تحت الارض».
٤ـ القمّي ١: ٢٧٥ـ٢٧٦.

النَضْرُبنُ الحارث بن كَلَدَة، و أُسِرَ يوم بدر، فقتله النّبيّ ﷺ صَبْراً [1] بيد عليّ عليه السلام. و إنّما قاله صلفاً [2]، و هذا غاية مكابرتهم و فرط عنادهم، إذ لو استطاعوا ذلك فما مَنَعَهُمْ ان يشاؤوا و قد تَحَدّاهُم و قَرَّعَهُم [3] بالعجز عشر سنين، ثمّ قارَعَهُم بالسّيف فلم يعارضوا سواه؛ مع فرط حرصهم على قَهْرِه و غَلَبَته [4].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما سَطَّرَهُ الاولون من القصص. قيل: قاله النّضر ايضاً، و ذلك انّه جاء بحديث رُستَم و اِسفنديار من بلاد فارس و زعم أنّ هذا هو مثل ذاك [5].

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ «قاله الحارث بن عَمْرو الفهريّ حيث سمع النّبيّ ﷺ ذكر كلاماً في فضل عليّ عليه السلام فنزلت: "و ما كان الله ليعذّبهم و أنت فيهم" الآية؛ فقال له النّبيّ ﷺ: يابن عمرو إمّا تبتَ و إمّا رحلتَ؟ فدعا براحلته فركبها، فلمّا صار بظهر المدينة أتته جَنْدَلَة [6] فرضّت هامتَه [7]، فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به [8]». كذا ورد [9]. و في رواية: «قاله النّعمان بن الحارث الفهريّ

١ـ قُتِلَ فُلانٌ صبراً: حُبِسَ على القتل حتى يُقتَلَ. الصّحاح ٢: ٧٠٦ (صبر).
٢ـ الصَّلَفُ ـ بالتّحريك ـ ... التكلّم بما يكرَهُهُ صاحبك و التَّمَدُّحُ بما ليس عندك او مجاوزة قدر الظّرف والادعاء فوق ذلك تكبُّراً. القاموس المحيط ٣: ١٦٨ (صلف).
٣ـ قَرَّعَ القومَ: اَقْلَقَهُم و التّقريع: التّعنيف و التثريب. القاموس المحيط ٣: ٧٠ (قرع).
٤ـ البيضاوي ٣: ٤٨؛ وجوامع الجامع ٢: ١٧.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٧.
٦ـ الجَنْدَل ـ كجعفر ـ ما يُقِلُّهُ الرّجلُ من الحجارة. القاموس المحيط ٣: ٣٦٣ (جندل).
٧ـ الرَّضُّ: الدّقّ و الجَرْش. و في المصدر: «رَضَخَتْ» اي: كسرت. و الهامَةُ: الرّأس. القاموس المحيط ٢: ٣٤٣و ٤: ١٩٥ (رضّ ـ هام).
٨ـ إشارة إلى قوله تعالىٰ: "وَاسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنيدٍ" إبراهيم (١٤): ١٥.
٩ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن أبي بصير.

لمّا نصب رسول الله ﷺ عليّاً يوم غدير»[١]. و القمّي: قاله أبوجهل لمّا سمع النّبيّ ﷺ يقول: إنّ الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدّنيا، و أجرّ المُلْكَ إليكم، فأجيبوني إلى ما ادعوكم إليه؛ تَمْلكُوا بها العربَ و تَدِنْ[٢] لكم بها العجمُ، و تكونوا ملوكاً في الجنّة، فحسده أبوجهل و قال: "اللّهمّ إن كان هذا" ... الآية، ثمّ قال: غفرانك اللّهمّ[٣].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

القمّي: نزلت حين قال ابوجهل: غفرانك اللّهمّ[٤].

أقول: و هو بيان لموجب إمهالهم و التّوقّف في إجابة دعائهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإنّهم ألجاوا رسولَ الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة، لمّا همّوا بقتله و أحصَرُوا عام الحديبيّة. ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾[٤] قال: «أولياء المسجد الحرام»[٥]. و في رواية: «يعني أولياء البيت، يعني المشركين»[٦].

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ قال: «حيثما كانوا أولى به من المشركين»[٧]. قيل: و هو ردّ لقولهم: نحن ولاة البيت و الحرم[٨]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: «التّصفير والتّصفيق»[٩].

أقول: يعني: وَضَعُوا الصَّفير و الصَّفْقَ باليدين موضعَ الصّلاة.

روي: «أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا صلّى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدّار

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ تَدِنْ: تَذِلّ. و في «ب» و«ج» و المصدر: «تدين».
٣ـ القمّي ١: ٢٧٦.
٤ ـ المصدر: ٢٧٧.
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦و٧ ـ العيّاشي ٢: ٥٥، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ البيضاوي ٣: ٤٩.
٩ ـ معاني الأخبار: ٢٩٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. التّصفير: التّصويت بالشّفتين. والتّصفيق: التصويت باليدين بضرب باطن الرّاحة على باطن الأخرى. مجمع البحرين ٥: ٢٠٢ (صفق).

عن يمينه فيُصَفِّران، و رجلان عن يساره فيُصَفِّقان بأيديهما، فيُخَلِّطان عليه صلاته، فقتلهم الله جميعاً ببدر»[1]. والقمّي: هذه الآية معطوفة على قوله: "و إذ يمكر بك الّذين كفروا" فإنّ قريشاً لمّا همّوا بقتله خرجوا إلى المسجد يصفّرون و يصفّقون و يطوفون بالبيت، فنزلت[2]. ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾. القمّي: نزلت في قريش، فإنّهم لمّا أُخبِرُوا بخبر رسول الله ﷺ في طلب العير، أخرجوا أموالهم و حملوا و أنفقوا و خرجوا إلى محاربته ببدر فَقُتِلُوا و صاروا إلى النّار، و كان ما انفقوا حسرةً عليهم[3]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: الكافر من المؤمن و الصّالح من الفاسد ﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا﴾: فيجمعه و يضمّ بعضه إلى بعض ﴿فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ﴾ كلّه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: الكاملون في الخسران.

ورد: «إنّ الله سبحانه مزج طينة المؤمن حين أراد خلقه بطينة الكافر، فما يفعل المؤمن من سيّئة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج، وكذلك مزج طينة الكافر حين أراد خلقه بطينة المؤمن، فما يفعل الكافر من حسنة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج ـ أو لفظ هذا معناه ـ قال: فإذا كان يوم القيامة ينزع الله تعالى من العدوّ النّاصب سنخَ المؤمن ومزاجَه وطينته وجوهره و عنصره مع جميع أعماله الصّالحة و يردّه إلى المؤمن، و ينزع الله من المؤمن سنخَ النّاصب و مزاجه و طينته و جوهره و عنصره مع جميع أعماله السيّئة الرّديّة

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤ : ٥٤٠.
٢ـ القمّي ١ : ٢٧٥.
٣ـ المصدر: ٢٧٧.

و يردّه إلى النّاصب؛ عدلاً منه جلّ جلاله و تقدّست أسماؤه و يقول للنّاصب: لاظلم عليك؛ هذه الأعمال الخبيثة من طينك و مزاجك و أنت أولى بها، و هذه الأعمال الصّالحة من طين المؤمن و مزاجه و هو أولى بها، "لاظُلْمَ الْيَوْمَ إنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ"[١]، ثمّ تلا: "الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ"[٢] الآية. و قرأ: "والّذين كفروا إلى جهنّم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطّيّب" الآية»[٣].

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكفر و معاداة الرّسول ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الّذين تحزّبوا على الأنبياء بالتّدمير، كما جرى على أهل بدر، فليتوقّعوا مثل ذلك.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لايوجد فيهم شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ ويضمحلّ عنهم الأديان الباطلة. قال: «لم يجيء تأويلُ هذه الآية [بعدُ][٤] ولوقد قام قائمنا بعدُ سيَرى مَنْ يُدْرِكُه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغنّ دين محمّد ﷺ ما بلغ اللّيل حتّى لايكون مشركٌ[٥] على ظهر الارض، كما قال الله: "يَعْبُدُونَنِي لايُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً"»[٦]. ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ و لم ينتهوا ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم فثقوا به و لاتبالوا بمعاداتهم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: «هي والله الإفادةُ يوماً بيوم»[٧].

١ـ غافر (٤٠): ١٧.

٢ـ نور (٢٤): ٢٦.

٣ـ علل الشّرايع ٢: ٦٠٨ـ٦٠٩، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٨١، عن ابي جعفر عليه السلام بالمضمون.

٤ـ الظّاهر انّ ما بين المعقوفتين زايد و ليس في المصدر و لا في الصّافي.

٥ـ في «الف» و «ج»: «شرك».

٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٤٣؛ و العيّاشي ٢: ٥٦، الحديث: ٤٨، عن ابي عبدالله عليه السلام. والآية في النّور (٢٤): ٥٥.

٧ـ الكافي ١: ٥٤٤، الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أقول: يعني استفادة المال من أيّ جهة كانت.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

قال: «نحن والله عنى بذي القربى الّذين قرنهم الله برسوله ﷺ قال: ولم يجعل لنا في سهم الصّدقة نصيباً، أكرم الله نبيّه و أكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي النّاس»[1]. و قال: «خمس الله للإمام و خمس الرّسول للإمام وخمس ذوي القربى لقرابة الرّسول و الإمام، واليتامى يتامى آل الرّسول، و المساكين منهم و أبناء السّبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم»[2].

﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ يعني إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنّ الخُمُسَ من الغنيمة يجب التقرّب به، فاقطعوا عنه أطماعكم، واقتنعوا بالاخماسِ الأربعة. ﴿وَمَا أَنزَلْنَا﴾: و بما انزلنا ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: على محمّد ﷺ من الآيات و الملائكة و النّصر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، فإنّه فرّق فيه بين الحقّ و الباطل. ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: المسلمون و الكفّار ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدِرُ على نصر القليل على الكثير و الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ من المدينة؛ بدل من "يَوْمَ الفُرقان"، العُدوة ـ مثلثة ـ: شطُّ الوادي. ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ البُعدى من المدينة؛ تأنيث الأقصى. القمّي: يعني قريشاً حيث نزلوا بالعدوة اليمانيّة، و رسول الله ﷺ نزل بالعدوة الشّاميّة[3].

﴿وَالرَّكْبُ﴾ قال: «يعني أباسفيان و أصحابه»[4]. والقمّي: يعني العيرَ الّتي أفلَتَت[5]. والتّفسيران متّحدان. ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: في مكان أسفل من مكانكم يقودون العيرَ بالسّاحل. والفائدة في ذكر هذه المواطن؛ الإخبار عن الحالة الدّالّة على قوّة المشركين وضعف المسلمين، و أنّ غلبتَهُم على مثل هذه الحال أمرٌ إلهيٌّ لايتيسّر إلّا بحوله و قوّته؛

١ـ التّهذيب ٤: ١٢٦، الحديث: ٣٦٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٢٥، الحديث: ٣٦١، عن احدهما عليهما السّلام.
٣و٥ـ القمّي ١: ٢٧٨. وأفلَتَتْ: تخلّصتْ. مجمع البحرين ٢: ٢١٣ (فلت).
٤ـ العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٦٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

و ذلك أنّ العدوةَ القصوى كان فيها الماء و لاماء بالعدوة الدّنيا، و كانت رِخْواً تسوخ[1] فيها الأرجلُ، و كانت العيرُ وراء ظهورهم مع كثْرَة عددهم، فكانت الحمايةُ دونَها تُضاعفُ حَميّتَهُم، و تَحمِلُهُم على ان لا يَبْرحُوا[2] مواطنهم، و يَبْذلُوا نِهايةَ نَجْدَتِهم[3]، و فيه تصوير ما دبّرَ الله من أمر وقعة بدر.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ يعني لو تواعدتم أنتم و هم على موعد للقتال، ثمّ علمتم حالكم و حالهم لخالف بعضكم بعضاً، ثبّطكم[4] قلّتكم عن الوفاء بالموعد، وثبّطهم ما في قلوبهم من الرّعب، فلم يتّفق لكم من الوفاء ما وفّقه الله. ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: كان واجباً أن يفعل من إعزاز دينه و إعلاءِ كلمته و نصرِ أوليائه وقهرِ أعدائه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾: لِيَصْدُرَ كفرُ مَنْ كَفَرَ وإيمانُ من آمن عن وضوحِ بيّنةٍ عاينها و قيامِ حجّةٍ شاهدها. قال: «يعلم من بَقِيَ أنّ الله نَصَرَه»[5].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم كيف يدبّر أُموركم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ لتخبر به أصحابك، فيكون تثبيتاً لهم و تشجيعاً على عدوّهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: لجبُنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أمرِ القتال، و تفرّقت آراؤكم بين الثّبات والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: أنعم بالسّلامة من الفشَلِ والتّازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

قال: «كان إبليس يوم بدر يُقَلِّل المسلمين في أعين الكفّار، و يكثّر الكفّارَ في أعين النّاس، فشدّ عليه جبرئيل بالسّيف فهرب منه و هو يقول: يا جبرئيل إنّي

١ـ في جميع النُّسَخ: «يسوخ».
٢ـ بَرِحَ من مكانه بَراحاً: زالَ عنه و صار في البَراح. مجمع البحرين ٢: ٣٤٢ (برح).
٣ـ النَّجْدَة ـ بفتح النّون فالسّكون ـ: الشّجاعةُ. مجمع البحرين ٣: ١٤٩ (نجد).
٤ـ ثَبَّطَهُ عن الأمرِ: عَوَّقَه و بطَّأ به عنه، و عَلى الامر: وقّفه عليه. القاموس المحيط ٢: ٣٦٥ (ثبط).
٥ـ القمّي ١: ٢٧٨.

مُؤَجَّل، حتّى وقع في البحر يخاف أن يُقْطَعَ بعضُ أطرافه»[1].

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ و تثبيتاً لكم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتّى قال قائلهم: ما هم إلاّ أَكَلَةُ رَأْسٍ، لو بعثنا عليهم عبيدَنا لأخذوهم باليد. و إنّما قلّلهم في أعينهم ليجترؤوا عليهم قبل اللِّقاء، ثمّ كثَّرَهُمْ فيها بعد اللِّقاء لتَفْجَأَهُمُ الكثرةُ، فيهابُوا و تَفُلَّ[2] شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حُسْبانِهم، و هذا من عظايم آيات تلك الواقعة و عجائب قدرة الله فيها، فإنّ البصر و إن كان قد يرى الكثيرَ قليلاً و القليلَ كثيراً لكن لا على هذا الوجه و لا إلى هذا الحدّ. ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتم جَماعةً كافرةً أو باغيةً. واللّقاءُ ممّا غلب في القتال. ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم و لا تفرّوا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب؛ داعين له مستظهرين بذكره مترقّبين لنصره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَظْفَرُون بالنُّصرة والمَثُوبة فيه. تنبيه على أنّ العبد ينبغي أن لايشغَلَه شيء عن ذكر الله[3] تعالى، و أن يلتجىء إليه عند الشّدائد، و يُقْبِلَ عليه بشراشره فارغَ البال، واثقاً بأنّ لطفَه لاينفكّ عنه في شيء من الأحوال.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ باختلاف الآراء، كما فعلتم ببدر و أُحد. ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: فتضعفوا عن قتال عدوكم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: دولتكم. شبّهت الدّولة بالرّيح في نفوذ أمرها و هُبُوبِها. يقال: هَبَّتْ رِيحُ فلانٍ: إذا نَفَذَ أمرُه. ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ

١ـ الكافي ٨: ٢٧٧، الحديث: ٤١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ في «الف» و «ب»: «تقل». و الفَلُّ: الكسر و الضّرب، يُقال: فَلَّهُ فانفلّ، اي: كسره فانكسر، وفَلَلْتُ الجيشَ: هزمتُه. الصّحاح ٥: ١٧٩٣؛ والنّهاية ٣: ٤٧٢ (فلل).

٣ـ في «الف»: «من ذكر الله».

مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ يعني أهلَ مكّة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿بَطَرًا﴾: فخراً و أشراً ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ليُثنوا عليهم بالشّجاعة والسّماحة، و ذلك أنّهم لمّا بلغوا جُحْفَةَ[1] وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعُوا فقد سَلِمَتْ عِيرُكم، فأبى أبوجهل و قال: حتّى نَقْدَمَ بدراً. نَشْرَبُ بها الخمورَ و تَعْزِفُ[2] علينا القِيانُ[3] و نُطْعِمُ بها من حَضَرَنا من العرب. فذلك بَطَرُهُمْ ورئاؤهم، فوافَوْها فَسُقُوا كأسَ الحِمامِ[4] مكانَ الخمرِ و ناحت النّوائحُ مكانَ القِيانِ، فنهى الله المؤمنين أن يكونوا أمثالَهم بَطِرِينَ مُرائين. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾: مجيركم ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾: تلاقتا ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: رجع القهقرى وبطل كيدُه، و عاد ما خُيِّلَ إليهم أنّه مجيرُهم سببَ هلاكهم ﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني جنودَ الملائكة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يصيبني مكروهاً ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

القمّي: جاء إبليس عليه اللّعنة إلى قريش في صورة سُراقَةَ بن مالك فقال لهم: أنا جارٌ لكم إدفعوا إليّ رايتكم، فدفعوها إليه، و جاء بشياطينه يُهَوِّلُ[5] بهم على أصحاب رسول الله ﷺ و يخيّل إليهم و يفزعهم، و أقبلت قريش يَقْدُمُها إبليس معه الرّاية، فنظر

١ـ الجُحْفَةُ ميقات أهل الشّام، كانت قريةً جامعةً على اثنين و ثمانين ميلاً من مكّة و كانت تُسَمّى مَهْيَعَةَ. القاموس المحيط ٣: ١٢٥ (جحف).

٢ـ العَزْف: اللّعب بالمعازف و هي الدّفوف و غيرُها ممّا يُضْرَب بها. مجمع البحرين ٥: ٩٩ (عزف).

٣ـ القِيانُ جمع القَيْنَة: الإماء المغنّيات. مجمع البحرين ٦: ٣٠١ (قين).

٤ـ الحِمام ـ ككتاب ـ: قضاءُ الموت و قَدَرُه. القاموس المحيط ٤: ١٠١ (حم).

٥ـ هَوَّلَ عَلَى الرّجلِ: حَمَلَ عليه. اقرب الموارد ٢: ١٤١ (هول).

إليه رسول الله ﷺ فقال: غُضّوا أبصاركم و عَضّوا على النّواجذ[1] و لاتَسُلّوا[2] سيفاً حتّى آذنَ لكم، ثمّ رفع يده إلى السّماء فقال: يا ربّ إنْ تَهْلِكْ هذه العصابَةُ لَمْ تُعْبَدْ وإن شئتَ لاتُعبد لاتُعبد، ثمّ أصابه الغَشْيُ فَسُرِيَ عنه[3] و هو يَسْلُتُ[4] العَرَقَ عن وجهه و هو يقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألفٍ من الملائكة مردفين، فنظروا فإذاً بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسولِ الله ﷺ و قائلٌ يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ! أَقْدِمْ حَيْزُومُ[5]! و سمعوا قعقعةَ السّلاح من الجوّ، و نظر إبليس إلى جبرئيل فراجع و رمى باللّواء، فأخذ مُنَبِّهُ بنُ الحَجّاجِ[6] بمَجامِعِ ثوبه، ثمّ قال: ويلك يا سراقة تفتّ[7] في أعضاد النّاس، فَرَكَلَهُ إبليسُ رَكْلَةً[8] في صدره و "قال إنّي بريء منكم" الآية و هو قوله تعالى: "وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم و قال لاغالب لكم اليوم من النّاس" الآية[9].

١ـ النّواجذ جمع ناجذ: اقصى الأضراس و هي أربعة. والنَّجذُ: شدّةُ العضّ بها: و عضّ على ناجذه: بَلَغَ أشُدَّهُ «القاموس المحيط ١: ٣٧٣». و في جميع النُّسخ: «النّواجد» بالدّال المهملة؛ والصّواب ما اثبتناه.

٢ـ السَلُّ: انتزاعك الشّيَ و إخراجهُ برفقٍ و سَلُّ السَّيْفِ: إخراجُه من الغمد. مجمع البحرين ٥: ٣٩٨ (سلل).

٣ـ سُرِيَ عَنْهُ: زال عنه و انكشف. المنجد في اللّغة: ٣٣٢ (سرى).

٤ـ أصل السَّلْت: القَطْعُ. يقال: سَلَتَت الخضابَ عَنْ يَدها: إذا مَسَحَتْهُ و أَلْقَتْهُ النّهاية. ٢: ٣٨٧ (سلت).

٥ـ في «القاموس المحيط ٤: ٩٧»: الحَيْزُومَ: فَرَسُ جبرئيل: و في «النّهاية ١: ٤٦٧ و ٤: ٤٢٦»: «أَقدم حَيْزُومُ» هو أمرٌ بالإقدام و هو التّقدّم في الحرب. و الإقدامُ: الشّجاعة. و في «البحار ١٩: ٢٦٤»: أراد أقدِمْ يا حيزومُ. فحذف حرف النّداء.

٦ـ نُبَيْه و مُنَبِّه ابنا الحجّاج كانا من المستهزئين لرسول الله ﷺ و الطّعن عليه، و كانا يلقيانه فيقولا له: أما وجدَ الله من يبعثه غيرك؟ إنّ هاهنا من هو أسَنُّ منكَ و أيسَرُ. فقُتِلَ مُنَبِّه في غزوة البدر، قتله عليّ بن أبي طالب (راجع: الكامل في التّاريخ ٢: ٧١).

٧ـ فَتَّ الشّيءَ: دقّه و كسره، و فَتَّ في عَضُدِه: كسر قُوّتَه و فَرّق عنه أعوانَهُ. اقرب الموارد ٢: ٨٩٩ (فت).

٨ـ الرَّكْلُ: الضَّرب برِجْلٍ واحدةٍ. القاموس المحيط ٣: ٣٩٧ (ركل).

٩ـ القمّي ١: ٢٦٦.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: الشاكّون في الإسلام ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ يعنون المسلمين؛ اي: اغترّوا بدينهم حتّى تعرّضوا بقلّتهم[1] لقتال جمّ غفير ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. جواب لهم.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾: ولو رأيت، فإنّ «لو» تجعل المضارع ماضياً عكس «إن». ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ببدر ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: ما أقبل منهم ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾: و ما أدبر. ورد: «إنّما اراد: و أستاهَهُم، إنّ الله كريم يكنّي»[2]. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: و يقولون: "ذوقوا". قيل: كانت معهم مقامعُ من حديد كلّما ضربوا التهبت النارُ منها[3].

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ اي: داب هؤلاء مثل داب آل فرعون؛ و دأبهم: عادتهم وعملهم الّذي دأبوا فيه، اي: داوموا عليه. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾. إشارة إلى ما حلّ بهم. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: يبدّلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوء؛ كتغيير[4] قريش حالهم في صلة الرّحم، و الكفّ عن تعرّض الآيات و الرّسل بمعاداة رسول الله ﷺ و من تبعه منهم، والسّعي في إراقة دمائهم، و التّكذيب بالآيات و الاستهزاء بها إلى غير ذلك ممّا أحدثوه بعد المبعث. ورد: «إنّ الله قضى قضاءً حتماً: لاينْعِم[5] على العبد بنعمةٍ فيسلبُها إيّاه حتّى يُحدِثَ العبدُ ذنباً يستحقّ بذلك النّقْمَةَ»[6]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

١ـ في «ب» و «ج»: «مع قلّتهم».
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٧١، مرفوعاً.
٣ـ البيضاوي ٣: ٥٣؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ١٧٨.
٤ـ في «الف»: «كتغيّر».
٥ـ في المصدر: «الأ ينعمَ».
٦ـ الكافي ٢: ٢٧٣، الحديث: ٢٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾. كرّره للتأكيد و زيادة بيان لكفران النّعم، و بيان للأخذ بالذّنوب.

﴿وَكُلٌّ﴾ من غرقى آلِ فرعون و قتلى قريش ﴿كَانُوا ظَـٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. أصرّوا على الكفر و رسخوا فيه، فلا يُتوقَّعُ منهم إيمان. قال: «نزلت: في بني أُميّة، فهم أشرّ خلق الله، هم الّذين كفروا في بطن القرآن»[1].

﴿الَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تُصادِفَنَّهم و تَظْفَرَنَّ بهم ﴿فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾: فَفَرِّقْ عن محارَبَتك، ونكِّلْ عنها بقتلهم و النّكاية[2] فيهم ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: مَنْ وراءهم من الكفرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ مُعاهَدين ﴿خِيَانَةً﴾: نقض عهدٍ بأمارات تلوح لك ﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: فاطْرَحْ إليهم عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على طريقٍ مقتصِدٍ مُستوٍ في العداوة، بأن تُخْبِرَهم بنقض العهد إخباراً ظاهراً مكشوفاً، يتبيّنُ لهم انّك قطعت ما بينك و ما بينهم، و لا تبْدأْهُم بالقتال و هم على توهّم بقاء العهد؛ فيكون ذلك خيانةً. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوٓا﴾: فاتوا من ان يُظْفَرَ بهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لا يَفُوتُون و لا يجدون طالبَهُم عاجزاً من إدراكهم.

﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾: للكفار ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: من كلّ ما

١ـ القمّي ١: ٢٧٩؛ و العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٧٢، عن ابي جعفر عليه السلام و فيهما: «هُمْ شرُّ خلق الله».
٢ـ نكيتُ في العدوّ نكايةً: إذا اكثرتَ فيهم الجراح القتل. مجمع البحرين ١: ٤٢١ (نكا).

يتقوّىٰ به في الحرب. قال: «القوّة: الرّمي»[١]. و في رواية: «سيف و تُرْس»[٢]. و في أُخرى: «منه الخضاب بالسّواد»[٣]. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾. الرِّباطُ اسم للخيل الّتي تُربَطُ في سبيل الله. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: كفّار مكّة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: من غيرهم من الكفرة ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لاتعرفونهم بأعيانهم، لأنّهم يصلّون و يصومون ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: يعرفهم، لأنّه المُطَّلع على الأسرار ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ بتضييع العمل أو نقص الثّواب.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾: مالوا إلى الصّلح و الاستسلام ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ و عاهد معهم؛ و تأنيث الضّمير لحملها على نقيضها الّذي هي الحرب. سئل: ما السّلم؟ قال: «الدّخول في أمرنا»[٤]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ و لاتخف من خديعتهم و مكرهم، فإنّ الله عاصمك و كافيك منهم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ في الصّلح بأن يقصدوا به دفع أصحابك عن[٥] القتال؛ حتّى يقْوىٰ أمْرُهم، فيبْدؤكم به من غير استعداد منكم. قال: «إنّ هؤلاء قوم كانوا معه من قريش»[٦]. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: «هم الأنصار و هم الأوْسُ و الخَزْرَجُ، كان بينهما حرب شديد و عداوة في الجاهليّة، فألّف الله بين قلوبهم و نصر بهم نبيّه»[٧]. ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لتناهي عداوتهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤ : ٥٥٥؛ و الكافي ٥ : ٥٠، الحديث: ١٢، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢ : ٦٦، الحديث: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ من لايحضره الفقيه ٥ : ٧٠، الحديث: ٢٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ١ : ٤١٥، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «من القتال».
٦و٧ـ القمّي ١ : ٢٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

بالاسلام بقدرته البالغة، فإنّه مالك القلوب يقلّبها كيف يشاء ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالغ في حثّهم ﴿عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾. وعَدَهُمْ بأنّهم إن صبروا غَلَبُوا عشرةَ أمثالهم بتأييد الله، بسبب أنّ الكفّارَ جَهَلَةٌ بالله واليوم الآخر، يُقاتِلون على غير احتساب ثواب، و لايثبتون ثباتَ المؤمنين الرّاجين لعوالي الدّرجات.

﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. هذه الآية ناسخةٌ لما قبلها. قال: «نسخ الرّجلان العشرة»[1]. و ورد: «من فرّ من رجلين في القتال من الزّحف فقد فرّ من الزّحف، و من فرّ من ثلاثة رجال في القتال من الزّحف فلم يفرّ»[2].

قيل: كان فيهم قلّة أوّلاً، فأُمروا بذلك، ثمّ لمّا كثُروا خفّف عنهم[3].

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: يُكثِرَ القتلَ و يبالغ فيه، حتّى يَذِلَّ الكفرُ و يقلّ حزبُه و يَعِزَّ الاسلامُ و يستولي أهلُه؛ من أثْخَنَهُ المرضُ: إذا أثقَلَهُ. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: حُطامَها بأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: يريد لكم ثواب الآخرة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يغلب أولياءَه على أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ يعلم ما يليق بحال كلٍّ منهما.

القمّي: إنّ النّبيّ ﷺ لمّا قتل جماعةً من أسْرَىٰ رؤساء قريش ببدر خافت الأنصارُ أن يقتل الأُسارىٰ كُلّهم، فقاموا إليه و قالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين و أسرنا سبعين، وهم قومك و أُساراك هَبْهُم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلقهم، فأنزل الله

١ـ الكافي ٥: ٦٩، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ العيّاشي ٢: ٦٨، الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ البيضاوي ٣: ٥٦.

عليهم: "ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتّى يثخن في الأرض" الآية[١].

﴿لَوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: حكم منه سبق إثباته في اللّوح المحفوظ بإباحة الغنائم لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾: لنالكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾: فيما استحللتم قبل الإباحة من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مخالفته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ أباح لكم ما أخذتم. ورد: «إنّه لمّا نزلت هذه الآية أطلق لهم رسول الله ﷺ أن يأخذوا الفداء و يطلقوهم، و شرط أن يُقتَلَ منهم في عامٍ قابلٍ بعدد من أخذُوا منهم الفداءَ، فرضُوا منه بذلك»[٢]. و قد مضت القصّة في آل عمران[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: خلوصَ عقيدةٍ و صحّةَ نيّةٍ في الأيمان ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال: «نزلت في العبّاس و عقيل و نَوْفَل»[٤]. و ورد: «إنّ النّبي ﷺ أُتي بمال دراهم، فقال: يا عبّاس ابسُطْ رداءَكَ و خذ من هذا المال طَرَفاً، فبسط رداءه فأخذ منه طائفةً، ثمّ قال رسول الله ﷺ: هذا من الّذي قال الله: "إنْ يعلمِ الله" الآية»[٥].

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ﴾: نقضَ ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالكفر ﴿مِن قَبْلُ﴾ القمّي: و إن يريدوا خيانتك في عليّ فقد خانوا الله فيك من قبل[٦]. ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: فأمْكنَكَ منهم يوم بدر، فإن أعادوا الخيانةَ فسيُمكِنُ منهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾: فارقوا أوطانهم و قومهم حبّاً لله و لرسوله، و هم

١ـ القمّي ١: ٢٧٠.
٢ـ المصدر: ٢٧٠ و ١٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في ذيل الآية: ١٦٥.
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٢، الحديث: ٢٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ قرب الإسناد: ٢١، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ٦٩، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٦٩.

المهاجرون من مكّة إلى المدنية ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ فصرفوها ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ فبذلوها ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ آووْهُم إلى ديارهم، و نصروهم على أعدائهم، و هم الانصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖ﴾: يتولّىٰ بعضهم بعضاً في الميراث. ورد: «كان المهاجرون و الأنصار يتوارثون بالمؤاخاة الأُولى دون الاقارب، حتّى نُسِخَ ذلك بقوله تعالى: "وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ [في كتاب الله][1]"»[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ أي: من تولّيهم في الميراث. ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ قيل: يعني الّذين لم يهاجروا منكم[3] ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ لهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهد فلا يجوز لكم نصركُم عليهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: لاتوالُوهم وإن كانوا أقاربَ ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: ما أُمرتُمْ به من التّواصل بينكم حتّى في الإرث، والتّقاطع بينكم و بين الكفّار ﴿تَكُن فِتْنَةٞ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾؛ لأنّ المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدةً على أهل الشّرك كان الشّركُ ظاهراً و تجرّأ أهلُه على أهل الإسلام و دعَوهم إلى الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ﴾ أي: اللاحقين بعدَ السّابقين. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾: من جملتكم أيّها المهاجرون و الأنصار، و حكمُهُم حكمكم في وجوب موالاتهم و نصرتهم وإن تأخّر إيمانهم و هجرتهم. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: وأولوا القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ﴾ بميراث بعضٍ؛ يعني من كان أقربَ إلى الميّت في

١ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥٦١، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٧٥.

٣ـ المصدر؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ٢١٠.

النّسب كان أولى بالميراث. و هو نسخٌ للتّوارث بالهجرة و النّصرة كما مرّ[١]. ﴿فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾: في حكمه المكتوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾. ورد: «كان عليّ صلوات الله عليه إذا مات مولىً له و ترك قرابته، لم يأخذ من ميراثه شيئاً، و يتلو هذه الآية»[٢].



١ـ ذيل الآية: ٧٢ من نفس السّورة.
٢ـ الكافي ٧: ١٣٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «ترك ذا قرابة».

سورة التّوبة

[مدنيّة، و هي مائة و تسع و عشرون آيَة][1]

ورد: «لم يَنْزِلْ بسم الله الرّحمن الرّحيم على رأس سورة براءَة، لأنّ "بسم الله" للأمان و الرّحمة، و نزلت براءة لدفع الأمان و السيّف»[2]. و في رواية: «الأنفال و براءة سورة واحدة»[3].

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: هذه براءة من العهد الّذي عاهدتم به المشركين. «إن قيل: كيف يجوز أن يَنْقُضَ النّبيّ ﷺ العهدَ؟ أُجيب بوجهين: أحدهما: أنّه كان مشروطاً بأن لايَرْفَعَهُ الله بالوحي. و الثّاني: أنّهم قد نَقَضُوا، أو هَمُّوا بذلك». كذا ورد[4].

﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾. خطاب للمشركين و أمان لهم إلى هذه المدّة. قال: «أجّل الله المشركين الّذين حجّوا تلك السّنة أربعةَ أشهر حتّى يرجعوا إلى مأمنهم ثمّ يُقْتَلُون حيث وُجِدُوا»[5]. و في رواية: «من كانت لعهده مدّة فهو إلى مدّته، و من

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٢، عن امير المؤمنين ﷺ، وفيه: «ونزلت براءة لرفع الامان بالسيف».

٣ـ العيّاشي ٢: ٧٣، الحديث: ٣، عن أحدهما عليهما السّلام، و فيه: «الأنفال و سورة براءة واحدة».

٤ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٢ـ٣.

٥ـ القمّي ١: ٢٨٢، عن أبي الحسن الرّضا، عن عليّ عليهما السّلام.

لم تكن له مدّة فمدّته أربعةُ أشهرٍ»[١]. ورد: «إنّ رسـول الله ﷺ بعث ابابكر مع براءة إلى المَوْسِم ليقرأها على النّاس، فنزل جبرئيل فقال: لا يبلغ عنك إلاّ عليّ، فدعا عليّاً عليه السلام فامره أن يركب ناقته العَضْباء[٢] و أن يلحق ابابكر فياخذ منه البراءة و يقرأها على النّاس بمكّة، قال: فقرأها عليهم و قال: لايطوف بالبيت عريانٌ و لاعريانةٌ و لامشرك إلاّ من كان له عهد عند رسول الله ﷺ، فمدّته إلى هذه الأربعة أشهرٍ»[٣]. و في رواية أُخرى: «و من لا عهد له فله بقيّة الأشهر الحرم»[٤]. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: لاتفوتونه و إن أمهلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾: مُذِلُّهم بالقتل و الأسْر في الدّنيا، و العذاب في الآخرة.

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ إيذان و إعلام، كالعطاء بمعنى الإعطاء. ورد: «الاذان: أمير المؤمنين عليه السلام»[٥]. ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ قال: «هو يوم النَّحْر، والأصغر: العُمْرَةُ»[٦]. و في رواية: «الحجّ الاكبر: الوقوف بعرفةَ و جَمْعٍ و رميُ الجِمار، والحجّ الاصغر: العمرة»[٧]. و في أُخرى: «سمّي الاكبر لأنّها كانت سنةً حجّ فيها المسلمون و المشركون، و لم يحجّ المشركون بعد تلك السّنة»[٨].

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: بأنّ الله ﴿بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾. عطف على الضّمير في

١ـ العيّاشي ٢: ٧٤، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه «من كانت له مدّة».
٢ـ العَضْباءُ: النّاقةُ المشقوقةُ الأُذُن و لقب ناقة رسول الله ﷺ. القاموس المحيط ١: ١٠٩ (عضب).
٣ـ العيّاشي ٢: ٧٣، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٨٢، عن علي بن الحسين عليهما السّلام.
٦ـ الكافي ٤: ٢٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٧٦، الحديث: ١٧؛ والكافي ٤: ٢٦٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. و ليست في الكافي كلمة: «جَمْع» و هو ـ بالفتح فالسّكون ـ المشعر الحرام، و هو أقرب الموقفين إلى مكّة المشرّفة و منه حديث آدم عليه السلام: ثُمّ انتهى إلى جمع فَجَمَعَ فيها بين المغرب و العشاء. قيل: سمّيَ به لأنّ النّاس يجتمعون فيه و يزدلفون إلى الله تعالى، أي: يتقرّبون إليه بالعبادة و الخير و الطّاعة. و قيل: لأنّ آدم اجتمع فيها مع حوّاء فازدلف و دنامنها. و قيل: لأنّه يُجْمَعُ فيه المغرب و العشاء. مجمع البحرين ٤: ٣١٥ (جمع).
٨ـ علل الشّرايع ٢: ٤٤٢، الباب: ١٨٨، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

"بريء" و لاتكرير فيه، لأنّ الأوّل كان إخباراً بثبوت البراءة، و هذا إخبار بإعلامها الناسَ. ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن التوبة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ﴾: غيرُ سابقين الله، و لافائتين بأسه و عذابه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾. استثناء ﴿مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ واستدراك ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ من شروط العهد، و لم ينكثوا و لم يقتلوا منكم، و لم يضرّوكم قطّ ﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ﴾: ولم يُعاونوا ﴿عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا﴾ من أعدائكم ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: انقضى ﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها. ورد: «هي يوم النّحر إلى عشرٍ مضين من ربيع الآخر»[1]. ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الناكثين ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ من حِلّ و حرَم ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ وأسروهم، والأخذ: الأسير. ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾: واحبسوهم و حيلوا بينهم و بين المسجد الحرام ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾: كلَّ ممرٍّ و طريقٍ ترصُدُونَهم به، لئلاّ يبسطوا في البلاد ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ عن الشرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾: استأمنك و طلب منك جوارك ﴿فَأَجِرۡهُ﴾: فأمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ و يتدبّره و يطّلعَ على حقيقة الأمر، فإنّ معظمَ الأدلّة فيه ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ إن لم يُسلِمْ. القمّي: اقرأ عليه و عرّفه، ثمّ لاتتعرَّضْ له حتّى يرجعَ إلى مأمنه[2]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ما الإيمانُ و ما حقيقة ما تدعوهم إليه، فلابدّ من أمانهم حتّى يسمعوا و يتدبّروا.

١ـ العيّاشي ٢: ٧٧، الحديث: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٨٣.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ مع إضمارهم الغَدْرَ والنَّكْثَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ﴾ منهم ﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولم يَظْهرْ منهم نَكْثٌ فتربّصوا أمرهم ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ على العهد ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يَظْفَرُوا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾: لا يُراعوا فيكم ﴿إِلًّا﴾: قَرابَةً او حِلْفاً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهداً أوحقاً ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بوعد الإيمان و الطّاعة و الوفاءبالعهد ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾: مُتَمَرِّدُون، لاعقيدة تَزَعُهُم[١] و لامروّة تَرْدَعُهُمْ؛ وإنّما خصّ الأكثر لما يُوجد في بعضهم من التَّعَفُّفِ عمّا يَثْلِمُ العِرْضَ، والتّفادي[٢] عن الغَدْرِ.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهو اتّباع الاهواء و الشّهوات ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾: فَعَدَلُوا عنه و صرفُوا غيرهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾. وُضِعَ الظّاهرُ موضعَ المضمر، إشعاراً بأنّهم صاروا بذلك ذوي الرّياسة و التّقدّم في الكفر أحقّاءَ بالقتل. ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ على الحقيقة، وإلّا لما طعنوا ولم ينكثوا. و ورد: بكسر الهمزة[٣]. يعني لاعبرة بما أظهروه من الإيمان. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ أي: ليكن غرضكم[٤] في المقاتلة أن ينتهوا عمّا هم عليه، لا إيصال الأذيّة بهم؛ كما هو طريقة المؤذين، و هذا

١ـ الوَزْعُ: الكفّ، و وَزَعْتُه عن الأمر: مَنَعْتُهُ عنه و حَبَسْتُهُ. القاموس المحيط ٣: ٩٦؛ والمصباح المنير ٢: ٣٧٧ (وزع).
٢ـ تَفَادَىٰ فُلان من كذا: إذا تَحاماه و انزَوَى عنه. الصّحاح ٦: ٢٤٥٣ (فدى).
٣ـ راجع: مجمع البيان ٥ـ٦: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «ألف»: «غَرَضُهُم» و هو تصحيف.

من غاية كرم الله وفضله. ورد: «نزلت في أصحاب الجمَلِ في أخبار كثيرة»[1]. و ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عذرَني اللهُ من طلحة والزّبير، بايعاني طائعَيْنِ غير مكرهَيْنِ ثمّ نكثا بيعتي من غير حَدَثٍ أحدثتُه؛ والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتّى قاتلتهم: "وإن نكثوا" الآية»[2].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ الّتي حلفوها مع الرّسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين، على ان لايُعاوِنوا عليهم فعاونوا ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ حين تشاوروا في أمره بدار النَّدْوَة كما سبق ذكره[3]. ﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ بالمعاداة والمُقاتلة ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ لما لَقُوا منهم من المكروه، و قد انجز الله هذه المواعيدَ كلَّها؛ و الآية من دلائل النبوّة. ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾. إخبار بانّ بعضَهم يتوب عن كفره؛ وقد كان ذلك أيضاً. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ﴾: بِطانَةً[4] يُوالونَهُم و يُفْشُون إليهم أسرارهم. يعني: لاتُتْركُونَ على ما انتم عليه ولم يتبيّن المُخْلِصُون منكم. أراد بنفي العلم نَفْيَ المعلوم، و «لمّا» دلّت على انّه متوقّع. قال: «يعني بالمؤمنين آل محمّد عليهم السّلام، والوليجة: البِطانَة»[5]. و في رواية: «الوليجة: الّذي يُقام دونَ وليّ الأمر، والمؤمنون في هذا

١ـ أنظر: القمّي ١: ٢٨٣؛ ومجمع البيان ٥ـ ٦: ١١؛ و العيّاشي ٢: ٧٨، الحديث: ٢٣و٢٥.
٢ـ العيّاشي ٢: ٧٩، الحديث: ٢٨.
٣ـ في ذيل الآية: ٣٠ من سورة الأنفال.
٤ـ بطانَةُ الرَّجُلِ: دُخَلاؤُه و أهلُ سرِّه ممّن يسكُنُ إليهم و يثِقُ بمَوَدَّتهم. مجمع البحرين ٦: ٢١٤ (بطن).
٥ـ القمّي ١: ٢٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الموضع هم الأئمّة الّذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم»[١] . ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ : شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ : بإظهار الشّرك و نصب الأصنام حول البيت .

رُوي: «انّ المسلمين عيّروا أُسارى بَدْر، و وبّخ عليّ عليه السلام العبّاسَ بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وقطيعة الرّحم، فقال العبّاس: تذكرون مساوِينا و تكتمون محاسنَنا، فقالوا: أوَ لكم محاسن؟ قالوا: نعم، إنّما نعمر المسجد الحرام، و نَحْجُبُ الكعبةَ، و نَسْقي الحجيج، ونَفُكُّ العاني[٢]، فنزلت»[٣] . ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الّتي هي العمارة و السّقاية والحجابة و فكُّ العُناةِ، الّتي يفتخرون بها بما قارنها من الشّرك ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ .

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ : إنّما يستقيم عمارتُها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلميّة و العمليّة؛ والعمارةُ يتناول بناءَها، ورَمَّ ما استَرَمَّ منها، و كَنْسَها و تَنْظيفَها و تنويرَها بالسُّرُج[٤]، وزيارتها للعبادة و الذِّكر و درسِ العلم، و صيانتَها عمّا[٥] لم تُبْنَ له كحديث الدّنيا. ورد: «إنّ بيوتي في الارض المساجدُ، و إنّ زوّاري فيها عُمّارها، فطوبى لعبد تَطَهَّرَ في بيته ثم زارني في بيتي، فحقٌّ على المزور ان يُكْرِمَ زائره»[٦] . ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ .

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . في قراءتهم عليهم

١ـ الكافي ١ : ٥٠٨، الحديث: ٩، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام .
٢ـ العاني : الأسير . القاموس المحيط ٤ : ٣٦٩ (عنا) .
٣ـ جوامع الجامع ٢ : ٤٤؛ و البيضاوي ٣ : ٦٣؛ و الكشّاف ٢ : ١٧٩، مع تفاوت يسير .
٤ ـ في «الف»: «بالسّراج» .
٥ـ في «ب» و «ج»: «مما» .
٦ـ من لايحضره الفقيه ١ : ١٥٤، الحديث: ٧٢١، مع اختلاف؛ والبيضاوي ٣ : ٦٣؛ والكشّاف ٢ : ١٧٩ .

السّلام: «سقاة الحاجّ و عمرة المسجد الحرام»[1]. قال: «نزلت في عليّ و العبّاس وشيبة، قال العبّاس: أنا أفضل لأنّ سقاية الحاجّ بيدي. وقال شيبة: أنا أفضل لأنّ حجابة البيت بيدي. و قال عليّ: أنا أفضل فإنّي آمنت قبلكما، ثمّ هاجرتُ و جاهدتُ. فرضوا برسول الله ﷺ، فانزل الله»[2]. و في رواية: «ضمّ بعليّ: حمزة و جعفر»[3].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾: اختاروه عليه. قال: «نزلت في حاطب بن ابي بلتعة، حيث كتب إلى قريش بخبر النّبيّ ﷺ لمّا اراد فتح مكّة»[4]. و في رواية: «الكفر في الباطن في هذه الآية ولاية الاوّل والثّاني، والإيمان ولاية عليّ بن ابي طالب عليه السلام»[5]. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: اقرباؤكم ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: بعقوبته ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. القمّي: لمّا اذن امير المؤمنين عليه السلام بمكّة: أن لايدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام، جزعت قريش جزعاً شديداً و قالوا: ذهبت تجارتنا وضاع

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٢٨٤، عن ابي جعفر عليه السلام، مع زيادة «حمزة».
٣ ـ الكافي ٨: ٢٠٣، الحديث: ٢٤٥، عن أحدهما عليهما السّلام.
٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

عيالنا و خربت دورنا، فنزلت[1].

أقول: في الآية تشديدٌ عظيمٌ، و قلَّ من يتخلّص منه. و ورد: «لايجد أحدكم طعم الإيمان حتّى يُحِبَّ في الله و يبغض في الله»[2].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ يعني: مواطن الحرب و هي مواقعها ومواقفها. ورد: «إنّها كانت ثمانين»[3]. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ و هو واد بين مكّة و الطّائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾. قيل: لمّا التقوا قال رجل من المسلمين: لن نُغْلَبَ اليومَ من قلّة، فساءت مقالتُه رسولَ الله ﷺ[4]. و ورد: «إنّه كان أبابكر»[5]. ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ الكثْرةُ ﴿شَيْئًا﴾ من الغِنىٰ لما أدركتكم كلمة الإعجاب. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: بِسعَتِها، لاتجدون فيها مفرّاً تطمئنّ إليه نفوسكم من شدّة الرّعب ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. سئل: ما السّكينة؟ فقال: «ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، أطيب ريحاً من المسْك، و هي الّتي أنزلها الله على رسول الله ﷺ بحُنَين فهزم المشركين»[6]. و في رواية: «فتكون مع الأنبياء»[7].

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «هو القتل»[8]. يعني العذاب. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٢٨٤.
٢ـ الكشّاف ٢: ١٨٠، عن النّبيّ ﷺ و تراه أيضاً في جوامع الجامع ٢: ٤٥.
٣ـ معاني الأخبار: ٢١٨، باب معنى الكثير من المال، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧؛ و القمّي ١: ٢٨٥، عن ابي الحسن الثّالث عليه السلام.
٤ـ جوامع الجامع ٢: ٤٦.
٥ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٤٦؛ و العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٨، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و التّفسير الكبير ١٦: ٢١.
٦ـ الكافي ٥: ٢٥٧، ذيل الحديث: ٣، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٩، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ـ القمّي ١: ٢٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.

القمّي: كان سبب غَزْوَة حُنين: أنّه لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى فتح مكّة اظهر انّه يُريد هوازنَ [١]، و بلغ الخبرُ هَوازِنَ، فتهيّئوا و جمعوا الجُموعَ والسّلاحَ، و ساقوا معهم أموالَهم و نساءَهم و ذراريهم، و مرّوا حتّى نزلوا بأوطاس [٢]، فبلغ رسول الله ﷺ اجتماعهم بأوطاس، فجمع القبائل و رغّبهم في الجهاد و وعدهم النّصر، و أنّ الله قد وعده أن يُغْنِمَه أموالَهم و نساءَهم و ذراريهم، فرغب النّاس و خرجوا على راياتهم، وعقد اللّواءَ الأكبر و دفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام و خرج في اثنَي عشر ألف رجل [٣].

ورد: «فلمّا صلّى الغداة انحدر في وادي حُنين، و هو واد له انحدار بعيد، و كانت بَنُو سُلَيْم [٤] على مُقَدَّمَته، فخرج عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحية، فانهزمت بَنُو سُلَيْم وانهزم مَنْ وراءَهُمْ و لم يبق أحد إلاّ انهزم، و بقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل، فاقبل رسول الله ﷺ ينادي: يا معشرَ الأنصار! أين؟ [٥] إليَّ و أنا رسول الله [٦]، فلم يَلْوِ [٧] احدٌ عليه فركض نحو عليّ [٨] عليه السلام بغلَتَه، فقد شهر [٩] سيفه، فقال: يا عبّاس اصعد هذا الظَّرِبَ [١٠] و ناد: يا أصحاب البقرة و يا أصحاب الشَّجَرة، إلى أين تفرّون؟! هذا رسول الله ﷺ، ثمّ رفع يده فقال: «اللّهُمَّ لكَ الحَمْدُ و إليكَ المُشتكى و أنتَ المُستعانُ».

١ـ هوازن قبيلةٌ من قيس بن عيّلان، من العدنانيّة و هم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عيّلان. كانوا يقطنون في نجد ممّا يلي اليمن؛ و من أوديتهم: حُنَين. راجعْ: معجم قبائل العرب ٣: ١٢٣١.

٢ـ أوْطاس: واد في ديار هوازن. معجم البلدان ١: ٢٨١.

٣ـ القمّي ١: ٢٨٥ و ٢٨٦.

٤ـ بنو سُلَيْم: قبيلة عظيمة من قيس بن عيّلان من العدنانيّة تنتسب إلى سُلَيم بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيّلان. معجم قبائل العرب ٢: ٥٤٣.

٥ـ في المصدر: «إلى أين المفرّ؟ ألا أنا رسول الله».

٦ـ في «الف» و «ج»: «إليّ أنا رسول الله».

٧ـ في «المصباح المنير ٢: ٢٥٦ ـ لوى»: لا يَلْوي عَلى أحَد اي: لا يَقِفُ و لاينتظر، و في «المفردات: ٤٧٧ـ لوى»: فلانٌ لايَلْوي على احد: إذا أمْعَنَ في الهزيمة.

٨ـ في «ج»: «نحو العبّاس».

٩ـ في «الف»: «وقد شهر»؛ وفي «ج»: «وهو شهر».

١٠ـ الظَّرِب: ما نَتأ من الحجارة و حدَّ طَرَفه، او الجبل المنبسط او الصّغير. القاموس المحيط ١: ١٠٣ (ظرب).

فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال: دعوتَ بما دعا به موسىٰ، حيث فلق الله له البحر و نجّاه من فرعون، ثمّ أخذ كفّاً من حصىٰ فرماه في وجوه المشركين ثمّ قال: «شاهت الوُجُوه». ثمّ رفع رأسه إلى السّماء و قال: اَللّهمّ إنْ تهلكْ هٰذه العصابةُ لم تُعبَدْ، و إنْ شئتَ أنْ لاتُعبَدَ لاتُعبَدُ. فلمّا سمعت الأنصارُ نداء العبّاس عطفوا و كسروا جفون سيوفهم، وهم يقولون: «لبّيك». و مرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله و استحيوا أن يرجعُوا إليه، و لَحقُوا بالرّاية، و نزل النّصر من السّماء و انهزمت هَوازنُ، و كانوا يسمعون قعقعةَ السّلاحِ في الجوّ، وانهزموا في كلّ وجه، و غَنَّمَ اللهُ رسولَه صلى الله عليه وآله أموالَهم و نساءَهم و ذراريهم»[1].

هذا ملخّص القصّة.

و ورد: «إنّه قال رجل من المشركين للمؤمنين و هو أسير في أيديهم: أين الخيل البُلْق[2] و الرّجال عليهم الثّياب البيض؟ فإنّما كان قتلنا بأيديهم، و ما كنّا نراكم فيه إلّا كهيئة الشّامة[3]. قالوا: تلك الملائكة»[4].

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ منهم بالتّوفيق للإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عنهم و يتفضّل عليهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لِخُبْث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقراً بسبب منعهم من الحرم، و انقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب و المنافع ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾. قيّده بالمشيّة، لينقطع الآمال إلى الله تعالى، و لينبّه على أنّه متفضّل في ذلك و انّ الغنَى الموعود يكون لبعض دون بعض، و في عام دون عام، و قد أنجز وعده بأن أرسل السّماءَ

١ـ القمّي ١ : ٢٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ البُلْق جمع الأبْلَق: الّذي فيه سواد و بياضٌ. اقرب الموارد ١ : ٦٠ (بلق).
٣ـ الشّامَة: أثرٌ أسود في البدن، يقال لها: الخال؛ وأثر أسود في الأرض «اقرب الموارد ١ : ٦٢٧ ـ شيم» كأنّه اراد بذلك قلّتهم و كثرة الملائكة.
٤ـ القمّي ١ : ٢٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.

عليهم مِدْراراً، و وفّق طائفةً من أهل يمن للإسلام، فحملوا الطّعام إلى مكّة ثمّ فتح عليهم البلاد و الغنائم، و توجّه إليهم النّاسُ من اقطار الأرض. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾: ما يُقرَّرُ عليهم أن يُعْطُوه؛ من جزىٰ دَيْنَه: إذا قضاه. ﴿عَن يَدٍ﴾ مُواتِيَة[1] غير مُمتَنِعَة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: اذلاء؛ يعني: تُؤْخَذُ منهم على الصَّغار و الذُّلّ. قال: «حتّى يجد ذُلّاً لما أخِذَ منه، فيألَمَ لذلك، فيُسْلِمَ»[2].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ إنّما قال ذلك بعضهم و لم يقله كلّهم. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ طالبهم فيه بالحجّة، فقالوا: لأنّه أحيا لبني إسرائيل التّوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلّا لأنّه ابنه، فقال ﷺ: كيف صار عزير ابن الله دون موسى و هو الّذي جاءهم بالتّوراة و رأوا منه من المعجزات ما قد علمتم؟ فإن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه من إحياء التّوراة، فلقد كان موسى بالنّبوّة أحقّ و أولى»[3].

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ و هو أيضاً قول بعضهم. ورد: «إنّه ﷺ طالبهم فيه[4] بالحجّة، فقالوا: إنّ الله لمّا اظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما اظهر، فقد اتّخذه ولداً على وجه الكرامة، فقال لهم رسول الله ﷺ: فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الّذي ذكرتموه، ثمّ أعاد ذلك كلّه فسكتوا»[5]. ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾:

١ـ المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة. وأصله الهمزة: «المؤاتاة» وخفّف وكثر حتّى صار يقال بالواو الخالصة. مجمع البحرين ٢: ٢١ (أتا).
٢ـ القمّي ١: ٢٨٨؛ والكافي ٣: ٥٦٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؑ.
٣ـ الاحتجاج ١: ١٧، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ لم ترد كلمة: «فيه» في «الف» و «ج».
٥ـ الاحتجاج ١: ١٨، عن أبي عبدالله ؑ.

لم يأتهم به كتاب و ما لهم به حجة ﴿يُضَاهِئُونَ﴾: يضاهي[١] قولهم ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ كالقائلين بأنّ الملائكة بنات الله ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ قال: «لعنهم الله، فسمّي اللّعنة قتالاً»[٢]. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصرَفُونَ عن الحقّ.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾: علماءهم ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾: عبّادهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ بأن أطاعوهم في تحريم ما أحلّ الله و تحليل ما حرّم الله. قال: «أما والله ما دعَوهم إلى عبادة أنفسهم، و لو دعَوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لايشعرون»[٣]. ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ بأن أهّلوه للعبادة.

قال: «أمّا المسيح فعصَوه و عظّمُوه في انفسهم حتّى زعموا أنّه إلهٌ، و أنّه ابن الله، و طائفة منهم قالوا: ثالثُ ثلاثة، و طائفة منهم قالوا: هو الله. و أمّا أحبارُهم و رهبانُهم فإنّهم أطاعوا[٤] و أخذوا بقولهم، واتّبعوا ما أمَرُوهم به و دانوا بما دَعَوْهُم إليه، فاتّخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم، و تركهم أمر الله و كتبه و رسله، فنبذوه و راء ظهورهم. قال: وإنّما ذُكِرَ هذا في كتابنا لكي نتعظ بهم»[٥]. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾: ليُطيعوا ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ و هو الله تعالى، و أمّا طاعة الرّسل و أوصيائهم فهي في الحقيقة طاعة الله لأنّهم عن الله يامرون و ينهون. ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بشركهم و تكذيبهم ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ بإعلاء التّوحيد و إعزاز الإسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليظهر دين

١ـ ضاهاهُ: شاكَلَهُ. القاموس المحيط ٤: ٣٥٨ (ضهى).
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٤٨ و الكافي ٢: ٣٩٨، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي: «فكانوا يعبدونهم من حيث لايشعرون».
٤ ـ في المصدر: «أطاعوهم».
٥ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

الحقّ على ساير الاديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. قال: «ذلك يكون عند خروج المهديّ من آل محمّد ـ عليهم السّلام ـ، فلا يبقى أحد إلاّ أقرّ بمحمّد ﷺ»[1]. و قال: «والله ما نزل تأويلها بعد، و لا يَنْزِلُ تأويلُها حتّى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافرٌ بالله العظيم و لا مشركٌ بالإمام إلاّ كره خروجَه، حتّى لو كان كافر أو مشركٌ في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن! في بطني كافرٌ، فَاكْسِرْني واقتله»[2]. و في رواية: «هو الّذي أمر رسوله بالولاية لوصيّه؛ والولاية هي دين الحقّ، ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام والله متمّ ولاية القائم عليه السلام ولو كره الكافرون بولاية عليّ عليه السلام. قيل: هذا تنزيل؟. قال: نعم، هذا الحرف تنزيل، و أمّا غيره فتأويل»[3]. وفي رواية: «ليظهره الله في الرّجعة»[4].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾: يأخذونها من الحرام بالرُّشى في الأحكام و تخفيف الشّرايع للعوامّ ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بإخراج الحقوق ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو الكيّ[5] بهما، المستوعب للبدن كُلّه.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾: على الكنوز ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ يعني يقال لهم: هذا ما كنزتم لانتفاع أنفسكم، و كان سببَ تعذيبها، فذوقوا وباله. ورد: «لمّا نزلت، قال النّبيّ ﷺ: تبّاً للذّهب، تبّاً للفضّة؛ يكرّرها ثلاثاً، فشقّ ذلك على أصحابه، فسأله عمر: أيّ المال نتّخذ؟ فقال: لساناً ذاكراً و قلباً شاكراً و زوجةً مؤمنةً تُعِينُ أحدكم على دينه»[6]. و قال:

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ كمال الدّين ٢: ٦٧٠، الباب: ٥٨، الحديث: ١٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٣٢، الحديث: ٩١، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ كَواهُ يكويه كيّاً: أحرَقَ جلدَه بحديدة ونحوها. القاموس المحيط ٤: ٣٨٦ (كوى).
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦.

«الدّينار و الدّرهم أهْلَكَا من كان قبلكم و هما مُهْلِكاكم»[١]. و ورد: «إنّ الله حرّم كنز الذّهب و الفضّة و أمر بإنفاقه في سبيل الله»[٢].

قال: «كان أبوذرّ الغفاريّ يَغْدُو كلّ يوم و هو بالشّام، فينادي بأعلى صوته: بُشِّرَ أهلُ الكنوز بكَيٍّ في الجِباه و كَيٍّ في الجنوب[٣] و كَيٍّ بالظّهور[٤] أبداً، حتّى يتردّد الحَرُّ في أجوافهم»[٥]. و ورد أيضاً: «إنّما أعطاكم الله هذه الفضولَ من الأموال لِتُوجِّهُوها حيث وجّهها الله، و لم يُعْطِكُموها لتكنزوها»[٦]. و في رواية: «موسّع على شيعتنا أن ينفقوا ممّا في أيديهم بالمعروف، فإذا قام قائمنا حرّم على كلّ ذي كنز كنزَه، حتّى يأتِيَهُ به، فيستعين به على عدوّه؛ و هو قول الله عزّوجلّ: "والّذين يكنزون" الآية»[٧]. و في أُخرى: «إنّما عنى بذلك ما جاوز ألْفَيْ درهم»[٨]. و في أُخرى: «ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز؛ أدّى زكاتَه أو لم يُؤَدِّ، و ما دونهما فهي نفقة»[٩]. و سئل: في كم تجب الزّكاة من المال؟ فقال: «الزّكاة الظّاهرة أم الباطنة تريد؟» فقيل[١٠]: أُريدهما جميعاً. فقال: «أمّا الظّاهرة ففي كلّ ألفٍ خمسة وعشرون، و أمّا الباطنة فلا تستأثر[١١] على أخيك بما هو أحوج إليه منك»[١٢].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: فيما كتبه و أثبته عنده ورآه حكمةً و صواباً ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: مُذْخلق الأجسامَ والأزمنة ﴿مِنْهَآ

١ـ الخصال ١: ٤٣، الحديث: ٣٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٢و٥ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ب» و «ج»: «بالجنوب».
٤ـ في المصدر: «في الظّهور».
٦ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣١، الحديث: ١٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكافي ٤: ٦١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
١٠ـ في «الف» و المصدر: «فقال».
١١ـ رجل يستأثر على أصحابه أي: يختار لنفسه أشياء حسنة. القاموس المحيط ١: ٣٧٥ (اثر).
١٢ـ الكافي ٣: ٥٠٠، الحدث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يحرم فيها القتالُ؛ ثلاثةٌ سَرْدٌ[1]، و هي: ذوالقعدة و ذوالحجّة والمحرّم، و واحدٌ فردٌ و هو رجب. ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي: تحريم الأشهر الأربعة هو الدّين القويم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بهتْك حرمتها و ارتكاب حرامها ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ قال: «جميعاً»[2]. ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾: تأخير حرمة الشّهر إلى شهر آخرَ. كانوا إذا جاء شهر حرام و هم محاربون أحلّوه و حرّموا مكانه شهراً آخر، حتّى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرّد العدد. و في قراءتهم عليهم السّلام: «النَّسْيُ»[3] كالرَّمْي. ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لأنّه تحريمُ ما أحلّ الله و تحليلُ ما حرّمه، فهو كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم. ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ضلالاً زايداً ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾. القمّي: كان سبب نزولها: انّ رجلاً من «كنانَة» كان يقف في الموسم فيقول: قد أحللتُ دماءَ المحلّين: ـ طَيّ و خَثْعَم ـ في شهر المحرّم و أنسأته، و حرّمْتُ بدلَه صفَرَ. فإذا كان العام المقبل يقول: قد أحللتُ صفَرَ و أنسأتُه و حرّمت بدلَه شهر المحرّم[4]. ﴿لِّيُوَاطِئُوا﴾: ليوافقوا[5] ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: عدّةَ الأربعة المحرّمة ﴿فَيُحِلُّوا﴾ بمواطأة العدّة ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من القتال ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾: خذلَهُم الله، حتّى حسبُوا قبيحَ أعمالهم حَسَناً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لعدم قبولهم الاهتداءَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ[6] إِلَى الْأَرْضِ﴾:

١ـ السَّرْدُ: تتابع بعض حلق الدّرع إلى بعض، يُقال: سَرَد فلانٌ الصّومَ: إذا والاه. مجمع البحرين ٣: ٦٨ (سرد).
٢ـ القمّي ١: ٢٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في مجمع البيان (٥ ـ ٦: ٢٨): قرأ ابوجعفر عليه السلام «النّسيّ» بالتّشديد من غير همز؛ و قرأ جعفر بن محمّد عليهما السّلام و الزّهري «النّسي» مخفّفاً في وزن الهُدَى بغير همز.
٤ـ القمّي ١: ٢٩٠.
٥ـ في «ب»: «ليَتوافقوا».
٦ـ اصله: «تثاقلتُم» فادغمت التّاء في الثّاء، ثُمّ ادخلتْ همزة الوَصل ليمكن الابتداء بها. مجمع البيان ٥ـ ٦: ٣٠.

تَباطأتُمْ، مخلّدين إلى أرضكم والإقامة بدياركم. قيل: ذلك[1] في غزوة تبوك في سنة عَشْرٍ، بعد رجوعهم من الطّائف، استنفروا في وقت قَحْطٍ و قَيْظٍ[2] مع بُعد الشُّقَّة[3] وكثرة العدوّ، فشقّ ذلك عليهم[4]. القمّي: و ذلك لمّا شاع بالمدينة انّ الرّوم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله ﷺ في عسكرٍ عظيم، و انّ هِرَقْل[5] قد سار في جنوده، و جلب معه القبائل، و قدموا البَلْقاء[6] فأمر رسول الله ﷺ بالتّهيّوء إلى تبوك ـ و هي من بلاد البَلْقاء ـ و بعث إلى القبائل حوله و إلى مكّة و إلى من أسلم من خُزاعةَ و مُزَيْنَةَ و جُهَيْنَةَ، و حثّهم على الجهاد، فقدمت القبائل، و قعد عنه قوم من المنافقين و غيرهم[7]. ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ و غرورها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾: [بدلها][8] ﴿فَمَا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: في جنبها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: مستحقر.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: فسينصره كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾: لم يكن معه إلّا رجل واحد ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: غار ثَوْر؛ وهو جبل في يُمْنىٰ مكّة على مسيرةِ ساعة. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ و هو أبوبكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾: لاتخف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بالعصمة و المعونة. ورد: «إنّ رسول الله ﷺ أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإنّ الله معنا، و قد أخذته الرِّعْدَةُ و هو لايَسْكُنُ، فلمّا

١ـ في «ج»: «قيل: كان ذلك»؛ وفي «الف»: «قال: كان ذلك».
٢ـ القَيْظ: صميم الصّيف من طلوع الثُّريّا إلى طلوع سهيل. يقال: قاظَ يومنا: إذا اشتدّ حرُّه. القاموس المحيط ٢: ٤١٢ (قيظ).
٣ـ الشُّقّة ـ بالضمّ و الكسر ـ: البُعد، والنّاحية يقصدها المسافر، و السّفر البعيد، والمشقّة. القاموس المحيط ٣: ٢٥٨؛ ومجمع البحرين ٥: ١٩٤ (شقق).
٤ـ البيضاوي ٣: ٦٨؛ والكشّاف ٢: ١٨٩.
٥ـ هِرَقْل ـ على وزن دِمَشْق ـ و هِرْقِلْ ـ وزان خِنْدِف ـ: إسم مَلك الرُّوم. القاموس المحيط ٤: ٦٩ (هرقل).
٦ـ البَلْقاء: كورة من أعمال دمشق بَين الشّام و وَادي القرىٰ. مَعجَم البلدان ١: ٤٨٩.
٧ـ القمّي: ١: ٢٩٠.
٨ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

رأى رسولُ الله ﷺ حالَه، قال له: تريد أن أُرِيك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون، و أُرِيك جعفر و أصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم. فمسح بيده على وجهه؛ فنظر إلى الأنصار يتحدّثون، و إلى جعفر و أصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك السّاعة أنّه ساحر»[١].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ :أمَنَتَهُ الّتي يسكن إليها القلوب ﴿عَلَيۡهِ﴾. في قِراءتهم عليهم السّلام: «على رسوله. قال: و هكذا تنزيلها»[٢]. و قال: «إنّهم يحتجّون علينا بقول الله تبارك و تعالى: "ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ" و مالهم في ذلك من حجّة؛ فوالله لقد قال الله: "فَأَنْزَلَ اللّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِه" و ما ذكره فيها بخير. قيل: هكذا تقرؤونها؟ قال: هكذا قراءتها»[٣]. ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ يعني الملائكة. قد سبق فيه كلام في تفسير: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا" من سورة الأنفال[٤]. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ قال: «هو الكلام الّذي تكلّم به عتيق»[٥].

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ القمّي: هو قول رسول الله[٦]. ويستفاد ممّا سبق أنّ كلمتهم ما كانوا يمكرون به من إثباته، أو قتله، أو إخراجه، و كلمة الله نصره و غلبتُه عليهم.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ القمّي: شَباباً و شيوخاً؛ يعني إلى غزوة تبوك[٧]. ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

١ـ الكافي ٨: ٢٦٢، الحديث: ٣٧٧، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام.
٢ـ المصدر: ٣٧٨، الحديث: ٥٧١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٨٨، الحديث: ٥٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ في ذيل الآية: ٣٠.
٥ـ العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٥٨،، عن أبي جعفر عليه السلام. والعتيق: لقب أبي بكر. القاموس المحيط ٣: ٢٧٠؛ والنّهاية ٣: ١٧٩ (عتق).
٦و٧ـ القمّي ١: ٢٩٠.

﴿ لَوْكَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ قال: «يقول: غنيمةً قريبةً»[١]. ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾: متوسّطاً ﴿ لَّاتَّبَعُوكَ ﴾: لوافقوك ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾: المسافة الّتي تقطع بمشقّة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: المتخلّفون، إذا رجعتَ من تبوك معتذرين ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾: يقولون: لو كان لنا استطاعةُ العُدَّة، أو البدن ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ و هذا إخبار بما سيقع قبل وقوعه. ﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ بإيقاعها في العذاب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾. قال: «كذّبهم الله في قولهم: "لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرجْنا مَعَكُمْ" و قد كانوا مستطيعين للخروج»[٢].

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في القعود حين استأذنوك واعتلّوا بالاكاذيب، و هلاّ توقّفت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال: «يقول: لتعْرِفَ أهلَ العذر[٣] والّذين جلسوا بغير عذر»[٤]. في الجوامع: و هذا من لطيف المعاتبَة، بداه بالعفو قبل العتاب، و يجوز العتاب من الله فيما غيرُه أولى[٥]، لاسيّما للأنبياء[٦]. و ورد: «إنّه ممّا نزل: بإيّاكِ أعني واسمعي يا جاره؛ خاطب الله بذلك نبيّه و أراد [به][٧] أُمّته»[٨].

﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ قيل: يعني ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، و إنَّ الخُلّصَ منهم يبادرون إليه و لايوقفون[٩] على الإذن فيه فضلاً [عن][١٠] أن يستأذنوا في التّخلّف عنه، إذ

١ـ القمّي ١: ٢٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ التّوحيد: ٣٥١، الباب: ٥٦، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أكْذَبَهُم الله».
٣ـ في المصدر: «أهل العُذْر».
٤ـ القمّي ١: ٢٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في المصدر: «فيما غيرُه منه أولىٰ».
٦ـ جوامع الجامع ٢: ٥٧.
٧ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٢، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٩ـ في المصدر: «لايتوقّفون»؛ وفي «ب» و «ج»: «ولايوافقونه».
١٠ـ مابين المعقوفتين من «ب».

ليس[1] من عادتهم أن يستأذنوك في التّخلّف، كراهة أن يجاهدوا[2]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلّف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيّرون. ورد: «من تردّد في الرّيب سبقه الأوّلون، و أدركه الآخرون، و وطأته[3] سنابك[4] الشّياطين»[5].

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أُهبة. قال: «يعني بالعُدَّة: النّيّة. يقول: لو كان لهم نيّة لخرجوا»[6]. ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾: نهوضهم للخروج إلى الغزو، لعلمه بأنّهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنّميمة بين المسلمين ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: بطّأهم وجبّنهم وكسّلهم و خذلهم ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: مع النّساء والصّبيان و هو إذن رسول الله ﷺ لهم في القعود، و في هذا دلالة على أنّ إذنه لم يكن قبيحاً، و إن كان الأولى أن لا يأذن لهم؛ ليظهر للنّاس نفاقهم.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: فساداً و شرّاً ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾: ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنّميمة، أو الهزيمة[7] ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم، والرّعب في قلوبكم، و إفساد نيّاتكم في غزوتكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: عيون نمّامون، يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو فيكم قوم يسمعون قولَ المنافقين؛ و يقبلونه و يطيعونهم؛ يريد من كان ضعيفَ الإيمان من المسلمين[8]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

١ـ في «ب» و «ج»: «أو ليس».
٢ـ البيضاوي ٣: ٦٩.
٣ـ في المصدر: «قطعته».
٤ـ سنابك جمع سُنْبُك ـ كقُنْفُذ ـ: ضربٌ من العَدْو و طَرَفُ الحافر. «القاموس المحيط ٣: ٣١٧» و هو كناية عن استيلاء الشّيطان.
٥ـ الخصال ١: ٢٣٣، ذيل الحديث: ٧٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في «الف»: «والهزيمة».
٨ـ جوامع الجامع ٢: ٥٩.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾: تَشْتيتَ شَمْلكَ و تفريقَ أصحابك ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني يوم أُحد، أو وُقُوفِهم على الثَّنِيَّةِ[1] ليلة العقبة؛ لِيَفْتِكُوا به[2]. ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: دبّروا لك الحِيَلَ و المكائد، واحتالوا في إبطال أمرك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ و هو تأييدك و نصرك ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: و غلب دينه و علا أهله ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ أي: علىٰ رغمٍ منهم.

والآيتان لتسلية رسول الله ﷺ والمؤمنين على تخلّفهم، و بيانِ ما ثبّطهم الله لأجله، وهتك أستارهم، و إزاحة اعتذارهم، تداركاً لما فات الرّسول ﷺ بالمبادرة إلى الإذن.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ في القعود ﴿وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾: و لاتوقعني في الفتنة، أي: العصيان والمخالفة، بأن لاتاذنَ لي، فإنّي إن تخلّفتُ بغير إذنك أثمتُ، أو في الفتنة بنساءِ الرّوم، كما يأتي ذكره. ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ أي: إنّ الفتنة هي الّتي سقطوا فيها، و هي فتنة التّخلّف و ظهور النّفاق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: بهم، لأنّ آثار إحاطتها بهم معهم، فكأنّهم في وسطها.

القمّي: لقي رسول الله ﷺ «الجدّ بن قَيْس» فقال له: يا أبا وهب! ألا تنفر معنا في هذا الغزوة؟ لعلّك أن تَحْتَفِدَ[3] من بنات الأصفر[4]. فقال: يا رسول الله، والله، إنّ قومي ليعلمون انّه ليس فيهم أحدٌ أشدَّ عُجْباً بالنّساء منّي، و أخاف إن خرجت معك أن لااصبرَ إذا رأيت بنات الأصفر، فلا تَفْتِنّي و ائذنْ لي أن أُقيمَ، و قال لجماعة من قومه: لاتخرجوا في الحرّ، فقال ابنه: تردّ على رسول الله ﷺ و تقول ما تقول، ثمّ تقول لقومك: لاتنفروا في الحرّ! والله لَيُنزِلَنَّ الله في هذا قرآناً يقرأه النّاس إلى يوم القيامة،

١ـ الثَّنِيَّةُ: العَقَبَةُ، او طريقُها، او الجبل، أو الطريقة فيه أو إليه. القاموس المحيط ٤: ٣١١ (ثني).

٢ـ عن سعيد بن جُبَيْر: وَقَفُوا لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك على الثَّنِيَّة ليلة العقبة ليفتكوا به و هم إثناعشر رجلاً. راجع: جوامع الجامع ٢: ٥٩.

٣ـ في المصدر: «ان تَستَحفِدَ» و الإستحفاد: الإستخدام.

٤ـ يعني به الرّوم، لأنّ اباهُمُ الأوّل كان أصفر اللّون و هو روم بن عيصُو بن إسحاق بن إبراهيم. النّهاية ٣: ٣٧ (صفر).

فانزل الله علـى رسوله ﷺ في ذلك: "و منهـم من يقـول ائذن لـي" الآية، ثمّ قـال «جدُّ بنُ قَيْسٍ»: أيطمـع محـمّد انّ حرب الرّوم مثلُ حـرب غيرهـم، لايرجع من هؤلاء أحـدٌ أبداً[١].

﴿إن تُصِبْكَ﴾ في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ قال: «غنيمة و عـافية»[٢]. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لفرط حسدهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ قال: «بلاء و شدّة»[٣]. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾: تبجّحُوا بانصرافهم، واستحمدوا رأيهم في التّخلّف ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾: ناصرنا و متولّي أمرنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: تنتظرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: الغنيـمة والجنّة. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السّوْءَيَيْن: ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾: بقـارعة من السّمـاء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ و هو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ مـا هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم.

ورد: «و كذلك المرأ المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحسنيين: إمّا داعيَ الله، فـما عند الله خير له، و إمّا رزقَ الله، فإذا هو ذو أهلٍ و مـالٍ، و معه دينُه و حَسَبُه»[٤]. و قال: «التّربّص انتظار وقوع البلاء بأعدائهم»[٥].

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ إذ لا رجـاءَ ثوابٍ لهم

١ـ القمّي ١: ٢٩١ـ٢٩٢.
٢و٣ـ المصدر: ٢٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ٦٤، الخطبة: ٢٣.
٥ـ الكافي ٨: ٢٨٧، ذيل الحديث: ٤٣١، عن ابي جعفر عليه السلام.

ولاخوف عقاب.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يعني إنّ ذلك استدراج و وبال لهم، بسبب ما يكابدون[1] لجمعها و حفظها من المتاعب، و ما يرون فيها من الشّدائد و المصائب، و يشقّ عليهم إنفاقها في سبيل الله، و الزُّهوقُ: الخُروج بصعوبة.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: لَمِنْ جملة المسلمين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لكفر قلوبهم ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين؛ من القتل والأسْر، فيُظْهِرُونَ الإسلام تقيّةً.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ حِصناً يَلْجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾: غِيراناً ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: موضعَ دُخول. قال: «أسراباً في الأرض»[2]. ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾: لأقبلوا نحوه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يُسْرِعُون إسراعاً لايردّهم شيء، كالفرَسِ الجَمُوح.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: يعيبك ﴿فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: في قسمتها ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ يعني إنّ رضاهم و سخطهم لأنفسهم، لا للدّين.

قال: «بينا رسول الله ﷺ يَقْسِمُ قَسْماً إذ جاءه ابنُ ذي الخُوَيْصِرَةِ التَّميميّ، و هو حُرْقُوصُ ابْنُ زُهَيْرٍ أصل الخوارج. فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: ويلك! و من يعدل إذا لم أعدل؟» الحديث. إلى أن قال: «فنزلت»[3].

و ورد: «إنّ أهل هذه الآية أكثرُ من ثُلُثَي النّاس»[4].

١ـ في «الف»: «يكايدون» بالياء، و هو تصحيف. والمكابدة للشّئ: تحمّل المشاقّ فيه. مجمع البحرين ٣: ١٣٥ (كبد).

٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠، عن أبي سعيد الخدري.

٤ـ المصدر: ٤١؛ و العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: ما أعطاهم الرّسول من الغنيمة أو الصّدقة؛ و ذكر «الله» للتّعظيم و التّنبيه على أنّ ما فعله الرّسول كان بأمر الله. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: كفانا فضلُه ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ صدقةً او غنيمةً أُخرى ﴿وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ في أن يوسّع علينا من فضله. و جواب الشّرط محذوف، تقديره: لكان خيراً لهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ اي: الزّكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾: فرض لهم فريضةً ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: يضع الأشياء مواضعها.

قال: «الفقراء: هم الّذين لايسألون و عليهم مؤونات من عيالهم؛ و الدّليل على أنّهم هم الّذين لايسألون قولُ الله عزّوجلّ في سورة البقرة: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا" إلى قوله: "لايَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً"[١]. والمساكين: هم أهل الزَّمانة من العُمْيان والعُرْجان والمُجَذَّمين[٢]، و جميع أصناف الزَّمْنىٰ من الرّجال والنّساء والصّبيان. والعاملين عليها: هم السُّعاة والجُباةُ في اخذها و جمعها و حفظها حتّى يُؤَدُّوها[٣] إلى من يَقْسِمُها. والمؤلّفةُ قلوبهم: قوم وحّدوا اللهَ و لم تدخل المعرفةُ قلوبَهم أنّ محمّداً رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يتألَّفهم و يُعلِّمُهم كَيْما يعرفوا، فجعل الله لهم نصيباً في الصّدقات لكي يعرفوا و يَرْغَبُوا. و في الرّقاب: قوم قد لزمهم كفّارات في قتل الخطأ و في الظّهار و قتلِ الصّيد في الحرم و في الأيمان، وليس عندهم ما يُكفِّرون، وهم مؤمنون، فجعل الله لهم سهماً في الصّدقات ليُكفَّرَ عنهم. والغارمين: قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من

١ـ الآية: ٢٧٣.
٢ـ في المصدر: «المجذومين».
٣ـ في المصدر: «حتّى يردّوها».

غير إسراف، فيجب على الإمام، أن يقضي ذلك عنهم، و يكفيهم[١] من مال الصّدقات. و في سبيل الله: قوم يخرجون في الجهاد و ليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يَحُجُّون به، أو في جميع سُبُل الخير، فعلى الإمام أن يُعطِيَهم من مال الصّدقات حتّى يتقوّون به[٢] على الحجّ والجهاد. وابن السّبيل: أبناء الطّريق الّذين يكونون في الأسفار في طاعة الله، فيُقْطَعُ عليهم و يَذْهَبُ مالُهم، فعلى الإمام أن يردّهم إلى أوطانهم من مال الصّدقات. والصّدقات تتجزّى ثمانية أجزاء، فيُعْطىٰ كلُّ إنسان من هذه الثّمانية على قدر مايحتاجون إليه بلا إسراف و لاتقتير، يقوم في ذلك الإمام؛ يعمل بما فيه الصّلاح»[٣].

و في رواية: سئل عن مُكاتَبٍ عجز عن مكاتَبَته و قد أدّىٰ بعضَها. قال: «يؤدّىٰ عنه من مال الصّدقة، إنّ الله عزّوجلّ يقول في كتابه: "و في الرّقاب"»[٤]. و ورد: «سهم المؤلّفة قلوبهم و سهم الرِّقاب عامّ، والباقي خاصّ»[٥]. يعني خاصّ بمن يعرف الحقّ لايُعْطىٰ غيرَه.

و ورد: «لاتحلّ الصّدقة لبني هاشم إلاّ في وجهين: إن كانوا عطاشاً فاصابوا ماءً فشربوا، و صدقة بعضهم على بعض»[٦].

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: يسمع كُلَّ ما يقال له و يُصدِّقه ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾. تصديق لهم بأنّه أُذُنٌ، ولكن لاعلى الوجه الّذي ذمّوه به، بل من حيث إنّه يسمع الخير و يقبله. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: يُصدِّقُ به ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يُصدِّقُهم؛ واللاّم للفرق بين الإيمانين كما يأتي.

١ـ في المصدر: «و يَكُفُّهُم».
٢ـ في المصدر: «حتى ينفقوا به».
٣ـ القمّي ١: ٢٩٨ـ٢٩٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٧٤، الحديث: ٢٥٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٣: ٤٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الخصال ١: ٦٢، الحديث: ٨٨، عن جعفر بن محمّد، عن ابيه عليهم السّلام.

القمّي: كان سبب نزولها: أنّ عبدالله بن نُفَيْلٍ كان منافقاً، و كان يقعد إلى رسول الله ﷺ فيسمع كلامَه و ينقله إلى المنافقين و ينُمُّ عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد إنّ رجلاً من المنافقين: ينُمّ عليك و ينقل حديثك إلى المنافقين. فقال رسول الله ﷺ: من هو؟ فقال: الرّجل الأسود كثير[1] شعر الرّأس، ينظر بعينين كأنّهما قدْران، و ينطق بلسانه شيطان[2]. فدعاه رسول الله ﷺ، فأخبره، فحلف إنّه لم يفعل، فقال رسول الله ﷺ: قد قبلتُ منك فلا تقعد، فرجع إلى أصحابه فقال: إنّ محمّداً أُذُنٌ أخبره الله أنّي أنِمُّ عليه و أنقل أخباره فقبل، و اخبرته أنّي لم أفعل فقبل، فأنزل الله على نبيّه: "و منهم الّذين يؤذون النّبيّ و يقولون هو أُذن قل أُذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين" أي: يصدّق اللهَ فيما يقول له، ويصدّقك فيما تعتذر إليه في الظّاهر و لايصدّقك في الباطن. قوله: "وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ" يعني المُقرّين بالإيمان من غير اعتقاد[3].

و في رواية: «يعني يصدّق اللهَ و يصدّق المؤمنين، لأنّه كان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين»[4]. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: هو رحمة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾: لمن أظهر الإيمان حيث يقبله و لايكشف سرّه. وفيه تنبيه على أنّه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم؛ بل رفقاً بكم و ترحّماً. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا و تخلّفوا. ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾. توحيد الضّمير لتلازم الرّضائين. ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

القمّي: نزلت في المنافقين الّذين كانوا يحلفون للمؤمنين أنّهم منهم، لكي يرضوا عنهم[5].

١ـ في المصدر: «الكثير شعر الرّأس».
٢ـ في المصدر: «و ينطق بلسان شيطان».
٣ـ القمّي ١: ٣٠٠.
٤ـ العيّاشي ٢: ٩٥، الحديث: ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٠٠.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : يشاقق ؛ من الحدّ ، لأنّ كلاً من المخالفين في حدّ غير حدّ صاحبه ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ و تهتك عليهم أستارهم ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ .

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ . القمّي : كان قوم من المنافقين لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك يتحدّثون فيما بينهم و يقولون : أيرى محمّد ﷺ أنّ حرب الرّوم مثلُ حرب غيرهم؟ . لا يرجع منهم أحد أبداً . فقال بعضهم : ما أخْلَقَه[1] أن يخبر الله محمّداً ﷺ بما كنّا فيه و بما في قلوبنا ، و ينزّل عليه بهذا قرءاناً يقرأه النّاس ؛ و قالوا هذا على حدّ الاستهزاء . و قال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر : «الحق القوم فإنّهم قد احترقوا ، فلحقهم عمّار فقال : ما قلتم؟ قالوا : ما قلنا شيئاً ، إنّما كنّا نقول شيئاً على حدّ اللّعب و المزاح ؛ فنزلت»[2] .

و في رواية : « نزلت في اثْنَيْ عشر رجلاً وقفوا على [باب][3] العقبة ، ائتمروا بينهم ليقتلوا رسول الله ﷺ ، و قال بعضهم لبعض : إن فطن نقول : إنّما كنّا نخوض و نلعب ، و إن لم يَفْطَن نقتله ، وذلك عند رجوعه من تبوك . فأخبره جبرئيل بذلك ، و أمره أن يرسل إليهم و يضرب وجوه رواحلهم ، فضربها حتّى نحّاهم»[4] . و ورد : «كانت ثمانية منهم من قريش و أربعة من العرب»[5] . و يأتي تمام قصّتهم عند تفسير قوله تعالى : "يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا"[6] من هذه السّورة إن شاء الله .

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ بما يعلم كذبه ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ : قد اظهرتم الكفر ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد

١ـ في المصدر : «ما أخلقه» .
٢ـ القمّي ١ : ٣٠٠ .
٣ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦ : ٤٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٥ـ المصدر : ٥١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٦ـ الآية : ٧٤ .

إظهاركم الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتهم و إخلاصهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على النّفاق. و في رواية في قوله: "لاتعتذروا": «هؤلاء قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا و شكّوا و نافقوا بعد إيمانهم، و كانوا أربعة نفر. وقوله: "إِنْ نَعْفُ عَنْ طائفَةٍ مِنْكُمْ" كان أحد الأربعة مختبر بن الحُميّر[1] فاعترف و تاب، وقال: يا رسول الله أهلكني اسمي، فسمّاه رسول الله ﷺ: عبدالله بن عبدالرّحمن، فقال: يا ربّ اجعلني شهيداً حيث لايُعْلَمُ أين أنا، فقتل يوم اليمامة، ولم يَعْلَمْ أحدٌ أين قتل، فهو الّذي عفي عنه»[2].

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾. تكذيب لهم فيما حلفوا: "إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ"، و تحقيق لقوله: "وَ ما هُمْ مِنْكُمْ"[3] ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾: بالكفر و المعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: عن الإيمان والطّاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ شُحّاً[4] بالخيرات والصّدقات ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: أغفلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فتركهم عن رحمته و فضله. قال: «يعني نسوا الله في دار الدّنيا فلم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، أي: لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً، فصاروا منسيّين من الخير»[5]. و في رواية: «تركوا طاعة الله، فتركهم»[6].

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: أنتم مثلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا

١ـ في «الف»: «مختير بن الحُمَيّر». وفي «ج»: «مخبر بن حميّر». و في سيرة النّبويّ لابن هشام (٤: ١٦٨) و المغازي للواقدي (٢: ١٠٠٣): «مَخْشي بن حُمير» و «مُخَشّن بن حُمَير».
٢ـ القمّي ١: ٣٠٠، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ الآية: ٥٦.
٤ـ الشُّحّ: البُخْلُ و الحرص. القاموس المحيط ١: ٢٣٩ (شح).
٥ـ العيّاشي ٢: ٩٦، الحديث: ٨٦؛ و التوحيد: ٢٥٩، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين ﷺ. وفي العيّاشي: «... فلم يعملوا له بالطّاعة، ولم يؤمنوا به وبرسوله، فنسيهم في الآخرة».
٦ـ العيّاشي ٢: ٩٥، الحديث: ٨٥، عن أبي جعفر ﷺ.

وَأَوْلَـٰدًا﴾ . بيان لتشبيههم[١] بهم. ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَـٰقِهِمْ﴾ : نصيبهم من ملاذّ الدّنيا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ﴾ . ذمّ الاوّلين باستمتاعهم بحظوظهم الفانية، والتهائهم بها عن النّظر في العاقبة و السّعي في تحصيل اللّذائذ الحقيقيّة الباقية، تمهيداً لذمّ المخاطبين لمشابهتهم بهم واقتفائهم أثرهم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾ : دخلتم في الباطل ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ : كالخوض الّذي خاضوه ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ .

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ كيف أُغرقوا بالطّوفان ﴿وَعَادٍ﴾ كيف أُهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ كيف أُهلكوا بالرّجْفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ كيف أُهلكَ نُمْرُود ببَعُوضٍ و أُهْلكَ اصحابُه ﴿وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ﴾ : قوم شُعَيب كيف أُهلكوا بالنّار يوم الظُّلَّة[٢] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ﴾ : اصحاب القرى المؤتفكة. قال: «أُولئك قوم لوط ائتفكت عليهم، أي: انقلبت»[٣]. ﴿أَتَتْهُمْ﴾ كلّهم ﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتعرّضها للعقاب بالكفر و التّكذيب.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ . هي في مقابلة سابقته.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ : يَطيبُ فيها العيشُ ﴿فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ : إقامة و خلود. قال: «عَدْنٌ: دار الله الّتي لم ترها عينٌ و لم تَخطُرْ على قلب بشر، لايَسْكُنُها غيرُ ثلاثة: النّبيّين و الصّدّيقين والشّهداء. يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك»[٤]. ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني و شيء

١ـ في «الف»: «لتشبّههم».
٢ـ إشارة إلى الآية: ١٨٩ من سورة الشُّعراء: «فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلّة إنّه كان عذاب يوم عظيم».
٣ـ الكافي ٨: ١٨١، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥٠، مرويّاً عن النّبي صلى الله عليه وآله.

من رضوانه أكبر من ذلك كلّه، لأنّ رضاه سبب كلّ سعادة، و موجب كلّ فوز، و به يُنالُ كرامتُهُ الّتي أكبر أصناف الثّواب. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الّذي يستحقر دونه كلُّ لَذّة و بَهْجَة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [قيل: بالسيف[1].] [2] ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ قال: «بإلزام الفرائض»[3]. وفي رواية: إنّ في قراءتهم عليهم السّلام: «جاهد الكفّار بالمنافقين قالوا: لأنّ النّبيّ ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين، ولكن كان يتألّفهم، ولأنّ المنافقين لايُظْهِرُون الكفرَ، و عِلْمُ الله بكفرهم لايُبيحُ قتلَهم إذا كانوا يُظْهِرُون الإيمانَ»[4]. وفي أُخرى: «هكذا نزلت، يعني: "والمنافقين". قال: فجاهد رسول الله ﷺ الكفّار و جاهد عليّ عليه السلام المنافقين، فجاهد عليّ عليه السلام جهادَ رسول الله ﷺ»[5]. ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾. القمّي: نزلت في الّذين تحالفُوا في الكعبة أن لايردّوا هذا الأمرَ في بني هاشم، فهي "كلمة الكفر"، ثمّ قعدوا لرسول الله ﷺ في العقَبَة و همّوا بقتله، و هو قوله: "و همّوا بما لم ينالوا"[6].

أقول: قد سبق حديث همّهم بقتله عند تفسير قوله تعالى: "إِنَّما كنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ".

و ورد: «لمّا قال النّبيّ ﷺ ما قال في غدير خُمّ و صاروا[7] بِالأَخْبِيَة[8]، مرّ المقداد

١ـ جوامع الجامع ٢: ٧٠؛ والبيضاوي ٣: ٧٤؛ والكشّاف ٢: ٢٠٢.
٢ـ مابين المعقوفتين من «ج».
٣ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠.
٥ـ القمّي ٢: ٣٧٧، ذيل الآية: ٩ من سورة التّحريم، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٠١.
٧ـ في المصدر: «و صار».
٨ـ الأَخْبِيَةُ جمع الخِباء: من الابنية يكون من وبرٍ او صوفٍ أو شَعرٍ. القاموس المحيط ٤: ٣٢٤ (خبى).

بجماعة منهم يقولون: إذا دنا موته و فنيت أيّامه و حضر أجله، أراد أن يولّينا عليّاً من بعده، أما والله ليعلمنّ، قال: فمضى المقداد و أخبر النّبيّ ﷺ فقال: الصّلاة جامعة. قال: فقالوا: قد رمانا المقداد، فقوموا نحلف عليه، قال: فجاؤوا حتّى جثّوا[1] بين يديه، فقالوا: بآبائنا و أمّهاتنا يا رسول الله، والّذي بعثك بالحقّ والّذي أكرمك بالنّبوّة، ما قلنا ما بلغك، والّذي اصطفاك على البشر. قال: فقال النّبيّ ﷺ: بسم الله الرّحمن الرّحيم يحلفون بالله ما قالوا، و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد إسلامهم و همّوا بك يا محمّد ليلة العقبة»[2].

و في رواية: «لمّا اقام عليّاً يوم غدير خُمّ كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين: و هم أبوبكر و عمر و عبدالرّحمن بن عوف و سعد بن أبي وقّاص و أبوعُبَيْدَة و سالم مولا أبي حُذَيْفَة و المُغيرَةُ بن شُعْبَة. قال عمر: أما ترون عينيه كأنّهما عينا مجنون ـ يعني النّبيّ ﷺ ـ السّاعةَ يقوم و يقول: قال لي ربّي. قال: فنزل جبرئيل و أعلمه بمقالة القوم، فدعاهم و سالهم فانكروا و حلَفُوا، فانزل الله "يحلفون بالله ما قالوا"»[3].

﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾: و ما أنكروا و ما عابوا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾. قال: «كان أحدهم يبيع الرّؤوس، و آخر يبيع الكُراعَ[4] و يَفْتِل القَرامِلَ[5]، فأغناهم الله برسوله ﷺ ثمّ جعلوا حدّهم و حديدهم عليه»[6]. و المعنى: أنّهم جعلوا موضع شكر النّعمة كفرانها، و كان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر. ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ بالإصرار على النّفاق ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالقتل

١ـ جُثَّ: فَزِعَ. القاموس المحيط ١: ١٦٩؛ وأقرب الموارد ٢: ٨٤ (جث).
٢ـ العيّاشي ٢: ٩٩، الحديث: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكُراعُ من البقر و الغنم بمنزلة الوَظيف من الفرس و هو مستدقّ السّاق. و هو اسم يجمع الخيلَ. القاموس المحيط ٣: ٨١ (كرع).
٥ـ القَرامِلُ: ضفائر من شعر او صوف أو ابريسم، تصل به المرأة شعرها. النّهاية ٤: ٥١ (قرمل).
٦ـ العيّاشي ٢: ١٠٠، ذيل الحديث: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و النّار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فينجيهم من العذاب.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾. قال: «هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف، كان محتاجاً فعاهد الله، فلمّا آتاه بخل به»[1].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: فاورثهم البخلُ نفاقاً متمكنّاً في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: يلقونَ الله. قال: «اللّقاء هو البعث»[2]. ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أسرّوه في أنفسهم من النّفاق ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوّعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلّا طاقتهم، فيتصدّقون بالقليل. ورد: «افضل الصّدقة جُهْدُ المُقل»[3]. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزؤون ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ قال: «جازاهم جزاء السُّخْرِيَة»[4]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ورد: «آجر أمير المؤمنين عليه السلام نفسَه على أن يستقي كلّ دلو بتَمْرَة بخيارها، فجمع تمراً فاتى به النّبيّ صلى الله عليه وآله و عبدالرّحمان بن عوف على الباب، فلَمزَه، أي: وقع فيه، فنزلت»[5]. والقمّي: نزلت في سالم بن عُمَيْر الأنصاريّ، جاء بصاع من تمر من كسب يده و قال: أقرضته ربّي، فامر رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينثره[6] في الصّدقات، فسخر منه المنافقون

١ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي جعفر عليه السلام. و في المصدر و نسخة «الف»: «ثعلبة بن خاطب».
٢ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والجُهْدُ: الوُسْع و الطّاقة و مع المُقِل أي: قَدرُ ما يَحْتَمِله حال القليل المال. النّهاية ٢: ٣٢٠ (جهد).
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٦، الباب: ١١، ذيل الحديث: ١٩. وفيه: «يجازيهم جزاء السّخرية».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٠١، الحديث: ٩٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. و «وقَع فيه»: لامه و عابَهُ، يقال: وقعتُ بفلان: إذا لُمتَهُ: و وَقَعْتُ فيه: إذا عِبتَهُ و ذَمَمتَهُ. لسان العرب ٨: ٤٠٥ (وقع).
٦ـ في «الف»: «ينثر».

و قالوا: أراد أن يذكّر نفسه ليُعْطىٰ من الصّدقات[1].

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: لا فرق بين الأمرين في عدم الإفادة لهم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾. قيل: السّبعون جارٍ في كلامهم مجرى المَثَل للتّكثير[2]. و ورد: «إنّ الله قال لمحمّد ﷺ: "إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم" فاستَغْفَرَ لهم مائةَ مرّةٍ ليغفر لهم، فأنزل الله: "سواء عليهم أستغفرت لهم" الآية. فلم يستغفر لهم بعد ذلك»[3]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ بقعودهم عن الغزو[4] خلْفَه؛ يقال: اقام خِلافَ القوم، أي: بعدهم. ﴿وَكَرِهُوٓا أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إيثاراً للدَّعَة والخَفْض ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى ٱلْحَرِّ﴾. قاله بعضهم لبعض، و قد سبق قصّة الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ في ذلك عند تفسير: "و مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائذَنْ لِي"[5] و هذا تفضيح له. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ و قد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ انّ مآبهُمْ إليها، و أنّها كيف هي، ما اختاروها بإيثار الدّعة والخفض على طاعة الله.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾. إمّا على ظاهر الأمر، و إمّا إخبار عمّا يؤول إليه حالهم في الدّنيا و الآخرة، يعني: فيضحكون قليلاً و يبكون كثيراً، و يجوز أن يكون المراد بالضّحك والبكاء، السّرورَ و الغَمَّ. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر و النّفاق والتّخلّف.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فإن ردّك إلى المدينة و فيها طائفة من

١ـ القمّي ١: ٣٠٢.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ٧٣؛ و الكشّاف ٢: ٢٠٥.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٠، الحديث: ٩٢، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام. والآية في المنافقين (٦٣): ٦.
٤ـ في «الف»: «من الغزو».
٥ـ الآية: ٤٩ من نفس السّورة.

المتخلّفين، يعني منافقيهم ممّن لم يتب و لم يكن له عذر صحيح في التّخلّف ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى غزوة أُخرى بعد تبوك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾. إخبار في معنى النّهي. ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ بان تدعو له و تستغفر ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ للدّعاء له ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. قد مرّ تفسيرها[1]، و هي إمّا تأكيد، أو تلك في فرقة و هذه في أُخرى.

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: ذووا[2] السّعة ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ لعذر.

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ قال: «مع النّساء»[3]. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد و موافقة الرّسول ﷺ من السّعادة، و ما في التّخلّف عنه من الشّقاوة.

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ يعني: إنْ تخلّف هؤلاء و لم يجاهدوا، فقد جاهد من هو خير منهم ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: منافع الدّارين؛ النّصر و الغنيمة في الدّنيا، و الجنّة و نعيمها في الآخرة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

١ـ في ذيل الآية: ٥٥ من نفس السّورة.
٢ـ في «ب»: «ذوا السّعة».
٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٣، الحديث: ٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾: المقصّرون؛ من عذّر في الأمر: إذا توانى و لم يَجِدَّ فيه. وحقيقته أن يُوهِمَ أنّ له عذراً فيما يفعل و لاعذر له، أو من «اعتذر» ـ بالإدغام[1] ـ: إذا مهّد العُذرَ؛ و هم الّذين يعتذرون بالباطل ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: اهلِ البَدْوِ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادّعاء الإيمان، فلم يجيبوا، أو لم يعتذروا[2]. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بالقتل والنّار.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ كالهرمىٰ و الزّمنىٰ ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ لفقرهم ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التّخلّف ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإيمان و الطّاعة في السّرّ و العلانية ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾: لاجناح عليهم و لاعتاب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ يعني معك ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ القمّي: سالوا نعلاً يلبسونها[3]. ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ أي: يسيل دمعها، فإنّ «مِنْ» للبيان كأنّ العينَ كلّها دمعٌ فائضٌ. ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا﴾: لئلاّ يجدوا ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ في مغزاهم. القمّي: جاء البكّاؤون إلى رسول الله ﷺ و هم سبعة نفر ـ و سمّاهم ـ، فقالوا: يا رسول الله ليس بنا قوّة أن نخرج معك. فأنزل الله فيهم: "ليس على الضّعفاء" إلى قوله: "ما ينفقون"[4].

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ يعني النّساء. القمّي: كانوا ثمانين رجلاً من قبائل شتّى[5]. ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَغَبّته[6].

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التّخلّف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزوة ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾

١ـ اي: بإدغام التّاء في الذّال و نقل حركتها إلى العين.
٢ـ في «ب» و «ج»: «او لم يعتذروا».
٣، ٤ و ٥ـ القمّي ١: ٢٩٣.
٦ـ المَغَبّة: عاقبة الشيء. القاموس المحيط ١: ١١٣ (غب).

بالمعاذير الكاذبة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ : لن نصدّقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ : أتتوبون من الكفر[1] أم تثبتون عليه؟ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: إليه، فوضع الوصف موضع الضّمير للدّلالة على أنّه مطّلع على سرّهم وعلَنهم، لايفوت عن علمه شيء من ضمائرهم و أعمالهم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالتّوبيخ و العقاب.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تُعاتبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ و لاتوبّخوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ : لايؤثّر فيهم التّوبيخ والنّصح و العتاب، و لاسبيل إلى تطهيرهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ و لاينفعهم رضاكم إذا كان الله ساخطاً عليهم. ورد: «من التمس رضا الله بسخط النّاس، رَضيَ اللهُ عنه و أرضىٰ عنه النّاسَ، ومن التمس رضا النّاس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه النّاس»[2]. القمّي: لمّا قدم النّبيّ ﷺ من تبوك كان أصحابه المؤمنون يتعرّضون للمنافقين و يؤذونهم، و كانوا يحلفون لهم أنّهم على الحقّ و ليسوا هم بمنافقين؛ لكي يعرضوا عنهم. فأنزل الله: "سيحلفون بالله لكم" الآية[3].

﴿الْأَعْرَابُ﴾ : أهلُ البَدْو[4] ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل الحضَر، لتوحّشهم وقساوتهم و جفائهم، و نشوهم في بُعْد من مشاهدة العلماء و سَماعِ التّنزيل ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ : و أحقّ بان لا يعلموا ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الشّرايع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحال

١ـ في «ب» و «ج»: «عن الكفر».
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٦١، عن النّبيّ ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ٣٠٢.
٤ـ البَدْوُ: البادية و النّسبة إليه بَدَوِيّ. الصّحاح ٦: ٢٢٧٨ (بدا).

كلٌّ من أهل الوبَرِ والمَدَرِ[١] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يصيب به مسيئهم و محسنَهم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ﴾: يعدّ ﴿مَا يُنْفِقُ﴾: ما يصرفه في سبيل الله و يتصدّق به ﴿مَغْرَمًا﴾: غرامةً و خسراناً، إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثواباً، و إنّما ينفق رياءً و تقيّةً. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾: دوائرَ الزّمان و عقباته و حوادثه، لينقلب الأمر عليكم فيتخلّص من الإنفاق. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾. اعتراض بالدّعاء عليهم بنحو ما يَتَربَّصُونَه، أو إخبار عن وقوع ما يتربّصون عليهم. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون عند الإنفاق ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرون.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ﴾: سببَ قربات ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾: و سببَ دعواته، لأنّه كان يدعو للمتصدّقين بالخير والبركة، و يستغفر لهم. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾. شهادة من الله لهم بصحّة معتقدهم، و تصديقٌ لرجائهم. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾. وَعْدٌ لَهُمْ. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. تَقْرِيرٌ لَهُمْ.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ القمّي: هم النُّقَباء و أبو ذرّ والمقداد و سلمان و عمّار، و مَنْ آمن و صدّق و ثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٢]. و في نهج البلاغة: «لا يقع اسم الهجرة على أحدٍ إلّا بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر»[٣]. ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾: بالإيمان والطّاعة إلى يوم القيامة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما نالوا من نعمه من الدّينيّة والدّنيويّة[٤] ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ

١ـ أهلُ الوبَرِ والمَدَرِ، أي: أهل البوادي والمُدُن والقُرى، و هو مِنْ: وبر الإبل؛ لأنّ بيوتهم يتّخذونها منه؛ والمَدَر: جمع مَدَرَة و هي البِنْيَة. النّهاية ٥: ١٤٤ (وبر).
٢ـ القمّي ١: ٣٠٣.
٣ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٨٠، الخطبة ١٨٩.
٤ـ في «ب»: «من النّعمة الدّينيّة والدّنيويّة».

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ﴾: ممّن حول بلدتكم، يعني المدينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: تمهّروا فيه و تمرّنوا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: لا تعرفهم بأعيانهم؛ و هو تقرير لمهارتهم فيه، يعني يَخْفَوْنَ عليك، مع فطنتك و صدق فراستك لفرط تحاميهم مواقع الشكّ في أمرهم. ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ و نطّلع على أسرارهم ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قيل: هما ضرب الملائكة وجوهَهم وأدبارَهم، عند قبض أرواحهم، و عذابُ القبر[١]. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: عذاب النّار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال: «نزلت في أبي لُبابَة بن عبد المُنْذِر»[٢]. و قد سبقت قصّته عند تفسير: "لا تَخُونُوا اللّـهَ والرَّسُولَ" من سورة الأنفال[٣]. و في رواية: «أُولئك قوم مؤمنون، يُحْدِثُون في إيمانهم من الذّنوب الّتي يعيبها المؤمنون و يكرهونها. فأُولئك عسى الله ان يتوب عليهم»[٤]. و في أُخرى: «هم قوم اجترحوا ذنوباً، مثلَ قتل حمزة وجعفر الطّيّار، ثمّ تابوا، ثمّ قال: و من قتل مؤمناً لم يوفّق للتّوبة، إلاّ انّ الله لا يقطع طمعَ العباد فيه و رجاءَهُم منه. قال: و "عسى" من الله واجب»[٥].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾. القمّي: نزلت حين أُطْلِقَ أبو لُبابَة و عرض ماله للتّصدّق[٦]. ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ الصّدقةُ، أو أنت ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: تنسبهم إلى الزّكاء؛ والتّزكية مبالَغَةٌ في التّطهير و زيادةٌ فيه، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال. ﴿وَصَلِّ

١ـ جوامع الجامع ٢: ٨١.
٢ـ القمّي ١: ٣٠٣؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الآية: ٢٧.
٤ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٠٦، الحديث: ١٠٩، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «أولئك قوم مذنبون يحدثون وايمانهم من الذنوب ...».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٠٥، الحديث: ١٠٦، مرفوعاً.
٦ـ القمّي ١: ٣٠٤.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: و ترحّمْ عليهم بالدّعاء لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: تسكُنُ إليها نفوسهم و تطمئنّ بها قلوبهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ يسمع دعاءك لهم ﴿عَلِيمٌ﴾ يعلم ما يكون منهم. ورد: «إنّه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: اللّهمّ صلّ عليهم»[١]. و ورد: «إنّ هذه الآية جارية في الإمام بعد رسول الله ﷺ»[٢].

و قال: «لمّا نزلت آية الزّكاة: "خذ من أموالهم صدقة" و أُنزلت في شهر رمضان فامر رسول الله ﷺ مناديَه فنادى في النّاس: إنّ الله فرض عليكم الزّكاة كما فرض عليكم الصّلاة، ففرض الله عليهم من الذّهب والفضّة، و فرض عليهم الصّدقة من الإبل والبقر والغنم، و من الحنطة والشّعير والتّمر والزّبيب، و نادى بهم ذلك[٣] في رمضان، و عفا لهم عمّا سوى ذلك. قال: ثمّ لم يعرض[٤] لشيء من أموالهم، حتّى حال عليهم الحول من قابل، فصاموا و أفطروا، فامر مناديَه فنادى في المسلمين: أيّها المسلمون زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم. قال: ثمّ وجّه عمّالَ الصّدقة و عمّالَ الطّسُوق[٥]»[٦].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ إذا صحّت ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ إذا صدرت عن خلوص النّيّة، يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدّي بدلَه. قال: «أي: يقبلها من أهلها و يثيب عليها»[٧].

و ورد: «إنّ الله يقول: ما من شيء إلّا و قد وكّلتُ به مَنْ يقبضه غيري إلّا الصّدقة، فإنّي أتلقّفُها بيدي تلقّفاً[٨]، حتّى أنّ الرّجل ليتصدّق بالتّمرة او بشقّ التّمرة فأُربّيها له كما

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٦٨، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٠٦، الحديث: ١١١، عن ابي عبدالله ؈.
٣ـ في المصدر: «فنادى فيهم بذلك».
٤ـ في المصدر: «لم يفرض» و في نسخة «ب»: «لَمْ يتعرّض».
٥ـ الطَّسْقُ ـ كفَلْس ـ مكيال، او ما يوضع من الخراج على الجُرْبان. او شبهُ ضَريبةٍ معلومةٍ و كأنّه مولّدٌ او معرّب. القاموس المحيط ٣: ٢٦٦ (طسق).
٦ـ الكافي ٣: ٤٩٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ؈.
٧ـ التّوحيد: ١٦٢، الباب: ١٧، ذيل الحديث: ٢، عن ابي عبدالله ؈.
٨ـ لَقِفَهُ و تَلَقَّفَهُ: تناوله بسرعةٍ. القاموس المحيط ٣: ٢٠٣ (لقف).

يربّي الرّجل فلْوَه [١] و فَصيلَه [٢]، فيأتي يوم القيـامة و هو مثل أُحُدٍ وأعظم من أُحُدٍ» [٣].

وفي رواية: «ضـمنـت على ربّي أنّ الصّدقـة لا تقع فـي يد العـبـد حتّى تقع في يد الرّبّ، و هو قوله تعالى: "و يأخذ الصّدقات"» [٤].

و في أُخرى: «إذا ناولتم السّائل شيئاً فاسألوه أن يدعو لكم، فإنّه يجاب له فيكم، ولا يجاب في نفسه، لأنّهم يَكْذِبون، ولْيَرُدّ الّذي ناوله، يده إلى فيه، فيُقَبِّلها، فإنّ الله عزّوجلّ يأخذها قبل أن تقع في يده، كما قال عزّوجلّ: "ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده و يأخذ الصّدقات"» [٥]. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ خيراً كان أو شرّاً. قال: «المؤمنون هم الأئمّة» [٦]. و في رواية: «إيّانا عنى» [٧]. و في أُخرى: «ليس هكذا هي، إنّما هي والمامونون، فنحن المامونون» [٨].

و ورد: «تعْرَضُ الاعمال على رسول الله ﷺ، أعمالُ العباد، كُلّ صباحٍ أبرارِها و فُجّارِها [٩]، فاحذَرُوها، و هو قول الله عزّوجلّ: "و قل اعملوا" الآية» [١٠].

و في رواية: «قيل له: ادع الله لي و لأهل بيتي، فقال: أو لستُ أفعل؟ والله إنّ

١ـ الفلْوُ ـ بالكسر ـ الجَحْشُ والمُهر فُطما او بلغا السَّنَةَ. القاموس المحيط ٤: ٣٧٧ (فلو).
٢ ـ الفَصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أُمّه. القاموس المحيط ٤: ٣٠ (فصل).
٣ـ الكافي ٤: ٤٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ العيّاشي ٢: ١٠٨، الحديث: ١١٨، عن أبي عبدالله، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٥ـ الخصال ٢: ٦١٩، ذيل الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ٢: ١٠٩، الحديث: ١٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الأمالي (للطّوسي) ٢: ٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الابرار جمع بَرّ ـ بالفتح ـ بمعنى البارّ، والفُجّار جمع فاجر فيكون قوله ﷺ: «ابرارها و فُجّارها» بدل تفصيلٍ للعباد، و يحتمل أن يكون بدل تفصيل لأعمال العباد فيقرآن بالرّفع. و في إطلاق الابرار والفجّار على الاعمال تجوّزٌ. على انّه يحتمل كون الأبرار حينئذ جمع البرّ ـ بالكسر ـ و ربّما يقرأ الفجار ـ بكسر الفاء و تخفيف الجيم ـ جمع فَجارِ مبنياً على الكسر و هو اسم الفجور. او جمع فِجْر ـ بالكسر ـ و هو ايضاً الفجور. مرآة العقول ٣: ٤.
١٠ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أعمالكم لتَعْرَضُ عليّ في كلّ يوم و ليلة. قال: فاستعظمت ذلك، فقال: أما تقرأ كتاب الله عزّوجلّ: "و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"؟ قال: هو والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[1]. ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ مؤخّرون، موقوفٌ أمرهُم، من أرجأته: إذا أخّرته ﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ في شأنهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم.

قال: «هم قوم كانوا مشركين، فقتلوا مثلَ حمزة و جعفر و أشباههما من المؤمنين، ثمّ إنّهم دخلوا في الإسلام؛ فوحّدوا اللهَ و تركوا الشّرك، و لم يعرفوا الإيمانَ بقلوبهم، فيكونوا من المؤمنين فيجب لهم الجنّة، و لم يكونوا على جحودهم، فيكفروا فيجب لهم النّار، فهم على تلك الحال، إمّا يعذّبهم و إمّا يتوب عليهم»[2].

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: مضارّةً للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا﴾: و تقويةً للكفر الّذي كانوا يضمرونه ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذين كانوا يجتمعون للصّلاة في مسجد قبا، أرادوا أن يتفرّقوا عنه و تختلفَ كلمتُهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾: و إعداداً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ يعني أبا عامر الرّاهب.

روي: «أنّه كان يقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته، إلى أن هَرَب إلى الشّام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسولَ الله صلى الله عليه وآله. و مات بقِنَّسْرين وحيداً»[3].

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾: ما أردنا ببنائه إلّا الخَصْلَةَ الحُسنى، و هي الصّلاة والذّكر والتّوسعة على المصلّين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

١ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ٤، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.
٢ـ الكافي ٢: ٤٠٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام. و فيه: «فتجبُ» في كلا الموضعين.
٣ـ الكشّاف ٢: ٢١٣؛ والبيضاوي ٣: ٨٠.

في حلفهم.

و ورد ما ملخّصه: «إنّ المنافقين اتّفقوا و بايعوا لأبي عامر الرّاهب ـ الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الفاسقَ ـ و جعلوه أميراً عليهم و بخعوا له بالطّاعة، فقال لهم: الرّأي أن أغيبَ عن المدينة لئلاّ أتّهمَ إلى أن يتمّ تدبيركم، و كاتِبُوا «أُكَيْدِرَ» ـ صاحبَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ ـ ليقصد المدينة، فأوحى الله إلى محمّد ﷺ و عرّفه ما أجمعوا عليه من أمْرِهِ و أمَرَهُ بالمسير إلى تبوك. قال: فلمّا صحّ عزم رسول الله ﷺ على الرِّحْلَة إلى تبوك، عمد هؤلاء المنافقون فبَنَوا خارجَ المدينة مسجداً، و هو مسجد الضّرار، يريدون الاجتماع فيه، ويوهِمون أنّه للصّلاة، و إنّما كان ليجتمعوا فيه لعلّة الصّلاة، فيتّم تدبيرُهم و يقع هناك ما يسهل به لهم ما يريدون، ثمّ جاء جماعة منهم إلى رسول الله ﷺ و قالوا: يا رسول الله إنّ بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنّا نكره الصّلاة في غير جماعة، و يصعب علينا الحضور، وقد بنينا مسجداً، فإن رأيت أن تقصده و تصلّي فيه لنتيمّن و نتبرّك بالصّلاة في موضع مصلاّك؛ فلم يُعَرِّفْهُم رسولُ الله ﷺ ما عرّفه الله من أمرهم و نفاقهم. قال: وقال: أنا على جَنَاحِ سَفَرٍ فأمهِلُوا حتّى أرجِعَ إن شاء الله تعالى ثمّ أنظر في هذا نظراً يرضاه الله. قال: و عاد رسول الله ﷺ غانماً ظافراً، و أبطل الله كيد المنافقين، و أمر رسول الله ﷺ بإحراق مسجد الضّرار، فأنزل الله تعالى: "والّذين اتّخذوا مسجداً ضراراً" الآيات»[1].

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: لا تصلّ فيه أبداً. يقال: فلانٌ يقوم باللّيل، أي: يصلّي. ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من أيّام وجوده. قال: «يعني مسجد قُبا»[2]. قيل: أسّسه رسول الله ﷺ، و صلّى فيه أيّام مُقامه بقُبا[3]. ﴿أَحَقُّ أَن

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٨، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.
٢ـ الكافي ٣: ٢٩٦، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ٢: ١١١، الحديث: ١٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، والحديث: ١٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ البيضاوي ٣: ٨١؛ والكشّاف ٢: ١١٤.

﴿تَقُومَ فِيهِ﴾: أولى بأن تُصلّي فيه. قال: «يعني من مسجد النّفاق»[١]. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ قال: «بالماء عن الغائط والبول»[٢]. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ قال لأهل قبا: ماذا تفعلون في طهركم؟ فإنّ الله قد أحسن عليكم الثّناء! قالوا: نغسل أثر الغائط. فقال: أنزل الله فيكم: "والله يحبّ المطّهّرين"»[٣].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾: بنيان دينه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾: على قاعدة مُحْكَمَة، هي الحقّ الّذي هو التّقوى من الله، و طلب مرضاته بالطّاعة ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾: على قاعدة، هي أضعف القواعد و أقلّها بقاءً، و هو الباطل والنّفاق، الّذي مَثَلُه كمَثَلِ شفا جُرُف هارٍ في قلّة الثّبات. والشّفا: الشّفير. و جُرُفُ الوادي: جانبه الّذي يَتَحَفّر[٤] أصله بالماء و تَجْرُفُه السّيولُ. والهار: الهائر الّذي أشفى على السّقوط والهدم. ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾. لمّا جُعِلَ الجُرُفُ الهار مجازاً عن الباطل قيل: "فانهار به في نار جهنّم". والمعنى: فهوى به الباطلُ في نار جهنّم، فكأنّ المبطلَ أسّس بنياناً على شفير جهنّم، فطاح به إلى قعرها. قال: «مسجد الضّرار، الّذي أُسّس على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنّم»[٥]. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى ما فيه صلاح و نجاة.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا﴾ يعني مسجد الضّرار ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: سبب شكّ و ازدياد نفاق في قلوبهم لا يضمحلّ أثره، ثمّ لمّا هدمه الرّسول ﷺ، رسخ ذلك في قلوبهم و ازداد، بحيث لا يزول رسمه[٦] عنها. ﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قطعاً بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك والإضمار؛ و في قراءتهم عليهم السّلام: «إلى

١ـ العيّاشي ٢: ١١١، الحديث: ١٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٧٣، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ المصدر، مرويّاً عن النّبيّ ﷺ.
٤ ـ في «ب»: «ينحفر».
٥ـ القمّي ١: ٣٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في «ألف»: «لا يزال وسمه».

أن تقطع»[1]. والقمّي: يعني حتّى تقطع[2] قلوبهم[3]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر بهدم بنائهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾. تمثيل لإثابة الله إيّاهم بالجنّة على بذل أنفسهم و أموالهم في سبيله. ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: لا أحدَ أوفى ﴿بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ فافرحوا به غاية الفرح إذ بعتم فانياً بباقٍ وزائلاً بدائم. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هم التّائبون. و في قراءتهم عليهم السّلام: «"التّائبين" إلى قوله: "والحافظين" على أنّها صفة للمؤمنين. سئل عن العلّة في ذلك، فقال: اشترى من المؤمنين التّائبين العابدين»[4].

قال: «لمّا نزلت هذه الآية: "إنّ الله اشترى" قام رجل فقال: يا نبيّ الله أرأيتك الرّجل يأخذ سيفه فيقاتل حتّى يُقتَلَ إلاّ أنّه يقترف من هذه المحارم، أشهيد هو؟ فأنزل الله على رسوله: "التّائبون" الآية، فبشّر النّبيّ ﷺ المجاهدين من المؤمنين، الّذين هذه صفتهم وحليتهم، بالشّهادة والجنّة. و قال: التّائبون من الذّنوب، العابدون: الّذين لا يعبدون إلاّ الله ولا يشركون به شيئاً؛ الحامدون: الّذين يحمدون الله على كلّ حال في الشّدّة والرّخاء؛ السّائحون الصّائمون الرّاكعون السّاجدون: الّذين يواظبون على الصّلوات الخمس، الحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها و سجودها والخشوع فيها و في أوقاتها، الآمرون بالمعروف بعد ذلك والعاملون به، والنّاهون عن المنكر والمنتهون عنه.

١ـ جوامع الجامع ٢: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في المصدر: «حتّى تنقطع».
٣ـ القمّي ١: ٣٠٥.
٤ـ الكافي ٨: ٣٧٧، الحديث: ٥٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: فبشّر من قتل و هو قائم بهذه الشّروط بالشّهادة والجنّة»[١].

والقمّي: نزلت الآية في الائمّة، لأنّه وصفهم بصفة لا تجوز في غيرهم؛ فالآمرون بالمعروف: هم الّذين يعرفون المعروف كُلَّه، صغيرَه و كبيرَه و دقيقَه و جليلَه؛ والنّاهون عن المنكر: هم الّذين يعرفون المنكرَ كلَّه، صغيرَه و كبيرَه؛ والحافظون لحدود الله: هم الّذين يعرفون حدودَ الله، صغيرها و كبيرها و دقيقها و جليلها. ولا يجوز أن يكون بهذه الصّفة غير الأئمّة عليهم السّلام[٢].

و في رواية: سئل عن قوله: "إنّ الله اشترى". فقال: «يعني في الميثاق ثمّ قُرِئَ عليه: "التّائبون"[٣]، فقال: إذا رأيت هؤلاء، فعند ذلك هؤلاء اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، يعني في الرّجعة»[٤].

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ ﴾ بموتهم على الشّرك، أو بوحيٍ من الله ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾. ورد: إنّه سأل: «ما يقول النّاس في قول الله: "و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه" فقيل: يقولون: إنّ[٥] إبراهيم وَعَدَ أباه أن يستغفر له. قال: ليس هو هكذا، إنّ أبا إبراهيم وَعَدَهُ أن يُسلِمَ فاستغفر له، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله، تبرّأ منه»[٦]. و في رواية: «لمّا مات تبيّن له أنّه عدوّ لله، فلم يستغفر له»[٧]. والقمّي: إنّ إبراهيم قال لأبيه: إن لم

١ـ الكافي ٥: ١٥، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٠٦.
٣ـ في المصدر: «ثمّ قرأت عليه: "التّائبون العابدون" فقال أبو جعفر عليه السلام: لا و لكن اقراها: "التّائبين العابدين"».
٤ـ العيّاشي ٢: ١١٢، الحديث: ١٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ لم ترد كلمة «انّ» في «ب» و «ج».
٦ـ العيّاشي ٢: ١١٤، الحديث: ١٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر، الحديث: ١٤٨، مضمراً.

تعبد الأصنامَ استغفرتُ لك، فلمّا لم يَدَعِ الأصنامَ تبرّأ منه [١].

أقول: و يؤيّده قوله تعالى: "إلّا قَوْلَ إبْراهيمَ لأبيهِ لأسْتَغْفِرَنَّ لَكَ" [٢] فنحمل الرّواية الأُولى على وقوع الوعد من كلا الطّرفين.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾. ورد: «الأوّاه: هو الدّعّاء» [٣]. و في رواية: «الأوّاه: المتضرّع إلى الله في صلاته، و إذا خلا في قفر من الأرض، و في الخلوات» [٤].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ﴾: ليخذل ﴿قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ قال: «حتّى يعرّفهم ما يُرْضيه و ما يُسْخِطُه» [٥]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم أمرهم في الحالين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ لا تتأتّى ولاية ولا نصرة إلّا من الله، فتوجّهوا بشراشركم إليه، و تبرّؤوا عمّا عداه.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «لقد تاب الله بالنّبيّ على المهاجرين» [٦]. قال: «هكذا نزلت» [٧]. و في رواية: «قيل له: إنّ العامّة تقرأ: "لقد تاب الله على النّبيّ" فقال: ويلهم! و أيّ ذنب كان لرسول الله ﷺ حتّى تاب الله منه؟ إنّما تاب الله به على أُمّته» [٨]. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾.

القمّي: في قصّة تبوك، هم أبوذرّ و أبو خَيْثَمَة و عُمَيْرَةُ بن وَهَب، الّذين تخلّفوا ثمّ لحقوا

١ـ القمّي ١: ٣٠٦.
٢ـ الممتحنة (٦٠): ٤.
٣ـ الكافي ٢: ٤٦٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ١٦٣، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ٢: ١١٥، الحديث: ١٥٠؛ والتوحيد: ٤١١، الباب: ٦٤، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٨٠، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٢٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الاحتجاج ١: ٩٨، عن النّبيّ ﷺ.

برسول الله ﷺ، و ذكر في عذر تخلّف أبي ذرّ: انّ جَمَلَهُ كان أعْجَفَ [١]، فلحق بعد ثلاثة أيّام حاملاً ثيابَه على ظهره، لوقوف جَمَلِه عليه في بعض الطّريق [٢]، قيل: «العُسْرَةُ»: حالهم في غزوة تبوك، كان يعتقب العَشَرَةُ على بعير واحد، و كان زادُهم الشَّعيرَ المُسَوَّسُ والتّمر المُدَوَّدُ والإهالَةُ السَّنِخَةُ [٣]، و بلغت الشّدّة بهم أن اقتسم التّمرة اثنان، و ربّما مصّها الجماعة؛ و كانوا في حَمارَّة [٤] القَيْظ، و في الضِّيقَة الشّديدة من القحط وقلّة الماء [٥]. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن الثّبات على الإيمان و من اتّباع الرّسول في تلك الغزوة. القمّي: و كان الكفّار خمسة و عشرين ألف رجل، والمؤمنون خمسة و عشرين رجلا [٦]. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «خالفوا. قال: إنّما نزل: خالفوا، ولو خُلِّفوا لم يكن عليهم عتب» [٧]. القمّي: في قصّة تبوك، و قد كان تخلّف عن رسول الله ﷺ قوم من المنافقين و قوم من المؤمنين مستبصرين، لم يعثر عليهم في نفاق؛ منهم: كَعْبُ بن مالك الشّاعر، و مُرارَةُ بنُ الرَّبيع، و هلالُ بنُ أُمَيَّةَ الواقفي، فلمّا بلغهم إقبالُ رسول الله ﷺ ندموا، فلمّا وافوا رسولَ الله ﷺ سلّموا عليه فلم يردّ عليهم السّلامَ و أعرض عنهم، و سلّموا على إخوانهم فلم يردّوا

١ ـ عَجِفَ الفرس عجفاً، من باب تَعِبَ: ضَعُفَ. المصباح المنير ٢: ٤٨ (عجف).
٢ ـ القمّي ١: ٢٩٤ و ٢٩٧.
٣ ـ ساسَ و سَوَّسَ الطّعام: وقع فيه السُّوسُ (دودٌ يقع في الصّوف والطّعام) فهو المَسوس والمُسَوَّس. و داد الطّعام و دَوَّدَ: صار فيه الدّودُ فهو المَدودُ و المُدَوَّد. والإهالة ـ بكسر الهمزة ـ: الشّحم المذاب و قيل: دهن يؤتدم به، و قيل الدَّسم الجامد. والسَّنِخَة: المتغيّرة الرّيح، يقال: سَنِخَ الدّهنُ: إذا فسد و تغيّرت ريحه «راجع: القاموس و مجمع البحرين والصّحاح».
٤ ـ حَمارَّة ـ بتخفيف الميم و شدّة الرّاء ـ: شدّة الحرّ. «القاموس المحيط ٢: ١٤ ـ حمر» و في نسخة «ب» و «ج» حَمازة ـ بالزّاء ـ و هي الشّدّة. القاموس المحيط ٢: ١٨٠ (حمز).
٥ ـ جوامع الجامع ٢: ٩٠.
٦ ـ القمّي ١: ٢٩٦.
٧ ـ المصدر: ٢٩٧ و فيه: «عيب» بدل «عتب».

عليهم، فبلغ ذلك أهليهم فقطعوا كلامهم، فخرجوا إلى ذِناب[1] جبل بالمدينة، فكانوا يصومون و أهلوهم يأتونهم بالطّعام، فيضعونه ناحيةً ثمّ يولّون عنهم فلا يكلّمونهم، فبقوا على هذه الحالة أيّاماً كثيرةً؛ يبكون باللّيل والنّهار و يدعون الله أن يغفر لهم، فلمّا طال عليهم الأمر حلفوا أن لا يكلّمَ أحدٌ منهم صاحبَه حتّى يموت أو يتوب الله عليه، فبقوا على هذه ثلاثة أيّام، حتّى نزلت توبتهم[2]. هذا ملخّص قصّتهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي: مع سعتها، و هو مَثَلٌ لحَيْرَتهم في أمرهم، كأنّهم لا يجدون في الأرض موضعَ قرارٍ، و ذلك حيث لم يكلّمهم رسول الله ﷺ ولا إخوانُهم ولا أهلوهم، فضاقت المدينة عليهم حتّى خرجوا منها ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ حيث حلفوا أن لا يكلّم بعضُهم بعضاً؛ فتفرّقوا ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: و علموا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من سخط الله ﴿إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لمّا عرف صدق نيّاتهم. قال: «هي الإقالة»[3]. ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾: ليعودوا إلى حالتهم الأولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب، ولو عاد في اليوم مائةَ مرّةٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. ورد: «إيّانا عنى»[4]. و في رواية: «الصّادقون هم الأئمّة، والصدّيقون بطاعتهم»[5]. و في أُخرى: «لمّا نزلت هذه الآية قال سلمان: يا رسول الله عامّةٌ هذه الآية أم خاصّةٌ؟ فقال: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين أُمِرُوا بذلك، و أمّا الصّادقون فخاصّةٌ لأخي عليّ عليه السلام و أوصيائي من بعده إلى

١ـ الذِّناب ـ بكسر الذال ـ: عقب كُلِّ شيء. الصّحاح ١: ١٢٨ (ذنب).
٢ـ القمّي ١: ٢٩٦.
٣ـ معاني الأخبار: ٢١٥، باب: توبة الله عزّوجلّ على الخلق، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٢٠٨، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

يوم القيامة»[١]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من الصّادقين»[٢].

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بل عليهم أن يصحبوه على الباساء والضرّاء، و يكابدوا معه الشّدائدَ برغبةٍ و نشاطٍ، كما فعله أبوذرّ و أبو خَيْثَمَة. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: شيء من العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: مَجاعةٌ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طريق الجهاد ﴿وَلَا يَطَئُونَ﴾: ولا يَدُوسُون[٣] بارجلهم و بحوافر خيولهم و أخفاف رواحلهم ﴿مَوْطِئًا﴾: موضعاً ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ وَطْأُهم إيّاه، و يضيق صدورهم بتصرّفهم في أرضهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾ بقتل، أو أسر، أو نهب ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ واستوجبوا الثّوابَ عند الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: ارضاً في مسيرهم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ جزاءَ ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾: و ما استقام لهم أن ينفروا جميعاً؛ لنحو غزوٍ وطلب علمٍ، كما لا يستقيم لهم ان يتبطوا[٤] جميعاً. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ﴾: فهلاّ نفر من كلّ جماعة كثيرة، كقبيلةٍ و اهل بَلْدَةٍ ﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة قليلة ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾: ليتكلّفوا الفقاهَةَ فيه، و يتجشّموا مشاقّ تحصيلها. ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عمّا يُنْذَرُونَ منه. قال: «امرهم أن ينفروا إلى رسول الله ﷺ و يختلفوا إليه فيتعلّموا، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم»[٥]. و في

١ـ كمال الدّين ١: ٢٧٨، الباب: ٢٤، الحديث: ٢٥. عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الدَّوس: الوَطْءُ بالرِّجْل. القاموس المحيط ٢: ٢٢٥ (دوس).
٤ـ في «ج»: «أن يتثبّطوا».
٥ـ علل الشرايع ١: ٨٥، الباب: ٧٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رواية: «كان هذا حين كثر النّاس، فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفةٌ و يقيم طائفةٌ للتّفقّه، و أن يكون الغزو نوباً»[١].

أقول: يعني يبقىٰ مع النّبيّ ﷺ طائفة للتّفقّه و إنذار النّافرة، فيكون النَّفْرُ للغزو، والقعودُ للتّفقّه. و ورد: «تفقّهوا في الدّين، فإنّه مَنْ لم يتفقّه منكم في الدّين فهو أعرابيّ، إنّ الله يقول في كتابه: "ليتفقّهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم"»[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ قال: «الدّيلم»[٣]. والقمّي: يجب على كلّ قوم أن يقاتلوا من يليهم ممّن يَقْرُبُ من الإمام، ولا يجوزوا ذلك الموضعَ[٤]. ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شدّةً و صبراً على القتال. القمّي: أي: غلّظوا لهم القولَ والقتلَ[٥]. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالحراسة والإعانة.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾: فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ إنكاراً و استهزاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبّر السّورة، و انضمام الإيمان بها و بما فيها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بنزولها، لأنّه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم. و قد سبق لزيادة الإيمان و نقصانه بيان في أوائل سورة الانفال[٦].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ قال يقول: «شكّاً إلى شكّهم»[٧]. ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكافي ١: ٣١، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ و٥ـ القمي ١: ٣٠٧.
٦ـ في ذيل الآية: ٤.
٧ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون بأصناف البليّات. القمّي: يمرضون[1]. ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تغامزوا بالعيون؛ إنكاراً لها و سخريّةً، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم. ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: يقولون: هل يراكم أحدٌ من المسلمين إن قمتم وانصرفتم، فإنّا لا نصبر على استماعه، وترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال فإن لم يرهم أحدٌ قاموا، و إن يرهم أحدٌ أقاموا، ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾: تفرّقوا، مخافةَ الفضيحة ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الإيمان والانشراح به بالخِذْلان. القمّي: عن الحقّ إلى الباطل، باختيارهم الباطل على الحقّ[2]. قيل: و هو يحتمل الدّعاء والإخبار[3]. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾. القمّي: مِثْلكم في الخلقة[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من أنْفَسِكم، اي: من أشرفكم»[5]. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾: شديد شاقّ ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: عنَتُكم و لِقاؤُكم المكروهَ. والقمّي: ما أنكرتم و جحدتم[6]. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: على إيمانكم و صلاح شانكم جميعاً ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

قال: «أي: المُلْك العظيم»[7]. ورد: «"رسول من أنفسكم". قال: فينا. "عزيز عليه ما عنتّم". قال: فينا. "حريص عليكم" قال: فينا. "بالمؤمنين رؤف رحيم". قال: شرِكَنا المؤمنون في هذه الرّابعة، و ثلاثة لنا»[8]. و في رواية: «فلنا ثلاثةُ أرباعها و لشيعتنا

١، ٢، ٤و٦ـ القمّي ١: ٣٠٨.
٣ـ البيضاوي ٣: ٨٥.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٩٤.
٧ـ التوحيد: ٣٢١، الباب: ٥٠، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.

رُبعها»[1]. و في أُخرى: «هكذا أنزل الله: لقد جاءَنا رسول من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤف رحيم»[2].



١ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٣٧٨، الحديث: ٥٧٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة يونس

[مكيّة، و هي مائة و تسع آيات][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ : ذي الحكمة، أو المحكم آياته.

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ سابقة و فضلاً، سمّيت قدماً لأنّ السّبق بها، كما سمّيت النّعمة يداً لأنّها باليد تُعْطىٰ، و إضافتها إلى الصّدق لتحقّقها، والتّنبيه على أنّهم إنّما ينالونها بصدق القول والنّيّة. قال: «إنّ معنى "قدم صدق" شفاعة محمّد ﷺ»[2]. و في رواية: «هو رسول الله ﷺ»[3].

أقول: و هذا يرجع إلى ذاك. و في أُخرى: «بولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[4].

أقول: و هذا لأنّ الولاية من شروط الشّفاعة، و هما ملازمتان.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٥ـ ٦ : ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكافي ٨ : ٣٦٤، الحديث : ٥٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ المصدر ١ : ٤٢٢، الحديث : ٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه : «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام».

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ أي: الرّسول ﷺ، و على قراءة: "لَسحْرٌ"، يعنون الكتاب و ما جاء به الرّسول ﷺ، و فيه اعتراف بأنّهم صادفوا منه أُموراً خارقةً للعادة، مُعْجِزَةً إيّاهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾. قد سبق تفسيره عند آية السُّخْرَة[1]. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يقدّره و يقضيه و يرتّبه في مراتبه على أحكام عواقبه؛ والتّدبير: النّظر في أدبار الأُمور لتجيء محمودة العاقبة، والأمر: أمر الخلق كلّه. ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾. تقرير لعظمته و عزّ جلاله، و ردٌّ على من زعم أنّ آلهتهم تشفع لهم عند الله. ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لا غير، إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده لا تشركوا به شيئاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. يعني أنّه أدنى تذكّر، يُنَبِّهُ على الخطأ فيما أنتم عليه، و على أنّه المستحقّ للعبادة لا ما تعبدونه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: إليه رجوعكم في العاقبة، فاستعدّوا للقائه ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾: وَعَدَ وعداً حقاً ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾: بعدله او بعدالتهم في أُمورهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يستحقّونه بسوء اعتقادهم و شوم أفعالهم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: حساب الأوقات؛ من الأشهر والأيّام واللّيالي ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الّذي هو الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يتوقّعونه، لإنكارهم البعث، و ذُهولهم

١ـ الأعراف(٧): ٥٤.

بالمحسوسات عمّا وراءها ﴿ وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها ﴿ وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا ﴾: و سكنوا إليها سكونَ من لا يُزْعَج[١] عنها ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ لا يتأمّلونها ولا ينظرون فيها.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ لاستقامتهم على سلوك الطّريق المؤدّي إلى الجنّة ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾: دعاؤهم فيها: اللّهمّ إنّا نُسبّحك تسبيحاً ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ ﴾: و خاتِمةُ دعائهم: ﴿ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ﴾ الّذي دعَوا به عند زجر، أو استحقّوه ﴿ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ ﴾ :كما يُعجّل لهم الخيرَ و يُجيبهم إليه ﴿ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يعني لا نعجّل لهم الشرّ، ولا نقضي إليهم أجلَهم؛ بل نُمهِلُهم إمهالاً.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا ﴾ لدفعه مُخلصاً فيه ﴿ لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ أي: مضطجعاً ﴿ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ يعني انّه لا يزال داعياً في جميع حالاته لا يفتُر، حتّى يزولَ عنه الضرُّ. ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ ﴾ على طريقته الأُولى قبل أن مسّه الضرّ، أو مرّ عن موقف الدّعاء والتّضرّع لا يرجع إليه ﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ ﴾: كانّه لم يدعنا ﴿ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾: كشف ضرٍّ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾: مثل ذلك التّزيين ﴿ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الانهماك في الشّهوات، والإعراض عن العبادات، عند الرّخاء.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾ بالتّكذيب ﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

١ـ أزعَجَهُ: أقلَقَهُ و قَلَعَهُ من مكانه. مجمع البحرين ٢: ٣٠٤ (زعج).

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج الدالّة على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم؛ لعلمه بإصرارهم على الكفر، و انّه لا فائدة في إمهالهم بعد أن لَزِمَهُمُ الحجّةُ بإرسال الرّسل. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: استخلفناكم فيها ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد القرون الّتي أهلكناهم ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: خيراً أو شرّاً.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾: قرآنٍ آخر ليس فيه ما يَغيظُنا[1] من ذمّ عبادة الأوثان والوعيد لعابديها ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأن تجعل مكان آية العذاب آيةَ الرّحمة، و تُسقطَ ذكرَ الآلهة و ذمَّ عبادتها ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ في التّبديل والنّسخ من عند نفسي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾: ولا أعلمكم به على لساني؛ يعني انّ تلاوته ليست إلّا بمشيّة الله، و إحداثه أمراً عجيباً خارقاً للعادة؛ و هو أن يخرج رجل أُمّيّ لم يتعلّم ساعةً من عمره، ولا نشأ في بلد فيه العلماء، فيقرأ عليكم كتاباً بَهَرَ بفصاحته كُلَّ كلام فصيح، مشحوناً بعلم ما كان و ما يكون. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: فقد اقمت فيما بينكم ناشئاً[2] و كَهْلاً مقدار أربعين سنةً فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحو ذلك فتتّهموني باختراعه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ تشفع لنا فيما يهمّنا من أُمور الدّنيا والآخرة ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: أتخبرونه بما ليس بمعلوم للعالِم بجميع المعلومات، يعني

١ـ في «الف»: «تغيظنا».

٢ـ نشأ ـ كمنع ـ: شبّ والنّاشئ: الغلام والجارية جاوزا حدّ الصّغر. القاموس المحيط ١: ٣١ (نشأ).

بما ليس ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. القمّي: كانت قريش يعبدون الاصنام، ويقولون: إنّما نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى، فإنّا لا نقدر على عبادة الله، فردّ الله عليهم، فقال: قل لهم: يا محمّد "أتنبّئون الله بما لا يعلم" أي: ليس. فوضع حرفاً مكان حرف، أي: ليس له شريك يعبد[١].

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: قبل بعث نوح كانوا على الفطرة؛ لامهتدين ولا ضلّالاً، كما سبق بيانه[٢]. ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ ببعثة الرّسل، فتبعهم طائفة وأضرب أُخرى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ و لتميز المُحقّ من المبطل، و لكنّ الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدّار للتّكليف والاختبار، و تلك للثّواب والعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: من الآيات الّتي اقترحوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: هو المختصّ بعلمه، و لكلّ أمرٍ أجلٌ ﴿فَانتَظِرُوا﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: صحّة و سعة ﴿مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ كمرض وقحط ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ فاجؤا وقوع المكر منهم ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ بالطّعن والاحتيال في دفعها. قيل: قَحطَ أهلُ مكّة سبع سنين حتّى كادوا يهْلكُون، ثمّ لمّا رحمهم الله بالمطر، طفِقُوا يقدحون في آيات الله و يكيدون رسوله[٣]. ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ منكم، قد دبّر عقابكم قبل أن تُدبّروا كيدكم. والمكر: إخفاء الكيد، و هو من الله: الاستدراج و الجزاء على المكر. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾. إعلام بأنّ ما يظنّونه خافياً، غيرُ خاف على الله، و تحقيق للانتقام.

١ـ القمّي ١: ٣١٠.

٢ـ في سورة البقرة ذيل الآية: ٢١٣.

٣ـ الكشّاف ٢: ٢٣١؛ والبيضاوي ٣: ٨٩.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾: يحملكم على السّير و يمكّنكم منه بتهيئة أسبابه ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: في السّفُن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: بمن فيها. عدل عن الخطاب الى الغيبة؛ للمبالغة، كأنّه يذكر لغيرهم ليتعجّب من حالهم. ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ليّنة الهبوب ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾: بتلك الرّيح ﴿جَاءَتْهَا﴾: جاءت السّفُنَ ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شديدةُ الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من أمكنة الموج ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ اي: أُهلكوا؛ يعني: سُدّت عليهم مسالكُ الخلاص، كمن أحاطت به العدوُّ؛ وهو مثَلٌ في الهلاك. ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فاجؤُا الفسادَ فيها، و سارعوا إلى ما كانوا عليه ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: مبطلين فيه؛ و هو احتراز عن تخريب المسلمين ديارَ الكفرة، فإنّها إفساد بحقّ. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾: وباله عليكم. قال: «ثلاث يرجعن على صاحبهنّ: النكث والبغي والمكر. ثمّ تلا هذه الآية»[1]. ﴿مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتمتّعون متاعها ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: حالها العجيبة؛ في سرعة تقضّيها، و ذهاب نعيمها بعد إقبالها و اغترار النّاس بها ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتها ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾: و تزيّنت بأصناف النّبات و أشكالها و ألوانها المختلفة ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾: متمكّنون من حصْدها و رفع غلّتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ ضربها عاهةٌ و آفةٌ بعد أمنهم و إيقانهم أنْ قد سلِمَ ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾: فجعلنا زرعها ﴿حَصِيدًا﴾: شبهاً[2] بما يُحْصَدُ من الزّرع من أصله ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾: كان لم يوجد زرعها فيما قبيله، و "الأمس":

١ـ العيّاشي ٢: ١٢١، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ في «ج»: «شبيهاً».

مَثَلٌ في الوقت القريب، والممثَّلُ به مضمون الحكاية لا الماء، و إن وليه حرف التّشبيه، لأنّه من التّشبيه المركّب. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾: دار الله. قال: «إنّ السّلام هو الله عزّوجلّ، و داره الّتي خلقها لعباده و لأوليائه، الجنّة»[1]. ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الّذي هو طريقها.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾: المَثوبةُ الحسنىٰ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: و ما يزيد على المثوبة تفضّلاً. القمّي: هي النّظر إلى رحمة الله[2]. و ورد: «أمّا الحسنىٰ فالجنّة، و أمّا الزّيادة فالدّنيا، ما أعطاهم الله في الدّنيا لم يحاسبهم به في الآخرة و يجمع لهم ثواب الدّنيا والآخرة»[3]. و في رواية: «الزّيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب»[4]. ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: ولا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾: غَبَرَةٌ فيها سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: أثرُ هوانٍ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ لا تزاد عليها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: من سخطه، أو من عنده ﴿مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ لفرط سوادها و ظلمتها. قال: «أما ترى البيت إذا كان اللّيل كان أشدّ سواداً، فكذلك هم يزدادون سواداً»[5]. و قال: «هؤلاء أهل البدع والشّبهات والشّهوات، يسوّد الله وجوهَهم، ثمّ يَلْقَونَه و يُلْبِسُهُمُ الذّلّةَ والصَّغار»[6]. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الفريقين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾:

١ـ معاني الأخبار: ١٧٧، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١١.
٣ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٠٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ٢٥٣، الحديث: ٣٥٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. و فيه: «أشدّ سواداً من خارج فلذلك».
٦ـ القمّي ١: ٣١١، عن أبي جعفر عليه السلام. والصَّغارُ: الذّلّ والهوان. النّهاية ٣: ٣٢ (صغر).

الزموا مكانكم لا تبرحوا حتّى تنظروا ما يفعل بكم ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرّقنا بينهم، و قطعنا الوصل الّتي كانت بينهم. القمّي: يبعث الله ناراً تزيل بين الكفّار والمؤمنين[1]. ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ لأنهم إنّما عبدوا في الحقيقة أهواءهم الّتي حملتهم على الإشراك لا ما أشركوا به، أو الشّياطين حيث أمروهم أن يتّخذوا[2] لله أنداداً فأطاعوهم.

﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا﴾: إنّه كنّا ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام ﴿تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: تختبر ما قدّمت من عمل، فتعاين نفعه و ضرّه. ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: ربّهم الصّادق ربوبيّته، المتولّي لأمرهم على الحقيقة، لا ما اتّخذوه مولىً ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: و ضاع عنهم ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يدّعون أنّهم شركاء الله و أنّهم تشفع لهم.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ جميعاً بأسباب سماويّة و أرضيّة؟ ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: أمّن يستطيع خلقهما و تسويتهما و حفظهما من الآفات؟ ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: و من يحيي و يميت؟ ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾؛ إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك؛ لفرط وضوحه. ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه في عبادة غيره.

﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أُريد بالكلمة كلمة العذاب، إن جعل "أنّهم لا يؤمنون" تعليلاً، و انتفاء الإيمان، إن جعل بدلاً.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

۱ـ القمّي ۱: ۳۱۲.

۲ـ في «الف»: «أو يتّخذوا».

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج و إرسال الرّسل والتّوفيق للنّظر والتدبّر؟ ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي﴾: لايهتدي ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾: يهديه غيرُه؟ ورد: «فأمّا من يهدي إلى الحقّ فهو محمّد و آل محمّد عليهم السّلام من بعده، و أمّا من لا يهدي إلّا أن يهدى فهو من خالف، من قريش و غيرهم، أهل بيته من بعده»[1]. ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ فيما يعتقدون ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستنداً إلى خيالات فاسدة. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ﴾: و ما صحّ و ما استقام ﴿هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أن يكون افتراءً من الخلق ﴿وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة، لأنّه مُعجِز دونها، و هو عيارٌ عليها[2]، شاهد لصحّتها ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: و تبيينَ ما شُرِعَ و فُرِضَ من الأحكام من قوله: "كِتابَ اللّهِ عَلَيْكُم"[3]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: اختلقه؟! ﴿قُلْ﴾ إن افتريتُه كما زعمتم ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ في البلاغة و حسن النّظم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ أن تدعوه للاستعانة به على الإتيان بمثله ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾: بل سارعوا إلى التكذيب ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ من القرآن و غيره أوّلَ ما سمعوه، قبل أن يتدبّروا فيه. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: و لم يقفوا بعدُ على تأويله و معانيه. ورد: إنّه سئل عن الأُمور العظام من الرّجعة و غيرها، فقال: «إنّ هذا الّذي تسألوني عنه لم يأت أو انه. قال الله: "بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لمّا يأتهم

١ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ عيار الشّيء: ما جعل نظاماً له يقاس به و يستوي. اقرب الموارد ٢: ٨٥٢ (عير).
٣ـ النّساء (٤): ٢٤.

تأويله»[1]. والقمّي: نزلت في الرّجعة، كذّبوا بها. اي: انّها لا تكون[2]. ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾: أنبياءهم ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ في نفسه و يعلم انّه حقّ و لكنّه يعاند، أو و منهم من يؤمن به في المستقبل. ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ في نفسه لفرط غباوته[3] و قلّة تدبّره، أو فيما فيما يستقبل و يُصرُّ على الكفر. قال: «هم أعداء آل محمّد عليهم السّلام من بعده»[4].

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ يعني: و إن يئستَ من إجابتهم و أصرّوا على تكذيبك فتبرّأ منهم و خلّهم، فقد أعذرْتَ إليهم. قيل: هي منسوخة بآية القتال[5].

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾ إذا قرأت القرآن و علّمت الشّرائع، و لكن لا يقبلون، كالاصمّ الّذي لا يسمع. ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾: تقدر على إسماعهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: ولو انضمّ إلى صَمَمِهم عدمُ تعقّلهم؟! يعني انّ حقيقة استماع الكلام ليست إلاّ فهمَ المعنى المقصود منه، و ليس ذلك فيهم.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ﴾ و يُعاينون دلالات نبوّتك، و لكن لا يصدّقون. ﴿أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾: تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾: و إن انضمّ إلى عدم البَصَر عدمُ البصيرة؟!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ ممّا يتّصل بمصالحهم من الحواسّ والعقول. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بإفسادها و تفويت منافعها عليهم. ورد: «إنّ الله الحليمَ العليمَ

١ـ العيّاشي ٢: ١٢٢، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٢.
٣ـ غَبَا الشّيءَ و عنه غباً و غَبَاوَةً: لم يفطنْ له. القاموس المحيط ٤: ٣٧٠ (غبا).
٤ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١١١؛ والكشّاف ٢: ٢٣٨.

إنّما غضبُه على من لم يقبل منه رضاه، و إنّما يمنع من لم يقبل منه عطاه، و إنّما يُضِلُّ من لم يقبل منه هداه»[1].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾: يستقصرون مدّة لبثهم في الدّنيا، أو القبور؛ لهول ما يرون. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً، كأنّهم لم يتفارقوا إلّا قليلاً ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك، كما أراه يوم بدر ﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نُرِيَك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنريكه في الآخرة ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾. مجاز عليه ذكر الشّهادة، و أراد مقتضاها، و لذلك رتّبها على الرّجوع بـ "ثمّ"، أو المراد:[2] يشهد على أفعالهم يوم القيامة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبيّنات فكذّبوه، أو يوم القيامة ليشهد عليهم ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم﴾: بين الرّسول و مكذّبيه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل؛ فأنْجِيَ الرّسولُ و عُذِّبَ المكذّبون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. قال: «تفسيرها في الباطن، أنّ لكلّ قرن من هذه الأمّة رسولاً من آل محمّد عليهم السّلام يخرج إلى القرن الّذي هو إليهم رسول؛ و هم الأولياء، و هم الرّسل. و أمّا قوله: "فإذا جاء رسولهم قُضي بينهم بالقسط" فإنّ معناه: أنّ رسل الله يقضون بالقسط و هم لا يظلمون»[3].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾. استعجالٌ لما وُعِدُوا من العذاب واستبعاد له. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. شاركوا النّبيّ ﷺ والمؤمنين[4] في الخطاب.

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف أملك لكم الضّرّ؟! ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

١ـ الكافي ٨: ٥٢، الحديث: ١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «الف»: «والمراد».
٣ـ العيّاشي ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في جميع النُّسخ: «شاركوا النّبيّ ﷺ المؤمنين» بدون الواو، والصّواب ما اثبتناه كما في الصّافي ٢: ٤٠٥.

أن أملكه، أو ما شاء وقوعه فيقع ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم. قال: «هو الّذي سُمّيَ لملك الموت في ليلة القدر»[١]. ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الّذي تستعجلونه ﴿بَيَاتًا﴾: وقت بيات و اشتغالٍ بالنّوم ﴿أَوْ نَهَارًا﴾: حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أيّ شيء من العذاب يستعجلونه، و ليس شيء منه يوجب الاستعجال؟ وُضِعَ المجرمون موضع الضّمير، للدّلالة على أنّهم لجرمهم ينبغي أن يَفْزَعُوا لمجيء الوعيد لا أن يستعجلوه. قال: «هذا عذاب ينزل في آخر الزّمان على فسقة أهل القبلة، و هم يجحدون نزول العذاب عليهم»[٢].

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ بعد وقوعه، حين لا ينفعكم الإيمان به؟ ﴿آلْآنَ﴾ على إرادة القول، أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تكذيباً، و استهزاءً.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾: و يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: أحقّ ما تقول من الوعد والوعيد و غير ذلك. قال: «ما تقول في عليٍّ عليه السلام»[٣]. و في رواية: «و يستنبئك أهل مكّة عن عليّ عليه السلام إمام هو؟»[٤]. ﴿قُلْ إِي﴾: نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين إيّاه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خزائنها و أموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: لجعلته فدية لها من العذاب. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لأنّهم بُهِتُوا بما عاينوا ممّا لم يحتسبوه من فظاعة الأمر و هوله. القمّي: «ظَلَمَتْ» يعني آل محمّد عليهم السّلام

١ـ العيّاشي ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث: ٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الامالي (للصّدوق): ٥٣٦، المجلس السّادس والتّسعون، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السّلام.

حقّهم، "لأفتدت به" يعني في الرّجعة[1]. ورد: إنّه سئل: ما ينفعهم إسرار النّدامة وهم في العذاب؟ قال: «كرهوا شماتة الأعداء»[2]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: بين الظّالمين والمظلومين ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. تقرير لقدرته على الإثابة والعقاب. ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنّ علمهم لا يتجاوز الظّاهر من الحياة الدّنيا.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال: «شفاء من أمراض الخواطر و مشتبهات الأمور»[3]. و في رواية: «من نَفْثِ الشّيطان»[4]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾. قال: «فضل الله: رَسُولُه[5] ﷺ، و رحمته: عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[6]. و في رواية: «فضل الله: نبوّة نبيّكم، و رحمته: ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام "فبذلك" قال: بالنّبوّة والولاية "فليفرحوا"، يعني الشّيعة»[7]. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال: «يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدّنيا»[8].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: اخبروني ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ حلال كلّه ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾: فجعلتم بعضه حراماً و بعضه حلالاً مثل: "هٰذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ

١ـ القمّي ١: ٣١٣.
٢ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البحار ٣: ١٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٤٤، ذيل الحديث: ٨، مرفوعة.
٥ـ في «ب» و «ج»: «رسول الله».
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧و٨ـ الأمالي (للصّدوق): ٤٠٠، المجلس الرّابع والسّتّون، ذيل الحديث: ١٣، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام.

حجر"[١] "ما في بُطُونِ هذهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلىٰ أزْواجِنا"[٢].

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في التّحريم والتّحليل ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ في نسبة ذلك إليه.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: ايّ شيء ظنّهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أيحسبون أن لا يجازوا عليه؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾: في أمر ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾: من الشّأن ﴿مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تخوضون فيه و تندفعون. القمّي: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بَكىٰ بكاءً شديداً[٣]. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: و ما يبعد و ما يغيب عن علمه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: ما يُوازن نملةً صغيرة، أو هَباءً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوات مأمول.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. بيان لأولياء الله، أو استيناف خَبَرُهُ ما بعده. قال: «هم نحن و أتباعنا ممّن تبعنا من بعدنا، طوبى لنا و طوبى لهم، و طوباهم أفضل من طوبانا. قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا؟ ألسنا نحن و هم على أمر؟ قال: لا، إنّهم حملوا ما لم تحملوا، و أطاقوا ما لم تطيقوا»[٤].

و في رواية: «طوبى لشيعة قائمنا، المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٥]. و في أُخرى: «هم

١ـ الأنعام (٦): ١٣٨.
٢ـ الانعام(٦): ١٣٩.
٣ـ القمّي ١: ٣١٣.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٢٤، الحديث: ٣٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ كمال الدين ٢: ٣٥٧، الباب: ٣٣، الحديث: ٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الّذين يُذكَرُ[1] الله برؤيتهم، يعني في السَّمْتِ والهيئة»[2]. و في أُخرى: «إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، و نظروا فكان نظرهم عبرةً، و نطقوا فكان نطقهم حكمةً، و مشوا فكان مشيهم بين النّاس بركةً، لولا الآجال الّتي كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم، خوفاً من العذاب و شوقاً إلى الثّواب»[3]. و في أُخرى: «"ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" إذا أدّوا فرائض الله، و أخذوا بسنن رسول الله، و تورّعوا عن محارم الله، و زهدوا في عاجل زهرة الدّنيا، و رغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطّيّب من رزق الله، لا يريدون التّفاخر والتّكاثر، ثمّ أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأُولئك الّذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، و يُثابون على ما قدّموا لآخرتهم»[4].

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قال: «هي الرّؤيا الحسنة يراها المؤمن أو يُرىٰ له»[5]. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: «هي بشارة المؤمن عند الموت بالمغفرة»[6]. و في رواية: «بالجنّة»[7]. و هو قوله تعالى: "الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ"[8] و ورد: «يبشّرهم بقيام القائم عليه السلام و بظهوره و بقتل أعدائهم، و بالنّجاة في الآخرة، والورود على محمّد و آله الصّادقين على الحوض»[9]. و في رواية: «إذا وقعت نَفَسُهُ في صدره يرى رسولَ الله صلى الله عليه وآله، فيقول له: أنا رسول الله صلى الله عليه وآله أبشر، ثمّ يرى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول: أنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي كنتَ تحبّه، أنا أنفعك

١ـ في «ب»: «يذكرون الله» و هو تصحيف.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ١١٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والسَّمْتُ: هَيْئَةُ أهل الخير؛ يقال: ما أحسن سَمْتَهُ، اي: هَدْيَه. الصّحاح ١: ٢٥٤ (سمت).
٣ـ الكافي ٢: ٢٣٧، الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٢٤، الحديث: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و جوامع الجامع ٢: ١١٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و فيهما: «أو ترى له»؛ و في الكافي ٨: ٩٠، الحديث: ٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ من لايحضره الفقيه ١: ٨٠، الحديث: ٣٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ النّحل (١٦): ٣٢.
٩ـ الكافي ١: ٤٢٩، الحديث: ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

اليوم. قال: و ذلك في القرآن قوله عزّوجلّ: «الّذين آمنوا و كانوا يتّقون لهم البشرىٰ في الحيوٰة الدّنيا و في الآخرة»[۱]. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا تغيير[۲] لأقواله ولا إخلاف لمواعيده؛ و هو اعتراض. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم و تدبيرهم في إبطال أمرك، و ساير ما يتكلّمون به في شانك. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: إنّ الغلبة والقهر جميعاً للّه، لا يملك أحدٌ شيئاً منهما غيره، فهو يغلبهم و ينصرك عليهم. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لما يقولون و بما يعزمون.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ يعني لا يتّبعون شركاء؛ فاقتصر على أحدهما، أي: شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمّونها شركاء. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: إلّا ظنّهم أنّهم شركاء ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقدّرون تقديراً باطلاً، و يجوز أن يكون «ما» في: «وَمَا يَتَّبِعُ» استفهاميّة، أو موصولة معطوفة على «مَنْ».

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يقيمون به رياستهم في الكفر ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾: عظُم و شقّ

۱ـ الكافي ۳: ۱۳۳، الحديث: ۸، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۲ـ في «ج»: «لاتغير».

مكاني، أو إقامتي[١] بينكم مدّةً مديدةً، أو قيامي على الدّعوة ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إيّاكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾: فاعزموا على ما تريدون مع شركائكم، واجتمعوا على السّعي في إهلاكي ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستوراً، واجعلوه ظاهراً مكشوفاً؛ من غمّهُ: إذا ستره. والقمّي: لا تغتمّوا[٢].

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾: أدّوا إليّ ذلك الأمر الّذي تريدون بي. والقمّي: ثمّ ادعوا عليّ[٣].

﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: ولا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ يوجب تولّيكم، لثقله عليكم، و اتّهامكم إيّاي لأجله ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لحكمه.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فاصرّوا على تكذيبه في المدّة الطّويلة ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ من الغرق ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾: خلفاء لمن هلك بالغرق[٤] ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: «يعني في الميثاق»[٥]. و ورد في تفسيرها: «بعث الله الرّسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرّجال و أرحام النّساء، فمن صدّق حينئذ صدّق بعد ذلك، و من كذّب حينئذ كذّب بعد ذلك»[٦]. و قد مرّ فيه حديث آخر في الأعراف[٧]. ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

١ـ في «ب»: «و إقامتي».
٢و٣ـ القمّي ١: ٣١٤.
٤ـ في «ب»: «لمن هلك بالغرق في الأرض».
٥ـ الكافي ١: ٤٢٨، الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام، في تفسير الآية: ١٥٨ من سورة الأنعام.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٢٦، الحديث: ٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في ذيل الآية: ١٠١.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾: إنّه لسحر. حذف محكيّ القول لدلالة ما قبله و ما بعده عليه، أو المعنى: أتعيبُونَ الحقّ و تطْعَنُونَ فيه؟ ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾. قيل: استيناف بإنكار ما قالوه و ليس بمحكيّ القول، لأنهم بتّوا القول[١]. ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾: لتصرفنا ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾: حاذق فيه.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾ أي: الّذي جئتم به هو السّحر لا ما سمّيتموه سحراً. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾: أولاد. قيل: أي: طائفة من شبّانهم[٢].
﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾: أن يعذّبهم ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ في الكبر والعتوّ والظّلم والفساد، حتّى ادّعى الرّبوبيّة واسترقّ أسباط الأنبياء.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ لمّا رأى تخوّف المؤمنين به: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ ﴾: فثقوا به و أسْنِدُوا أمركم إليه واعتمدوا عليه، ولا تخافوا من فرعون و قومه

٨ـ النحل (١٦): ٣٢.

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: مستسلمين لقضاء الله مخلصين له؛ و ليس هذا تعليق الحكم بشرطين، فإنّ المعلّق بالإيمان وجوبُ التوكّل، فإنّه المقتضي له؛ و المشروط بالإسلام حصوله، فإنّه لا يوجد مع التخليط؛ نظيره: إن دعاك فلان فاجبه إن قدرت.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال: «لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا»[1]. و في رواية: «استعبدهم آل فرعون و قالوا: لو كان لهؤلاء كرامة كما يقولون، ما سلّطنا عليهم. فقال موسى لقومه: "يا قوم" الآية»[2].

أقول: هذه الرّواية تفسّر الأولى[3]. و قيل: أي: لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا أو يعذّبونا[4].

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: من كيدهم و استعبادهم إيّانا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾: اتّخذا لهم مَباءَةً[5]، أي: مرجعاً يرجعون إليه للعبادة ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مصلّىً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فيها. قال: «لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها، أوحى الله إلى موسى و هارون "أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة". قال: أُمروا أن يصلّوا في بيوتهم»[6].

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنّصرة في الدّنيا والجنّة في العقبىٰ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾: ما يتزيّن به من اللّباس والفرش والمراكب و نحوها ﴿وَأَمْوَالًا﴾: و أنواعاً من المال ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾. القمّي: أي: يفتنوا النّاس بالأموال، ليعبدوه ولا يعبدوك[7]. واللّام

١ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ١٢٨؛ والعيّاشي ٢: ١٢٧، الحديث: ٣٨، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «تفسيرُ الأولى»
٤ـ تفسير أبي السعود ٤: ١٧١.
٥ـ في «الف» و «ج»: «مباة» و في «ب»: «مباتاً».
٦ـ القمّي ١: ٣١٥، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٧ـ المصدر: ٣١٥.

للعاقبة. ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾: أهلكها و امحقها ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ و أقسها واطبع عليها، حتّى لا تنشرح للإيمان ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾. لمّا لم يبق له طمع في إيمانهم اشتدّ غضبه عليهم، فدعا الله عليهم بما علم أنّه لا يكون غيره.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ يعني موسى و هارون. قال: «دعا موسى و أمّن هارون و أمّنت الملائكة»[1]. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: فاثبتا على ما أنتما عليه من الدّعوة و إلزام الحجّة ولا تستعجلا، فإنّ ما طلبتما كائن، و لكن في وقته. ورد: «كان بين قول الله: "قد أجيبت دعوتكما" و بين أخذ فرعون أربعون سنة»[2]. ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في الاستعجال و عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿آلْآنَ﴾: أتؤمن الآن و قد آيست من نفسك و لم يبق لك اختيار ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبل ذلك مدّة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: الضالّين المضلّين عن الإيمان.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾: ننقذك عارياً عن الرّوح، ممّا وقع فيه قومك من البحر أو نلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض، و هي المكان المرتفع ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾: علامة يظهر لهم عبوديّتك و مهانتك ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها.

قال: «إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم يُرَ منهم أحدٌ، هَوَوْا في البحر إلى النّار، و أمّا فرعون فنبذه الله وحده، فالقاه بالسّاحل لينظروا إليه و ليعرفوه، ليكون لمن خلفه آيةً، و لئلاّ يشكّ أحد في هلاكه، إنّهم كانوا اتّخذوه ربّاً فاراهم الله إيّاه جيفةً ملقاة

١ ـ الكافي ٢: ٥١٠، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله.
٢ ـ العيّاشي ٢: ١٢٧، الحديث: ٤٤٠ والكافي ٢: ٤٨٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيهما: «اربعين سنة».

بالسّاحل ليكون لمن خلفه عبرةً و عظةً. يقول الله: " و إنّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون "»[1].

و في رواية: «و قد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد، قد لبسه على بدنه، فلمّا غرق ألقاه الله على نَجْوَةٍ من الأرض ببدنه، ليكون لمن بعده علامةً، فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الارض و سبيل الثّقيل[2] أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آيةً و علامةً، و لعلّة أُخرى أغرقه الله، و هي أنّه استغاث بموسى لمّا أدركه الغَرَقُ و لم يستغث بالله، فأوحى الله إليه: يا موسى لم تُغِثْ فرعون، لأنّك لم تخلقه، ولو استغاث بي لأغثته»[3].

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلاً صالحاً مرضياً و هو الشّام و مصر. القمّي: ردّهم إلى مصر و غرق فرعون[4]. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: اللّذائذ ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في أمر دينهم و ما تشعّبوا شُعَباً ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بدين الحقّ و قرؤوا التّوراة و علموا أحكامها، و في أمر محمّد ﷺ، إلاّ من بعد ما علموا صدقه بنعوته و تظافر معجزاته. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيميز المحقّ من المبطل، بالإنجاء والإهلاك.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. قال: «المخاطب بذلك رسول الله ﷺ و لم يكن في شكّ ممّا أنزل الله، و لكن قالت الجهلة: كيف

١ـ القمّي ١: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «ب»: «و سبيل الثّقل» و في «الف»: «و سبيل الثّقيل يرسب». و ما في المتن موافق للمصدر.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٨، الباب: ٣٢، الحديث: ٧.
٤ـ القمّي ١: ٣١٦.

لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة، لنفرق بينه و بين غيره في الاستغناء عن المآكل والمشرب والمشي في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيّه: "فاسأل الّذين يقرؤون الكتاب من قبلك" بمحضر من الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ و هو يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق؟ و لك بهم أسوة، و إنّما قال: "فإن كنت في شكّ" و لم يكن، ولكن ليتّبعهم، كما قال: "فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْنآءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَنِسآءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ"[١] ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، لم يكونوا يجيبون للمباهلة، فقد عرف أنّ نبيّه صلى الله عليه و آله مؤدّ عنه رسالته و ما هو من الكاذبين و كذلك عرف النّبيّ صلى الله عليه و آله أنّه صادق فيما يقول، و لكن أحبّ أن ينصف من نفسه»[٢].

و ورد: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لا أشكّ و لا أسأل»[٣].

و في رواية: «لمّا أُسري برسول الله صلى الله عليه و آله إلى السّماء، و أوحى الله إليه في عليّ عليه السلام ما أوحى، من شرفه و من عظمته عند الله، ورد إلى البيت المعمور و جمع له النّبيّين و صلّوا خلفه، عرض في نفس رسول الله صلى الله عليه و آله من عِظَمِ ما أوحى إليه في عليّ عليه السلام، فأنزل الله: "فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك فاسأل الّذين يقرؤون الكتاب من قبلك" يعني الأنبياء. فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا في كتابك "لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين ولا تكوننّ من الّذين كذّبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين". قال: فوالله ما شكّ و ما سأل»[٤].

١ـ آل عمران (٣): ٦١.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٨، الحديث: ٤٢؛ و علل الشّرايع ١: ١٢٩، الباب: ١٠٧، الحديث: ١، عن أبي الحسن الهادي عليه السلام.
٣ـ علل الشّرايع ١: ١٣٠، الباب: ١٠٧، الحديث: ٢، مرفوعاً عن أحدهما عليهما السّلام.
٤ـ القمّي ١: ٣١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: و على كلتا الرّوايتين، فالخطاب من قبيل: إيّاك أعني واسمعي يا جاره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بأنّهم يموتون كفّاراً ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ و حينئذ لا ينفعهم، كما لم ينفع فرعون.

﴿فَلَوْلَا﴾: فهلاّ ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ من القرى الّتي أهلكناها ﴿آمَنَتْ﴾ قبل معاينة العذاب، و لم تؤخّر إليها كما أخّر فرعون إلى أن أدركه الغرقُ ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ بأن يَقْبَلَهُ الله منها، و يكشف العذابَ عنها ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: لكنّ قوم يونس ﴿لَمَّا آمَنُوا﴾ أوّلَ ما رأوا أمارةَ العذاب و لم يؤخّروه إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾. و يجوز أن تكون الجملة في معنى النّفي، لتضمّن حرف التّحضيض معناه، فيكون الاستثناء متّصلاً، كأنّه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلاّ قوم يونس.

قال: «ما ردّ الله العذاب إلاّ عن قوم يونس، و كان يونس يدعوهم إلى الإسلام فتأبّوا ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم، و كان فيهم رجلان عابد و عالم، و كان اسم أحدهما «مليخا» والآخر اسمه «روبيل»، و كان العابد يشير على يونس بالدّعاء عليهم، و كان العالم ينهاه و يقول: لا تَدْعُ عليهم، فإنّ الله يستجيب لك ولا يحبّ هلاك عباده. فقبل قولَ العابد و لم يقبل من العالم، فدعا عليهم، فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا و كذا، في شهر كذا و كذا، في يوم كذا و كذا، فلمّا قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد، و بقي العالم فيها، فلمّا كان في ذلك اليوم نزل العذاب. فقال العالم لهم: يا قوم افزعُوا إلى الله، فلعلّه يرحمكم فيردَّ العذاب عنكم. فقالوا: كيف نصنع؟ قال: اخرجُوا إلى المفازة، و فرّقوا بين النّساء والأولاد، و بين الإبل و أولادها، و بين البقر و أولادها، و بين الغنم و أولادها، ثمّ ابكوا وادعوا. فذهبوا و فعلوا ذلك

و ضَجّوا[1] و بكوا، فرحمهم الله و صرف عنهم العذاب و فرّق العذاب على الجبال، و قد كان نزل و قرب منهم»[2] الحديث. و يأتي تمامه في سورة الأنبياء إن شاء الله[3].

و في رواية: «أصبحوا أوّل يوم و وجوههم صُفْرٌ، و أصبحوا اليومَ الثّاني و وجوههم سُوْدٌ، و أتاهم العذاب حتّى نالوه برِماحهم، ففرّقوا بين الأُمّهات و أولادهنّ، و لبسوا المُسُوح والصّوف، و وضعوا الحِبال في أعناقهم والرّماد على رؤوسهم، و ضجّوا ضجّةً واحدةً إلى ربّهم و قالوا: آمنّا بإله يونس. فصرف الله عنهم العذاب، و أصبح يونس و هو يظنّ أنّهم هلكوا فوجدهم في عافية»[4].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

قال: «إنّ المسلمين قالوا: لو أكْرَهْتَ يا رسول الله من قدرتَ عليه من النّاس على الإسلام، لكثر عددُنا و قوّتنا على عدوّنا[5]. فقال: ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً، و ما أنا من المتكلّفين، فأنزل الله عليه: يا محمّد "ولو شاء ربّك لآمن مَن في الارض كلّهم جميعاً" على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدّنيا، كما يؤمن عند المعاينَة و رؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً، و لكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين ليستحقّوا منّي الزّلفى والكرامةَ و دوامَ الخلود في جنّة الخلد "أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين". و أمّا قوله: "و ما كان

١ـ في «الف»: «فضجّوا».
٢ـ القمّي ١: ٣١٧ـ٣١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. و تراه بالتّفصيل في العيّاشي ٢: ١٢٩ـ١٣٤، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله.
٣ـ في ذيل الآية: ٨٧.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٣٦، الحديث: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في المصدر: «و قوينا على عدوّنا».

لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله " [فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، و لكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله][1] و إذنه: أمره لها بالإيمان، ما كانت مكلّفة متعبّدة، و إلجاؤه[2] إيّاها إلى الإيمان عند زوال التّكليف والتّعبّد عنها»[3].

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من عجائب صنعه ليدلّكم على وحدته وكمال قدرته. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. "ما" نافية، أو استفهاميّة. قال: «الآيات: الأئمّة، والنّذر: الأنبياء عليهم السّلام»[4].

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: مثلَ وقايعهم و نزول بأس الله بهم، إذ لا يستحقون غيرها ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني نُهلكُ الأُمَمَ ثمّ ننجّي ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾: حقّ ذلك علينا حقّاً؛ و هو اعتراض. ﴿نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حين نهلك المشركين. قال: «ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنّه من أهل الجنّة، إنّ الله يقول: "كذلك حقّاً علينا ننجي المؤمنين"»[5].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ و صحّته ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾. خصّ التّوفّي بالذّكر للتّهديد. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدّقين بالتّوحيد، فهذا ديني.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: و أُمرت بالاستقامة والسّداد في الدّين، بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

١ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «الف».
٢ ـ في المصدر: «و الجاءه».
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٣٥، الباب: ١١، الحديث: ٣٣.
٤ ـ الكافي ١: ٢٠٧، الحديث: ١؛ والقمّي ١: ٣٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي ٢: ١٣٨، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن خذلته ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: فإن دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنّ الشرك لظلم عظيم. القمّي: مخاطبة للنبيّ والمعنيُّ النّاس[1].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾. ذكْر المسّ مع الضرّ والإرادة مع الخير تنبيهٌ على أنّ الخير مراد بالذات، و أنّ الضرّ إنّما مسّهم لا بالقصد الاوّل، و وضْع الفضل موضع الضّمير للدّلالة على أنّه متفضّل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه، و لم يستثن لأنّ مراد الله لا يمكن ردّه. ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فتعرّضوا لرحمته[2] بالطّاعة، ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ و لم يبق لكم عذر ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾: اختار الهدى بالإيمان والطّاعة ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لانّ نفعه لها ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: اختار الضّلال بالجحود ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأنّ وباله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ موكول إليّ امركم وحملكم على ما أريد، إنّما أنا بشير و نذير.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ بالامتثال والتّبليغ ﴿وَاصْبِرْ﴾ على دعوتهم و احتمال اذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ لك بالنّصر والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لانّه لا يحكم إلّا بالحقّ والعدل.

١- القمّي ١: ٣٢٠.

٢- في «ب»: «فتعرّضوا الرّحمة».

سورة هود

[مكيّة إلّا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤، وآياتها مائة و ثلاث و عشرون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾: نُظِمَتْ نظماً محكماً لا نقص فيه ولا خَلَل، كالبناء المحكم ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾ بدلائل التّوحيد والمواعظ والأحكام والقصص. و معنى «ثمّ» التّراخي في الحال لا في الوقت. قال: «هو القرآن» [2]. ﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾.

﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ بالعقاب على الشّرك والثّواب على التّوحيد.

﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ من الشّرك والمعصية ﴿ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ بالإيمان والطّاعة ﴿ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾: يُعِشْكم في أمن ودعة ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ هو آخر أعماركم ﴿ وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ ﴾ في دينه ﴿ فَضۡلَهُۥۖ ﴾: جزاءَ فضله في الدّنيا والآخرة ﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾ القمّي: يعني الدّخان والصّيحة [3].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ القمّي ١: ٣٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٢١.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على تعذيبكم أشدّ عذاب.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: يعطفونها ﴿لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾. قال: «إنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله ﷺ حول البيت طأطأ أحدهم ظهره و رأسه هكذا، و غطّى رأسه بثوبه حتّى لا يراه رسول الله ﷺ فأنزل الله الآية»[1]. والقمّي: يكتمون ما في صدورهم من بغض عليّ عليه السلام[2]. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطّون بثيابهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾. القمّي: كان النبيّ ﷺ إذا حدّث بشيء من فضل عليّ عليه السلام، أو تلا عليهم ما أنزل الله فيه، نفضوا ثيابهم[3] ثمّ قاموا، يقول الله: "يعلم ما يسرّون و ما يعلنون" حين قاموا[4].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ لتكفّله إيّاه تفضّلاً و رحمة ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ قال: «من الأرحام والظّهور إلى أن يتناهى[5] بهم الغايات»[6].

﴿كُلٌّ﴾ من الدّوابّ و رزقها و مستقرّها و مستودعها ﴿فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: مذكور في اللّوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. سبق تأويله[7]. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبل خلقهما. قال: «يعني أنّ الله حمّل دينه و علمه الماء قبل أن يكون سماء أو أرض أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر»[8]. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خلقهنّ لحكمة بالغة، و هي أن يجعلها مساكن لكم، و يُنعِمَ عليكم بفنون النّعم،

١ـ الكافي ٨: ١٤٤، الحديث: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٢١.
٣ـ نَفَض الثوبَ: حرّكه لينتفض. القاموس المحيط ٢: ٣٥٩ (نفض).
٤ـ القمّي ١: ٣٢١.
٥ـ في المصدر: «تتناهى».
٦ـ نهج البلاغه (للصّبحي الصّالح): ١٢٣، الخطبة: ٩٠.
٧ـ في سورة الأعراف(٧): ٥٤.
٨ـ التّوحيد: ٣١٩، الباب: ٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و يكلّفكم و يعرّضكم لثواب الآخرة، و يفعل بكم ما يفعل المبتَلي لأحوالكم، ليظهر أيّكم أحسن عملاً. قال: «ليس يعني اكثركم عملاً، و لكن أصوبكم عملاً، و إنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة»[1]. و روي: «أيكم أحسن عقلاً، و أورع عن محارم الله، و أسرع في طاعة الله»[2]. ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. تمويه لا حقيقة له.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: إلى جماعة من الأوقات قليلة. قال: «يعني به الوقت»[3]. و في رواية: «الأُمّة المعدودة أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر»[4]. و في أُخرى: «يعني عِدّةً كعدّة بدر»[5]. ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ استعجالاً واستهزاءً: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾: ما يمنعه من الوقوع ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ قال: «يعني العذاب»[6]. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: و أحاط بهم؛ وُضِعَ الماضي موضعَ المستقبل تحقيقاً و مبالغةً في التهديد.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾: شديد اليأس من أن تعود إليه تلك النّعمة ﴿كَفُورٌ﴾: عظيم الكفران لنعَمه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ كصحّة بعد سُقمٍ و غنىً بعد عُدْمٍ. في اختلاف الفعلين في الإسناد نكتة لا تخفى. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ اي: المصائب الّتي ساءتْني و حزنتني ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾: أشِرٌ بطِرٌ مغترٌ بها ﴿فَخُورٌ﴾ على النّاس بما أنعم الله عليه، قد شغله الفرَحُ والفخْرُ عن الشكر والقيام بحقّها.

و في لفظتي الإذاقة والمسّ تنبيه على أنّ ما يجده الإنسان في الدّنيا من النّعم والمحن كالأُنموذج لما يجده في الآخرة، و أنّه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء؛ لأنّ الذّوقَ

١ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «اكثر عملاً».
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٦٠؛ والبيضاوي ٣: ١٠٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣و٤ـ القمّي ١: ٣٢٣. عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و٦ـ العيّاشي ٢: ١٤٠، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إدراكُ الطّعم، والمسّ مبدءُ الوصول.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ في الشدّة على الضرّاء، إيماناً بالله و استسلاماً لقضائه ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الرخاء، شكراً لآلائه؛ سابقها ولاحقها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: تترك تبليغه مخافة ردّهم و استهزائهم ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ ينفقه في الاستتباع، كالملوك ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدّقه؟ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾: ليس عليك إلّا الإنذار بما أُوحي إليك ولا عليك، ردّوا، او اقترحوا، فما بالك يضيق به صدرك ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ لا أنت، فتوكّل عليه فإنّه عالم بحالهم و فاعل بهم جزاء أقوالهم و افعالهم.

قال: «إنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: إنّي سألت ربّي أن يوالي بيني و بينك ففعل، و سألت ربّي أن يواخي بيني و بينك ففعل، و سألت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل. فقال رجلان من قريش: والله لصاعٌ من تمر في شَنٍّ[1] بالٍ أحبُّ إلينا ممّا سأل محمّد ﷺ ربّه، فهلّا سأل ربّه مَلَكاً يعضده على عدوّه، أو كنزاً يستغني به عن فاقته؟ والله ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلّا أجابه الله إليه. فأنزل الله تعالى إليه: "فلعلّك تارك" الآية»[2].

و في رواية: «إنّه ﷺ سأل الله تعالى لعليّ عليه السلام المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين. فقال "رمع"[3]: والله لصاع إلى قوله: فاقته. فأنزل الله عشر آيات من هود، أوّلها: "فلعلّك تارك"»[4].

١ـ الشَّنُّ: القربة الخَلَق الصَّغيرة. القاموس المحيط ٤: ٢٤٢ (شن).
٢ـ الكافي ٨: ٣٧٨، الحديث: ٥٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ كلمة مقلوبة.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٤٢، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ في البيان و حسن النّظم ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾: مختلقات من عند أنفسكم، إن صحّ أنّي اختلقته من عند نفسي، فإنّكم عرب فصحاء مثلي، تقدرون على مثل ما أقدر عليه؛ بل أنتم أقْدَر، لتعلّمكم القصص، و تعوّدكم الأشعار. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّه مفترى.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون مَنْ دعوتموهم إلى المعارضة، أو أيّها الكافرون من دعوتموهم إلى المعاونة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: متلبّساً بما لا يعلمه إلّا الله، ولا يقدر عليه سواه ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لظهور عجز المدعوّين ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانه و برّه ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾: نُوصِلْ إليهم جزاء أعمالهم في الدّنيا؛ من الصّحة والرّياسة و سعة الرّزق و كثرة الأولاد. قال: «يعني فلان و فلان»[1]. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا يُنْقَصُون شيئاً من أُجورهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ لأنّهم استوفوا ما تقتضيه صُوَرُ أعمالهم الحسنة، و بقيت لهم أوزار العزائم السيّئة. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾: في الآخرة ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لأنّه لم يُعْمَلْ على ما ينبغي. القمّي: يعني من عمل الخير على أن يعطيه الله ثوابه في الدّنيا، أعطاه الله ثوابه في الدّنيا، و كان له في الآخرة النّار[2].

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾: على برهان من الله يدلّه على الحقّ والثّواب فيما يأتيه و يذره؛ والهمزة لإنكار أن يَعْقُبَ مَنْ هذا شأنه، هؤلاء المقصرين

١ـ العيّاشي ٢: ١٤٢، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «يعني فلاناً وفلاناً».
٢ـ القمّي ١: ٣٢٤.

هممَهُمْ و افكارهم على الدّنيا، و أن يقارب بينهم في المنزلة؛ يعني أفمن كان على بيّنة كمن يريد الحياة الدّنيا؟ كيف و بينهما بون بعيد! ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: و يتبعه شاهد يشهد له منه ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ يعني التّوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «محمّد صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربّه، و أنا الشّاهد، و أنا منه»[1].

وورد: «إنّما نزل: أفمن كان على بيّنة من ربّه و يتلوه شاهد منه إماماً و رحمةً و من قبله كتاب موسى. قال: فقدّموا و أخّروا في التّاليف»[2]. و يستفاد من بعض الرّوايات: أنّ المراد بالبيّنة القرآن، و أنّ يتلوه في التّلاوة[3]. و في رواية: «شاهد من الله محمّد»[4].

وعلى هذا فيعمّ "من كان على بيّنة" كلّ مؤمنٍ مخلصٍ ذو[5] بصيرة في دينه. ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: من تحزّب على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ يردها لامحالة. وورد: «لايسمع بي أحد من الأمّة لايهوديّ و لانصرانيّ، ثمّ لايؤمن بي إلّا كان من أهل النّار»[6]. ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: و يصفونها بالانحراف عن الحقّ و الصّواب ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وورد: «هم اربعة ملوك من قريش يتبع بعضهم بعضاً»[7]. «و الأشهاد هم الائمّة عليهم السّلام»[8].

١ـ الامالي (للطّوسي) ١: ٣٨١. و يقرب منه ما في العيّاشي ٢: ١٤٣، الحديث: ١٣، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام، مع زيادة.
٣ـ بصائر الدّرجات: ١٣٣، الباب: ٩، ذيل الحديث: ٢، عن امير المومنين عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٥٠، عن حسين بن عليّ عليهما السّلام.
٥ـ كذا في جميع النّسخ، ولعلّ الصّواب: «ذابصيرة» كما في الصّافي.
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٥٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ العيّاشي ٢: ١٤٣، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ المصدر: ١٤٢، ذيل الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: الملوك الأربعة معروفة [1].

القمّي: "ألا لعنة الله على الظّالمين" آل محمّد عليهم السّلام حقّهم، و "سبيل الله" طريق الله، و هو الإمامة. "يبغونها عوجاً": حرّفوها إلى غيره [2].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: ما كانوا معجزين الله في الدّنيا أن يعاقبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ يمنعونهم من العقاب لو أراد عقابهم، و لكنّه أخّر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشدّ و أدوم. ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ لتصامّهم عن الحقّ وبغضهم له. القمّي: ما قدروا أن يسمعوا بذكر أمير المؤمنين عليه السلام [3]. ﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ لتعاميهم عن آيات الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ خسروا بما بذلوا و ضاع [4] عنهم ما حصّلوا، فلم يبق معهم سوى الحسرة و النّدامة، و لا أحد أبين و أكثر خسراناً منهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: اطمأنوا إليه و خشعوا له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾: الكافر والمؤمن ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾: كالأعمى و كالأصمّ [5]، أو كالأعمى الأصمّ و كذا في نظيره، و ذلك لتعامي الكافر عن آيات الله و تصامّه عن استماع كلام الله، و تأبّيه عن تدبّر معانيه. ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بضرب الأمثال والتأمّل فيها.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ أبيّن لكم موجبات العذاب

١ـ قال في الصّافي (٢: ٤٣٩): هم الثّلاثة و معاوية.
٢ـ القمّي ١: ٣٢٥. وفيه: «وهي الإمامة ... حرّفوها إلى غيرها».
٣ـ المصدر.
٤ـ في «الف»: «و ضايع».
٥ـ «الف»: «والأصمّ».

و وجهَ الخلاص.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾: اتبعوك ظاهرَ الرأي من غير تعمّق؛ من البُدُوّ، أو أولَ الرأي من البَدْء، و إنّما استرذلوهم لفقرهم، فإنّهم لمّا لم يعلموا إلاّ ظاهراً من الحياة الدنيا كان الأحظُّ بها أشرفَ عندهم، والمحرومُ أرذلَ. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: حجّة شاهدة بصحّة دعواي ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ بإيتاء البيّنة، أو النبوّة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: فخفيَتْ عليكم[1] فلم تهدكم[2] ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنُكرِهكُم على الاهتداء بها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ لا تختارونها ولا تتأمّلون فيها؟

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ على التّبليغ جُعلاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الفقراء، و هو جواب لهم حين سالوا طردهم. ﴿إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ يلاقونه و يفوزون بقربه، فيخاصمون طاردَهُم فكيف أطردهم ﴿وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ الحقّ و أهله، أو تتسفّهون عليهم بان تدعوهم أراذل.

﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: يدفع انتقامه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ و هم بتلك المثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: خزائن رزقه حتّى جحدتم فضلي ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: ولا اقول: انا أعلم الغيب، حتّى تكذّبوني استبعاداً، او حتّى اعلم أنّ هؤلاء

١ـ الظاهر انّ المصنّف رجّح قراءة التّخفيف اي: «فَعَمِيَتْ» لمكان التفسير بقوله: فخفيت، و في المصحف: «فَعُمِّيَتْ» بضمّ العين و تشديد الميم اي: «اُخفيَتْ عليكم».

٢ـ في جميع النّسخ: «فلم يهدكم».

اتبعوني بادي الرّأي من غير بصيرة و عقد قلب. ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتّى تقولوا: "ما أنت إلّا بشر مثلنا"[١]. ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾: استرذلتموهم لفقرهم، مِنْ زرىٰ عليه: إذا عابه. و إسناده إلى الأعين، للمبالغة والتّنبيه على أنّهم استرذلوهم بادي الرّؤية من غير رويّة. ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ فإنّ ما أعدّ الله لهم في الآخرة خير ممّا آتيكم في الدّنيا ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا﴾: إن قلت شيئاً من ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾: فأطلته ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدّعوى والوعيد.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ عاجلاً، أو آجلاً ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بدفع العذاب.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ بأن علم منكم الإصرار على الكفر فخلّاكم و شأنكم. ورد: «يعني أنّ الأمر إلى الله يهدي من يشاء و يضلّ»[٢]. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾. اعتراض. ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾: وباله ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ في إسناد الافتراء إليّ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن حزن بائسٍ مستكين ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾. أقنطه الله من[٣] إيمانهم، و نهاه أن يغتمّ بما فعلوه من الإيذاء والتّكذيب. قال: «فلذلك قال نوح: "وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا"»[٤].

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: متلبساً بأعيننا، أتى بصيغة الجمع للمبالغة في الحفظ

١ـ الشّعراء (٢٦): ١٥٤ و١٨٦.
٢ـ قرب الإسناد: ٣٥٩، الحديث: ١٢٨٢؛ والعيّاشي ٢: ١٤٤، الحديث: ١٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «عن إيمانهم».
٤ـ الكافي ٨: ٢٨٣، الحديث: ٤٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة نوح (٧١): ٢٧.

والرّعاية، على طريقة التّمثيل. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ إليك كيف تصنعها ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بالإغراق، فلا سبيل إلى كفّه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾. حكايةُ حالٍ ماضيةٍ. ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استهزؤوا به. قال: «إنّه لمّا غرس النّوى مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون و يقولون: قد قعد[1] غرّاساً! حتّى إذا طال النّخل و كان جبّاراً[2] طوالاً قطعه ثمّ نحته، فقالوا: قد قعد نجّاراً! ثمّ ألّفه فجعله سفينة [فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون و يسخرون و يقولون: قد قعد ملّاحاً في فلاة من الأرض!»[3]][4]. ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذ أخذكم[5] الغرقُ في الدّنيا والحَرَقُ[6] في الآخرة.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يعني الغرقَ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يعني عذاب النّار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: نبع الماء فيه و ارتفع كالقِدْرِ تفُورُ. قال: «كان التّنّور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ سُئِلَ: و كان بدو خروج الماء من ذلك التّنّور؟ فقال: نعم، إنّ الله احبَّ أن يُرِيَ قومَ نوح آيةً، ثمّ إنّ الله أرسل المطر يفيض فيضاً، و فاض الفرات فيضاً، والعيون كلّهن فيضاً»[7]. و في رواية: «و كان ميعاده فيما بينه و بين ربّه في إهلاك قومه أن يفور التّنّور، ففار. فقالت

١ـ لعلّه بمعنى صار نحو قولهم: حَدَّدَ شَفْرَتَهُ حتّى قَعَدَتْ كأنّها حَرْبَةٌ اي: صار. القاموس المحيط ١: ٣٤١ (قعد).
٢ـ الجبّار: النّخلة الطّويلة الفَتِيَّةُ و تُضَمُّ. القاموس المحيط ١: ٣٩٩ (جبر).
٣ـ الكافي ٨: ٢٨٣، الحديث: ٤٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مابين المعقوفتين ليس في «الف».
٥ـ في «ج»: «إذا أخذكم».
٦ـ الحَرَق ـ بالتّحريك ـ النّار او لَهَبُها. القاموس المحيط ٣: ٢٢٧ (حرق).
٧ـ الكافي ٨: ٢٨١، الحديث: ٤٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

امرأته: إنّ التّنور قد فار. فقام إليه فختمه فقام الماء [1]، و أدخل من أراد أن يُدْخلَ و أخرج من أراد أن يُخرِجَ، ثمّ جاء إلى خاتمه و نزعه. يقول الله: "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ" الآيتين [2] قال: و كان نَجرُها [3] في وسط مسجدكم» [4].

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً و أنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أُريد امرأته و بنوه و نساؤهم ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بأنّه من المغرقين. أُريد ابنه «كنعان» و امرأته «واعلة»، فإنّهما كانا كافرين. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ من غيرهم ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

قال: «آمن مع نوح من قومه ثمانيةُ نفر» [5]. و ورد: «أمره الله أن ينادي بالسّريانيّة: لا يبقى بهيمة ولا حيوان إلّا حضر، فادخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين السّفينةَ، وكان الّذين آمنوا به من جميع الدّنيا ثمانين رجلاً» [6].

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾: مُسمّين الله قائلين ذلك؛ ومعناه: بالله إجراؤها و إرساؤها. قال: «أي: مسيرها و موقفها» [7]. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لولا مغفرتُه لِفَرَطاتكم، و رحمتُه إيّاكم لما نجّاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ﴾ من الطّوفان ﴿كَالْجِبَالِ﴾: كلُّ موجة منها كجبل في تراكمها و ارتفاعها ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾: كنعان. قال: «ليس بابنه إنّما هو ابن امرأته، وهو لغة طيّ يقولون لابن المرأة [8]: ابْنَهُ» [9]. يعني بفتح الهاء. و ورد: «إنّهم قرؤوا كذلك» [10]. و ورد أيضا: «ابْنَهَا» [11]. والضّمير لامْرأته. ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عزل فيه

١ـ قام الماء: انجَمَدَ. القاموس المحيط ٤: ١٧٠ (قوم).
٢ـ سورة القمر (٥٤): ١١و١٢.
٣ـ النّجرُ: الأصل. القاموس المحيط ٢: ١٤٣ (نجر).
٤ـ الكافي ٨: ٢٨١، الحديث: ٤٢٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦و٧ـ القمّي ١: ٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ في «ب» و «ج»: «لابن الإمرأة». وفي المصدر: «لابن امرأته».
٩ـ العيّاشي ٢: ١٤٨، الحديث: ٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٦٠، عن أمير المؤمنين والصّادقين عليهم السّلام.
١١ـ جوامع الجامع ٢: ١٤٧؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ١٦١.

نفسه عن المركب ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ في السّفينة ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. قال: «نظر نوح إلى ابنه يقع و يقوم، فقال له: "يا بنيّ اركب" الآية»[1].

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾: إلاّ الرّاحم و هو الله تعالى. ورد: «كان الجبل الّذي اعتصم به في النّجف، فأوحى اللّه إليه: يا جبل أيعتصم بك منّي أحد؟ فغار في الأرض و تقطّع إلى الشّام»[2].

﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾: انشفي[3]. قال: «نزلت بلغة الهند اشربي»[4]. و في رواية: «حبشيّة»[5]. ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ قال: «أمسكي»[6].

اقول: نداء الأرض و السّماء، عبارة عن كمال اقتداره و عظمته، و أنّ الخلايق عارفون به، منقادون له، ممتثلون لأمره على الفور.

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾: نقص ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أُنجز ما وعد ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[7]: استقرّت عليه ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بَعُدَ بُعْداً بعيداً لا يرجى عوده؛ كناية عن الهلاك. ما افصح هذه الآية وأبلغها، و ما افخم لفظها و أحسن نظمها، و ما ادلّها على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، و في إيراد الإخبار فيها على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنّه متعيّن في نفسه مستغن عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره.

قال: «فدارت السّفينة و ضربتها الأمواج حتّى وافت مكّة و طافت بالبيت، و غَرِقَ جميع الدّنيا إلاّ موضع البيت و إنّما سمّي البيتَ العتيق، لأنّه أُعتِقَ من الغَرَق، فبقي الماء

١ـ القمّي ١: ٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٥١، الحديث: ١٦١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ نَشِفَ الثّوب العَرَقَ و نَشِفَ الحوضُ الماءَ: شربه. الصّحاح ٤: ١٤٣٢ (نشف).
٤ و ٥ـ العيّاشي ٢: ١٤٩، الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الجوديّ: جبل بالموصل. معجم البلدان ٢: ١٧٩.

ينصبّ من السّماء أربعين صباحاً، و من الأرض العيون؛ حتّى ارتفعت السّفينة فمسحت السّماء. قال: فرفع نوح عليه السلام يده فقال: يا رهمان أتقن[1]. و تفسيرها: يا ربّ أحسن. فأمر الله عزّوجلّ الأرض أن تبلع ماءها فبلعت ماءها، فأراد ماء السّماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها، و قالت: إنّما أمرني الله أن أبلع مائي، فبقي ماء السّماء على وجه الأرض، واستوت السّفينة على جبل جوديّ، و هو بالموصل جبل عظيم، فبعث الله جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدّنيا»[2].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ و قد وعدت أن تنجّي أهلي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعدلهم و أعلمهم.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾. قال: «نفاه عنه حين خالفه في دينه»[3]. و في رواية: «لمّا عصى الله نفاه عن أبيه»[4]. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ فيما يستقبل ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ما فرط منّي من السّؤال ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ بالتوبة و التفضّل عليّ ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾: انزل من السّفينة مسلّماً من المكاره محفوظاً من جهتنا ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾: و مباركاً عليك. والبركات: الخيرات النّامية. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ يعني في السّفينة، لأنهم كانوا جماعات، أو لتشعّب الأمم منهم ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أي: و ممّن معك أمم سنمتّعهم في الدّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قيل: أراد بهم الكفّار من ذرّيّة من معه[5].

١ـ في المصدر: «يا رهمان اخفرس».
٢ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٦، الباب: ٣٢، الحديث: ٣.
٤ـ المصدر: ٢٣٢، الباب: ٨٥، الحديث: ١.
٥ـ البيضاوي ٣: ١١١.

قال: «فنزل نوح بالمَوْصِل من السّفينة مع الثّمانين، و بنوا مدينة الثّمانين، و كانت لنوح ابنة ركبت معه السّفينة، فتناسل النّاس منها. و ذلك قول النّبيّ ﷺ: نوح أحد الأبوين»[1].

سئل: لأيّ علّة أغرق الله تعالى الدّنيا كلّها في زمن النّوح، و فيهم الأطفال، وفيهم من لاذنب له؟ فقال: «ما كان فيهم الاطفال، لأنّ الله تعالى أعقم أصلاب قوم نوح و أرحام نسائهم أربعين عاماً؛ فانقطع نسلهم، فغَرِقُوا و لاطفل فيهم، و ما كان اللّه لِيُهلك بعذا به من لاذنب له، و أمّا الباقون من قوم نوح فاُغرِقُوا بتكذيبهم لنبيّ اللّه نوح، و سائرُهُم أُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين؛ و من غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهد»[2].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ﴾ على مشاقّ الرّسالة و إيذاء القوم، كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ في الدّنيا بالظّفر، و في الآخرة بالفوز ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشّرك و المعاصي.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾. «أخاهم» يعني احدهم، كما سبق في الأعراف[3].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على الله، باتّخاذ الأوثان شركاءَ، و جعْلها شفعاءَ.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى﴾ الله[4] ﴿الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعرفوا المحقّ من المبطل.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: اطلبوا مغفرة الله بالإيمان، ثمّ توسّلوا إليها بالتوبة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثيرَ الدّرّ[5] ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٥، الباب: ٣٢، الحديث: ٢.
٣ـ في ذيل الآية: ٦٥.
٤ـ لم ترد كلمة: «الله» في «الف» و «ج».
٥ـ في «الف»: «كثيرَ المَدَر» و هو تصحيف.

قيل: رغّبهم في الإيمان بكثرة المطر و زيادة القوّة، لأنّهم كانوا أصحاب زروع و بساتين، و كانوا يُدِلُّون بالقوّة و البَطْش[1]. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على اجرامكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بحجة تدلّ على صحّة دعواك، و هو كذب و جُحُودٌ لفرط عنادهم و عدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾: بجنون، لسبّك إيّاها و صدّك عنها، فمن ثمّة تتكلّم[2] بكلام المجانين. ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: لا تُمهِلُوني؛ واجههم بهذا الكلام مع قوّتهم و شدّتهم وكثرتهم و تعطّشهم إلى إراقة دمه؛ ثقةً بالله و اعتماداً على عصمته إيّاه، واستهانةً بهم و بكيدهم، وإن اجتمعوا عليه وتواطؤوا على إهلاكه.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: إلّا و هو مالك لها قاهر عليها، يصرفها على ما يريد بها؛ و الأخذ بالنّاصية تمثيل لذلك. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إنّه على الحقّ و العدل، لايَضيعُ عنده معتصم و لايفوته ظالم.

قال: «يعني أنّه على حقّ، يَجزي بالإحسان إحساناً و بالسّيّء سيّئاً، و يعفو عمّن يشاء و يغفر سبحانه و تعالى»[3].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فإن تتولّوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾. وعيد لهم بالإهلاك. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بتولّيكم ﴿إِنَّ

١ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ١٥١؛ والكشّاف ٢: ٢٧٥.
٢ـ في «الف» و «ج»: «نتكلّم» والانسب بالسّياق ما اثبتناه كما في «ج» والصّافي.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥١، الحديث: ٤٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيب، فلا يخفى عليه أعمالكم، و لا يغفل عن مؤاخذتكم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾. إمّا تكرير لبيان ما نجّاهم عنه، و إمّا المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً، والتّعريض بأنّ المهلكين معذّبون في الآخرة أيضاً بالعذاب الغليظ.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: كفروا بها ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾؛ لأنّهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رُسُلِ الله ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يعني: رؤساءهم الدّعاة إلى تكذيب الرّسل.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: جعلت اللّعنة تابعةً لهم في الدّارين تكبّهم في العذاب ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾. دعاء عليهم بالهلاك، و دلالة بأنّهم كانوا مستوجبين لِما نزل بهم. و في تكرير "ألا" و إعادة ذكر "عاد" تفظيعٌ لأمرهم، وحثٌّ على الاعتبار بحالهم و الحذرِ من مثل أفعالهم؛ و إنّما قيل: "قوم هود" ليتميّزوا عن عاد إرَم.

القمّي: كانت بلادهم في البادية، و كان لهم زرع و نخيل كثيرة، ولهم أعمار طويلة و أجسام طويلة، فعبدوا الأصنام، و بعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلعِ الأنداد، فأبوا و لم يؤمنوا بهود و آذوه، فكفّت السّماء عنهم سبعَ سنينَ، حتّى قحطوا. قال: فجاؤوا إليه، فقالوا: يا نبيّ الله قد أجْدَبَتْ بلادُنا و لم يمطر، فاسأل الله أن يخصب بلادنا و يمطر، فتهيّأ للصّلاة، و صلّى و دعا لهم. فقال لهم: ارجعوا فقد أُمطرتم و أخصبت بلادكم. قال: فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن عبادة الأصنام حتّى أخصبت بلادهم و أنزل الله عليهم المطر، و هو قوله تعالى: "يا قوم استغفروا ربّكم" الآيات. فلمّا لم يؤمنوا أرسل الله عليهم

الرّيح الصّرصر، يعني الباردة. و هو قوله - في سورة القمر -: "إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مستمرٍ"[١]. و في الحاقّة: "و أمّا عادٌ فاُهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية"[٢].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ لاغيره ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: استبقاكم، أو أمركم بعمارتها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ منكم ﴿مُّجِيبٌ﴾ لمن دعاه.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾ نرجو منك الخير، لما كانت تلوح منك من مخائله[٣] ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٌ في الرّيبة، أو ذي ريبة.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: بيانٍ و بصيرةٍ ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوّة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: فمن يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في تبليغ رسالته و النّهي عن الإشراك به ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ إذن باستتباعكم إيّاي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير أن أنسبكم إلى الخسران، أو غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله به.

﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾: عيشوا في منازلكم، أو بلدكم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثمّ تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي:

١ـ القمر (٥٤): ١٩.
٢ـ القمّي ١: ٣٢٩ـ٣٣٠. والآية في سورة الحاقّة (٦٩): ٦.
٣ـ المخائل جمع المَخْيَلة: ما يوقع في الخيال يعني به الأمارات. وخِلْتُ الشيء خَيْلاً و مَخيلةً: ظننته. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).

و نجّيناهم من خزي ذلك اليوم و ذلّه و فضيحته، و لا خزيَ أعظمُ من الهلاك بغضب الله وبأسه، أو أُريد بـ"يومئذ" يوم القيامة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: ميّتين لا حَراكَ بهم، أي: أُستُؤصلوا.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾: كان لم يُقيموا فيها أحياءً. و قد سبق تمام القصّة في الاعراف[1]. ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني الملائكة. قال: «كانوا أربعةً: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و كروبيل»[2]. ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: ببشارة الولد ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: سلّمنا عليك سلاماً، أي: سلامةً. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾: أمرُكُم سلام. ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ قال: «يعني مشويّاً نضيجاً»[3].

و ورد: «إنّه قال: كلوا، فقالوا: لا نأكل حتّى تخبرنا ما ثمنه؟ فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، و إذا فرغتم فقولوا: الحمدلله. قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه - و كانوا أربعةً رئيسهم جبرئيل - فقال: حقّ لله أن يتّخذ هذا خليلاً»[4].

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: لا يمدّون إليه أيديهم ﴿نَكِرَهُمْ﴾: أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: و أضمر منهم خوفاً، أن يريدوا به مكروهاً ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾: إنّا ملائكةٌ، مُرسَلةٌ إليهم بالعذاب؛ لا نأكل.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ تسمع[5] محاورتَهم. قال: «إنّما عنى سارة»[6]. ﴿فَضَحِكَتْ﴾

١- في ذيل الآية: ٧٨.
٢- مجمع البيان ٥-٦: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣- العيّاشي ٢: ١٥٤، الحديث: ٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤- المصدر: ١٥٣، الحديث: ٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥- في "ج": "تستمع".
٦- العيّاشي ٢: ١٥٢، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «يعني تعجّبت من قولهم»[١]. و في رواية: «حاضت»[٢]. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: و من بعده. و قيل: الورآء: ولد الولد[٣].

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ﴾: يا عجبا! و أصله في الشرّ. فأُطلق في كلّ أمر فظيع. ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي﴾: زوجي ﴿شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [تعني][٤] بحسب العادة دون القدرة. قال: «و هي يومئذ ابنة تسعين سنةً، و إبراهيم يومئذٍ ابن عشرين و مائة سنة»[٥].

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يعني: أنّ أمثالَ هذه ممّا يكرمكم الله به يا أهل بيت النبوّة، فليس هذا مكانَ تعجّب. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: فاعل ما يوجب الحمد ﴿مَجِيدٌ﴾: كثير الخير و الإحسان.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي: ما أوجس من الخيفة، يعني لمّا اطمأنّ قلبه بعد الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾ مكان الروع ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: يجادل رسلَنا في شأنهم و معناهم. و مجادلته إيّاهم: «أنّه قال لهم: إن كان فيها مائةٌ من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال جبرئيل: لا. قال: فإن كان فيها خمسون أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فاربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتّى قال: فواحد؟ قالوا: لا. "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ"»[٦]. كذا ورد[٧].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: غيرُ عجولٍ على من أساء إليه بالانتقام ﴿أَوَّاهٌ﴾: يكثر الدّعاء. قال: «دعّاء»[٨]. ﴿مُنِيبٌ﴾: راجع إلى الله بما يُحِبّ و يرضى. والغرض من هذه

١ـ العيّاشي ٢: ١٥٢، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٨٠، عن ابن عبّاس.
٤ـ مابين المعقوفتين لم ترد في «الف». وفي «ج»: «يعني».
٥ـ علل الشرايع ٢: ٥٥١، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٦، عن احدهما عليهما السّلام.
٦ـ العنكبوت (٢٩): ٣٢.
٧ـ الكافي ٥: ٥٤٦، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٥٤، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الكلام، بيان الحامل له على المجادلة، و هو رقّة قلبه و فرط تَرَحُّمِه.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ على إرادة القول، أي: قالت الملائكة: يا إبراهيم! ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال، و إن كانت الرّحمة دأبك، فلا فائدة فيه ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: قضاؤه و حكمه الّذي لايصدر إلّا عن حكمة ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: لا مردّ له بجدال و لاغيره.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ ساءه مجيئُهم، لأنّهم جاؤوا في صورة غلمان، و ظنّ أنّهم أُناس، فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: و ضاق بمكانهم ذَرْعُه[1]، و هو كناية عن شدّة الانقباض، للعجز عن مدافعة المكروه. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديد.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يُسْرِعُون إليه، يُدْفَعُون دفعاً؛ لطلب الفاحشة من أضيافه ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾: و من قبل ذلك الوقت ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الفواحش، فتمرّنوا بها و لم يستحيوا منها، حتّى جاؤوا يهرعون إليه مجاهرين. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوّجُوهُنّ. قال: «عرض عليهم التّزويج»[2]. و في رواية: «عرض عليهم بناته بنكاح»[3]. و القمّي: عنىٰ به أزواجَهم، و ذلك أنّ النّبيّ هو أبو أُمّته، فدعاهم إلى الحلال و لم يكن يدعوهم إلى الحرام[4]. ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: هنّ أنظف فعلاً و أقلّ فحشاً. قيل: يعني أدبارَهُنّ[5]. ورد: إنّه سئل عن إتيان الرّجل المرأةَ من خلفها. قال: «أحلّه آية من كتاب الله، هو قول لوط: "هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم" و قد علم أنّهم لايريدون الفرج»[6]. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مواقعة الذّكور ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾:

١ـ ضاق بالامر ذَرْعُهُ: ضَعُفَتْ طاقَتُهُ و لم يجدْ من المكروه فيه مخلصاً. القاموس المحيط ٣: ٢٣ (ذرع).
٢ـ العيّاشي ٢: ١٥٦، الحديث: ٥٤؛ والكافي ٥: ٥٤٨، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥٦، الحديث: ٥٤، عن احدهما عليهما السّلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٣٥.
٥ـ لم نعثر على قائله.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٥٧، الحديث: ٥٦؛ والتّهذيب ٧: ٤١٤، الحديث: ١٦٥٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

ولاتُخجلوني؛ من الخَزاية، بمعنى الحياء، أولا تفضحوني، من الخزي ﴿فِي ضَيْفِيٓ﴾: في شأنهم ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يهتدي إلى الحقّ و يرعوي[1] عن القبيح؟!

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾. عنوا إتيان الذكران.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: لو قويتُ بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ آوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: أو أويتُ إلى قويٍّ أتمنّع به عنكم، لدفعتكم عن أضيافي. شبّه القويّ العزيز بالرّكن من الجبل في شدّته و منعته. قال: «لو يعلم أيّ قوّة له»[2]. و ورد: «رحم الله لوطاً لو يدري مَنْ معه في الحجرة، لعلم انّه منصور. قال: أيّ ركن أشدّ من جبرئيل معه في الحجرة»[3].

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أرسلنا لإهلاكهم فلاتغتمّ ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ بسوء أبداً ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ من الإسراء، و هو السّير ليلاً ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: بطائفة منه، و في قراءتهم عليهم السّلام: «بقطع من اللّيل مظلماً»[4]. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: ولايتخلّف، أو لاينظر إلى ورائه ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

روي: «انّه قال: متى موعد إهلاكهم؟ قالوا الصّبح. فقال: أُريد أسرع من ذلك - لضيق صدره بهم - فقالوا: "أليس الصّبح بقريب"؟»[5]. و ورد: «"فاسر بأهلك" يالوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيّام و لياليها. "بقطع من اللّيل": إذا مضى نصف

١ـ الارعواء: النّزوع عن الجهل و حسن الرّجوع عنه. القاموس المحيط ٤: ٣٣٧ (الرّعو).
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٨٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٥٨، الحديث: ٥٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٦٠.

اللّيل. قال: فلمّا كان اليوم الثّامن مع طلوع الفجر، قدّم الله رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسحاق و يعزّونه بهلاك قوم لوط، و ذلك قوله تعالى: "و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى"»[١].

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ بأن جعل جبرئيل جناحه في أسفلها، ثمّ رفعها إلى السّماء ثمّ قلّبها عليهم، واتّبعوا الحجارة من فوقهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ قال: «يقول: من طين»[٢].

أقول، أي: من طين متحجّر، هي معرّبة من «سَنْك كِل»، بدليل قوله: "حِجارَةً مِنْ طِين" [٣] في موضع آخر.

﴿مَنْضُودٍ﴾ قيل: نُضِدَ في الإرسال كقطار الأمطار، أو نُضِدَ مُعَدّاً لعذابهم[٤].

القمّي: يعني بعضها على بعض منضّدة[٥].

﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُعَلَّمَةً للعذاب. القمّي: أي: منقوطة[٦]. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾. روي: «انّ النّبيّ ﷺ سأل جبرئيل، فقال: يعني ظالمي أُمّتك، ما من ظالم منهم إلاّ و هو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة»[٧]. و ورد: «أي: ظالمي أُمّتك، إن عملوا ما عمل قومُ لوطٍ»[٨]. و في رواية: «من مات مصرّاً على اللّواط، لم يمت حتّى يرميه الله بحجر من تلك الأحجار، فيكون فيه منيّته، و لا يراه أحد»[٩]. و قد سبق نبذ من قصّة قوم لوط في الأعراف[١٠]، و يأتي طرف

١ـ علل الشّرايع ٢: ٥٤٩ـ ٥٥٠، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٦٩.
٢ـ القمّي ٢: ١١٤، في تفسير الآية: ٤٠ من سورة الفرقان، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الذّاريات (٥١): ٣٣.
٤ـ البيضاوي ٣: ١١٧.
٥ و ٦ـ القمّي ١: ٣٣٦.
٧ـ البيضاوي ٣: ١١٧.
٨ـ الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ٢: ١٥٨، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ في ذيل الآية: ٧٩.

آخر منه في الحجر[1] إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾: بسعة تغنيكم عن البَخْس. قال: «كان سعرُهم رخيصاً»[2]. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: مهلكٍ. كقوله: "وأُحيطَ بِثَمَرِه"[3]، أو لا يشذّ منه أحد منكم.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾. نبّه به على انّه لا يكفي الكفّ عن التّطفيف، بل يلزم السّعي في الإيفاء، ولو بزيادة لا يتأتّى الإيفاء بدونها. ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والسّويّة. ورد: «إذا طفّف المكيال و الميزان أخذهم الله بالسّنين و النّقص»[4]. و في رواية: «و شدّة المؤونة و جور السّلطان»[5]. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. تعميم بعد تخصيص، فإنّه أعمّ من ان يكون في المقدار او في غيره. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. هذا ايضاً تعميم بعد تخصيص، فإنّ العُثُوّ يعمّ تنقيص الحقوق و غيرَه من انواع الفساد من السّرقة و الغارة و قطع السّبيل و غير ذلك.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾: ما ابقاه لكم من الحلال بعد التّنزه عمّا هو حرام ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ممّا تجمعون بالتّطفيف ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بشرط الإيمان، او إن كنتم مصدّقين لي في نصيحتي ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ احفظ عليكم اعمالكم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ يعنون الأصنام؛ استهزؤوا به و تهكّموا بصلاته[6] و كان كثيرَ الصّلاة و هو جواب عن امره إيّاهم بالتّوحيد.

١ـ الآيات: ٥٨ إلى ٧٥.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٥٩، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكهف (١٨): ٤٢.
٤ـ الكافي ٢: ٣٧٤، الحديث: ٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٣٧٣، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٦ـ كذا في جميع النّسخ، و لكنّ المستفاد من الصّافي (٢: ٤٦٨) انّه رجّح قراءة الجمع في قوله تعالى: "أصلواتك ..."

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾: او أن نترك[١] فعلنا في اموالنا؟ و هو جواب عن النّهي عن التّطفيف و الأمر بالإيفاء ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾. قيل: ارادوا بذلك نسبته إلى غاية السّفه والغيّ، فعكسوا ليتهكّموا به[٢]. والقمّي: قالوا: إنّك لأنت السّفيه الجاهل، فحكى الله عزّوجلّ قولهم فقال: "إنّك لأنت الحليم الرّشيد"[٣].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾. قيل: إشارة إلى ما آتاه الله من العلم و النّبوّة[٤]. ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾. قيل: إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال. و جواب الشّرط محذوف تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام ان أخون في وحيه، و أُخالفه في أمره و نهيه؟![٥] ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ يعني: و ما أُريد ان أسبقكم إلى شهواتكم الّتي نهيتكم عنها، لاستبدّ بها دونكم. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾: ان أُصلحكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾[٦]. و الجواب الاوّل إشارة إلى مراعاة حقّ الله، و الثّاني إلى مراعاة حقّ النّفس، و الثّالث إلى مراعاة حقّ النّاس.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ لإصابة الحقّ والصّواب ﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾: إلّا بهدايته و معونته ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فإنّه القادر المتمكّن من كلّ شيء دون غيره. و فيه إشارة إلى محض التّوحيد الّذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾. إشارة إلى معرفة المعاد. نبّه بهذه الكلمات على اتّكاله[٧] على الله بشراشره فيما يأتي و يذر، و حَسْمِ أطماع الكفّار، و عدم المبالاة بعداوتهم، و تهديدهم بالرّجوع إلى الله للجزاء.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسبنّكُمْ ﴿شِقَاقِي﴾: خلافي و معاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الرّيح ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من

١ـ في «ب» و «ج»: «او نترك».
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٨٧.
٣ـ القمّي ١: ٣٣٧.
٤ و ٥ـ البيضاوي ٣: ١١٨.
٦ـ في «ب»: (إن أريد الأ الإصلاح ما استطعت): ان أصلحكم ما استطعت.
٧ـ في «ب» و «ج»: «على إقباله».

الرّجفة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني أنّهم أُهلكوا في عهدٍ قريبٍ من عهدكم، فإن لم تعتبروا بمَنْ قَبْلَهم، فاعتبروا بهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عمّا أنتم عليه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: لاقوّة لك و لاعزّ، فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروهاً. القمّي: و قد كان ضعف بصره[1].

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: قومك و عزّتهم عندنا، لكونهم على ملّتنا ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناك شرّ قتلة ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾؛ بل رهطك هم الأعزّة علينا.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: وجعلتموه كالمنسيّ المنبوذ وراء الظّهر لايُعْبأُ به. و كسر الظّاء من تغييرات النّسب. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: قارّين على ما أنتم عليه من الشّرك و العداوة ﴿إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ منّي و منكم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾: وانتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظر.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾. روي: «انّ جبرئيل عليه السلام صاح بهم صيحةً فزهق روح كلّ واحدٍ منهم حيث هو»[2]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: ميّتين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأنْ لم يُقيموا فيها احياء ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾. قيل: شبّههم بهم، لأنّ عذابهم كان أيضاً بالصّيحة، غير انّ صيحتهم كانت من تحتهم و صيحة مدين كانت من فوقهم[3].

١ـ القمّي ١: ٣٣٧.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ١٦٤.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٢٠.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بالمعجزات القاهرة و الحجج الباهرة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يتقدّمهم إلى النّار و هم يتبعونه، كما كان لهم قدوةً في الضّلال في الدّنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾. ذُكِرَ بلفظ الماضي مبالغةً في تحقّقه.

﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ الّذي يردونه: النّار؛ لأنّ الورد ـ و هو الماء الّذي يوردُ ـ إنّما يراد لتسكين العطش و تبريد الأكباد، و النّار ضدّه.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ﴾: الدّنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾: رفدهم؛ لأنّ الرّفد ـ و هو العون و العطاء ـ إنّما يراد للنّفع، و اللّعنة مدرّ للعذاب في الدّارين.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾: باقٍ كالزّرع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾: ومنها عافي الأثر، كالزّرع المحصود.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكنا إيّاهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بأن عرضوها له، بارتكاب ما يوجبه ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: فما نفعتهم و لاقدرَتْ أن تدفَعَ عنهم ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: عذابه و نَقمَتُه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: غير تخسير.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. روي: «انّ الله يُمْهِلُ الظّالمَ حتّى إذا أخذه لم يُفْلِتْه[1]، ثمّ تلا هذه الآية»[2].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لَعبرةً ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ لعلمه بأنّه أُنموذج منه.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ قال: «يوم القيامة، و هو اليوم الموعود، يجمع الله فيه

١ـ لم يُفْلِتْهُ: أي: لم يَنْفلِتْ منه، و يجوز أن يكون بمعنى: لَمْ يُفْلِتْهُ منه أحدٌ أي: لم يُخَلِّصْهُ. النّهاية ٣: ٤٦٦ (فلتَ).

٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٩١، عن النّبيّ ﷺ.

الأولين و الآخرين»[1]. ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾. قيل: مشهود فيه أهل السماوات والأرضين[2]. و القمّي: يشهد عليه الأنبياء و الرّسل[3].

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ أي: اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: إلّا لانتهاء مدّة معدودة متناهية.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ﴾: لاتتكلّم ﴿نَفْسٌ﴾ بما ينفع و ينجي ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: إلّا بإذن الله. «هذا في موطن من مواطن ذلك اليوم، و قوله: "هٰذا يَوْمُ لايَنْطِقُونَ. وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ"[4] في موطن آخر منها». كذا ورد[5]. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾. الزّفير: إخراج النّفس، والشّهيق: ردّه، دلّ بهما على شدّة كربهم و غمّهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: غير مقطوع. قال: «هاتان الآيتان في غير أهل الخلود من أهل الشّقاوة و السّعادة»[6].

والقمّي: هذا في دار الدّنيا قبل يوم القيامة؛ "ففي الجنّة" يعني: في جنان الدّنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين؛ "غير مجذوذ" يعني: غير مقطوع من نعيم الآخرة في

١ـ العيّاشي ٢: ١٥٩، الحديث: ٦٥، عن أحدهما عليهما السّلام؛ و الكافي ٨: ٧٣ ذيل الحديث: ٢٩، عن زين العابدين عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٢١.
٣ـ القمّي ١: ٣٣٨.
٤ـ المرسلات (٧٧): ٣٥ و ٣٦.
٥ـ التوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٦٠، الحديث: ٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

الجنّة يكون متّصلاً به، و هو ردّ على من انكر[1] عذاب القبر و الثّواب و العقاب في الدّنيا في البرزخ قبل يوم القيامة[2].

و في رواية: «إنّ المراد بالجنّة و النّار في هذه الآية ولاية آل محمّد عليهم السّلام و ولاية أعدائهم. قال: قال الجاهل بعلم التّفسير: إنّ هذا الاستثناء من الله إنّما هو لمن دخل الجنّة و النّار، و ذلك أنّ الفريقين جميعاً يخرجان منهما فتبقيان وليس فيهما أحدٌ وكَذبُوا. قال: والله ليس يُخرَجُ أهلُ الجنّة و لا كلُّ أهل النّار منها[3] أبداً، كيف يكون ذلك و قد قال الله في كتابه: "ماكِثِينَ فِيهِ أبداً[4]" ليس فيها استثناء»[5]؟

أقول: و يدلّ على أنّ هذا في الدّنيا قوله تعالى: "ما دامَتِ السَّماواتُ وَالأرْضُ" إذ لاسماء و لاارض يوم القيامة؛ و قوله سبحانه: "النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً"[6] إذ ورد: «إنّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذا لاغدوّ و لاعشيّ في القيامة. قال: الم تستمع قول الله: "وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ الْعَذابِ"[7]»[8].

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شكّ بعد ما أُنزِلَ عليك هذه القصصُ ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: مشركي[9] قومك. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: حالهم في الشّرك مثل حال آبائهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: حظّهم من العذاب كآبائهم

١ـ في المصدر: «من ينكر».
٢ـ القمّي ١: ٣٣٨.
٣ـ كذا في جميع النّسخ و لعلّ الصّواب: «منهما».
٤ـ الكهف (١٨): ٣.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٦٠، الحديث: ٦٦، عن ابي عبدالله عليه السلام مع تفاوت يسير.
٦و٧ـ الغافر (٤٠): ٤٦.
٨ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٢٦، عن ابي عبدالله عليه السّلام، ذيل الآية: ٤٦ من سورة المؤمن؛ والقمّي ٢: ٢٥٨، بالمضمون.
٩ـ كذا في جميع النّسخ، ولعلّ الاصحّ: «مشركوا قومك».

﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ قال: «اختلفوا كما اختلف هذه الأمّة في الكتاب، و سيختلفون في الكتاب الّذي مع القائم الّذي يأتيهم به، حتّى ينكره ناس منهم فيقدمهم فيضرب أعناقهم»[١]. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ قيل: يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة[٢] ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزال ما يستحقّه المبطل ليتميّز به عن المحقّ. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: و إنّ كفّار قومك ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع للرّيبة.

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: و إنّ كلّ المختلفين من المؤمنين و الكافرين ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. قيل: "لمّا" أصله «لَمِنْ مَا»، يعني: لمن الّذين يوفّينّهم[٣]. و على قراءة التّخفيف[٤]، إحدى اللاّمين موطّئة للقسم و الأخرى للتّأكيد، و «ما» مزيدة للفصل بينهما، و على قراءة تخفيف «إن» و رفع «كلّ»[٥]، «إن» نافية و «لمّا» بمعنى إلاّ. ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يفوت عنه شيء.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ على جادة الحقّ غير عادل عنها، و هي شاملة للعقائد والاعمال. قال: «أي: افتقرْ إلى الله بصحّة العزم»[٦]. ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾: وليَستقِمْ من تاب من الكفر و آمن معك ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: و لاتخرجوا من حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مجازيكم عليه.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: و لاتميلوا أدنى ميل. ورد: «إنّ الرّكونَ المودّةُ و النّصيحةُ و الطّاعة»[٧]. و في رواية: «هو الرّجل يأتي السّلطان فيحبّ بقاءه، إلى

١ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٩٥؛ و البيضاوي ٣: ١٢٣.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٢٣.
٤و٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٩٦؛ والبيضاوي ٣: ١٢٣.
٦ـ جوامع الجامع ٢: ١٧٠. عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٠٠، روي عنهم عليهم السّلام.

أن يُدْخلَ يده كيسه فيعطيه»[1] . ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ . قال: «أما إنّه لم يجعلها خلوداً، و لكن تمسّكم فلا تركنوا إليهم»[2] . ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ : من أنصار يمنعون العذاب عنكم ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ : ثمّ لاينصركم الله.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ : و ساعاتٍ من اللّيل، قريبةٍ من النّهار. من أزلَفَهُ: إذا قرّبه. قال: «طرفاه: المغرب و الغداة، و "زلفاً من اللّيل" هي صلاة العشاء الآخرة»[3] . ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ : يكفّرنها. ورد: «إنّ الصّلاة إلى الصّلاة كفّارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر»[4] . و في رواية: «هي صلاة المؤمن باللّيل، تذهب بما عمل من ذنب بالنّهار»[5] و في أُخرى: «إنّ الله يكفّر بكلّ حسنة سيّئةً، ثمّ تلا هذه الآية»[6] . ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ : عظةٌ للمتّعظين.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الطّاعات و عن المنهيّات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ فهلاّ[7] كان ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ من الرّأي و العقل والفضل؛ و إنّما سمّي بقيّةً، لأنّ الرّجل يَسْتَبْقي أفضلَ ما يُخْرِجُه، و منه: «فلان من بقيّة القوم»، أي: من خيارهم. و قولهم: «في الزّوايا خبايا، و في الرِّجال بقايا».

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ : لكن قليلاً ممّن أنجينا من القرون نَهَوْا عن الفساد ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني: تاركي النّهي عن المنكرات ﴿مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ : ما أُنعموا فيه من الشّهوات؛ من حبّ الرّياسة و طلب أسباب العيش الهنيء، و رفضوا ما وراء ذلك ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ ؛ كأنّه أراد بيان سبب استيصال الأمم السّالفة،

١ـ الكافي ٥: ١٠٨، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٦١، الحديث: ٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ التهذيب ٢: ٢٤١، الحديث: ٩٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ٢: ٢٩٧؛ و البيضاوي ٣: ١٢٤.
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٩٩، الحديث: ١٣٧١؛ وعلل الشّرايع ٢: ٣٦٣، الباب: ٨٤، الحديث: ٧؛ و العيّاشي ٢: ١٦٢، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الأمالي (للطوسي) ١: ٢٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٧ـ في «الف»: «هلاّ كان».

و هو فُشُوُّ الظّلم فيهم، و اتّباعهم الهوى، و تركهم النّهي عن المنكرات.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لهم، أو منهم لأنفسهم، كشرك ومعصية[1] ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فيما بينهم. قال: «ينصف بعضهم من بعض»[2].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مسلمين كلّهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قال: «في الدّين»[3].

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلّا ناساً هداهم الله و لطف بهم، فاتّفقوا على دين الحقّ. قال: «يعني آل محمّد عليهم السّلام و أتباعهم»[4]. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: «خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم»[5]. و في رواية: «النّاس يختلفون في إصابة القول، و كلّهم هالك "إلّا من رحم ربّك"، و هم شيعتنا، و لرحمته خلقهم، و هو قوله: "و لذلك خلقهم" يقول: لطاعة الإمام»[6]. و في أخرى: «"ولايزالون مختلفين" عنى بذلك من خالفنا من هذه الأمّة، و كلّهم مخالف بعضهم بعضاً في دينهم، و أمّا قوله: "إلّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم" فأُولئك اولياؤنا من المؤمنين»[7]. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: من عصاتهما ﴿أَجْمَعِينَ﴾ القمّي: و هم الّذين سبق الشّقاء لهم، فحقّ عليهم القول أنّهم للنّار خلقوا[8].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ فتصبر على أداء الرّسالة واحتمال الأذى، و اطمأنّ قلبك في ذلك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء المقتصّة عليك ﴿الْحَقُّ﴾: ما هو حقّ ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١- في «ألف»: «أو معصية».
٢- مجمع البيان ٥-٦: ٢٠٢، عن النّبيّ ﷺ.
٣ و ٤- القمّي ١: ٣٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥- التّوحيد: ٤٠٣، الباب: ٦٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦- الكافي ١: ٤٢٩، الحديث: ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧- العيّاشي ٢: ١٦٤، الحديث: ٨٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٨- القمّي ١: ٣٣٨.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالكم الّذي أنتم عليه ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالنا.

﴿وَانتَظِرُوا﴾ بنا الدّوائر ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحوُ ما نزل بأمثالكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا لغيره ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ لا إلى غيره ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنّه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أنت و هم، فيجازي كُلاًّ ما يستحقّه.



سورة يوسف

[مكّيّة إلّا الآيات ١و٢و٣و٧ مدنيّة، و آياتها: ١١١ نزلت بعد سورة هود] [١]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾: بلغتكم ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: إرادة أن تفقهوه و تحيطوا بمعانيه. ورد: «تعلّموا العربيّة، فإنّها كلام الله الذي تكلّم به خلقه» [٢].

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ يحتمل الجمع و المصدر ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾: يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ اصله: يا ابي ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ ﴾ من الرّؤيا لا من الرّؤية ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾. قال: «إنّه رآها في أُفق السّماء ساجدةً له، فلمّا قصّها على ابيه. قال: هذا أمر متشتّت يجمعه الله عزّو جلّ من بعد» [٣]. ورد: «إنّ تأويل هذه الرّؤيا أنّه سيملك مصر

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ الخصال ١: ٢٥٨، الحديث: ١٣٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر ٢: ٤٥٥، الحديث: ٢، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.

و يدخل عليه أبواه و إخوته، أمّا الشّمس فأمّ يوسف: "راحيل"، و القمر: "يعقوب"، و أمّا الأحدعشر كوكباً فإخوته»[1]. و في رواية: «خالته»[2] مكان أُمّه. و قال: «إنّه رأى هذه الرّؤيا و له تسع سنين»[3].

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾. ضمّن "يكيدوا" معنى يحتالوا، فعدّاه باللام ليفيد معنى الفعلين. ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾. خاف عليه حسد إخوانه له و بَغْيَهُمْ عليه، لما عرف من دلالة رؤياه على أنّه يُبَلِّغُه[4] من شرف الدّارين أمراً عظيماً.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾: من تعبير الرّؤيا[5]؛ سمّيت أحاديث لأنّها إمّا حديث الملَك، و هي ما كان منها صادقة، وإمّا حديث النّفس أو الشّيطان، و هي ما كان منها كاذبة. ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ بأن يصل نعمة الدّنيا بنعيم الآخرة، بأن يجعلهم أنبياء وملوكاً، ثمّ ينقلهم إلى الدّرجات العلى من الجنّة. ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقّ الاجتباء ﴿حَكِيمٞ﴾ في تدبير الأشياء.

﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ﴾: دلائل قدرة الله و حكمته و علامات نبوّتك ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لمن سأل عن قصّتهم.

روي: «أنّ اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّداً لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ و قصّة يوسف. قال: فأخبرهم بالصّحّة من غير سماع

١ـ القمّي ١: ٣٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ جامع البيان (للطّبري) ١٢: ٩١، عن ابن عبّاس، و ذكره في جوامع الجامع ٢: ١٧٥ بلفظة «قيل»؛ وفي تفسير البغوي ٢: ٤٠٩، عن قتادة والسّدي.
٣ـ القمّي ١: ٣٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ في «ب» و «ج»: «على أن يبلغه».
٥ ـ كذا في جميع النّسخ و لعلّ الأصحّ: «الرُّؤىٰ» بالجمع.

ولا قراءة كتاب»[1].

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: بنيامين. خصّ بالأُخوّة، لأنّ أُمّهما كانت واحدةً. وفي رواية: «كان ابن خالته»[2]. ﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: والحال انّا جماعة أقوياء، أحقّ بالمحبّة من صغيرين لاكفاية فيهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لتفضيله المفضول و تركه التّعديلَ في المحبّة.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يَصفُ[3] لكم وجهه، فيُقْبِل عليكم بكلّيّته و لاينازعكم في محبّته احد ﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ قال: «اي: تتوبون»[4].

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ قال: «هو لاوي»:[5] ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: في قعر البئر ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: الّذين يسيرون في الأرض ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾: مشفقون مريدون له الخير.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصّحراء ﴿يَرْتَعْ﴾: يتّسع في اكل الفواكه و غيرها؛ من الرَّتعَة، و هي الخِصْب ﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالاستباق بالاقدام و الرّمي ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾ لشدّة مفارقته عليّ، و قلّة صبري عنه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ قيل: لأنّ الأرض

١ـ جوامع الجامع ٢: ١٧٧.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٧، الحديث: ٨٤، عن ابي الحسن عليه السلام.
٣ـ صَفْوُ الشّيء: خالصه. وصفَا صفْواً (من باب قَعَد) وصفاءً: إذا خلص من الكدر. المصباح المنير ١: ٤١٥ (صفو).
٤ـ علل الشّرايع ١: ٤٧، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٥٦. عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.

كانت مذأبة[1]. قال: «إنّ يعقوب قرّب لهم العلّة فاعتلّوا بها في يوسف»[2]. و ورد: «إنّما أبتلي يعقوب بيوسف إذ ذبح كبشاً سميناً، و رجل من أصحابه محتاج لم يجد ما يفطر عليه، فاغفله و لم يطعمه، وكان بعد ذلك ينادي مناديه إلى غدائه و عشائه»[3].

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء ﴿إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ و عزموا؛ و جوابه محذوف اي: فعلوا به ما فعلوا. ورد: «إنّهم نزعوا قميصه فدلّوه في البحر[4] و تنحّوا عنه، فقال يوسف في الجبّ: يا إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب ارحم ضعفي و قلّة حيلتي وصغري»[5]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: إلى يوسف ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: لتحدّثنهم بما فعلوا بك؛ بَشّرَهُ بما يؤول إليه أمره حين عرفهم و هم له منكرون؛ إيناساً له و تطييباً لقلبه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: «يقول: لا يشعرون أنّك انت يوسف. أتاه جبرئيل فاخبره بذلك»[6].

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: متباكين.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في العدو ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾: بمصدّق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ لسوء ظنّك بنا و فرط محبّتك ليوسف.

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: مكذوب فيه؛ وُصِفَ بالمصدر للمبالغة. قال: «ذبحوا جدْياً[7] على قميصه»[8]. و ورد: «لمّا اوتي بقميصه على يعقوب، قال: اللّهمّ

١ـ البيضاوي ٣: ١٢٨.
٢ـ علل الشرايع ٢: ٦٠٠، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٥٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «في اليمّ»، وفي «الف»: «في البحر».
٥ـ القمّي ١: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر ١: ٣٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ الجَدْي: من أولاد المعز و هو ما بلغ ستّة اشهر أو سبعة. مجمع البحرين ١: ٨١ (جدا).
٨ـ القمّي ١: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.

لقد كان ذئباً رفيقاً، حين لم يشقّ القميص»[1]. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: سهّلت و هوّنت في أعينكم أمراً عظيماً؛ من السَّوَل و هو الاسترخاء. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فامري صبر جميل. قال: «الصّبر الجميل الّذي لاشكوى فيه إلى الخلق»[2]. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف. قال: «إنّه لمّا سمع مقالتهم استرجع و استعبر، و ذكر ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء، و اذعن للبلوى. يعني بسبب غفلته عن إطعامه الجار الجائع. فقال لهم: "بل سوّلت لكم انفسكم أمراً" و ما كان الله ليطعم لحم يوسف للذّئب من قبل أن أرى تأويل رؤياه الصّادقه»[3].

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة يسيرون، فنزلوا قريباً من الجبّ ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الّذي يرد الماء و يستسقي[4] لهم ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾: فارسلها في الجبّ ليملأها، فتدلّى بها يوسف، فلمّا رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ بشّر قومه ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾: أخْفَوْه متاعاً للتّجارة. أي: أخفى الواردُ و أصحابُه من ساير الرّفقة، أو إخوةُ يوسف من السّيّارة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ لم يخف عليه أسرارهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مبخوسٍ ناقصٍ ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة؛ فإنّهم كانوا يَزِنُونَ الكثير، و يعدّون القليل. ورد: «كانت عشرين درهماً»[5]. و في رواية: «ثمانية عشر»[6]. ﴿وَكَانُوا فِيهِ﴾: في يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: الرّاغبين عنه. ورد: «لمّا أصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتّى ننظر ما حال يوسف، أمات أم هو حيّ؟ فلمّا انتهوا إلى الجبّ، وجدوا سيّارةً قد أرسلوا واردهم، و أدلى دلوه؛ إذ هو بغلامٍ متعلّقٍ بدلوه! فقال

١ـ العيّاشي ٢: ١٧١، الحديث: ٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٢٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٩، ذيل الحديث: ٥؛ وعلل الشّرايع ١: ٤٧، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجاد عليه السلام.
٤ـ في «ج»: «يستقي».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٧٢، الحديث: ١٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ١٤، عن ابي جعفر عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

لأصحابه: يا بشرى هذا غلام! فلمّا أخرجوه أقبل إليهم إخوة يوسف، فقالوا: هذا عبدنا سقط منّا أمس في هذا الجبّ، و جئنا اليوم لنخرجه، فانتزعوه من أيديهم و تنحّوا به ناحية، فقالوا: إمّا أن تقرّ لنا أنّك عبدنا فنبيعك بعضَ هذه السيّارة، أو نقتلك. فقال: لاتقتلوني واصنعوا ما شئتم، فأقبلوا به إلى السيّارة فقالوا: منكم من يشتري منّا هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً، و كان إخوته فيه من الزّاهدين»[1]. القمّي: فحملوا يوسف إلى مصر و باعوه من عزيز مصر[2].

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ قال: «كان اسمها زليخا»[3]. ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾: اجعلي مقامه عندنا كريماً، أي: حسناً، و المعنى: أحسني تعهّده ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾ في ضياعنا و أموالنا، و نستظهر به في مصالحنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: نتبنّاه، و ذلك لما تفرّس[4] منه الرّشد. قال: «و كان عنّيناً»[5]. القمّي: و لم يكن له ولد، فأكرموه و ربّوه، فلمّا بلغ أشدّه هوته امرأة العزيز، و كانت لاتنظر إلى يوسف امرأة إلّا هوته، و لارجل إلّا أحبّه، و كان وجهه مثل القمر ليلة البدر[6]. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾: لايمنع ممّا يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لطائفَ صنعه، و أنّ الأمر كلّه بيده.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: منتهى اشتداد جسمه و قوّته ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: حكمة ﴿وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: طلبت منه و تمحّلت[7] مواقعتها؛ من راد

١ـ العيّاشي ٢: ١٧١، الحديث: ١٠، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٤٢.
٣ـ المصدر ١: ٣٥٧، عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.
٤ـ تفرّس: تثبّت. القاموس المحيط ٢: ٢٤٥ (فرس).
٥ـ القمّي ١: ٣٥٧، عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٣٤٢.
٧ـ تمحّل له: احتال. القاموس المحيط ٤: ٥٠ (محل).

يرود: إذا جاء و ذهب لطلب شيء. ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ اي: أقْبِلْ وبادِرْ. و في قراءتهم عليهم السّلام بالهمزة و ضمّ التّاء[1]، بمعنى تهيّأتُ لك. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾: أعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾: سيّدي احسن تعهّدي، فليس جزاؤه أن أخونه في أهله، أو إنّ الله خالقي و احسن منزلتي، بأن عطف عليّ قلبه فلا أعصيه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾: قصدت مخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ قال: «ولولا ان رأى برهان ربّه لَهَمَّ بها كما هَمَّتْ به، ولكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يَهُمُّ بذنب ولا يأتيه»[2]. و قال: «البرهان: النّبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصّارفة عن القبايح»[3]. و في رواية: «همّت بأن تفعل و همّ بأن لا يفعل»[4]. و في أُخرى: «إنّها همّت بالمعصية، و هم يوسف بقتلها إن أجبرته؛ لعظم ما تداخله[5]، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة»[6]. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ قال: «يعني القتل والزّنا»[7]. ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ الّذين أخلصهم الله لطاعته، أو[8] اخلصوا دينهم لله، على اختلاف القراءتين[9].

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ اي: تسابقا إليه، و ذلك انّ يوسف فرّ منها ليخرُج، و اسرعت وراءه لتمنعه الخروج. ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ اجتذبته من ورائه فانقدّ قميصه. والقَدُّ: الشّقُّ طولاً. والقطّ: الشّقُّ عرضاً. ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا﴾: و صادفا زوجها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾. بادرت إلى

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ و٤ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠١، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «و همّ يوسف بقتلها أجبرته، لعظمة ما تداخله».
٦ و٧ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٣، الباب: ١٤، ذيل الحديث: ١.
٨ـ في «الف» و «ج»: «واخلصوا».
٩ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٣؛ وجوامع الجامع ٢: ١٨٤.

هذا القول إيهاماً بأنّها فرّت منه؛ تبرأةً لساحتها عند زوجها، و «ما» نافية، أو استفهاميّة.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾: طالبتني بالمواتاة؛ و إنّما قال ذلك دفعاً لما عرضته له من السّجن والعذاب، و لولم تكذب عليه لما قاله. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾. قال: «وكان عندها صبيّ[1] من أهلها زائر لها؛ فأنطقه الله لفصل القضاء»[2]. و في رواية: «ألهم الله عزّوجلّ يوسف أن قال للملك: سَلْ هذا الصّبيّ في المهد، فإنّه سيشهد أنّها راودتني عن نفسي. فقال العزيز للصّبيّ. فأنطق الله الصّبيّ في المهد ليوسف»[3]. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ لأنّه يدلّ على أنّها قدّت قميصه من قدّامه بالدّفع عن نفسها، أو أنّه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لأنّه يدلّ على أنّها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ لأنّه يَعْلَقُ بالقلب و يؤثّر في النّفس، لمواجهتهنّ به، بخلاف كيد الشّطان، فإنّه يوسوس به مسارقة.

﴿يُوسُفُ﴾: يا يوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: اكتمه و لاتذكره ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ يا زليخا ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ من القوم المذنبين؛ من خَطِئَ: إذا أذنب متعمّداً.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: تطلب مواقعة غلامها إيّاها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال: «قد حجبها حبّه عن النّاس، فلا تعقل غيره. والشّغاف هو حجاب القلب»[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «بالمهملة»[5]. أي:

١ـ في «الف»: «وكان صبيّ عندها».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٧٤، ذيل الحديث: ١٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٥٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٨٦، عن أهل البيت عليهم السّلام.

أحرَقها، كما يُحرَقُ البعير بالقَطران ١ إذا هُنِئَ به. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ عن الرّشد و الصّواب. القمّي: و شاع الخبر بمصر، و جعلن النّساء يتحدّثن بحديثها، ويعذلنها [٢] ويذكرنها[٣].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾: باغتيابهنّ و تعييرهنّ؛ و إنّما سمّاه مكراً لأنّهنّ أخفينه، كما يخفي الماكر مكره ﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾: تدعوهنّ ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ قال: «هيّأت لهنّ طعاماً و مجلساً، ثمّ آتتهنّ بأُترُجٍ»[٤]. قيل: كانوا يتّكئون للطّعام و الشّراب ترفاً[٥]. والقمّي: متكأ أي: أُترُجاً[٦]. كأنّه قرأه باسكان التّاء و حذف الهمزة.

﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ فقالت: اقطعن. ﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ﴾ القمّي: و كان[٧] في بيت[٨].

﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾: عظمنه و هبن حسنه الفائق. و في حديث المعراج: «رأيت في السّماء الثّانية رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر، فقلت لجبرئيل: من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف»[٩]. ﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾: جرحنها بالسّكاكين من فرط الدّهشة ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾! تنزيهاً لله سبحانه من صفات العجز، و تعجّباً من قدرته على خلق مثله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ لأنّ هذا الجمال غير معهود للبشر ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ لأنّ جماله فوق جمال البشر، و لأنّ الجمع بين الجمال الرّائق و الكمال الفائق و العصمة

١ـ القَطِرانُ: عُصارة الأبهَل و الأرز و نحوهما يُطبَخ فيُتحلب منه ثمّ تُهنَأ به الإبلُ. لسان العرب ٥: ١٠٥ (قطر).
٢ـ العَذْلُ: الملامة. القاموس المحيط ٤: ١٤ (عذل).
٣ـ القمّي ١: ٣٤٣، و فيه: «و يعيرنّها» بدل: «و يعذلنها».
٤ـ علل الشّرائع ١: ٤٩، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٣: ١٣٢؛ و الكشّاف ٢: ٣١٦.
٦ـ القمّي ١: ٣٤٣، و فيه: «أُترُنجة».
٧ـ في «ج»: «وكانت».
٨ـ القمّي ١: ٣٤٣.
٩ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٣١. عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

البالغة من خواصّ الملائكة.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ قال: «يعني في حبّه»[1]. ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: فامتنع طالباً للعصمة. أقرّت لهنّ حين عرفت أنّهنّ يعذرنها، كي يعاونها على إلانة عريكته[2]. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾: الأذلاء.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ قال: «فخرجن النّسوة من عندها، فأرسلت كلّ واحدة منهنّ إلى يوسف ـ سرّاً من صواحبها ـ تسأله الزّيارة، فأبى عليهنّ»[3]. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمل إلى إجابتهنّ ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾: من السفهاء، بارتكاب ما يدعونني إليه.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: فثبّته بالعصمة، حتّى وطّن نفسه على مشقّة السّجن، و آثرها على اللّذة المتضمّنة للعصيان ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ أي: الشّواهد الدالّة على براءته ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. قال: «الآيات: شهادة الصبيّ، والقميص المخرق من دبر، و استباقهما الباب حتّى سمع مجاذبتها إيّاه على الباب. فلمّا عصاها لم تزل مولعة بزوجها حتّى حبسه»[4].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾. القمّي: عبدان للملك: أحدهما خبّازه[5]، والآخر صاحب الشّراب[6]. ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي﴾: أرى في المنام، و هي حكاية حالة ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً، سمّاه بما يؤول إليه. ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ

١ و٣ـ علل الشّرايع ١: ٤٩، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجاد عليه السلام.
٢ـ اي: على تليين شدّة يوسف و إمالته على إطاعتها.
٤ـ القمّي ١: ٣٤٤، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «ملحة» بدل «مولعة».
٥ـ في المصدر: «خبّاز».
٦ـ القمّي ١: ٣٤٤.

فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ قال: «جفنة فيها خبز»[1]. ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾. قال: «لمّا أمر الملك بحبس يوسف في السّجن ألهمه الله علم تأويل الرّؤيا، فكان يعبّر لأهل السّجن رؤياهم»[2]. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. قال: «كان يوسّع المجلس و يستقرض للمحتاج و يعين الضّعيف»[3].

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾. لعلّه أراد أن يدعوهما أوّلاً إلى التّوحيد، و يأتي بما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب، ليدلّ على صدقه، ثمّ يجيبهما عمّا سألا منه. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بالإلهام والوحي، و ليس من قبيل التّكهّن والتّنجّم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ يبعثنا لإرشادهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾: آلهة من غير حجّة تدلّ على استحقاقها الإلٰهيّة، و إنّما تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها اسم الإله ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: الحقّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيخبطون في جهالاتهم.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ يعني صاحب الشّراب ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ كما

١ـ العيّاشي ٢: ١٧٧، الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. و الجَفْنَة: القَصْعَة، خصّت بوعاء الأطعمة، جمعها: جفان. القاموس المحيط ٤: ٢١١؛ والمفردات: ٩٣ (جفن).

٢ـ المصدر: ١٧٦، الحديث: ٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكافي ٢: ٦٣٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يسقيه من قبل. القمّي: قال له يوسف: تخرج من السّجن و تصير على شراب الملك، وترتفع منزلتك عنده[1]. ﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ﴾ يعني الخبّاز ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ القمّي: ولم يكن رأى ذلك و كَذَبَ. فقال له يوسف: أنت يقتلك الملك و يصلبك وتاكل الطّير من دماغك، فجحد الرّجل، فقال إنّي لم أر ذلك. فقال يوسف:[2] ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ و هو مايؤول إليه أمركما؛ يعني قُطِعَ و فُرِغَ منه؛ صَدَقْتُما أو كَذَبْتُما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: علم نجاته ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: اذكر حالي عند المَلِك، و أنّي حُبِستُ ظلماً، لكي يخلّصني من السّجن ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: فأنسى الشّيطان صاحبَ الشّراب أن يذكره لربّه، أو أنسى يوسف ذكرَ الله، فاستعان بغيره[3]. و ورد: «لم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه، فلذلك قال الله: "فأنساه الشّيطان ذكر ربّه"»[4]. ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قال: «سبع سنين»[5].

ورد: «أوحى الله إليه في ساعته، كيف استعنت بغيري و لم تستعن بي[6] وتسألني أن أُخرِجَك من السّجن، و أملت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟! اِلبثْ في السّجن بذنبك بضع سنين، بإرسالك عبداً إلى عبد»[7].

و ورد: «لمّا انقضت المدّة و أذن الله له في دعاء الفرج، وضع خدّه على الأرض، ثمّ قال: اللّهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك، فإنّي أتوجّه إليك بوجوه آبائي

١ و ٢ ـ القمّي ١: ٣٤٤.
٣ ـ البيضاوي ٣: ١٣٤؛ و الكشّاف ٢: ٣٢٢.
٤ ـ العيّاشي ٢: ١٧٦، الحديث: ٢٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ المصدر: ١٧٨، الحديث: ٣٠، مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ في المصدر: «فكيف استغثت بغيري و لم تستغث بي».
٧ ـ العيّاشي ٢: ١٧٦، الحديث: ٢٣، مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام.

الصّالحين إبراهيم و إسماعيل و إسحٰق و يعقوب، ففرّج الله عنه»[1].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ في قراءتهم عليهم السّلام: «سبع سنابل»[2]. ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: التوت على الخضر حتّى غلبن عليها، و استغنى عن بيان حالها بذكر حال البقرات. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾: عبّروها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: إن كنتم عالمين بتأويلها.

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾: تخاليطها و أباطيلها، و ما يكون منها من وسوسة أو حديث نفس. جمع ضغث و هو ما جُمِعَ من أخلاط النّبات و حُزِم، فاستعير[3] للرّؤيا الكاذبة. ورد: «الرّؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن، و تحذير من الشّيطان، و أضغاث أحلام»[4]. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ أي: الباطلة خاصّة. اعتذار لجهلهم بتأويله، بأنّه ممّا ليس له تأويل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾: من صاحبي السّجن، و هو الشّرابي ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: و تذكّر يوسف، بعد جماعة من الزّمان مجتمعة، أي: مدّة طويلة. قال: «أي: بعد وقت»[5]. ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ أي: إلى من عنده علمه.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ أي: فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه و قال له: يا يوسف أيها البليغ في الصّدق. و إنّما قال ذلك لأنّه جرّب أحواله و عرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه. ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ أي: في رؤيا ذلك ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي: على عادتكم المستمرّة ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ

١ـ العيّاشي ٢: ١٧٨، الحديث: ٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٧٩، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و القمّي ١: ٣٤٥.
٣ـ في «الف» و «ج»: «استعير».
٤ـ الكافي ٨: ٩٠، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٢٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

فِي سُنْبُلِهِ﴾ لئلاّ يأكله السّوس، و هي نصيحة خارجة عن التّعبير ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: يأكل أهلهنّ ما ادّخرتم لأجلهنّ، فأسند إليهنّ على المجاز، تطبيقاً بين المعبّر والمعبّر به. و في قراءتهم عليهم السّلام: «ما قرّبتم لهنّ»[1]. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: ممّا تحرزون لبذور الزّراعة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: يُمطَرُون؛ من الغَيْث. أو يغاثون من القحط؛ من الغَوْث. ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: ما يُعْصَرُ من الثّمار والحبوب والزّروع. و في قراءتهم عليهم السّلام: على البناء للمفعول[2]، أي: يمطرون بعد المجاعة. قال: «والدّليل على ذلك قوله تعالى: "وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً"»[3].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ بعد ما جاءه[4] الرّسول بالتّعبير ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليُخرجه ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قال: «يعني العزيز»[5]. ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾. تأنّى في إجابة الملك، و قدّم سؤال النّسوة وفحص حاله، ليُظْهِرَ براءة ساحته، و يُعْلِمَ أنّه سُجِنَ ظلماً، و لم يتعرّض لامرأة العزيز مع ما صَنَعَتْ به، كرماً و مراعاةً للأدب.

ورد عن النّبيّ ﷺ: «لقد عجبت من يوسف و كرمه و صبره؛ والله يغفر له، حين سُئِلَ عن البقرات العجاف والسّمان؛ ولو كنتُ مكانه ما أخبرتهم حتّى أشترط أن يُخرجوني، و لقد عجبت من يوسف و صبره و كرمه، والله يغفر له، حين أتاه

١ـ القمّي ١: ٣٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ القمّي ١: ٣٤٦، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام. و الآية في سورة النّبأ(٧٨): ١٤.
٤ـ في «الف»: «جاء».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٨٠، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الرّسول، فقال: ارجع إلى ربّك؛ ولو كنت مكانه و لبثتُ في السّجن ما لبثَ، لأسرعت الإجابة و بادرتهم الباب و ما ابتغيت العذر؛ إن كان [1] لحليماً ذا أناة»[2].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: قال الملك: ما شأنكنّ؟ ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: من ذنب ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾: ثبت و استقرّ، أو ظهر ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ حيث قال: "هي راودتني عن نفسي"[3].

﴿ذَٰلِكَ﴾. قاله يوسف لمّا عاد إليه الرّسول و أخبره بكلامهنّ. أي: ذلك التّثبّت ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب في حرمته ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: لا يُنفّذه و لا يُسدّده؛ فيه تعريض بامرأة العزيز، و تأكيد لأمانته.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾: لا أُنزّهها؛ تواضع لله و تنبيه على أنّه لم يُرِدْ بذلك تزكية نفسه و العُجْبَ بحاله، بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتّوفيق. ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: إلّا وقت رحمة ربّي، أو إلّا ما رحمه الله من النّفوس، فعصمه عن ذلك. و يحتمل انقطاع الاستثناء، يعني: ولكن رحمة ربّي هي الّتي تصرف السّوء.

و قيل: إنّ الآيتين من تتمّة كلام امرأة العزيز، أي: ذلك الّذي قلتُ ليعلم يوسفُ أنّي لم أكذب عليه في غيبته، و صدقتُ فيما سُئلتُ عنه، و "ما أُبرّىء نفسي" مع ذلك من الخيانة، فإنّي خنته حين قذفته و سجنته، تريد الاعتذار ممّا كان فيه[4]. و هذا التّفسير هو المستفاد من كلام القمّي حيث قال: "لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" أي: لا أكذب عليه الآن كما

١ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «إنّه كان» كما في المصدر و الصّافي.
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٠. و الأناةُ ـ كقناةٍ ـ: الحِلْمُ و الوقار. القاموس المحيط ٤: ٣٠٢ (أنى).
٣ـ نفس السّورة: ٢٦.
٤ـ الكشّاف ٢: ٣٢٧.

كذبت عليه من قبل[١]. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ميل النّفس، و يرحم من يشاء بالعصمة.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: أجعله خالصاً لنفسي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: فلمّا أتوابه و كلّمه، و شاهدَ منه الرّشد و الأمانة، واستدلّ بكلامه على عقله، وبعفّته على أمانته ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة و منزلة ﴿أَمِينٌ﴾: مُؤْتَمَنٌ على كلّ شيء.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: ولّني أمرَها. و الأرض: أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ قال: «بما تحت يدي»[٢]. ﴿عَلِيمٌ﴾ قال: «بكلّ لسان»[٣]. قيل: إنّما طلب الولاية ليتوصّل بها إلى امضاء أحكام الله، و بسط الحقّ و وضع الحقوق مواضعه[٤]. ورد: «رحم الله أخي يوسف؛ لو لم يقل: "اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزائِنِ الأَرْضِ" لولّاه[٥] من ساعته، و لكنّه أخّر ذلك سنة»[٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر. قال: «ملك يوسف مصر وبراريها، لم يجاوزها إلى غيرها»[٧]. ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: ينزل من بلادها حيث يهوى. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. ورد ما ملخّصه: «إنّه لم يبق بمصر و ما حولها مال و لا عبد و لا حرّ إلّا صار ليوسف، ببيعه الطّعام إيّاهم. فقال للملك: ما ترى فيما خوّلني ربّي من ملك مصر و أهلها؟ اشر علينا برأيك، فإنّي لم أُصلحهم

١ـ القمّي ١: ٣٤٦.
٢ و ٣ـ علل الشرايع ١: ١٢٥، الباب: ١٠٥، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ وعيون اخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٣٩، الباب: ٤٠، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٣٩، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ٢: ٣٢٨.
٥ـ في «الف»: «لولّى».
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٤٣، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٧ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.

لأفسدهم، و لم أنجهم من البلاء ليكون وبالاً عليهم، و لكنّ الله نجّاهم على يدي. قال له الملك: الرّأي رأيك. قال يوسف: إنّي أُشهد الله و أُشهدك أيّها الملك، إنّي قد أعتقت أهل مصر كلّهم، و رددت عليهم أموالهم و عبيدهم، و رددت عليك أيّها الملك خاتمك و سريرك و تاجك؛ على أن لا تسير إلّا بسيرتي و لا تحكم إلّا بحكمي. قال له الملك: إنّ ذلك لشرفي و فخري أن أسير بسيرتك و أحكم بحكمك، و لولاك ما قويت و لااهتديت له، و لقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام[1]، و انا أشهد أن لاإله إلّا الله وحده لاشريك له، و أنّك رسوله. فاقم على ما ولّيتك، فإنّك لدنيا مكين أمين»[2].

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ لِلْمِيْرَة،[3] و ذلك لأنّه أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد من الجَدْب، فارسل يعقوب بنيه غير بنْيامين إليه.

القمّي: أمر يوسف أن يبنى له كُناديج[4] من صخر و طيّنها بالكِلْس[5]، ثمّ أمر بزرع مصر، فحصدت و دفع إلى كلّ إنسان حصّة، و ترك في سنبله لم يدسّه، فوضعها في الكناديج، ففعل ذلك سبع سنين. فلمّا جاء سنوا القحط، كان يُخرج السّنبل فيبيع بماشاء، و كان بينه و بين أبيه ثمانية عشر يوماً، و كان النّاس من الآفاق يخرجون إلى مصر ليَمْتاروا طعاماً، وكان يعقوب و ولده نزولاً في بادية فيها مُقْل[6]، فاخذ إخوة يوسف من ذلك المُقْل، و حملوه إلى مصر ليمتاروا به طعاماً، و كان يوسف يتولّى البيع بنفسه[7]. ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ لأنّ همّته كانت معقودة بهم ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾

١ـ في المصدر: «جعلت سلطاناً عزيزاً لايرام».
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٤، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ الميرة ـ بالكسر ـ: جَلْبُ الطّعام. القاموس المحيط ٢: ١٤٢ (مير).
٤ـ كُناديج جمع كُنْدُوج: شبهُ المخزن، معرّب كَنْدُو. القاموس المحيط ١: ٢١٢ (كلج).
٥ـ الكِلْس ـ بالكسر ـ: الصّاروج. القاموس المحيط ٢: ٢٥٦ (كلس).
٦ـ المُقْل ـ بالضّمّ ـ: الكُنْدُرُ الّذي يتدخّنُ به اليهود و صَمْغُ شجرة. القاموس المحيط ٤: ٥٢ (مقل).
٧ـ القمّي ١: ٣٤٦.

قال: «لهيبة الملك و عزّه»[1].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أصلحهم بعُدَّتهم، و أوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله. وأصل الجهاز ما يعدّ من الأمتعة للنقلة. ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾.

ورد: «إنّه قال لهم يوسف: قد بلغني أنّ لكم أخوين لأبيكم، فما فعلا؟ قالوا: أمّا الكبير منهما فإنّ الذئب أكله، و أمّا الصّغير فخلّفناه عند أبيه، و هو به ضَنين[2] وعليه شفيق قال: فإنّي أُحبّ أنّ تأتوني به معكم إذا جئتم تمتارون»[3].

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾: المُضيفين، و كان أحسنَ إنزالهم وضيافتهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنجتهد في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك لانتوانى فيه.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾: لغلمانه الكيّالين ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ يعني: ثَمنَ طعامهم وما كانوا جاؤوا به ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: في أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: يعرفون حقّ ردّها، وحقّ التكرّم بإعطاء بدلَين ﴿إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ و فتحوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلّ معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرّجوع.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ أرادوا قول يوسف: "فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدي". ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نرفع المانع[4] ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾: يوسف ﴿مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ

١- العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «وعزّته».
٢- الضّنين: البخيل، و الضّنّة: هو البخل بالشّيء النّفيس. المفردات: ٣٠٨ (ضنن).
٣- العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤- في «ألف»: «نرفع الموانع».

حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ : يرحم ضعفي و كِبَر سنّي، فيحفظه و يردّه عليّ، ولايجمع عليّ مصيبتَين. ورد: «إنّ الله سبحانه قال فبعزّتي لأردنّهما إليك بعد ما توكّلتَ عليّ»[1].

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾ : ماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك؟ أكرَمَنا و أحْسَنَ مَثْوانا و باعَ منّا وردَّ علينا متاعَنا؛ أو المعنى:[2] لانطلب وراء ذلك إحساناً، أو ما نريد منك بضاعةً أخرى. ﴿ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ بالرّجوع إلى المَلِك ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾ عن المَخاوف، في ذهابنا و إيابنا ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ باستصحاب أخينا ﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ أي: مكيل قليل[3] لايكفينا؛ استقلّوا ما كيل لهم، فارادوا أن يزدادوا إليه ما يُكال لأخيهم، أو أرادوا أنّ كَيْلَ بعيرٍ يسيرٌ لايُضايِقُنا فيه المَلِكُ.

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: عهداً مؤكّداً بذكر الله. ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ : إلّا ان تُغلَبوا فلا تُطيقوا ذلك، أو إلّا ان تَهْلِكوا جميعاً. ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ : رقيب مطّلع، إن أخلفتم[4] انتصفَ لي منكم.

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ لأنّهم كانوا ذَوي جمال و بهاءٍ و هيئةٍ حسنةٍ، و قد شُهِرُوا في مصرَ بالقرب من المَلِك، و التّكرمة الخاصّة الّتي لم تكن لغيرهم، فخاف عليهم العينَ. ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يعني: وإن أراد الله بكم سوءً لم ينفعكم، و لم يدفع عنكم ما أشرتُ به عليكم من التّفرّق و هو مصيبكم لامحالة، فإنّ الحَذَرَ لايمنع القَدَرَ. ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٨.
٢ـ في «الف»: «والمعنى».
٣ـ في «الف»: «كيل قليل».
٤ ـ في «ج»: «إن اختلفتم».

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: من أبواب متفرّقة ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾ رأي يعقوب ﴿مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: ممّا قضاه عليهم، فسرقوا و أُخذَ[1] بنْيامين، وتضاعفت المصيبة على يعقوب ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾. استثناء منقطع؛ يعني: ولكن حاجةً في نفسه، و هي شفقته عليهم، و حَرازتُه من أن يُعانوا. ﴿قَضَاهَا﴾: أظهرها و وصّى بها ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: لذو يقينٍ و معرفة بالله، من أجل تعليمنا إيّاه. و لذلك قال: «ما أُغْني عَنْكُمْ» ولم يغترّ بتدبيره. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: سرّ القَدَر، و أنّه لايغني عنه الحَذَرُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضمَّ إليه بنْيامينَ ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن؛ من البؤس ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في حقّنا، فإنّ الله قد أحسن إلينا وجمعنا.

ورد: «و قد كان هيّأ لهم طعاماً، فلمّا دخلوا عليه قال: ليجلس[2] كُلُّ بني أُمٍّ على مائدة. قال: فجلسوا و بقي بِنيامينُ قائماً. فقال له يوسف: مالك لاتجلس؟ قال له: إنّك قلت: ليجلس كلّ بني أُمٍّ على مائدةٍ، وليس لي فيهم ابن أُمٍّ. فقال له[3] يوسف: أما كان لك ابن أُمٍّ؟ فقال له بنْيامين: بلى. قال يوسف: فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله. قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي أحد عشر ابناً، كلّهم اشتققتُ له اسماً من اسمه. فقال له يوسف: أراك قد عانقت النّساء و شممت الولد من بعده. قال له بنيامين: إنّ لي أباً صالحاً، و أنّه قال: تزوّجْ، لعلّ الله أن يُخرِج منك ذرّيّة تثقل الأرض بالتّسبيح. فقال له: تعال فاجلس معي على مائدتي. فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله

١ـ في «ب»: «وأخذوا».
٢ـ في «الف»: «يجلس».
٣ـ في «الف» و «ج»: «فقال يوسف».

يوسف و أخاه، حتّى أنّ الملك قد أجلسه معه على مائدته»[1].

و القمّي: فلمّا خرجوا من عنده قال يوسف لأخيه: أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يعملون، ثمّ قال له: أنا أحبّ أن تكون عندي. فقال: لايدعوني إخوتي، فإنّ أبي قد أخذ عليهم عهد الله و ميثاقه أن يردّوني إليه، قال: أنا أحتال بحيلة، فلا تنكر إذا رأيت شيئاً و لاتخبرهم، فقال: لا[2].

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾: المشربة. قال: «كان قدحاً من ذهب وكان صواع يوسف إذا كيل، كيل به»[3]. ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ قال: «من حيث لم يقف عليه إخوته»[4]. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى منادٍ: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أي: القافلة. و هو اسم الإبل الّتي عليها الأحمال، فقيل لأصحابها. القمّي: معناه يا أهل العير، و مثله "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا"[5]. ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. قال: «ما سرقوا و ما كذب يوسف، فإنّما عنى سرقتهم[6] يوسف من أبيه»[7]. و في رواية: «ألا ترى أنّهم حين قالوا: "مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا: نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ" و لم يقولوا: سرقتم صواع الملك»[8].

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾.

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ قال: «الطّاس الّذي يشرب منه»[9]. ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطّعام جعلاً له ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾: كفيل أؤدّيه.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾. قسمٌ فيه معنى التعجّب. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٥١ـ٢٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ و ٤ـ القمّي ١: ٣٤٨.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت.
٥ـ القمّي ١: ٣٤٩. والآية في نفس السّورة: ٨٢.
٦ـ في «ب» و «ج» والمصدر: «سرقتم».
٧ـ القمّي ١: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٠؛ وعلل الشّرايع ١: ٥٢، الباب: ٤٣، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ المصدر، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم، لِما ثبت عندهم دلائل دينهم و أمانتهم في معاملتهم معهم، مرّةً بعد أُخرى.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: فما جزاء السَّرَق؟ ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في ادّعائكم البراءة منه.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: جزاء سَرِقَته أخذ من وجد في رحله و استرقاقُه. هكذا كان شَرْعُ يعقوبَ. قال: «يعنون السُّنَّة الّتي كانت تجري فيهم أن يحبسه»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسَّرقة.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: بنيامين؛ دفعاً للتهمة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ بان علّمناه إيّاه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: مَلِكِ مصرَ، لأنّ حكم السّارق في دينه أن يُضرَبَ و يُغرَم، لا أن يُستَعبَدَ. ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالعلم، كما رفعنا درجة يوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: أرفَعُ درجةً منه في علمه.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ القمّي: يعنون يوسف[2].

و ورد: «كانت لإسحق النّبيّ مِنْطَقَةٌ[3] يتوارثها الأنبياء و الأكابر، و كانت عند عمّة يوسف، و كان يوسف عندها، و كانت تحبّه، فبعث إليها أبوه أن ابعثيه إليّ و أردّه إليكِ، فبعثت إليه أن دَعْهُ عندي اللّيلة أشمّه، ثمّ أُرسله إليك غدوةً، فلمّا اصبحت أخذت المِنْطَقَةَ فربطتها في حَقْوِه[4] و ألبسته قميصاً و بعثت به إليه، و قالت: سُرِقَت المنطقة فوُجِدَتْ عليه. و كان إذا سَرَقَ أحدٌ في ذلك الزّمان دُفِعَ إلى صاحب السّرقة، فأخذته فكان عندها»[5]. ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: أكنّها و لم يظهرها لهم

١ـ العيّاشي ٢: ١٨٣، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٤٩.
٣ـ المِنْطَقَةُ: ماينتطق به و كمنبَر: شُقَّةٌ تلبَسُها المرأة و تشدُّ وسطها. القاموس المحيط ٣: ٢٩٥ (نطق).
٤ـ الحَقْوُ: موضع شدّ الإزار و هو الخاصرة. مجمع البحرين ١: ١٠٥ (حقا).
٥ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿قَالَ﴾: في نفسه ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: منزلةً في سرقتكم أخاكم و سوء صنيعكم به ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: و هو يعلم أنّ الأمر ليس كما تصفون و أنّه لم يَسْرِقْ.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾. القمّي: و لم يقل: إلّا من سَرَق متاعنا[1]. ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ يعني: عندكم. «اجتمعوا إلى يوسف يجادلونه في حبسه و هم يقولون: "خُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" فأطلق عن هذا وكانوا إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر، و يقطر من رؤوسها دم أصفر».

كذا ورد[2].

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾: يئسوا من يوسف و إجابته إيّاهم. و زيادة السّين و التّاء للمبالغة ﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا و اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾: متناجين ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قال: «قال لهم يهوذا[3]، و كان أكبرهم»[4]. و القمّي: قال لهم لاوي[5] ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: عهداً و ثيقاً؟ ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ ذلك ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: قصّرتم في شأنه ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: فلن أُفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرّجوع إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: أو يقضي الله لي بالخروج ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. قال: «فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم و تخلّف يهوذا»[6].

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٤٩.
٢ـ راجع: القمّي ١: ٣٤٩؛ و العيّاشي ٢: ١٨٦، الحديث: ٥٥ و ٥٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «ألف»: «يهودا» في جميع المواضع.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٨٦، الحديث: ٥٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٤٩، وفيه: «لاوي بن يعقوب».
٦ـ العيّاشي ٢: ١٨٧، ذيل الحديث: ٥٦؛ عن أبي عبدالله عليه السلام، و القمّي ١: ٣٤٩.

﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ يعني: فلمّا رجعوا إلى ابيهم، و قالوا له ما قال لهم أخوهم، "قال: بَلْ سَوَّلَتْ"، أي: زيّنت و سهّلت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه كتعليمكم إيّاه انّ السّارق يُؤخذ بسرقته. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لا شكوى فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: بيوسف و بنيامين و يهوذا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: و أعرض عنهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: تعال فهذا أوانك؛ والأسف أشدّ الحزن والحسرة، والالف بدل من ياء المتكلّم. وهذا الكلام من يعقوب يدلّ على انّ مصابه بيوسف كان عنده غضّاً طريّاً، مع طول العهد. ورد: سُئِل: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: «حزن سبعين ثكلى على أولادها»[1].

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ لكثرة بكائه ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ كأنّ العَبْرة[2] محقت سوادها. والقمّي: يعني: عميت من البكاء[3] ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ من الغيظ على أولاده، ممسك له في قلبه، ولا يظهره.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي: لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجّعاً عليه. حذف «لا» لعدم التباسه بالإثبات. ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: مريضاً من الهمّ، مُشْفياً على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾: همّي الذي لا اقدر الصبر عليه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره، فخلّوني و شكايتي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من صنعه و رحمته ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإنّ حسن ظنّي به أن يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب.

١- القمّي ١: ٣٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢- العَبْرة: الدَّمْعَةُ قبل أن تفيض. القاموس المحيط ٢: ٨٦ (عبر).
٣- القمّي ١: ٣٥٠.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ : تفحّصوا من حالهما، و تطلّبوا خبرهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ : لا تقنطوا من فرجه و تنفيسه [1] و رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ . لأنّ المؤمن من الله على خير يرجوه عند البلاء و يشكره في الرّخاء.

ورد: «إنّه كان يعلم أنّ يوسف حيّ، لأنّه كان قد سأل مَلَكَ الموت بعد ما دعا الله أن يهبطه عليه فهبط، فقال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعةً أو متفرّقة؟ فقال: بل متفرّقةً روحاً روحاً. قال: فمرّ بك روح يوسف؟ قال: لا. فعند ذلك علم أنّه حيّ» [2].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ بعد ما رجعوا إلى مصر ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ : رديّة، و هي المُقْلُ، كما مرّ [3]. ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ قيل: و تفضّل علينا بالمُسامحة، و زدنا على حقّنا [4]. و ورد: «و تصدّق علينا بأخينا بنيامين» [5]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ . فرقّ لهم يوسفُ، و لم يتمالك أن عرّفهم نفسه.

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ . قاله شفقةً و نُصْحاً؛ لما رأى من عجزهم و تَمَسْكُنهم، لا معاتبةً و تثريباً، إيثاراً لحقّ الله على حقّ نفسه في ذلك المقام الّذي يَنْفُثُ فيه المَصْدُورُ [6]، و لعلّ فعلهم بأخيه إفراده عن يوسف. قيل: و إذلاله، حتّى

١ـ نَفَّسَ اللّهُ عنه كُرْبَتَهُ: فَرَّجَها. الصّحاح ٣: ٩٨٥ (نفس).
٢ـ علل الشّرايع ١: ٥٢، الباب: ٤٤، الحديث: ١؛ والكافي ٨: ١٩٩، الحديث: ٢٣٨؛ والقمّي ١: ٣٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في ذيل الآية: ٥٨.
٤ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٢٠٧.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٩١، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ النُّفاثَةُ: ما يَنْفُثُهُ المَصْدُورُ مِنْ فيه. القاموس المحيط ١: ١٨٢ (نفث).

لايستطيع أن يكلّمهم إلاّ بعجز و ذلّة[١] . ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ . ورد: «كلّ ذنب عمله العبد و إن كان عالماً فهو جاهل، حين خاطر بنفسه معصية ربّه، فقد حكى اللّٰه سبحانه قول يوسف لإخوته: "هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ" فنسبهم إلى الجهل، لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية اللّٰه»[٢] .

﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾ من أبي و أُمّي؛ ذكره تعريفاً لنفسه و تفخيماً لشأنه. ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ اي: بالسّلامة و الكرامة ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ : يتّق الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البلايا و عن المعاصي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ : اختارك علينا؛ بحسن الصّورة و كمال السّيرة ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ :و إنّ شأننا و حالنا إنّا كنّا مذنبين بما فعلنا بك، لاجرم أنّ الله أعزّك وأذلّنا. ورد: «قالوا: فلاتفضحنا و لاتعاقبنا اليوم، واغفرلنا»[٣] .

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ : لاتأنيب ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ بما فعلتم ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

ورد: «إنّ يعقوب اشتدّ حزنه و تقوّس ظهرُه، و أدبرت الدّنيا عنه و عن ولده، حتّى احتاجوا حاجةً شديدةً و فنيت ميرتهم، فعند ذلك قال لولده. "اذهبوا فتحسّسوا" الآية. فخرج منهم نفر، و بعثهم ببضاعةٍ يسيرةٍ، و كتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يتعطّفه[٤] على نفسه و ولده، و أوصى ولده أن يبدؤوا بدفع كتابه قبل البضاعة، ثمّ ذكر صفة الكتاب. و ملخّصه: أنّه ذكر فيه ابتلاء جدّه بالإحراق و ابتلاء أبيه بالذّبح، و ابتلائه بفراق يوسف ثمّ أخيه، و أنّه كان يَسْكُنُ إليه مكان يوسف. قال: وذكروا أنّه سرق مكيالَ المَلك، و نحن أهل بيت لانسرق، و قد حبسته و فجعتني به، و قد اشتدّ لفراقه حُزني؛

١ـ البيضاوي ٣: ١٤٢.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، ذيل الآية: ١٧ من سورة النّساء.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٩٢، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «ب»: «يتعطّفه».

حتّى تقوّس لذلك ظهري، و عظمت به مصيبتي مع مصائبَ متتابعاتٍ عليّ، فمُنَّ عليّ بتخلية سبيله و إطلاقه من محبسه، و طيّب لنا القَمْحَ[١]، وأسمح[٢] لنا في السّعر، وعجّل سَراحَ[٣] آل يعقوب. قال: فاخذ يوسف كتاب يعقوب، فقبّله و وضعه على عينيه، و بكى و انتحب[٤] حتّى بلّت دموعه القميصَ الّذي كان عليه، ثمّ اقبل عليهم فقال: "هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ" الآية»[٥]. «و أعطاهم قميصه، و هو قميص إبراهيم»[٦].

و في رواية: «قال: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذا" الّذي بلّته دموعُ عيني، "فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي" يرتدّ بصيراً، لو قد شمّ ريحي»[٧].

و ورد: «إنّ يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشر ليال. قال: و هو القميص الّذي نزل على إبراهيم من الجنّة، فدفعه إبراهيم إلى إسحٰق، و إسحٰق إلى يعقوب، و يعقوب إلى يوسف»[٨]. و في رواية: «و كان نزل على إبراهيم من الجنّة في قصبة من فضّة، و كان إذا لبس كان واسعاً كبيراً قال: "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" يعني: ريح الجنّة، لأنّه كان من الجنّة»[٩].

اقول: يعني: من عالم الملكوت برز إلى عالم الملك.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١ـ القَمْحُ: البُرُّ. القاموس المحيط ١: ٢٥٢ (قمح).
٢ـ سَمُحَ و أسْمَحَ: جادَ. القاموس المحيط ١: ٢٣٧ (سمح).
٣ـ السَّراح: الإرسال و تسريحُ المرأة: تطليقُها و الإسم: السَّراح. مجمع البحرين ٢: ٣٧١؛ و الصّحاح ١: ٣٧٤ (سرح).
٤ـ النَّحبُ والنَّحيب والانتحاب: البُكاء بصوت طويل ومدّ. النّهاية ٥: ٢٧ (نحب).
٥ـ العيّاشي ٢: ١٩٠، الحديث: ٦٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ١٩٣، ذيل الحديث: ٦٨، مرفوعاً.
٧ـ المصدر: ١٩٦، الحديث: ٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٩٤، الحديث: ٧٣، مرفوعاً.
٩ـ المصدر، الحديث: ٧٢؛ وعلل الشّرايع ١: ٥٣، الباب: ٤٥، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ من مصر، وخرجت من عمرانها ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضره: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تنسبوني إلى الفَنَد، و هو نقصان عقل يَحدُث من الهَرَم؛ و جواب "لَوْلا" محذوف، تقديره: لصدّقتموني.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: لفي ذهابك عن الصّواب قِدَماً؛ بإفراطك في محبّة يوسف و إكثارك ذكره، و التّوقّع للقائه.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾. قال: «و هو يهوذا ابنه»[1]. ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾: طرح القميص على وجهه ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ لما انتعش فيه من القوّة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف، و إنزال الفرج من الله.

و يحتمل أن يكون "إِنّي أَعْلَمُ" مستأنفاً، و المقول محذوفاً دلّ عليه الكلام السّابق.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. قال: «أخّره إلى السّحر ليلة الجمعة»[2]. و ورد: «خير وقت دعوتم الله فيه الأسحار، و تلا هذه الآية»[3].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: ضمّهما إليه. و في رواية: «الّتي سارت[4] معهم إلى مصر كانت خالته و ليست بأُمّه»[5]. و لعلّها نزلت منزلة الأمّ، كما نزل العمّ منزلة الأب ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: دخلتموه ﴿ءَامِنِينَ﴾ إنّما دخلوا عليه قبل دخولهم مصر، لأنّه استقبلهم يوسف

١ ـ كمال الدين ١: ١٤٢، الباب: ٥، ذيل الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٧٢، الحديث: ١٢٤٠؛ والعيّاشي ٢: ١٩٦، الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيهما: «أخّرها».
٣ ـ الكافي ٢: ٤٧٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ ـ في «ب»: «صارت».
٥ ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٩٦، ذيل الحديث: ٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام و ١٩٧، الحديث ٨٤، عن أبي الحسن عليه السلام.

ونزلهم[1] في بيت أو مضرَب هناك.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾. قال: «العرش: السّرير، و كان سجودهم ذلك عبادةً للّه»[2]. ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾: صدقاً.

قال: «لمّا دخلوا على يوسف في دار المَلِك اعتنق أباه و بكى ورفعه و رفع خالته على سرير الملك، ثمّ دخل منزله؛ فادّهن و اكتحل و لبس ثياب العزّ و المُلْك، ثمّ خرج إليهم. فلمّا رأوه سجدوا له إعظاماً له و شكراً للّه؛ فعند ذلك قال: "يا أبتِ هذا تأويلُ رُؤياي مِنْ قَبْلُ"»[3].

و في رواية: «فسجد يعقوب و ولده و يوسف معهم شكراً للّه، لاجتماع شملهم. ألم تر أنّه يقول في شكره ذلك الوقت: "ربِّ قَدْ ءاتيتَني مِنَ المُلْكِ" الآية»[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «و خرّوا للّه ساجدين»[5].

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾. لعلّه لم يذكر الجبّ؛ لئلاّ يكون تثريباً عليهم ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: من البادية؛ لأنّهم كانوا أصحاب المواشي، ينتقلون في المياه و المناجع[6] ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: أفسد و حرّش[7] ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾: بعضه ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: بعضه ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

١ـ في «ب» و «ج»: «نزل لهم».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٧، الحديث: ٨٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢، الحديث: ٨٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦٥، عن ابي الحسن الثّالث عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٢١٠، مروياً عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ النُّجعة ـ بالضمّ ـ: طلب الكلأ في موضعه. و المُنتَجَعُ: المَنزلُ في طلب الكلأ و يقال للمُنتَجِع مَنْجَعٌ، و جمعه مناجعُ. القاموسُ المحيط ٣: ٩٠؛ ولسان العرب ٨: ٣٤٧ (نجع).
٧ـ التّحريش: الإغراء بين القوم أو الكلاب. القاموس المحيط ٢: ٢٧٨ (حرش).

﴿بِالصَّالِحِينَ﴾. قال: «عاش يعقوب مائة و أربعين سنة، و عاش يوسف مائة و عشرين[١] وعاش يعقوب مع يوسف بمصر حولين»[٢].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يا][٣] محمّد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على ما همّوا به ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: لم تَعرِفْ ذلك إلاّ بالوحي.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم و بالغت في إظهار الآيات عليهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ لعنادهم و تصميمهم على الكفر.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة من الله ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تدلّ على حكمة الله و قدرته في صنعه ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ و يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها و لا يعتبرون بها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ قال: «شرك طاعة و ليس شرك عبادة»[٤]. و في رواية: «يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك»[٥]. و في أُخرى: «هو الرّجل يقول: لولا فلان لهلكت، و لولا فلان لأصبت كذا و كذا، و لولا فلان لضاع عيالي. ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه، يرزقه و يدفع عنه. قيل: فيقول: لولا أن منّ الله عليّ بفلان لهلكت. قال: نعم، لا بأس بهذا»[٦]. و في أُخرى: «من ذلك قول الرّجل: لا و حياتك»[٧].

١ـ كمال الدّين: ٢٨٩ (النّسخة الحجريّة) عن أبي عبدالله عليه السلام، و في المطبوع منه ٢: ٥٢٤: «مائة و عشرين سنة».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٨، الحديث: ٨٧؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مابين المعقوفتين من «ب» و «ج».
٤ـ الكافي ٢: ٣٩٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٠٠، الحديث: ٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ١٩٩، الحديث: ٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ : عقوبةٌ تغشاهم و تشملهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ : من غير سابقة علامة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها، غير مستعدّين لها.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ . تفسيرٌ للسّبيل. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ قال: «عليّ اتبعه»[1]. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ . قال: «أنفة للّه[2]؛ أما ترى الرّجل إذا عجب من الشّيء قال: سبحان الله»[3]. و في رواية: «تنزيه»[4].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ قال: «يعني إلى الخلق»[5]. ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ . ردّ لقولهم: لو شاء ربّك لأنزل ملائكة. ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ كما نوحي إليك ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ لأنّهم أعلم و أحكم من أهل البَدْو ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من المكذّبين بالرّسل و الآيات، فيحذروا تكذيبك، و من المشعوفين بالدّنيا فيزهدوا فيها. و قد سبق[6] تفسير الأرض بأرض القرآن. ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ . غاية كلام محذوف. كأنّه قيل: قد تأخّر نصرُنا الرّسلَ، حتّى إذا استياسوا عنه ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ هكذا في قراءتهم عليهم السّلام: [7] "كُذِبُوا" بالتّخفيف. و معناه: و ظنّ المرسَلُ إليهم أنّ الرّسل قد كَذبوهم فيما أخبروهم، من نصرة الله إيّاهم. كذا ورد[8]. و على قراءة التّشديد، معناه:

١ـ روضة الواعظين: ١٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام، في مجلس ذكر فضائل امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ أنفةً للّه: تنزيهٌ للّه. قال بعض الشّارحين: الأنفة في الاصل: الضّرب علي الأنف ليرجع، ثمّ استعمل لتبعيد الأشياء، فيكون هنا بمعنى رفع الله عن مرتبة المخلوقين بالكلّيّة، لأنّه تنزيه عن صفات الرّذائل و الأجسام «مجمع البحرين ٥: ٢٨».
٣ـ الكافي ٣: ٣٣٠، ذيل الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر ١: ١١٨، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام و فيه: «تنزيهه».
٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٧٠، الباب: ٢٧، ذيل الحديث: ١.
٦ـ في ذيل الآية: ١٣٧ من سورة آل عمران، و الآية: ١١ من سورة الأنعام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٠١، الحديث: ١٠١؛ و مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦٩، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٨ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٢١٣.

و ظنّ الرّسل أنّهم قد كذّبتهم قومهم فيما وعدوا من العذاب والنّصرة عليهم. ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإرسال العذاب على الكفار ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزل.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يُختلَق ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب الإلهيّة ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدّين ﴿وَهُدًى﴾ من الضّلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ ينال بها خير الدّارين ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدّقونه.



سورة الرّعد

[مدنيّة، وهي ثلاث وأربعون آية. وقيل: مكّيّة[1]][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾: بغير أساطين ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾. صفةٌ لـ "عَمَدٍ". قال: «فثمّ عمد و لكن لا ترونها»[3]. ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾. سبق معناه في الأعراف[4]. ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: لمدّة معيّنة يتمّ فيها أدواره، أولغاية مضروبة ينقطع دونها سيرُه، و هي "إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ و إذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ"[5]. ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾: أمرَ ملكوته من الإيجاد و الإعدام، و الإحياء و الإماتة وغير ذلك. ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾: ينزلها و يبيّنها ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾:

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٣.

٢ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».

٣ـ العيّاشي ٢: ٢٠٣، الحديث: ٣، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام، و فيه: «ولكن لا ترى».

٤ـ ذيل الآية: ٥٤.

٥ـ التّكوير (٨١): ٢و٣.

لكي تتفكّروا فيها، و تتحقّقوا كمال قدرته و صنعه في كلّ شيء، فتعلموا أنّه بكلّ شيء محيط. و هذا كقوله سبحانه: "ألا إنّهُمْ في مِرْيَةٍ منْ لِقاءِ ربّهِمْ ألا إنّهُ بِكُلِّ شَيءٍ محيطٌ"[١].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾: بسطها طولاً و عرضاً ليثبّت فيها الأقدام، و يتقلّب[٢] عليها الحيوان ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابتَ ﴿وَأَنْهَارًا﴾ تتولّد منها ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: صنفين اثنين: أسود و أبيض، حلواً و حامضاً، رطباً ويابساً، صغيراً و كبيراً، و ما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يُلْبِسُ ظلمةَ اللّيل ضياءَ النّهار؛ فيصير الهواء مُظْلِماً بعد ما كان مضيئاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾: متلاصقة من طيّبة و سَبْخَة، و رِخْوَة وصُلْبَة، وصالحة للزّرع دون الشّجر و بالعكس، و غير صالحة لشيء منهما. ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ فيها أنواع الأعناب و النّخيل و الزّروع ﴿صِنْوَانٌ﴾: نَخلاتٌ، أصلها واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: متفرّقات مختلفة الأصـول، أو أمثال[٣] و غير أمثال. ورد: «عـمّ الرّجل صِنْـوُ أبيـه»[٤]. ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾: في الثّمر؛ شكلاً و قدراً، و رائحةً و طعماً. قال: «يعني هذه الأرض الطّيّبة مجاورة لهذه الأرض المالحة، و ليست منها، كما يجاور القومُ القومَ و ليسوا منهم»[٥]. و عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله أنّه قال لعليّ عليه السّلام: «النّاس من شجر[٦] شتّى و أنا و أنت من شجرة واحدة،

١ـ فصّلت (٤١): ٥٤.
٢ـ في «ألف»: «ينقلب».
٣ـ في «ألف»: «و أمثال».
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٦، عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله.
٥ـ العيّاشي ٢: ٢٠٣، الحديث: ٤، مرفوعاً، رفعه إلى أهل العلم والفقه من آل محمّد عليهم السّلام.
٦ـ في «ب»: «من شجرة».

ثمّ قرأ هذه الآية»[1] . ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ : يستعملون عقولهم بالتّفكّر فيهتدون إلى عظمة الصّانع، و علمه و حكمته البالغة، و قدرته النّافذة، و تدبيره الكامل، و لطفه الشّامل، و حسن تربيته صنايعه[2] شيئاً فشيئاً إلى بلوغها منتهى كمالاتها اللائقة بها.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمّد من قولهم في إنكار البعث ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ : فحقيق بأن يتعجّب منه، فإنّ من قدر على إنشاء ما قصّ عليك كانت الإعادة أهون عليه ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ : مُقيَّدون بالضّلال، لا يرجى خلاصهم لإصرارهم ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ : بالعقوبة قبل العافية، و ذلك أنّهم استعجلوا بالعذاب استهزاءً ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ : مضت ﴿مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ : عقوباتُ أمثالهم من المكذّبين، فما بالهم[3] لم يعتبروا بها! ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذّنوب[4] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ . قيل: لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ : «لولا عفو الله و تجاوزه ما هنا أحداً العيشُ، و لولا وعيد الله و عقابه لاتّكل كلّ أحد»[5] .

و ورد حين تذاكروا الكبائرَ و قولَ المعتزلة فيها: إنّها لا تغفر: «قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة؛ قال الله جلّ جلاله: "و إنّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم"»[6] .

١ـ مجمع البيان ٥ـ ٦ : ٢٧٦ .
٢ـ في «ب» : «و صنايعه» .
٣ـ في «الف» : «فما لهم لم يعتبروا بها» .
٤ـ في «الف» : «أي أنفسهم بالذّنوب» .
٥ـ مجمع البيان ٥ـ ٦ : ٢٧٨ .
٦ـ التّوحيد : ٤٠٦ ، الباب : ٦٣ ، الحديث : ٤ ، عن أبي الحسن الثّاني ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ لم يعتدّوا بالآيات المُنْزَلَة، واقترحوا نحو ما أُوتي موسى و عيسى. ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مُرْسَلٌ للإنذار كغيرك من الرّسل، و ما عليك إلاّ الإتيان بما يصحّ به أنّك رسول مُنذِرٌ، و الآيات كلّها متساوية في حصول الغرض. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يهديهم إلى الدّين، و يدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، و بآية خُصَّ بها.

قيل: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذرُ و عليٌّ الهادي من بعدي، يا عليّ بك يهتدي المهتدون»[1]. و ورد: «كلّ إمامٍ هادٍ للقرن الّذي هو فيهم»[2].

القمّي: هو ردّ على من أنكر أنّ في كلّ عصرٍ و زمان إماماً، و أنّ الأرض لا تخلو من حجّة[3].

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: من ذكر أو أُنثى، تامّ و ناقص، حسن و قبيح، سعيد و شقيّ ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾: و ما تنقصه ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ في المدّة و العدد و الخلقة. قال: «الغيض: كلّ حمل دون تسعة أشهر، "و ما تزداد": كلّ شيء يزداد على تسعة أشهر، فكلّما رأت المرأة الدّم في حملها من الحيض، فإنّها تزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدّم»[4]. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾.

﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾ في نفسه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ لغيره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾: طالب للخفاء في مُخْتَبأ[5] باللّيل ﴿وَسَارِبٌ﴾: بارزٌ ﴿بِالنَّهَارِ﴾ يراه كلُّ أحدٍ. قال: «يعني السرّ و العلانية عنده سواء»[6].

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٨.
٢ـ الكافي ١: ١٩١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٥٩. وفي «ب»: «ان الأرض لاتخلو من حجّة الله».
٤ـ الكافي ٦: ١٢، الحديث: ٢، عن احدهما عليهما السّلام، وفيه: «فكلّما رأت المرأة الدّم الخالص».
٥ـ في «ألف»: «مُختَبأه».
٦ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لَهُ﴾: لمن أسرّ أو جهر أو استخفى أو سَرَبَ ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾: ملائكة يعقّب بعضهم بعضاً في حفظه و كَلاءته ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: من جوانبه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ قيل: من أجل أمر الله [1]. ورد: «إنّها قُرِئَتْ عنده، فقال لقاريها: ألستم عرباً؟ فكيف يكون المعقّبات من بين يديه؟!، و إنّما المعقِّب من خلفه، فقال الرّجل: جعلت فداك، كيف هذا؟ فقال: إنّما أُنزلت: له معقّبات من خلفه، و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله. و من ذا الّذي يقدر أن يحفظ الشّيء من أمر الله، و هم الملائكة الموكّلون بالنّاس» [2].

و في رواية: «يقول: من أمر الله [3]، من أن يقع في ركيٍّ [4]، أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء، حتّى إذا جاء القدر خلّوا بينه [و بَيْنَهُمْ] [5] يدفعونه إلى المقادير، و هما ملكان يحفظانه باللّيل و ملكان بالنّهار يتعاقبانه» [6].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من العافية و النّعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة. قال: «إنّ الله قضى قضاءً حتماً لا يُنعم على عبده نعمةً فيسلبها إيّاه قبل أن يُحدِثَ العبد ذنباً، يستوجب بذلك الذّنب سلبَ تلك النّعمة، وذلك قول الله: "إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم"» [7]. وورد: «الذّنوب الّتي تغيّر النّعم: البغي على النّاس، و الزّوال عن العادة في الخير، و اصطناع المعروف، و كفران النّعم، و ترك الشكر، ثمّ تلا الآية» [8]. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾: مَنْ يلي أمرهم فيدفع عنهم السّوء.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ قال: «خوفاً للمسافر و طمعاً

١ـ الكشّاف ٣: ٣٥٢؛ و البيضاوي ٣: ١٤٨.
٢ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «بأمر الله»
٤ـ الرّكيّ: جنسٌ للرّكيّة، و هي البئر و جمعها: ركايا «النّهاية ٢: ٢٦١ـ ركا». و في «الف»: «في ركو».
٥ـ ما بين المعقوفتين من المصدر. و في «ب» و «ج»: «خلّوا بينه و بينه».
٦ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٠٦، الحديث: ١٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ـ معاني الأخبار: ٢٧٠، الحديث: ٢، عن السّجّاد عليه السلام.

للمقيم»[1]. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ القمّي: يعني يرفعها من الأرض[2].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾. سئل عن الرّعد؟ فقال: «ملك موكّل بالسّحاب معه مخاريق من نار، يسوق بها السّحاب»[3]. و في رواية: «إنّه بمنزلة الرّجل يكون في الإبل فيزجرها، هاي هاي كهيئة ذلك»[4]. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ حيث يكذّبون رسول الله ﷺ فيما يصفه من التّفرّد بالأُلوهيّة و إعادة النّاس و مجازاتهم ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ قال: «شديد الأخذ»[5].

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ فإنّه يُدعى فيستجيب ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ من الطّلبات ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾: إلاّ استجابةً كاستجابة مَنْ بسط كفّيه ﴿إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾: يطلب منه أن يبلغه من بعيد ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ إذ لا يشعر الماءُ بدعائه، ولا يقدر على إجابته، و كذلك آلهتهم. قال: «هذا مَثَلٌ ضربه الله للّذين يعبدون الآلهة من دون الله فلا يستجيبون لهم بشيء و لا ينفعهم، إلاّ كباسط كفّيه إلى الماء ليتناوله من بعيد و لا يناله»[6]. ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾: في ضياع و بطلان.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ قال: «أمّا من يسجد من أهل السّماوات طوعاً، فالملائكة يسجدون لله طوعاً؛ و من يسجد من أهل الأرض، فمَن وُلِدَ في الإسلام فهو يسجد له طوعاً؛ و أمّا من يسجد له كَرْهاً، فمن جُبِرَ على الإسلام؛ و أمّا من لم يسجد [له][7] فظلّه يسجد له

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٥١.
٢ـ القمّي ١: ٣٦١.
٣ـ راجع: البيضاوي ٣: ١٤٨، عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٠٧، الحديث: ٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٣، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٦١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ـ مابين المعقوفتين من «الف».

بالغداة والعشيّ»[1] .

و القمّي: ليس شيء إلاّ له ظلّ يتحرّك بحركته، و تحويله سجوده للّه [2].

و قيل: أُريد بالظّلّ الجسد[3]. و إنّما يقال للجسم الظّلّ، لأنّه عنه الظّلّ، و لأنّه ظلّ للرّوح، لأنّه ظلمانيّ و الرّوح نورانيّ، و هو تابع له يتحرّك بحركته النّفسانيّة، و يسكن بسكونه النّفسانيّ. القمّي: ظلّ المؤمن يسجد طوعاً، و ظلّ الكافر يسجد كرهاً، و هو نموّهم و حركتهم، و زيادتهم و نقصانهم[4].

و في رواية: «" وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ "؟ قال: هو الدّعاء قبل طلوع الشّمس و قبل غروبها، و هي ساعة إجابة»[5].

أقول: كما يجوز أن يراد بكلّ من السّجود و الظّلّ، و الغدوّ و الآصال معناه المعروف، كذلك يجوز أن يراد بالسّجود الانقياد، و بالظّلّ الجسد، و بالغدوّ و الآصال الدّوام، و يجوز أيضاً أن يراد بكلّ منها[6] ما يشمل كلا المعنيين، فيكون في كلّ شيء بحسبه و على ما يليق به. و بهذا يتوافق الأخبار. و يأتي لهذا المعنى مزيد بيان في سورة النّحل[7] إن شاء الله تعالى.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾: أجب عنهم بذلك، إذ لا جواب لهم سواه. ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فكيف لغيرهم! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ القمّي: الكافر و المؤمن[8]. ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾: الكفر و الإيمان ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: بل أجعلوا؛ و الهمزة

١ـ القمّي ١: ٣٦٢، عن ابي جعفر عليه السلام، و فيه «فَمَنْ أُجْبِرَ عَلَى الاسْلام».
٢ـ المصدر: ٣٨٦، ذيل الآية: ٤٨ من سورة النّحل.
٣ـ الدّرّ المنثور ٤: ٦٣٠، عن الحسن.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٢.
٥ـ الكافي ٢: ٥٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في «ألف» و «ج»: «منهما».
٧ـ في ذيل الآية: ٤٨.
٨ـ القمّي ١: ٣٦٢.

للإنكار. ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾. صفة لـ "شركاء". داخلة في حكم الإنكار. ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خلْقُ الله و خلْقُهم؛ و المعنى: أنّهم ما اتّخذوا لله شركاء خالقين مثله، حتّى يتشابه الخلق عليهم، فيقولوا: هؤلاء خلَقُوا كما خلَقَ اللهُ، فاستحقّوا العبادة كما استحقّها. و لكنّهم اتّخذوا شركاء عاجزين، لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً عمّا يقدر عليه الخالق. ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: لا خالقَ غيره فيشاركه في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: المتوحّد بالألوهيّة، الغالب على كلّ شيء.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾: في الصّغر و الكبر، و على حسب المصلحة ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾: مرتفعاً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من أنواع الفلزّات، كالذّهب و الفضّة و الحديد و النّحاس ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾: طلب حلية ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ كالاواني و آلات الحرث و الحرب ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾: مثل زبد الماء، و هو خبثه.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: مثَلهما مثَل الحقّ في إفادته و ثباته بالماء الّذي ينزل من السّماء، فيسيل[1] به الأوديةُ على وجه الحاجة و المصلحة، فينتفع به أنواع المنافع، و يمكث في الأرض؛ بأن يثبت[2] بعضه في منابعه، و يسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون و الآبار، و بالفلزّ الّذي ينتفع به في صوغ الحُليِ و اتّخاذ الأمتعة المختلفة، و يدوم ذلك مدّةً متطاولةً. و الباطل في قلّة نفعه و سرعة اضمحلاله بزَبَدهما.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾: يجفا[3] به، أي: يرمي به السّيل أو الفلزّ المُذاب. ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ كالماء و خلاصة الفلزّ ﴿فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ينتفع به أهلها ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ لإيضاح المشتبهات[4].

١ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «تَسيل».
٢ـ في «ألف»: «تثبت».
٣ـ الجُفاءُ: ما يرمي به الوادي أو القدرُ من الغُثاء إلى جوانبه، يُقالُ: أجفأَتِ القِدرُ زَبَدَها: ألقَتْه. المفردات: ٩٢ (جفا).
٤ـ في «ألف»: «الشّبهات».

القمّي: يقول: أنزل الحقّ من السّماء فاحتمله القلوب بأهوائها؛ ذواليقين على قدر يقينه، و ذو الشّكّ على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً و جُفاءً، فالماء هو الحقّ، و الأودية هي القلوب، و السّيل هو الهوى، و الزّبد و خَبْثُ الحلْيَة هو الباطل، و الحلية و المتاع هو الحقّ. من أصاب الحلية و المتاع في الدّين انتفع به، و كذلك صاحب الحقّ يوم القيامة ينفعه، و من أصاب الزّبَدَ و خَبْثَ الحلية في الدّنيا لم ينتفع، و كذلك صاحب الباطل يوم القيامة لا ينتفع به[1].

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾: الاستجابة الحسنى ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ يعني: كذلك يضرب الأمثال للفريقَيْنِ؛ و ما بعده كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين، و يحتمل عدم تعلّقه بما قبله ويراد بالحسنى: المثوبة الحُسْنىٰ، و يكون ما بعده متعلّقاً به. كذا قيل[2]. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ قال: «هو أن لا تُقبَل لهم حسنةٌ و لا تُغفَر لهم سيّئةٌ»[3]. وورد: «من نوقش في الحساب عذّب»[4]. ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: يمهدون في النّار.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ فيستجيب ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾: اعمى القلب، لا يستبصر فيستجيب. و الهمزة للإنكار، يعني: لا شبهة في عدم تشابههما بعد ما ضُرِبَ من المَثَلِ، فإنّ بينهما من البون ما بين الزّبد و الماء، و الخَبْث والإبريز[5]. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول المُبرّأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: ما عقدوه على أنفسهم لله ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾:

١ـ القمّي ١: ٣٦٢.
٢ـ الكشّاف ٢: ٣٥٦؛ والبيضاوي ٣: ١٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ المصدر. و فيه: «و من نوقش الحساب عذّب».
٥ـ ذَهَبٌ إبْرِيزٌ و إبْرِيزِيٌ: خالصٌ. القاموس المحيط ٢: ١٧٢ (برز).

ما وثّقوه من المواثيق بينهم و بين الله و بين العباد. قال: «نزلت في آل محمّد عليهم السّلام و ما عاهدهم عليه، و ما أخذ عليهم من الميثاق في الذرّ، من ولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام بعده»[١].

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الرّحم، و لا سيّما رحم آل محمّد عليهم السّلام و يندرج فيه موالاة المؤمنين و مراعاة حقوقهم. قال: «نزلت في رحم آل محمّد [عليه و آله السّلام][٢] و قد تكون في قرابتك. ثمّ قال: فلا تكوننّ ممّن يقول للشّيء: إنّه في شيء واحد»[٣]. و ورد: «الرّحم معلّقة بالعرش تقول: اللّهمّ صِلْ مَنْ وصلني و اقطع مَنْ قطعني، و هو رحم آل محمّد، و هو قول الله: "والّذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل"، و رحم كلّ ذي رحم»[٤]. و في رواية: «و رحم كلّ مؤمن»[٥]. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ قال: «أن تُحْسَبَ عليهم السّيّئاتُ و لا تحسب لهم الحسنات»[٦]. و ورد: «إنّه تلا هذه الآية حين وافى رجلاً استقصى حقّه من أخيه، و قال: أتراهم يخافون أن يظلمهم أو يجور عليهم؟ لا، و لكنّهم خافوا الاستقصاء و المداقّة، فسمّاه الله سوء الحساب، فمن استقصى فقد أساء»[٧].

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على القيام بأوامر الله و مشاقّ التّكاليف، و على المصائب في النّفوس و الأموال، و عن معاصي الله ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا

١ـ القمّي ١: ٣٦٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٢ـ ما بين المعقوفتين من المصدر.
٣ـ الكافي ٢: ١٥٦، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٠٨، الحديث: ٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، إلّا أنّ فيه: «و رحم كلّ مؤمن» بدل «و رحم كلّ ذي رحم».
٥ـ المصدر.
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٩؛ و العيّاشي ٢: ٢١٠، الحديث: ٣٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ راجع: الكافي ٥: ١٠٠، الحديث ١؛ والعيّاشي ٢: ٢١٠، الحديث: ٤١؛ والقمّي ١: ٣٦٤؛ ومعاني الأخبار: ٢٤٦، الحديث: ١، جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف وتفاوت.

مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ طلباً لرضاه[١] ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: يدفعونها بها، فيجازون الإساءة بالإحسان، و يتبعون[٢] الحسنةَ السّيّئةَ فتمحوها. ورد: «أتبعِ السّيّئةَ بالحسنة تمحها»[٣]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: عاقبةُ الدّنيا و ما ينبغي أن يكون مآلَ أهلها، و هي الجنّة.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾. العَدْنُ: الإقامة، أي: جنّاتٌ يقيمون فيها. قال: «جنّة عدن في وسط الجنان، سورها ياقوت أحمر و حَصْباؤها[٤] اللّؤلؤ»[٥]. ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: «من أبواب غُرَفِهِمْ». كذا ورد[٦].

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾. القمّي: نزلت في الأئمّة عليهم السّلام و شيعتهم الّذين صبروا[٧]. و ورد: «نحن صُبُرٌ[٨] و شيعتنا أصبر منّا، لأنّا صبرنا بعلم، و [شيعتنا][٩] صبروا على ما لا يعلمون»[١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول. القمّي: يعني: في أمير المؤمنين عليه السلام و هو الّذي أخذ الله عليهم في الذّرّ، و أخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خُمّ[١١]. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الرّحم وغيرها ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظّلم و تهييج الفتن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ

١ـ في «ب»: «طلباً لرضاء الله».
٢ـ في «الف»: «يبتغون».
٣ـ القمّي ١: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الحَصْباء: الحَصَى واحدتها حَصَبَة. القاموس ١: ٥٧ (حصب).
٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٣، ذيل الحديث: ٩٠٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ـ الكافي ٨: ٩٨، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٨ـ في «ب» و المصدر: «صُبّرنا».
٩ـ ما بين المعقوفتين من «ب» و «ج».
١٠ـ القمّي ١: ٣٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ـ المصدر: ٣٦٣.

﴿ٱلنَّارِ﴾: عذاب النّار.

﴿ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّعه و يُضيّقه دون غيره ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بما بسط لهم فيها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: في جنبها ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾: إلّا شيء قليل يُتمتّعُ به ثمّ يَفْنَى؛ يعني: أنّهم أشِرُوا[١] بما نالوا من الدّنيا، ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيمَ الآخرة، و اغترّوا بما هو في جنبه نَزْرٌ[٢]، قليل النّفع، سريع الزّوال.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: من أقبل إلى الحقّ و رجع عن العناد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾: تَسكُنُ إليه، أُنْساً به و اعتماداً عليه ورجاءً منه. قال: «بمحمّد ﷺ تطمئنّ، و هو ذكر الله و حجابه»[٣]. و القمّي: «الّذين آمنوا»: الشّيعة، و ذكر الله: أميرُ المؤمنين و الائمّةُ عليهم السّلام[٤]. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾. قال: «طوبى شجرةٌ في الجنّة، أصلها في دار النّبيّ ﷺ، و ليس من مؤمن إلّا و في داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلّا أتاه به ذلك، و لو أنّ راكباً مُجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، و لو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً، الا ففي هذا فارغبوا»[٥]. و في رواية: «أصلها في دار عليّ بن

١- أشِرَ من باب تَعِبَ: بَطِر وكَفَر النّعمة فلم يشكرها. المصباح المنير ١: ٢١ (اشر).
٢- النَّزْرُ: القليل. القاموس المحيط ٢: ١٤٦ (نزر).
٣- العيّاشي ٢: ٢١١، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله ؏.
٤- القمّي ١: ٣٦٥.
٥- الكافي ٢: ٢٣٩، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله ؏.

أبي طالب»[١]. و ورد: «إنّه قيل للنّبيّ ﷺ في ذلك، فقال: إنّ داري و دارَ عليّ في الجنّة بمكانٍ واحد»[٢].

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾: و حالهم أنّهم يكفرون بالواسع الرّحمة، الّذي احاطت بهم نعمتُهُ، و وسعت كلَّ شيء رحمتُه. ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: زُعْزِعَتْ عن مقارِّها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: تصدَّعَتْ من خشية الله و تشقّقتْ ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فتسمعُ وتُجيبُ، لكان هذا القرآن؛ لعظم قدره و جلالة شانه. القمّي: لو كان شيء من القرآن كذلك لكان هذا[٣]، و ورد: «وقد ورثْنا نحن هذا القرآنَ، الّذي فيه ما تُسَيَّرُ به الجبالُ، وتُقطَّعُ به البلدانُ، و يُحيىٰ به الموتى»[٤]. ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: بل لله القدرةُ على كلّ شيء.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾. قيل: أي: أفلم يعلم؟ و هي لغة قوم من النَّخَع[٥]. وقيل: إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه، لأنّ اليائس عن الشّيء عالم بأنّه لايكون[٦]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «أفلم يتبيّن»[٧]. ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾[٨]: داهيةٌ تقرَعُهُم من[٩] صنوف

١ ـ كمال الدّين ٢: ٣٥٨، الباب: ٣٣، الحديث: ٥٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٩١، عن أبي الحسن، عن آبائه عليهم السّلام.
٣ ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٤ ـ الكافي ١: ٢٢٦، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الاوّل ﷺ.
٥ ـ النَّخَع ـ محرّكة ـ قبيلةٌ باليمن. القاموس المحيط ٣: ٩٠(نخع).
٦ ـ الكشّاف ٢: ٣٦٠.
٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٩٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
٨ ـ القارعة: البليّة الّتي تَقرَعُ القلبَ بشدّة المخافة. مجمع البحرين ٤: ٣٧٧(قرع).
٩ ـ في «ب»: «عن».

المصائب، في أنفسهم و أموالهم. قال: «[هي] [١] النَّقمَة» [٢] ﴿أَوْتَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعون منها و يتطاير إليهم شررها [٣]، كالسّرايا الّتي يبعثها رسول الله ﷺ فتُغير حواليهم، و تختطفُ مواشيهم. قال: «تحلّ بقوم غيرهم، فيرون ذلك و يسمعون به، والّذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم، و لا يتّعظ بعضهم ببعض» [٤].

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قال: «و لن يزالوا كذلك، حتّى يأتي وعد الله الّذي وعد المؤمنين من النّصر، و يخزي الله الكافرين» [٥]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾. الإملاء: أن يُترَكَ مُلاءَةً [٦] من الزّمان في أمن و دعةٍ. يعني: طوّلتُ لهم الأمل ثمّ أهلكتهم. و هو تسلية لرسول الله ﷺ، و وعيد للمستهزئين به. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: عقابي إيّاهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾: رقيب عليه حافظ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من خيرٍ و شرٍّ، فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم [٧]، و لا يفوت عنه شيء من جزائهم، كمن ليس كذلك؟ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ مَنْ هُمْ؟ أو صفوهم، فانظروا هل لهم ما يستحقّون به العبادة، و يستأهلون الشّركة؟ ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾: بل أتنبّؤونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: بشركاءَ لا يَعْلَمُهُمْ في الأرض، و هو العالم بما في السّماوات و الأرض. فإذا لم يَعْلَمْهُمْ فإنّهم ليسوا بشيء يتعلّق به العلم. و المراد: نفي أن يكون له شركاء. ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾: أم تسمّونهم شركاءَ بظاهر من القول؛ من غير حقيقة و اعتبارٍ، كتسمية الزّنجيّ كافوراً. أُنظر إلى هذه الأساليب العجيبة في الاحتجاج، كيف تنادي بلسانٍ فصيحٍ: أنّها ليست من كلام البشر. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾: تمويههُم،

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ و ٤ ـ القمّي ١: ٣٦٥ ـ ٣٦٦ عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ألف»: «شرّها».
٥ـ القمّي ١: ٣٦٥ ـ ٣٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المُلاءة ـ بالحركات الثّلاث ـ اي: حيناً و برهةً. مجمع البحرين ١: ٣٩٨ (ملا).
٧ـ في «ألف»: «أحوالهم».

فتخيّلوا[1] أباطيلَ ثمّ خالوها. ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾: سبيلِ الحقّ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: يَخذُلْه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يوفّقه للهدى.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل و الأسر و سائر المصائب ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ لشدّته و دوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: من دافع.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: صفتها الّتي هي مَثَلٌ في الغَرابة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾: لا مقطوعةٌ و لا ممنوعةٌ ﴿وَظِلُّهَا﴾ كذلك ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ قال: «أي: يفرحون بكتاب الله إذا يُتْلىٰ عليهم، و إذا تَلَوْهُ تفيض أعينهم دمعاً من الفزع و الحزن»[2]. ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: مَنْ تحزّب على رسول الله بالعداوة ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ و هو ما يخالف شرائعهم ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ فإنكاركم إنكار لعبادة الله و توحيده. ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ لا إلى غيره ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: و إليه مرجعي لا إلى غيره.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ مأموراً فيه بعبادة الله و توحيده، و الدّعوة إليه و إلى دينه ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: حِكْمَةً عربيّةً، مُتَرْجَمَةً بلسان العرب ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ في أُمور يدعونك إلى أن تُوافقَهُمْ عليها ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بنسخ ذلك ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ ينصرك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يمنع العقاب عنك، و هو حَسْمٌ لأطماعهم، و تهييج للمؤمنين على الثّبات في دينهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ بشراً مثلك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾: نساءً و أولاداً. ردٌّ لتعييرهم إيّاه بكثرة الأزواج. قال: «فما كان رسول الله إلّا كأحدٍ أُولئك، جعل الله له أزواجاً، و جعل له ذرّيّةً، لم يُسْلِمْ مع أحدٍ من الأنبياء مَن أسلم من

[1] ـ في «ج»: «فيخيّلو».
[2] ـ القمّي ١: ٣٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

أهل بيته، أكرم الله بذلك رسوله»[١]. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ يُقترَحُ عليه و يُلتمسُ منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإنّه القادر على ذلك. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكلّ وقت حُكْمٌ يُكتَبُ على العباد، و لهم ممّا يقتضيه صلاحهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾: يَنْسخُ ما ينبغي نسخه، و يُثْبِتُ ما يقتضيه حكمته، و يمحو سيّئات التّائب، و يُثْبِتُ الحسنات مكانها، و يمحو من كتاب الحفَظَة ما لا يتعلّق به جزاء، و يترك غيره مُثْبَتاً، أو يُثْبِتُ ما رآه في صميم قلب عبده، و يمحو الفاسدات و يُثْبِتُ الكائنات، و يمحو قَرْناً و يثبت آخرين. و الأخير مرويّ[٢]، و هو أحد معانيه. و قال: «هل يُمْحىٰ إلّا ما كان ثابتاً، و هل يُثْبَتُ إلّا ما لم يكن؟»[٣].

و ورد: «إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة و الرّوح و الكَتَبَةُ إلى سماء الدّنيا، فكتبوا ما يكون من قضاء الله تلك السّنة. فإذا أراد الله أن يُقدِّم شيئاً أو يؤخّره أو ينقص[٤] شيئاً، أمر المَلَكَ أن يمحو ما يشاء، ثمّ أثبت الّذي أراد»[٥].

﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يعني: أصل الكتب؛ و هو اللّوح المحفوظ عن المحو و التّبديل، و هو جامع للكلّ، ففيه إثبات المُثْبَت و إثبات المَمْحوّ[٦]، و محوه و إثبات بدله.

قال: «هما كتابان: كتابٌ سوى أُمّ الكتاب، يمحو الله منه ما يشاء و يثبت؛ و أُمّ الكتاب لا يُغيَّرُ منه شيء»[٧].

و في رواية: «هما أمران: موقوف و محتوم، فما كان من محتوم أمضاه، و ما كان من موقوف فله فيه المشيّة يقضي فيه ما يشاء»[٨].

١ـ العيّاشي ٢: ٢١٤، الحديث: ٥١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ١٤٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «الف» و «ج»: «ينقض».
٥ـ راجع: القمّي ١: ٣٦٦؛ و العيّاشي ٢: ٢١٦، الحديث: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٦ـ في جميع النّسخ: «إثبات المحو». و ما أثبتناه من الصافي.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ يعني و كيفما دارت الحال من الأمرين ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ لا غير ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ للمجازاة لا عليك، فلاتحتفل بإعراضهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾: بإذهاب أهلها. قال: «يعني بذلك ما يهلك من القرون، فسمّاه إتياناً»[1]. و في رواية: «هو ذهاب العلماء»[2].

أقول: و على هذا التّفسير يكون الأطراف جمعَ طَرْفٍ بالتّسكين. قال في الغريبين[3]: أطراف الأرض: علماؤها و أشرافها، الواحد طَرْفٌ، و يقال طَرَفٌ أيضاً.

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا رادّ له، و المُعقِّبُ: الّذي يعقّب الشّيء فيبطله. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. فيحاسبهم عمّا قليل.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ لا يُؤْبَهُ بمكر دون مكره، فإنّه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيُعِدُّ جزاءه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ يعني: العاقبة المحمودة، و هذا كالتّفسير لمكر الله بهم.

القمّي: المكر من الله هو العذاب[4].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال: «إيّانا عنى، و عليٌّ أوّلنا، و أفضلنا، و خيرنا بعد النّبيّ ﷺ»[5].

١ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ الكافي ١: ٣٨، الحديث: ٦، عن أبي جعفر، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهما السّلام. و في «ب»: «ذهاب العلماء».
٣ـ لايوجد لدينا هذا الكتاب. راجع: أساس البلاغة: ٣٨٨؛ ولسان العرب ٩: ٢١٨؛ وتاج العروس ٢٤: ٧٩ (طرف)؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٣٠٠.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٧.
٥ـ الكافي ١: ٢٢٩، الحديث: ٦؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٠، الحديث: ٧٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

و سئل عليّ عليه السلام عن افضل منقبة له فقرأ هذه الآية و قال: «إيّاي[1] عَنى بـ «مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ»»[2].



١ـ في «الف»: «إيّانا».
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٣٢.

سورة إبراهيم

[مكيّة، و هي اثنتان و خمسون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: من الكفر و انواع الضّلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إلى الإيمان والهدى ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾: بتوفيقه و تسهيله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾. بدل من قوله: " إلى النُّور".

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾.

الويل الهلاك، نقيض الوَأل و هو النّجاة.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يختارونها عليها ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾: يطلبون لها اعوجاجاً ليقدحوا فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: إلاّ بلغة قومه الّذين هو منهم و بُعِثَ فيهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ ما أُمروا به فيفقهوه بيسرٍ و سرعةٍ.

١ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».

ورد: «و مَنَّ عليّ ربّي وقال: يا محمّد قد أرسلتُ كلَّ رسول إلى أُمّة بلسانها، و أرسلتك إلى كلّ أحمر و أسود من خلقي»[1].

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلان ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ بالتّوفيق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: «بنعم الله و آلائه»[2]. و قيل: بوقائعه الواقعة على الأمم الماضية[3]. و في رواية: «أيّام الله: يوم يقوم القائم و يوم الكرّة و يوم القيامة»[4]. و القمّي: أيّام الله ثلاثة: يوم القائم و يوم الموت و يوم القيامة[5].

أقول: لا منافاة بين هذه التّفاسير، لأنّ النّعمة على المؤمن نقمة على الكافر، وكذا الأيّام المذكورة نعمٌ لقوم و نقمٌ لآخرين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ يصبر على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ يشكر لنعمائه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يكلّفونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: استعبادكم بالأفعال الشّاقّة، كما سبق في سورة البقرة[6]. ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: و اذكروا إذ أعلم ربكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الانجاء و غيره، بالإيمان و العمل الصّالح ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمةً إلى نعمةٍ. ورد: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه، و حمد الله ظاهراً بلسانه، فتمّ

١ ـ الخصال ٢: ٤٢٥، الحديث: ١، عن النّبيّ ﷺ، و فيه: «إلى أُمّته».
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠٤؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ٣: ١٥٦؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠٤.
٤ ـ الخصال ١: ١٠٨، الحديث: ٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ القمّي ١: ٣٦٧.
٦ ـ في ذيل الآية: ٤٩.

كلامه حتّى يُؤْمَرَ له بالمزيد»[١]. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ قال: «هو كفر النّعم»[٢].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحقّ للحمد في ذاته و إن لم يَحْمَدْهُ حامدٌ، محمود يحمَدُهُ نفسُه وملائكتُه و سائر المخلوقات، «و إنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِه»[٣].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾. القمّي: أي: في أفواه الأنبياء[٤]. أقول: يعني منعوهم من التكلّم، و هو تمثيل.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقت سمّاه الله و جعله آخر أعماركم. ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: لا فضل لكم علينا، فلمَ خُصِصْتُم بالنّبوّة دوننا؟!. ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجّةٍ واضحةٍ. أرادوا بذلك ما اقترحوه من الآيات، تعنّتاً وعناداً.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾. سلّموا مشاركتهم في البشريّة، و جعلوا الموجب لاختصاصهم بالنّبوّة فضلَ الله، و منّه عليهم بخصائص فيهم ليست في أبناء جنسهم.

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾:

١ـ الكافي ٢: ٩٥، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الإسراء (١٧): ٤٤.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٨.

فلتتوكّل[1] في الصّبر على معاداتكم. عمّموا للإشعار بما يوجب التّوكّل، و هو الإيمان.

﴿وَمَا لَنَآ﴾ أي: أيُّ عذرٍ لنا ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ الّتي بها نعرفه، و نعلم أنّ الأمور كلّها بيده ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾. حلفوا على أن يكون أحد الأمرين؛ و العودُ بمعنى الصّيرورة، لأنّهم لم يكونوا[2] على ملّتهم قطّ. ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: أرضهم و ديارهم. ورد: «من آذى جاره طمعاً في مسكنه ورّثه الله داره»[3]. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: موقفي للحساب ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أي: و عيدي بالعذاب.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾. سألوا من الله الفتح على أعدائهم، أو القضاء بينهم و بين أعدائهم[4]. من الفُتاحة، بمعنى الحكومة. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾. قال: «يعني: مَنْ أبى أن يقول لا إله إلاّ الله»[5]. و في رواية: «العَنيدُ: المعرض عن الحقّ»[6].

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾: من بين يدي هذا الجبّار نارُ جهنّم، فإنّه مرصد بها، واقف على شفيرها في الدّنيا، مبعوث إليها في الآخرة. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ أي: يُلْقىٰ فيها و يسقى ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: «و يسقى ممّا يسيل من الدّم و القيح من فروج الزّواني في النّار»[7].

١ـ في «ب»: «فليتوكل».
٢ـ في «الف»: «لا يكونوا».
٣ـ القمّي ١: ٣٦٨، مرفوعاً عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ في «ب» و «ج»: «أعاديهم».
٥ـ التّوحيد: ٢١، الباب: ١، الحديث: ٩، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ٣٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و في رواية: «يقرب إليه فيكرَهُهُ، فإذا أُدني منه شوَى وجهَه و وقَعَ فروةُ رأسه[١]، فإذا شرب قُطِّعَ أمْعَاؤُه[٢] حتّى يخرج من دبره، يقول الله عزّوجلّ: "وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أمْعَاءَهُمْ"[٣]، و يقول: "وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ[٤]"»[٥].

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتكلّف جرْعَهُ ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: ولا يُقارِبُ أن يُسيغَهُ، فكيف يسيغه؟ ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ أي: أسبابُه من الشّدائد، فيُحيطُ به من جميع الجهات ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ﴾ فيستريحَ ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: و من بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ أي: يستقبل في كلّ وقت عذاباً أشدَّ ممّا هو عليه. قال: «إنّ أهل النّار لمّا غَلَى الزّقّومُ و الضّريعُ[٦] في بطونهم كغَلْيِ الحميم، سألوا الشّراب فأُتوا بشراب غَسّاقٍ[٧] و صديدٍ "يتجرّعه و لا يكاد يسيغه، و يأتيه الموت من كلّ مكان و ما هو بميّت، و من ورائه عذاب غليظ": حميم[٨]، يغلي به جهنّم منذ خلقت "كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً"»[٩].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾: صفتهم الّتي هي مثَلٌ في الغرابة ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: حملته و اسرعت الذّهاب به ﴿فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖ﴾. العَصْفُ: اشتداد الرّيح. وُصِفَ به اليوم للمبالغة. شبّه مكارمهم ـ من الصّدقة و صلة الرّحم و عتق الرّقاب

١ـ في المصدر: «وقَعَتْ»، و وقَعَ: سقَطَ؛ و الفَرْوَةُ: جِلْدَةُ الرّأسِ. القاموس المحيط ٣: ٩٩ (وقع) و ٤: ٣٧٦ (فرو).
٢ـ في «ألف» و «ج» والمصدر: «قطّعَ أمعاءَه».
٣ـ سورة محمّد (٤٧): ١٥.
٤ـ الكهف (١٨): ٢٩.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٠٨، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ الزّقّوم: شجرة مرّة، كريهة الطّعم و الرّائحة، و الضّريع ـ على ما نقل عن رسول الله ﷺ ـ: شيءٌ يكون في النّار يشبه الشّوك، أمرّ من الصبر و أنتن من الجيفة و أشدّ حرّاً من النّار. مجمع البحرين ٤: ٣٦٤ (ضرع) و ٦: ٧٩ (زقم).
٧ـ الغَسّاق: ما يُغْسَقُ من صديد أهل النّار أي: يَسيل، يقال: غَسَقَت العين: إذا سالت دموعها. مجمع البحرين ٥: ٢٢٣ (غسق).
٨ـ في المصدر: «و حميم».
٩ـ العيّاشي ٢: ٢٢٣، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله، عن آبائه، عن عليّ عليهم السّلام. والآية في سورة الكهف (١٨): ٢٩.

و إغاثة الملهوف في حبوطها و ذهابها هباءً منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله، والتوجّه بها إليه ـ برَمادٍ طيّرته الرّيح العاصف. ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ منها ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يعني لا يرون لشيء منها ثواباً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ضلالهم مع حسبانهم أنّهم محسنون ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ في غاية البعد عن الحقّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة و الغرض الصّحيح، ولم يخلقها عبثاً باطلاً ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذّر، أو متعسّر.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يعني يوم القيامة. ذُكرَ بلفظ الماضي لتحقّق و قوعه. ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: ضعفاء الرّاي، يعني الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: لرؤسائهم. قال: «أفتدرون الاستكبار ما هو؟ هو تركُ الطّاعة لمن أُمرُوا بطاعته، و الترفّعُ على من نُدبوا إلى متابعته»[1]. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: منْجىً و مَهْرَبٍ من العذاب.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾. قال: «كلّما كان في القرآن "قال الشّيطان" يريد به الثّاني»[2].

﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾. القمّي: أي: لمّا فرغ من أمر الدّنيا من أوليائه[3]. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ من البعث و الجزاء، فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾: فلم أوف لكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ فاجبركم على الكفر والعصيان ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ بتسويلي و وسوستي ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: أسرعتم إجابتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بوسوستي، فإنّ من صرّح بعداوته لا يسلام بأمثال ذلك ﴿وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ حيث اغتررتم ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنتُم

١ـ مصباح المتهجّد: ٧٠١، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٢٣، الحديث: ٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٦٨.

﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمغيثيّ، لا ينجي بعضنا بعضاً ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: تبرّأت منه. قال: «إنّ الكفر في هذه الآية البراءة»[١]. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. من تتمّة كلامه، أو استيناف.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: قولاً حقّاً و دعاءً إلى صلاح ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ يطيب ثمرها، كالنّخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ضارب بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾: تعطي ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾: كلّ وقت وقّته الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. قال: «هذا مثَل ضربه الله لأهل بيت نبيّه و لمن عاداهم»[٢]. و سئل عن هذه الشّجرة؟ فقال: «رسول الله ﷺ أصلها، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه فرعها، و الأئمّة من ذرّيّتهما أغصانها، و علم الأئمّة ثمرها، و شيعتهم المؤمنون ورقها»[٣]. و قال: «"تؤتي أكلها كلّ حين": ما يخرج من علم الإمام إليكم في كلّ سنة من كلّ فجّ عميق»[٤].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: قول باطل، و دعاء إلى ضلال أو فساد ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ لا يطيب ثمرها، كشجرة الحَنْظَل ﴿اجْتُثَّتْ﴾: استؤصلت و أُخذت جثّته بالكلّيّة ﴿مِن فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ لأنّ عروقها قريبة منه ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾. قال: «إنّ هذا مثَل بني أُميّة»[٥].

١ـ الكافي ٢: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٢٥، الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٢٢٤، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «و شيعتهم ورقها».
٤ـ كمال الدّين ٢: ٣٤٥، الباب: ٣٣، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه بدل قوله: «من كلّ فجّ عميق»: «من حجّ وعمرة».
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

و قال: «كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السّماء»[١].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الّذي ثبت بالحجّة و البرهان عندهم، و تمكّن في قلوبهم و اطمأنّت إليه أنفسهم ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا يزلّون إذا افتتنوا في دينهم ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ فلا يتلعثمون[٢] إذا سئلوا عن معتقدهم ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الّذين ظلموا أنفسهم بالجحود و الاقتصار على التّقليد، فلا يهتدون إلى الحقّ، ولا تثبتون في مواقف الفتن. قال: «يعني يضلّهم يوم القيامة عن دار كرامته»[٣].

ورد: «إنّ الشّيطان ليأتي الرّجل من أوليائنا عند موته عن يمينه و عن شماله ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله له ذلك، و ذلك قول الله عزّ و جلّ: "يثبّت الله الّذين آمنوا" الآية»[٤]. ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دار الهلاك؛ بحملهم[٥] على الكفر.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾. قال: «عنى بها قريشاً قاطبة، الّذين عادوا رسول الله و نصبوا له الحرب، و جحدوا وصيّه»[٦].

و في رواية: «هم الأفجران من قريش: بنو أُميّة و بنو المُغيرة؛ فأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين؛ و أمّا بنو المُغيرة فكفيتموهم يوم بدر»[٧].

و في أُخرى: «ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله ﷺ، و عدلوا عن وصيّه لايتخوّفون أن ينزل بهم العذاب؟! ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: نحن و الله نعمة الله الّتي

١ـ القمّي ١: ٣٦٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ تَلَعْثَمَ الرّجل في الأمر: إذا تمكّث فيه و تأنّى. مجمع البحرين ٦: ١٦٢ (لعثم).
٣ـ التّوحيد: ٢٤١، الباب: ٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ١: ٨٠، الحديث: ٣٦٣؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٥، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف» و «ب»: «يحملهم».
٦ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «وصيّة وصيّه».
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٤، عن عليّ عليه السلام.

أنعم الله بها على عباده، و بنا يفوز من فاز يوم القيامة»[١].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أقيموا الصلاة، أو ليقيموا[٢] ﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾. قال: «إنّه من الحقوق الّتي هي غير الزّكاة المفروضة»[٣]. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاعَ المقصّر ما يتدارك به تقصيره، أو يفدي به نفسه ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾: و لا مُخالّة، فيشفعَ لك خليل. القمّي: لا صداقة[٤].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تعيشون به. يشمل المطعوم و الملبوس و غيرهما ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾: يدْأبان في سيرهما لا يفْتُران في منافع الخلق. قال: «في مرضاته»[٥]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان لسباتكم[٦] ومعاشكم.

﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: ما كان حقيقاً بأن يسأل. سئل أولم يسأل. قال: «و الشّيء الّذي لم تسأله إيّاه أعطاك»[٧]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من كلٍّ بالتّنوين»[٨]. ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لا تعدّوها و لا تطيقوا حصر أنواعها فضلاً عن أفرادها ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ﴾ للنعمة لا يشكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ يكفرها.

١ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «نحن النّعمة الّتي ...».
٢ـ في «ب» و «ج»: «أقيموا الصّلاة يقيموا، أوليقيموا».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث: ٢٩، مضمراً.
٤ـ القمّي ١: ٣٧١.
٥ـ نهج البلاغة (للصبحي الصّالح): ١٢٣، الخطبة: ٩٠.
٦ـ في «ألف»: «للباسكم». والسُّبات: نوم المريضِ والشيخِ المُسنّ، وهو النّومة الخفية. وأصله من السَّبْت: الرّاحة والسّكون. النّهاية ٢: ٣٣١ (سبت).
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث: ٣٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٥، عنهما عليهما السّلام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ﴾: [بلد][١] مكّة ﴿آمِنًا﴾: ذا أمن لمن فيها. و قد مرّ بيانه [٢]. ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. قال: النّبيّ ﷺ: «فانتهت الدّعوة إليّ و إلى اخي عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ، فاتّخذني الله نبيّاً و عليّاً وصيّاً» [٣].

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾: صرن سبباً لإضلالهم ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ قال: «من اتّقى الله منكم و أصلح» [٤]. و في رواية: «من أحبّنا فهو منّا أهل البيت. قيل: منكم أهل البيت؟! قال: منّا أهل البيت، قال فيها إبراهيم: "فمن تبعني فإنّه منّي"» [٥]. ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال: «تقدر أن تغفر له و ترحمه» [٦].

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾: بعض وُلْدي، و هو إسماعيل و مَنْ وُلِدَ منه. قال: «نحن هم، و نحن بقيّة تلك الذّرّيّة» [٧]. ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يعني: وادي مكّة ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾: الّذي حرّمتَ التعرّض له و التّهاون به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾: بعضهم. قال: «اما إنّه لم يعن النّاس كلّهم، أنتم أُولئك ونظراؤكم، إنّما مثلكم في النّاس مثَلُ الشّعرة البيضاء في الثّور الأسود، أو مثل الشّعرة السّوداء في الثّور الأبيض» [٨]. ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾: تسْرَعُ إليهم، شوقاً ووداداً. و في قراءتهم عليهم السّلام: «تَهْوَى بفتح الواو» [٩]. مِنْ: هَوِيَ كرَضِيَ: إذا أحبّ؛ و تعديته بـ «إلى» لتضمين معنى النّزوع. قال: «و لم يعن البيت فيقول: "إليه"، فنحن والله دعوة إبراهيم» [١٠] ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قال: «يعني من

١ـ مابين المعقوفتين من «ب» و «ج».
٢ـ في سورة البقرة: ١٢٦.
٣ـ الأمالي (للطّوسي) ١: ٣٨٨.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الصّافي ٣: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ المصدر: ٢٣٣، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٧، عن امير المؤمنين و الصّادقين عليهم السّلام.
١٠ـ الكافي ٨: ٣١١، الحديث: ٤٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

ثمرات القلوب»[١]. أي: حبّبهم إلى النّاس ليأتوا إليهم و يعودوا. و في رواية: «إنّ الثّمرات تُحْمَلُ إليهم من الآفاق، و قد استجاب الله له حتّى لا يوجد في بلاد الشّرق و الغرب ثمرة لا توجد فيها؛ حتّى حكي أنّه يوجد فيها في يوم واحد فواكه ربيعيّة و صيفيّة وخريفيّة و شتائيّة»[٢]. و قد سبقت رواية أُخرى في سورة البقرة عند قوله: "و ارزق أهله من الثّمرات"[٣]. و ورد: «إنّه نظر إلى النّاس حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة، إنّما أُمروا أن يطوفوا بها، ثمّ ينفروا إلينا فيُعلِموننا ولايتهم و مودّتهم، ويَعرِضوا علينا نصرتهم. ثمّ قرأ هذه الآية»[٤].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾: تعلم سرّنا و علانيتنا. و المعنى: انّك أعلم بأحوالنا و مصالحنا و أرحم بنا منّا بأنفسنا، فلا حاجة لنا إلى الطّلب، لكنّا ندعوك إظهاراً لعبوديّتك، و افتقاراً إلى رحمتك، و استعجالاً لنيل ما عندك. ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: لَمجيبه[٥]؛ مِنْ سمعه: إذا اعتدّ به. و فيه إشعار بأنّه دعا ربّه و سأل منه الولد، فأجابه حين ما وقع اليأس منه.

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: معدّلاً لها[٦]، مواظباً عليها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾: وبعض ذرّيّتي ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾: عبادتي.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ قال: «آدم و حوّاء»[٧]. و في قراءتهم عليهم السّلام:

١ـ القمّي ١: ٣٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عوالي اللئالي ٢: ٩٦، الحديث: ٢٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ راجع: ذيل الآية: ١٢٦.
٤ـ الكافي ١: ٣٩٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «يجيبه».
٦ـ في «ب»: «مُعدّاً لها».
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣٤ـ٢٣٥، الحديث: ٤٦، عن أحدهما عليهما السّلام.

«و لولَدَيَّ»[١]. قال: «هذه كلمة صحّفها الكُتّاب، إنّما كان استغفاره لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه، و إنّما كان: ربّنا اغفرلي و لولَدَيَّ يعني إسماعيل و إسحاق»[٢]. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: يوم القيامة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾. القمّي: تبقى أعينهم مفتوحةً من هول جهنّم؛ لا يقدرون أن يَطْرِفُوا[٣].

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الدّاعي، أو مقبلين بأبصارهم لا يَطْرِفُون هيبةً و خوفاً؛ و الإهطاع: الإقبال على الشّيء. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: رافعيها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بل بقيت عيونهم شاخصةً لا تطرف ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ قيل: خَلاءٌ. أي: خالية عن العقول لفرط الحيرة و الدّهشة، لا قوّة لها و لا جرأة و لا فهم[٤]. و القمّي: قلوبهم تتصدّع من الخفقان[٥].

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ القمّي: أي: لا تهلكون[٦].

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر و المعاصي ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بما شاهدتم في منازلهم من آثار ما نزل بهم، و ما تواتر عندكم من أخبارهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ فلم تعتبروا.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ المستفرغ فيه جهدهم، لإبطال الحقّ و تقرير الباطل

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٣٥، الحديث: ٤٧، عن احدهما عليهما السّلام؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣١٧، عن المجتبى و الباقر عليهما السّلام.
٢ ـ المصدر، الحديث: ٤٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ ـ القمّي ١: ٣٧٢، و فيه: «يطرفوها». طرف بَصَرَه: أطبق أحد جَفْنَيْه على الآخر. القاموس المحيط ٣: ١٧٢ (طرف).
٤ ـ البيضاوي ٣: ١٦٣؛ و الكشّاف ٢: ٣٨٢.
٥ و٦ ـ القمّي ١: ٣٧٢.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾: و مكتوب عنده مكرهم فهو مجازيهم عليه، أو عنده ما يَمكُرُهم به جزاءً لمكرهم. ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ في العظَمِ و الشدّة. القمّي: مكر بني فلان [1].

﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال: «يعني بأرضٍ لم تكسب [2] عليها الذنوب، بارزةً ليس عليها جبال و لا نبات، كما دحاها أوّل مرّة» [3]. و في رواية: «تبدّل [4] الارض خبزةً نقيّةً يأكل النّاس منها حتّى يفرغوا من الحساب» [5]. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ يعني: والسّماوات غير السّماوات. روي: «أرضاً من فضّة و سماواتٍ من ذهب» [6]. ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ لمحاسبته و مجازاته.

﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾. القمّي: مقيّدين بعضهم إلى بعض [7]. قيل: لعلّ ذلك بحسب مشاركتهم في العقائد و الأخلاق و الأعمال [8].

﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قُمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٖ﴾ و هو ما يُطلى به الإبل الجَربى، فيُحرِقُ الجَرَبَ و الجِلدُ، و هو أسود مُنتِنٌ يشتعل فيه النّار بسرعة. وورد: «هو الصُّفْرُ الحارّ الذّائب. يقول الله: انتهى حرّه» [9]. أقول: بناءُ هذا الحديث على قراءة: "قطْرٍ ءآن"، فإنّ القطْرَ: النُّحاسُ و الصُّفْرُ المذاب؛ و الآني: المتناهي حرُّه. ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٧٢.
٢ـ في المصدر: «لم تكتسب».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٣٦، الحديث: ٥٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٤ـ في «الف»: «يتبدّل».
٥ـ الكافي ٦: ٢٨٦ـ٢٨٧، الحديث: ١ و ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ البيضاوي ٣: ١٦٤، عن عليّ عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٣٧٢.
٨ـ البيضاوي ٣: ١٦٤.
٩ـ القمّي ١: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: يفعل بهم ذلك ليجزى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لأنّه لا يشغله حساب عن حساب. و قد مضى تفسيره[1].

﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾: كفاية لهم في الموعظة، لينصحوا ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.



١ ـ في سورة البقرة ذيل الآية: ٢٠٢.

سورة الحجر

[مكيّة، وهي تسع وتسعون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ .

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ . قال: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ من عندالله لايدخل الجنّة إلاّ مُسْلم، فيومئذ يودّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين»[2] .

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بدنيا[3] ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ عن الاستعداد للمعاد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم، إذا عاينوا الجزاء .

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ : أجل مقدّر كتب في اللّوح المحفوظ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه .

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ . نادوه على سبيل التهكّم والاستهزاء . ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ : لتقول قول المجانين، حين تدّعي ذلك .

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .
٢ ـ القمّي ١ : ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام .
٣ ـ في «ج» : «بدنياهم» .

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾: هلا تأتينا ﴿بِالْمَلَائِكَةِ﴾ ليصدقوك ويعضدوك ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة والمصلحة ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾: مهلين. يعني لا يمهلهم ساعة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾. ردّ لإنكارهم واستهزائهم. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التّحريف والتّغيير، والزّيادة والنّقصان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾: في فِرَقِهم وطوائفهم. والشّيعة: الفرقة إذا اتّفقوا في مذهب وطريقة؛ من شاعَهُ إذا تَبِعَهُ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. حكاية حال ماضية.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ نُدخِلُ الذكر ونُنَظِّمُهُ، مكذّباً به غير مقبول، كذا قيل[1]. وقيل: الضّمير للاستهزاء[2].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالذكر ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنّة الله فيهم، بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم؛ أو بأن أهلكهم حين كذّبوا رسلهم.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾: سُدّتْ من الإبصار بالسّحر، وخُيّلَ إلينا على غير حقيقة ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ قد سحرنا محمّدٌ بذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾. قال: «البروج: الكواكب، والبروج الّتي للرّبيع والصّيف: الحمل والثّور والجوزاء والسّرطان والأسد والسّنبلة، وبروج الخريف والشّتاء: الميزان والعقرب والقوس والجدي والدّلو والحوت، وهي اثنى عشر برجاً»[3].

١ـ الكشّاف٢: ٣٨٨.

٢ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٣١؛ والبيضاوي٣: ١٦٦.

٣ـ القمّي٢: ١٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

والقمّي: هي منازل الشّمس والقمر[١].

أقول: معنى البروج القصور العالية، سُمّيت الكواكب بها لأنّها للسّيّارات كالمنازل لسُكّانها، واشتقاقه من التّبرّج لظهوره. و ورد: «إنّ للشّمس ثلثمائة وستّين برجاً، كلّ برج منها مثل جزيرة من جزاير العرب، تَنْزِلُ كلّ يوم على برجٍ منها»[٢].

أقول: وذلك لأنّ سير الشّمس يكون في كلّ برجٍ من البروج الاثنى عشر ثلاثين يوماً تقريباً، فبهذا الاعتبار ينقسم كلّ منها إلى ثلاثين برجاً، فتصير ثلثمائة وستّين. ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ قال: «بالكواكب النّيّرة»[٣].

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يقدر أن يَصْعَدَ إليها، ويوسوس أهلها، ويتصرّف في أمرها، ويطّلع[٤] على أحوالها.

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾: اختلسه سرّاً ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ ولحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين. والشّهاب: شُعْلة نارٍ ساطعة، وقد يُطْلَق للكوكب والسّنان لما فيهما من البريق.

قال: «كان إبليس لعنه الله يخترق السّماوات السّبع، فلمّا وُلِدَ عيسى حُجِبَ عن ثلاث سماوات، وكان يَخْتَرِقُ أربع سموات، فلمّا وُلِدَ رسول الله ﷺ حُجِبَ عن السّبع كلّها، ورُمِيَتْ الشّياطين بالنّجوم. وقالت قريش: هذا قيام السّاعة الّذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه. وقال عمرو بن أُميّة، وكان من أزجر[٥و٦] أهل الجاهليّة: أُنْظروا هذه النّجوم الّتي يُهْتَدَى بها و يُعْرف بها أزمان الشّتاء والصّيف، فإن كان يُرْمَى[٧] بها فهو هلاك

١ ـ القمّي ١: ٣٧٣.

٢ ـ الكافي ٨: ١٥٧، الحديث: ١٤٨، عن امير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «فتَنْزِلَ».

٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ ـ في «الف»: «يتطلّع».

٥ ـ والزَّجْرُ: العيافة، وهو ضرب من التّكهّن. الصّحاح ٢: ٦٦٨ (زجر).

٦ ـ في «الف»: «أرجز».

٧ ـ في «ج» والمصدر: «ارمى».

كلّ شيء، وإن كانت ثبتت ورُمِيَ بغيرهافهو أمر حدث»[1] الحديث.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال الذّهب والفضّة، والجوهر والصُّفْر، والنّحاس والحديد، والرّصاص والكحل والزِّرْنيخ وأشباه هذه، لاتُباع إلاّ وزناً»[2].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: وجعلنا لكم من لَستُم له برازقين، من العيال والخدَم والمماليك والحيوانات، وساير ماتحسبون أنّكم ترزقونه حسباناً كاذباً، فإنّ الله يرزقكم وإيّاهم.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾. القمّي: الخزانة: الماء الّذي ينزل من السّماء، فينبت لكلّ ضَرْبٍ من الحيوان ماقدَّرَ الله له من الغذاء[3].

أقول: هذا تمثيل للتّقريب من أفهام الجمهور وتفسير في الظّاهر؛ وأمّا في الباطن: فالخزائن عبارةٌ عمّا كتبه القلم الأعلى، أوّلاً: على الوجه الكلّي، في لوح القضاء المحفوظ عن التّبديل، الّذي منه يجري؛ ثانياً: على الوجه الجزئي، في لوح القدر الّذي فيه المحو و الإثبات، مدرّجاً على التّنزيل، ثمّ منه ينزل ويظهر في عالم الشّهادة، وإليه أُشير ماورد: «إنّ في العرش تمثال جميع ماخلَقَ الله من البرّ والبحر. قال: وهذا تأويل قوله تعالى: "وإنْ مِنْ شَيءٍ إلاّ عِنْدَنا خزائنُهُ"»[4].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾. القمّي: تَلْقَحُ الأشجار[5]. و ورد: «لاتسبّوا الرّيح، فإنّها

١ ـ الامالي (للصّدوق): ٢٣٥، المجلس الثّامن والاربعون، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٢ ـ القمّي ١: ٣٧٤، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ١: ٣٧٥.

٤ ـ روضة الواعظين: ٤٧، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام، وفيه: «في البرّ والبحر».

٥ ـ القمّي ١: ٣٧٥.

بُشْر وإنها نُذُر وإنّها لواقح، فاسألوا الله من خيرها وتعوّذوا به من شرّها»[١]. ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي :نحن الخازنون للماء، القادرون على خلقه في السّماء وإنزاله منها.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾. القمّي: أي: نرثُ الارض ومَنْ عليها[٢].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ قال: «هم المؤمنون من هذه الأمّة»[٣].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ﴾ القمّي: الماء المتَصَلْصِل بالطّين[٤]. ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: متغيّر. وفي حديث خَلْق آدم: «فاغترف جلّ جلاله غرفةً من الماء فصلْصلها فجُمِدَتْ»[٥] الحديث.

والصّلصال: يقال للطّين اليابس الّذي يُصَلصل، أي: يصوت إذا نقر وهو غير مطبوخ، فإذا طُبِخَ فهو فَخّار. والحَمَا: الطّين الاسود المتغيّر. والمسنون: يقال للمصوَّر، وللمصبوب المُفْرَغ، وللمنتن؛ كأنّه أُفْرِغَ الحمأ فصوِّرَ منها تمثال إنسانٍ أجوف، فيَبِسَ حتّى إذا نُقِرَ صَلْصَلَ، ثمّ غيّر فصيّر إنساناً.

﴿وَالْجَانَّ﴾ يعني أبا الجنّ ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل خلق الإنسان ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾: من نار الحرّ الشّديد النّافذ في المَسام[٦].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: واذكر وقت قوله ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٣٩، الحديث: ٤، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٣٧٥.
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٠، الحديث: ٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي ١: ٣٧٥.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٠، الحديث: ٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ ـ السّمُّ: الثَّقْب، ومَسامُّ الجسد: ثُقَبه. الصّحاح ٥: ١٩٥٣؛ ومصباح المنير ١: ٣٩٤ (سمم).

مَّسْنُونٍ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: عدَّلتُ خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ حتّى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيّ. قال: «روح اختاره الله واصطفاه وخلقه وأضافه إلى نفسه، وفضّله على جميع الأرواح، فنفخ منه في آدم»[1]. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾. قال: «كان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم»[2]. وقد سبق تفسيره في سورتي البقرة والأعراف[3].

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وهو أخسّ العناصر، وخلقتني من نار وهي أشرفها، غرّته الحميّة وغلبت عليه الشّقوة. وقد سبق جوابه في الأعراف[4].

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: من المنزلة الّتي أنت عليها في السّماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود من الخير والكرامة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾. فإنّه منتهى أمد اللّعن.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أراد أن يَجِدَ فُسْحَةً في الإغواء ونجاةً من الموت.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. قال: «يوم الوقت المعلوم: يوم ينفخ في الصّور نفخة

١ـ التّوحيد: ١٧٠، الباب: ٢٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «فأمر فنفخ منه في آدم».
٢ـ علل الشرايع١: ١٠٥، الباب: ٩٦، ذيل الحديث: ١؛ والقمّي١: ٣٧؛ والعيّاشي٢: ٢٤٠، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٣ـ البقرة، ذيل الآيات: ٣٠ الى ٣٤؛ والاعراف، ذيل الآية: ١١ و١٢.
٤ـ الأعراف(٧): ١٢.

واحدة، فيموت إبليس مابين النّفخة الأُولى والثّانية»[1].

وفي رواية: «إنّ الله أنْظَره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا، كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتّى يَجْثُوَ[2] بين يديه على ركبتيه، فيقول: يا ويله من هذا اليوم! فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم»[3].

وفي أُخرى: «يوم الوقت المعلوم: يوم يذبحه رسول الله ﷺ على الصّخرة الّتي في بيت المقدس»[4].

أقول: يعني عند الرّجعة.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾: بسبب إغوائك إيّاي: وهو تكليفه إيّاه بما وقع في الغيّ ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: الّذين أخلصتهم لطاعتك، وطهّرتهم من الشّوائب، فلا يَعْمَل فيهم كيدي.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ﴾ أي: هذا طريق حقّ، عَلَيَّ أن أراعيَهُ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لاانحراف عنه، وهو أن لايكون لك سلطان على عبادي المخلصين. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «عليٌّ» بالرّفع[5]. وفُسّر بعلوّ الشّرف[6]. وورد: «هذا صراط عليّ مستقيم»[7]. و هذا يحتمل الإضافة أيضاً. وفي رواية: «هو أمير المؤمنين عليه السلام»[8].

١ ـ علل الشرايع ٢: ٤٠٢، الباب: ١٤٢، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ جثا، يَجْثُو: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. لسان العرب ١٤: ١٣١؛ ومجمع البحرين ١: ٨١ (جثا).
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٤٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ جوامع الجامع ٢: ٢٦٦؛ والكشّاف ٢: ٣٩١.
٧ ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٥.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. قال: «قال الله إنّك لاتملك أن تُدْخلَهُم جنّةً ولاناراً»[1]. وقال: «والله ما أراد بهذا إلاّ الأئمة وشيعتهم»[2]. ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. قال: «وقوفهم على الصّراط»[3].

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾. القمّي: يدخل في كلّ باب أهلُ ملّة[4]. وقد ورد تفصيل أصحاب الأبواب في رواية ذكرناها في الصّافي[5].

و ورد: «إنّ الأبواب أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأُخرى، فقال: هكذا، وإنّ الله تعالى وضع الجنان على العرض، ووضع النّيران بعضها فوق بعض؛ فأسفلها جهنّم، وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السّعير، وفوقها الهاوية»[6]. وفي رواية: «أسفلها الهاوية وأعلاها جهنّم»[7].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ على إرادة القول.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾. القمّي: العداوة[8]. قال: «أنتم والله الّذين قال الله: "ونزعنا مافي صدورهم من غلّ"»[9]. ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعبٌ وعناء ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

١ ـ العيّاشي٢: ٢٤٢، الحديث: ١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الكافي٨: ٣٥، ذيل الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ ـ القمّي١: ٣٧٦، عن ابي جعفر عليه السلام.

٤ ـ القمّي١: ٣٧٦.

٥ ـ الصّافي٣: ١١٤؛ والخصال٢: ٣٦١، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله، عن ابيه، عن جدّه عليهم السّلام.

٦ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٣٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٨٨، في رواية الكلبي.

٨ ـ القمّي١: ٣٧٧.

٩ ـ الكافي٨: ٢١٤، الحديث: ٢٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ فارجوا رحمتي وخافوا عذابي.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾: نُسلِّمُ عليك سلاماً ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائفون وذلك لأنهم امتنعوا عن الاكل، كما سبق في سورة هود[1].

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ قال: «هو إسماعيل من هاجر»[2].

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾.

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ قال: «يعني قوم لوط»[3].

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾: الباقين مع الكفرة لتَهلكَ معهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ تُنكِرُكُمْ نفسي وتنفر عنكم، مخافة أن تطرقوني بشرٍّ.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ قال: «من عذاب الله»[4].

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ قال: «لتنذر قومك العذاب»[5]. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿فَأَسْرِ﴾: سِرْ ليلاً يا لوط ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ قال: «إذا مضى نصف

١ ـ ذيل الآية: ٦٩.

٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «قوم لوط».

٤ و٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

اللّيل»[1]. ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾: وكن على أثرهم لتكون عيناً عليهم، فلا يتخلّف أحدٌ منهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ماوراءه ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: حيث أُمِرتم بالذّهاب إليه.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾: إلى لوط ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾. مبهمٌ يُفسّره مابعدَه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾: آخرهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾ يعني يستاصلون عن آخرهم، لايبقى منهم أحد ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: داخلين في الصّبح.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾: مدينة سدُوم[2] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضياف لوط؛ طمعاً فيهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ركوب الفاحشة ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: ولاتُذلُّوني، أو ولاتُخجلوني.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. قال: «أرادوا به النّهي عن ضيافة النّاس وإنزالهم»[3].

﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾. قد سبق تفسيره في سورة هود[4].

﴿لَعَمْرُكَ﴾ القمّي: أي: وحياتك يا محمّد. قال: فهذه فضيلة لرسول الله ﷺ على الانبياء[5]. ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: لفي غوايتهم الّتي أزالت عقولهم يتحيّرون، فكيف يسمعون النّصح!

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صيحةُ جبرئيل ﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت شُروق الشّمس.

١ ـ علل الشرايع ٢: ٥٥٠، الباب: ٣٤٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ سَدوم، بفتح السّين: قرية قوم لوط عليه السلام، ومنها قاضي سَدوم. الصّحاح ٥: ١٩٤٩، مجمع البحرين ٦: ٨٢ (سدم). وفي لسان العرب ١٢: ٢٨٥: سَدُوم: مدينة بحمْص.

٣ ـ علل الشرايع ٢: ٥٤٩، الباب: ٣٤٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام، نقلاً بالمضمون.

٤ ـ ذيل الآية: ٧٨.

٥ ـ القمّي ١: ٣٧٧.

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾: قلبنا[١] القرية بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجّر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرّسين، الّذين يتثبّتون في نظرهم، حتى يعرفوا حقيقة الشّيء بسمته. ورد: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»[٢]. وقال: «إنّ لله عباداً يعرفون النّاس بالتّوسّم»[٣].

وفي رواية: «ليس مخلوق إلّا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر، وذلك محجوب عنكم، وليس محجوباً عن الائمّة من آل محمّد صلوات الله عليهم، ثمّ ليس يدخل عليهم أحد إلّا عرفوه مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآية»[٤].

﴿وَإِنَّهَا﴾: وإنّ آثارها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: ثابت يسلكه النّاس لم يَنْدَرِسْ بَعْدُ، وهم يُبصرون تلك الآثار؛ وهو تنبيه لقريش، كقوله: "وإنّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيهِمْ مُصْبِحِينَ". كذا قيل[٥]. و ورد: «نحن المتوسّمون، والسّبيل فينا مقيم»[٦]. القمّي: والسبيل طريق الجنّة[٧].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَإِن كَانَ﴾: وإنّه كان ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني الغيضة، وهي الشّجرة المتكاثفة

١ ـ في «الف»: «عليا».
٢ ـ الكافي١: ٢١٨، الحديث: ٣؛ وبصائر الدّرجات: ٣٥٤، الباب: ١٧، الحديث: ٤و١١، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وعيون اخبار الرضا عليه السلام٢: ٢٠٠، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ومعاني الأخبار: ٣٥٠، ذيل الحديث: ١، عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٤٣، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ ـ بصائر الدّرجات: ٣٥٤، الباب: ١٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٥ ـ الكشّاف٢: ٣٩٢. والآية في سورة الصّافات(٣٧): ١٣٧.
٦ ـ العيّاشي٢: ٢٤٧، الحديث: ٢٩؛ والكافي١: ٢١٨، باب انّ المتوسّمين ... هم الأئمة، الحديث: ١ و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ القمّي١: ٣٧٧.

﴿لَظَالِمِينَ﴾. قال: «هم قوم شعيب، كانوا يسكنون الغيضة، فبعثه الله إليهم فكذّبوه؛ فأهلكوا بالظلّة»[١].

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني سدوم والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾: لبطريق واضح يؤمّ ويتّبع ويهتدى به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني ثمود كذّبوا صالحاً. والحجر: واديهم، وهو مابين المدينة والشام، وكانوا يسكنونها.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ كالناقة و سقيها وشربها ودرّها ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فلا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرّ، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء، وإزاحة فسادهم من الارض. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فينتقم الله لك فيها ممّن كذّبك ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾. قال: «يعني العفو من غير عتاب»[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الّذي خلقك وخلقهم، وبيده أمرك وأمرهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم؛ فهو حقيق بان تكل إليه، ليحكم بينكم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾. قال: «هي سورة الحمد وهي سبع آيات، منها بسم الله الرّحمن الرّحيم، وإنّما سمّيت المثاني لانها تثنّى في الركعتين»[٣]. وفي رواية:

١ ـ لم نعثر عليه، والظاهر انّها ليست برواية، ويحتمل ان تكون كلمة «قال» تصحيف «قيل»، وهذا القول بنصّه من البيضاوي في تفسيره٣: ١٧٣. ويؤيّده مافي البحار١٢: ٣٨٢ نقلاً عن البيضاوي، ويؤيّده أيضاً مافي الصافي٣: ١١٩ بانّ المصنّف لم يذكر كلمة «قال».

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٥٠.

٣ ـ العيّاشي ١: ١٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيه: «يثنى».

«تثنّى فيها القول»[1]. وفي رواية: «نحن المثاني الّتي أعطاها الله نبيّنا ﷺ»[2].

قيل: أي: نحن الّذين قرننا النّبيّ إلى القرآن، وأوصى بالتّمسّك بالقرآن وبنا، وأخبر أُمّته أنّا لانفترق حتّى نَرِدَ حوضه[3].

أقول: لعلّهم إنّما عُدُّوا سبعاً باعتبار أسمائهم؛ فإنّها سبعة، وعلى هذا فيجوز أن يجعل المثاني من الثّناء، وأن يجعل من التّثنية باعتبار تثنيتهم مع القرآن، وأن يجعل كناية عن عددهم الأربعة عشر، بأن يجعل نفسه واحداً منهم بالتّغاير الاعتباري بين المعطى والمعطى له. ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: لاتطمَحْ ببصرك طُموحَ راغبٍ ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفّار، فإنّه مستحقر في جنب ماأوتيَه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وتواضعْ لمَنْ معك من المؤمنين، وارفُقْ بهم، وطِبْ نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء.

ورد: «من أُوتي القرآن فظنّ أنّ أحداً من النّاس أُوتي أفضل ممّا أُوتي، فقد عظّم ماحقّر الله، وحقّر ماعظّم الله»[4].

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾. قيل: أي: أنزلنا عليك مثل ماأنزلنا على اليهود والنّصارى، الّذين جعلوا القرآن أجزاء وأعضاء، وقالوا لعنادهم: بعضُه حقٌّ موافقٌ

---

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٤، عن أحدهما عليهما السّلام، و فيه: «يثنى».

٢ ـ التّوحيد: ١٥٠، الباب: ١٢، الحديث: ٦؛ والقمّي ١: ٣٧٧؛ والعيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٣، ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي العيّاشي: «نحن المثاني الّتي أعطى نبيّنا».

٣ ـ التّوحيد: ١٥١، الباب: ١٢، ذيل الحديث: ٦.

٤ ـ الكافي ٢: ٦٠٤، ذيل الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام عن رسول الله ﷺ.

للتّوراة أو الإنجيل، وبعضُه باطل مخالف له، فاقتسموه إلى حقٍّ وباطل[١]. وقيل: مثل العذاب الّذي أنزلنا عليهم[٢]. والقمّي: قسّموا القرآن ولم يألّفوه على ما أنزل الله[٣].

وورد: «هم قريش»[٤].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فنجازيهم عليه.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فاجهر به واظهِره ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تلتفت إلى مايقولون.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بقمعهم وإهلاكهم.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة امرهم. قال: «اكتتم رسول الله ﷺ مختفياً خائفاً خمس سنين -وفي رواية: «ثلاث سنين»[٥]- ليس يظهر أمره، وعلي عليه السلام معه وخديجة، ثمّ أمره الله أن يصدع بما أمر فظهر، فأظهر أمره»[٦].

وقال: «كان المستهزؤن برسول الله ﷺ خمسة: الوليدبن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطّلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن طُلاطِلَة الخُزاعي، فقتل الله خمستهم، كلّ واحد منهم بغير قتلة صاحبه، في يوم واحد. قال: وذلك أنّهم كانوا بين يديه. فقالوا له: يا محمّد ننتظر بك إلى الظّهر، فإن رجعت عن قولك وإلاّ قتلناك، فدخل منزله فاغلق عليه بابه مغتمّاً لقولهم، فأتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال: يا

١ـ الكشّاف ٢: ٣٩٨.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٧٤.
٣ـ القمّي ١: ٣٧٧، وفيه: «على ما انزله الله».
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٥١ـ٢٥٢، الحديث: ٤٣، عن أحدهما عليهما السّلام، والحديث: ٤٤، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ كمال الدّين ٢: ٣٤٤، الباب: ٣٣، الحديث: ٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «بمكّة مختفياً ... فظهر رسول الله ﷺ واظهر أمره».

محمّد: السّلام يقرئك السّلام وهو يقول: "اصْدَعْ بِما تُؤمَرُ وأعرِضْ عنِ المُشركينَ". يعني أظهر أمرك لأهل مكّة، وادعهم إلى الإيمان. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين ومااوعدوني[١]؟ قال له: "إنّا كَفَيْناكَ المُستَهزئينَ". قال: يا جبرئيل كانوا السّاعة بين يديّ. قال: قد كُفِيتَهُم. فاظهر أمره عند ذلك»[٢].

والقمّي: بعد ماذكر كيفيّة كفايتهم، قال: فخرج رسول الله ﷺ فقام على الحجر فقال: يا معشر قريش يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لاإله إلاّ الله وأنّي رسول الله، آمركم بخلع الأنداد والأصنام، فاجيبوني تملّكوا به العرب، ويَدِنْ لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنّة. فاستهزؤوا منه وقالوا: جُنَّ محمّد بن عبدالله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب[٣].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك والطّعن فيك وفي القرآن، وفي رواية: «يعني فيما يذكره في فضيلة وصيّه»[٤].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾: فافزَعْ إلى الله فيما نابك بالتّسبيح والتّحميد والصّلاة، يَكْفِكَ الهمّ[٥] ويكشف عنك الغمّ.

ورد: «كان رسول الله ﷺ إذا حزنه[٦] أمر فزع إلى الصّلاة»[٧].

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ اي: الموت، يعني مادمت حيّاً.

١ ـ في «الف»: «اوعدوا فيّ».

٢ ـ الاحتجاج١: ٣٢١ـ٣٢٢، في حديث طويل عن امير المؤمنين ؑ. وانظر: العيّاشي٢: ٢٥٢، الحديث: ٤٦؛ والقمّي١: ٣٧٨؛ والخصال١: ٢٧٨ـ٢٧٩، الحديث: ٢٤ـ٢٥.

٣ ـ القمّي١: ٣٧٨، وفيه: «تملكوا بها العرب وتدين ...».

٤ ـ الكافي١: ٢٩٤، الحديث: ٣، في حديث طويل، عن ابي عبدالله ؑ.

٥ ـ في «الف»و«ج»: «المهمّ».

٦ ـ في «ج» والكشّاف: «إذا حزبه»، اي: إذا نزل به مُهِمٌّ او اصابه غمٌّ. النّهاية١: ٣٧٧(حزب).

٧ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٤؛ والكشّاف٢: ٣٩٩.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة النّحل

[مكيّة، و هي مائة وثمان وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾. القمّي: نزلت لمّا سألت قريش رسول الله ﷺ أن ينزل عليهما العذاب[2]. و ورد: «إذا أخبر الله أنّ شيئاً كائن، فكأنّه قد كان»[3].

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾. قيل: وكانوا يقولون: إن صحّ ماتقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلّصنا منه، فنزلت يعني: تبرّأ وجلّ أن يكونَ له شريكٌ، فيدفع ما أراد بهم[4].

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾: بما تحيا به القلوب الميّتة بالجهل. قال: «بالكتاب والنّبوّة»[5]. وفي رواية: «جبرئيل الّذي نَزَلَ على الأنبياء، والرّوح يكون معهم ومع الأوصياء لايفارقهم، يفقّههم ويسدّدهم من عند الله»[6]. ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾: من ملكوته

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٢ ـ القمّي١: ٣٨٢.
٣ ـ العيّاشي٢: ٢٥٤، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إنّ الله إذا أخبر ...».
٤ ـ البيضاوي٣: ١٧٥.
٥ ـ القمّي١: ٣٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ بصائر الدّرجات: ٤٦٣، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ بأن أعلموا؛ من أنذرت بكذا، إذا أعلمته.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: الأزواج الثمانية ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾. القمّي: ماتستدفؤون به، ممّا يتّخذ من صوفها ووبرها[1] ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾: نسلها و درّها وظهورها، وإثارة الأرض ومايعوّض بها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردّونها من مراعيها إلى مَراحِها بالعشيّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها بالغَداة إلى المَرْعَى، فإنّ الأفنية تتزيّن بها في الوقتين، ويجلّ أهلها في أعين النّاظرين إليها. وتقديم الإراحة، لأنّ الجمال فيها أظهر، فإنّها تُقبِل مِلاءَ البطون، حافِلَة الضّروع[2]، ثمّ تأوي إلى الحَظائر[3] حاضرة[4] لأهلها.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾ إن لم تكن، فضلاً عن أن تحملوها على ظهوركم إليه ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾: إلاّ بكُلفة مشقّة ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. القمّي: من العجائب الّتي خلقها الله في البرّ والبحر[5].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: هداية الطّريق المستقيم، الموصل إلى الحقّ ﴿وَمِنْهَا

١ ـ القمّي١: ٣٨٢.
٢ ـ ضَرْعٌ حافِلٌ، اي: ممتلئٌ لبناً. الصحاح٤: ١٦٧١، (حفل).
٣ ـ الحَظيرة: الموضع الّذي يحاط عليه، لتأوي إليه الماشية، فيقيها البرد والرّيح. راجع: الصّحاح٢: ٦٣٤؛ ومصباح المنير١: ١٧٣؛ ولسان العرب: ٤: ٢٠٣ (حظر).
٤ ـ في «الف»: «خاضرة». شابّ أخضر وفلان أخضر أي: كثير الخير. اساس البلاغة: ١٦٦ (خضر).
٥ ـ القمّي١: ٣٨٢.

﴿جَآئِرٌ﴾: حائد[1] عن القصد ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى القصد.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعون مواشيكم.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بان هيّأها لمنافعكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. جَمعَ الآيات هنا، وذكَرَ العقل من دون الفكر، لأنّ في الآثار العُلْويّة أنواعاً من الدّلالة الظّاهرة للعقلاء على عظمة الله.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: وسخّر لكم ماخلَقَ لكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوان ونبات ومعدن ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أي: أصنافه، فإنّها تتخالف باللّون غالباً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾: ذلّله بحيث تتمكّنون من الانتفاع به، بالرّكوب والاصطياد والغوص ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللّؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: السّفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جواري فيه تشقّه بحَيازيمها[2]، من المَخْر وهو شقّ الماء وقيل: صوت جَرْي الفُلك[3]. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من سعة رزقه بركوبها للتّجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تعرفون نعمة الله، فتقومون بحقّها.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة ان تميل بكم وتضطرب. ورد: «إنّ الله جعل الأئمة أركان الارض أن تميد بأهلها»[4]. ﴿وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا

١ـ حادَ عن الشّيء: تَنَحَّى وبَعُدَ. مصباح المنير ١: ١٩٤ (حاد).

٢ـ الحَيزُوم: وَسَطُ الصّدر. الصّحاح ٥: ١٨٩٩ (حزم).

٣ـ الكشّاف ٢: ٤٠٤، عن الفرّاء.

٤ـ الكافي ١: ١٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و ١٩٨، ذيل الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ هي معالم الطّرق ممّا يستدلّ به المارّة: من جبل ومنهل[1] وغير ذلك ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ باللّيل في البراري والبحار. قال: «هو الجدي لأنّه نجم لايزول، وعليه بناء القبلة، وبه يهتدي أهل البرّ والبحر»[2].

و ورد في أخبار كثيرة: «نحن العلامات، والنّجم رسول الله»[3].

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ يعني الأصنام ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفوا فساد ذلك.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لاتضبطوا عددها، فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾: يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها ﴿رَحِيمٌ﴾: لايقطعها لتفريطكم فيه، ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من عقائدكم وأعمالكم؛ وهو وعيد.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ هم أو عبدتهم.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ قال: «يعني الرّجعة»[4]. ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾. قال: «يعني كافرة»[5]. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أحاديثهم وأباطيلهم. قال: «يعني سجع أهل الجاهليّة في جاهليّتهم»[6].

١ ـ المَنْهَلُ: المَشرَب، والشُّرب، والموضع الّذي فيه المَشرب. القاموس المحيط ٤: ٦٣ (نهل).
٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٥٦، الحديث: ١٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ ـ الكافي ١: ٢٠٧، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٦، الحديث: ١٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام؛ والقمّي ١: ٣٨٣؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٣٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤و٥ ـ القمّي ١: ٣٨٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٧، ذيل الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ العيّاشي ٢: ٢٥٧، الحديث: ١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك، ليضلّوا النّاس، ويحملوا أوزار ضلالتهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: «ليستكملوا الكفر ليوم القيامة»[1]. ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ وبعض أوزار من أضلّوهم. قال: «يعني كفر الّذين يتولّونهم»[2]. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يعني يضلّون من لايعلم أنّهم ضلال. وإنّما لم يعذر الجاهل لأنّ عليه أن يبحث وينظر بعقله، حتّى يميز بين المحقّ والمبطل. ورد: «أيّما داع[3] إلى ضلالة فاتّبع عليه، فإنّ عليه مثل أوزار من تبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم»[4]. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من الأساطين الّتي بنوا عليها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هذا تمثيل لاستيصالهم بمكرهم. والمعنى أنّهم سوّوا منصوبات ليمكروا الله بها، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمّدوه بالأساطين، فأتي البنيان من جهة الأساطين، بأن ضعضعت[5] فسقط عليهم السّقف وهلكوا. وفي المثل: من حفر لأخيه جبّاً، وقع فيه منكبّاً.

قال: «فإتيانه بنيانهم من القواعد: إرسال العذاب»[6].

وفي قراءتهم عليهم السّلام: «فأتى الله بيتهم»[7]. قال: «يعني بيت مكرهم»[8]. وفي رواية: «كان بيت غدر، يجتمعون فيه إذا أرادوا الشرّ»[9]. وفي أخرى: «أي: ماتوا

١ و٢ - العيّاشي ٢: ٢٥٧، الحديث: ١٦ و١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ - في المصدر: «أيّما داع دعا».
٤ - مجمع البيان ٥-٦: ٣٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٥ - ضَعْضَعَه، أي: هدمه حتّى الأرض. الصّحاح ٣: ١٢٥٠ (ضعع).
٦ - التّوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «إرسال العذاب عليهم».
٧ - العيّاشي ٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٠ و٢١؛ وجوامع الجامع ٢: ٢٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥-٦: ٣٥٦، عن أهل البيت عليهم السّلام.
٨ - العيّاشي ٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ - المصدر، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

فالقاهم الله في النّار. قال: وهو مثل لأعداء آل محمّد [١] عليه وعليهم السّلام.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: يذلّهم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: تعادون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ملائكة العذاب ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بأن عرّضوها للعذاب المخلّد. ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾: فسالموا وأخبتوا [٢] حين عاينوا الموت ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾. جحدوا ماعملوا. ﴿بَلَى﴾ ردّ عليهم أولوا العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ كلّ صنف بابها المعدّ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أطبقوا الجواب على السّؤال معترفين بالإنزال؛ بخلاف الجاحدين إذ قالوا: "أساطيرُ الأوّلين" [٣]. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: مكافاة في الدّنيا ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾. ورد: «عليكم بتقوى الله، فإنّها تجمع الخير ولاخير غيرها، ويدرك بها من الخير مالايدرك بغيرها من خير الدّنيا والآخرة. قال الله تعالى: "وقيلَ للّذينَ اتّقَوا" وتلا هذه الآية» [٤]. وفي رواية: «"ولَنِعمَ دارُ المتّقين": الدّنيا» [٥].

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ملائكة الرّحمة ﴿طَيِّبِينَ﴾ ببشارتهم إيّاهم بالجنّة

١- القمّي١: ٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢- أخبَتَ: خشع وتواضع. القاموس المحيط١: ١٥٢ (خبت).
٣- الآية: ٢٤، من هذه السّورة.
٤- الامالي (للشيخ الطّوسي) ١: ٢٥، عن امير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «من خير الدّنيا وخير الآخرة».
٥- العيّاشي٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾: سلامة لكم من كلّ سوء ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: هل ينتظر[1] الّذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ملائكة العذاب لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ القمّي: من العذاب والموت وخروج القائم عليه السلام[2]. ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: وأحاط بهم جزاؤه. القمّي: من العذاب في الرّجعة[3].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي: يبعثهم ليبيّن لهم ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو الحقّ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾. قال: «ما تقول في هذه الآية؟ فقيل: إنّ المشركين يَزْعمون ويَحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله لا يبعث الموتى، فقال: تبّاً لمن قال هذا، سَلْهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللاّت والعزّى؟ ثمّ قال: لو قد قام قائمنا، بعث الله قوماً من شيعتنا قبائع[4] سيوفهم على عواتقهم، فيبلُغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا،

١ـ في «ب»: «هل ينتظرون».
٢و٣ـ القمّي ١: ٣٨٥.
٤ـ في الكافي: «قُباع». قبيعة السّيف ونحوه: ما على طرف مقبضه من فضّة أو حديد، يقال: ما أحسن قبائع سيوفهم. أقرب الموارد ٣: ٥٦٠ (قبع).

فيقولون: بعث فلان وفلان[1] من قبورهم، وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا، فيقولون: يا معشر الشّيعة ماأكذبكم! هذه دولتكم وأنتم تقولون فيها الكذب، لاوالله ماعاش هؤلاء، ولايعيشون إلى يوم القيامة. فحكى الله قولهم»[2]. وفي معناه أخبار أُخر[3].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. بيان لإمكان البعث في عالم القدرة.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾: في حقّه ولوجهه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾. قيل: هم رسول الله ﷺ والمهاجرون، ظَلَمَهم قريش، فهاجر بعضهم إلى الحبشة، ثمّ إلى المدينة، أو المحبوسون المعذّبون بمكّة بعد هجرة رسول الله ﷺ من أصحابه[4]. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: مَباءة[5] حسنة، وهي المدينة حيث آواهم الأنصار ونصروهم؛ أو نبوئة حسنة. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «لنثوّئنّهم»[6] بالثّاء المثلّثة، يعني لننزلنّهم في الدّنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على أهل مكّة الّذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب[7]. ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ ممّا تعجّل لهم في الدّنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى الكفّار ومفارقة الوطن ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾. قيل: ردّ لقولهم: الله أعظم من أن يرسل إلينا بشراً مثلنا[8]. وقد سبق بيان الحكمة فيه في سورة الأنعام[9] عن رسول الله ﷺ.

١ـ في الكافي: «بعث فلان وفلان وفلان».
٢ـ الكافي٨: ٥١، ذيل الحديث: ١٤؛ والعيّاشي٢: ٢٥٩، الحديث: ٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي٢: ٢٥٩، الحديث: ٢٨؛ والقمّي١: ٣٨٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ البيضاوي٣: ١٨١؛ والكشّاف٢: ٤١٠.
٥ـ المَباءَة: المنزل. والباءَة هو الموضع الّذي تبوءُ إليه الإبل، ثمّ جُعِلَ عبارةً عن المنزل. القاموس المحيط١: ٩؛ والمصباح المنير١: ٨٤(باء).
٦ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٦١؛ والكشّاف٢: ٤١٠، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٧ـ في «ألف»: «على أهل الشّرق والغرب».
٨ـ البيضاوي٣: ١٨٢.
٩ـ ذيل الآية: ٩.

ولعلّه أُشير إلى ذلك بقوله: "فَسْئَلوا أهلَ الذِّكْرِ" يعني وجه الحكمة فيه. ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال: «رسول الله ﷺ الذكر، وأهل بيته المسؤولون، وهم أهل الذكر»[١].

«قال الله تعالى: "قَدْ أنزَلَ اللهُ إِلَيكُم ذِكراً. رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيكُم آيَاتِ الله". فالذكر رسول الله، ونحن أهله»[٢].

و في رواية: «الذكر القرآن، وأهله آل محمّد، أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجُهّال. وسمّى الله القرآن ذكراً، فقال: "وَأَنزَلْنَا إِليكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ"»[٣].

وفي أُخرى: «قيل له: إنّ من عندنا يزعمون أهل الذكر اليهود والنّصارى، فقال: إذا يدعونكم إلى دينهم»[٤].

[أقول: هذه الأخبار لاتلائم أن يكون "وماأرسلنا" ردّاً لقول المشركين؛ إلّا أن يكون "فاسئلوا" كلاماً مستأنفاً، أو يكون المسئول عنه بيان الحكمة فيه][٥].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي: أرسلناهم بالمعجزات والكُتُب؛ كأنّه جواب قائل: بِمَ أرسلوا؟ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾. سمّي القرآن ذكراً، لأنّه موعظة وتنبيه. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ممّا أُمروا به ونهوا عنه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادةَ أن يتأمّلوا فيه، فيتنبّهوا للحقايق والمعارف.

١ ـ الكافي١: ٢١١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام. وراجع: العيّاشي٢: ٢٦٠، الحديث: ٣٢؛ والقمّي٢: ٦٨، ذيل الآية: ٧ من سورة الأنبياء، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وعيون أخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١.
٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١. والآية في سورة الطّلاق(٦٥): ١٠ـ١١.
٣ ـ بصائر الدّرجات: ٤١، الباب: ١٩، الحديث: ١٩؛ والكافي١: ٢٩٥، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ العيّاشي٢: ٢٦٠، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٥ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ إذا جاؤوا وذهبوا في متاجرهم وأعمالهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ .

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ القمّي : على تيقّظ[1] . و ورد : «هم أعداء الله، وهم يمسخون ويقذفون ويسيحون[2] في الأرض»[3] . ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث[4] لايعاجلهم بالعقوبة .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ : مستسلمين له منقادين ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ : صاغرون لأفعال الله فيها . القمّي : تحويل كلّ ظلّ خلقه الله، هو سجود لله[5] . قيل : ويجوز أن يكون المراد بقوله "وهم داخرون" أنّ الأجرام أنفسها أيضاً داخرة صاغرة منقادة لله سبحانه فيما يفعل فيها، ولمّا كان الدّخور من صفات العقلاء جمع بالواو والنّون[6] .

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ . الدّبيب هو الحركة الجسمانيّة، سواء كانت في أرض أو سماء . ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ ممّن لامكان له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته .

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ : يخافونه وهو فوقهم بالقهر : "وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ"[7] ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

قال : «إنّ لله ملائكة في السّماء السّابعة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة،

١ـ القمّي ١ : ٣٨٦ .
٢ـ في «الف» و«ج» : «يسخرون» .
٣ـ العيّاشي ٢ : ٢٦١، الحديث : ٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٤ـ في «الف» : «يعني» .
٥ـ القمّي ١ : ٣٨٦ .
٦ـ الكشّاف ٢ : ٤١٢؛ والبيضاوي ٣ : ١٨٢ .
٧ـ الأنعام (٦) : ١٨ و٦١ .

ترعد فرائصهم[1] من مخافة الله، لاتقطر دموعهم[2] قطرة إلاّ صار مَلكاً، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: ماعبدناك حقّ عبادتك»[3]. وقد سبق في سورة الرّعد[4] كلام في معنى سجود كلّ شيء.

قال بعض أهل المعرفة: إنّ في أمثال هذه الآيات دلالة على أنّ العالَم كلّه في مقام الشّهود والعبادة، إلاّ كلّ مخلوق له قوّة التّفكّر، وليس إلاّ النّفوس الإنسانيّة والحيوانيّة خاصّة، من حيث أعيان أنفسهم لامن حيث هياكلهم، فإنّ هياكلهم، كساير العالَم في التّسبيح له والسّجود، فاعضاء البدن كلّها مسبّحةٌ ناطقةٌ، الا تراها تشهد على النّفوس المسخّرة لها يوم القيامة من الجلود والايدي والا رجل والالسنة والسّمع والبصر وجميع القوى، فالحكم لله العليّ الكبير[5].

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾. اكّد العدد في الموضعين دلالةً على العناية به. ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ كانّه قيل: وأنا هو فإيّاي فارهبون لاغير.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾: الطّاعة ﴿وَاصِبًا﴾ قال: «واجبا»[6].

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾. قال: «من لم يعلم أن الله عليه نعمة إلاّ في مطعم أو ملبس، فقد قصر عمله ودنا عذابه»[7]. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ فما تتضرّعون إلاّ إليه، والجُؤار: رفع الصّوت بالدّعاء والاستغاثة.

١ ـ الفَريصَةُ: لحمة عند نُغْض الكتف، في وسط الجنب، عند مَنْبض القلب؛ وهما فَريصتان تَرتَعدان عند الفزع. وقال ابو عبيد: الفريصةُ: المُضغةُ القليلة، تكون في الجنب، تُرْعَد من الدّابة إذا فَزِعَت.
وقال ايضاً: هي اللّحمة الّتي بين الجنب والكتف، الّتي لاتزال تُرعَد من الدّابّة. وقيل: جَمعها: فَريصٌ وفَرائصُ. لسان العرب٧: ٦٤(فرص)

٢ ـ في المصدر: «لاتقطر من دموعهم».

٣ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٦٥، عن النّبي ﷺ.

٤ ـ ذيل الآية: ١٥.

٥ ـ أسرار الآيات(لصدر المتألهين): ٨١ـ٨٢؛ ولطائف الإشارات(للإمام القشيري)٢: ٣٠٠.

٦ ـ العيّاشي٢: ٢٦٢، الحديث: ٣٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٧ ـ القمّي١: ٣٨١؛ والامالي(للشّيخ الطوسي)٢: ١٠٥، عن النّبيّ ﷺ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم، كأنّهم قصدوا بشركهم كفرانَ النّعمة وإنكارَ كونها من الله. ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. تهديد ووعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾: لآلهتهم الّتي لاعلم لها، أو لاعلم لهم بها ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الزّروع والأنعام. القمّي: كانت العرب يجعلون للأصنام نصيباً في زرعهم وإبلهم وغنمهم، فردّ الله عليهم[1]. ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنّها آلهة وأنّها أهل للتقرّب إليها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾. القمّي: قالت قريش الملائكة هم بنات الله[2]. ﴿سُبْحَانَهُ﴾. تنزيه له من قولهم أو تعجّب منه. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾: أُخبر بولادتها ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الكآبة[3] والحياء من الناس ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ من الغيظ.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾: يستخفي منهم ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ﴾ مُحدّثاً نفسه متفكّراً في أن يتركه ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: ذُلّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: يُخْفيه فيه ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد، ماهذا محلّه عندهم.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صفةُ السَّوء وهي الحاجةُ إلى الولد، والاستظهارُ بالذكور، وكراهةُ الإناث، ووأدُهن[4] خشيةَ الإملاق والعار. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ وهي صفات الإلهية والغنى عن الصّاحبة والولد، والنّزاهة عن صفات المخلوقين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: المتفرّد بكمال القدرة والحكمة.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: على

١ ـ القمّي ١: ٣٨٨. في «ب»: «فردّ الله إليهم».
٢ ـ المصدر، وفيه: «انّ الملائكة».
٣ ـ كَئِبَ يَكْأَبُ ـ من باب: تَعِبَ ـ كَآبةً وكَأْباً وكَأْبةً: حَزِنَ أشدّ الحزن. المصباح المنير ٢: ٢٣٧(كئب).
٤ ـ وأَدْتُه: دفنها في القبر وهي حيّة. الصّحاح ٢: ٥٤٦(وأد).

الأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ بِشُؤمِ ظلمهم ؛ او من دابّةٍ ظالمة ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ : مايكرهونه لأنفسهم من البنات، وأراذل الأموال والشّركاء في الرّياسة، والاستخفاف بالرّسل ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ مع ذلك . والقمّي يقول: ألسنتهم الكاذبة[1] . ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: عندالله، كقول قائلهم: "ولَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبّي إنَّ لـي عِنْدَهُ لَلحُسْنىٰ"[2] . ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ . ردّ لكلامهم وإثبات لضدّه ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ : مقدّمون إلى النّار معجّلون. القمّي: معذّبون[3] .

﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ فأصرّوا على قبائحها، وكفروا بالمرسلين ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ : قرينهم أو ناصرهم. يعني: لاناصر لهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ من المبدأ والمعاد، والحلال والحرام ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ بسمع باطنهم وقلبهم، ويختصّ بـ"مَنْ كـانَ لَهُ قَلْبٌ أوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهيدٌ"[4] .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾ . تذكير الضّمير هاهنا باعتبار اللّفظ، وتأنيثه في المؤمنين باعتبار المعنى؛ لكونه اسم جمع . ﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا ﴾ يكتنفانه ﴿ خَالِصًا ﴾ : صافياً لايستصحبه لون الدّم ولارائحة الفرث، ولايشوبانه شيئاً

١ ـ القمّي ١ : ٣٨٦ .
٢ ـ فصّلت (٤١) : ٥٠ .
٣ ـ القمّي ١ : ٣٨٦ .
٤ ـ ق (٥٠) : ٣٧ .

﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: سَهلَ المرور في حلقهم. ورد: «ليس أحد يغصّ بشرب اللّبن، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: "لبناً خالصاً سائغاً للشّاربين"»[١].

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾. قيل: خمراً[٢]. والقمّي: الخلّ[٣].

وورد: «نزلت قبل آية التّحريم فنسخت بها»[٤].

أقول: وفيه دلالة على أنّ المراد به الخمر، وقد جاء بالمعنيين جميعاً. وعلى إرادة الخمر لايستلزم حلّها في وقت، لجواز أن يكون عتاباً ومنّة قبل بيان تحريمها. ومعنى النّسخ نسخُ السّكوت عن التّحريم. وفي مقابلتها بالرّزق الحسن، تنبيه على قبحها.

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتّمر والزّبيب والدّبس ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ قال: «وحي إلهام»[٥].

أقول: يعني ألهمها وقذف في قلوبها، فإنّ في صنعتها الأنيقة ولطفها في تدبير أمرها ودقيق نظرها، شواهدَ بيّنةً على أنّ الله سبحانه أودعها علماً بذلك.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: يعرش النّاس من كرْم أو سقف.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: من كلّ ثمرة تشتهيها، حُلوها ومُرّها ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾: الطّرق الّتي ألهمك في عمل العسل ﴿ذُلُلًا﴾: مذلّلة، ذلّلها وسهّلها لك؛ أو أنت منقادة لما أُمرْت به ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني العسل فإنّه ممّا يشرب ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أبيض وأصفر وأحمر وأسود ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾. قال: «لعق

١ـ الكافي٦: ٣٣٦، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٠؛ والكشّاف٢: ٤١٧؛ والبيضاوي٣: ١٨٥.
٣ـ القمّي١: ٣٨٧.
٤ـ العيّاشي٢: ٢٦٣، ذيل الحديث: ٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. وآية التّحريم في سورة المائدة(٥): ٩٠.
٥ـ القمّي١: ٣٨٧؛ والعيّاشي٢: ٢٦٣، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه «قال: إلهام».

العسل شفاء من كلّ داء، ثمّ تلاهذه الآية»[1]. وفي رواية مامعناه: «النّحل: الأئمّة، والجبال: العرب، والشّجر: العجم، وممّا يعرشون: الموالي، والشّرابُ المختلف ألوانه: العلمُ الّذي يخرج منهم»[2]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بآجال مختلفة. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أخسّه وأحقره، يعني الهرم الّذي يشابه الطّفوليّة في نقصان القوّة والعقل. قال: «هوخمس وسبعون سنة»[3]. وفي رواية: «المائة»[4]. وفي أُخرى: «أن يكون عقله عقل ابن سبع سنين»[5]. ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾. القمّي: إذا كبر لايعلم ماعلمه قبل ذلك[6]. وفي حديث الأرواح ذكر هذه الآية، ثمّ قال: «فيتنقص[7] منه جميع الأرواح، وليس بالّذي يخرج من دين الله، لأنّ الفاعل به ردّه إلى أرذل عمره، فهو لايعرف للصّلاة وقتاً، ولايستطيع التّهجّد باللّيل ولابالنّهار، ولاالقيام في الصّفّ مع النّاس، فهذا نقصان من روح الإيمان، وليس يضرّه شيئاً»[8]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما ينبغي ويليق بكم من مقادير الأعمار ﴿قَدِيرٌ﴾ على أن يعمّركم بذلك.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غنيّ ومنكم فقير، ومنكم موالٍ يتولّون رزقهم ورزقَ غيرهم، ومنكم مماليك على خلاف ذلك. ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا

١ـ الكافي٦: ٣٣٢، الحديث: ٢؛ والخصال٢: ٦٢٣، ذيل الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.
٢ـ القمّي١: ٣٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام. وانظر العيّاشي٢: ٢٦٣-٢٦٤، الحديث: ٤٣و٤٤.
٣ـ مجمع البيان٥-٦: ٣٧٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وفي الكشّاف٢: ٤١٨، والدّرّ المنثور٥: ١٤٦، عن عليّ عليه السلام.
٤ـ القمّي٢: ٧٨، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السّلام؛ والخصال٢: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الخصال٢: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي١: ٣٨٧.
٧ـ في المرجع: «فهذا ينتقص» وفي «ب»: «فينقص».
٨ـ الكافي٢: ٢٨٣، ذيل الحديث: ١٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ﴾: بمعطي رزقهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: على ماليكهم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾. قيل: معناه أنّ الموالي والمماليك، الله رازقهم جميعاً، فهم في رزقه سواء[1]، فلا يَحْسَبُ الموالي أنّهم يرزقون المماليك من عندهم، وإنّما هو رزق الله، أجراه إليهم على أيديهم[2]. وقيل: معناه: فلم يردّ الموالي فَضْلَ مارُزِقوه على ماليكم، حتّى يتساووا في المطعم والملبس[3]. وقيل غير ذلك[4]. والقمّي: لايجوز للرّجل أن يخصّ نفسَه بشيء من المأكول دون عياله[5]. ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: من جنسكم لتأنسوا بها، ولتكون أولادكم مثلكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. قال: «الحفدة بنو البنت، ونحن حفدة رسول الله ﷺ»[6]. وفي رواية: «هم أُختان[7] الرّجل على بناته»[8]. وأصل الحافد: المسرع في الخدمة والطّاعة. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من اللّذائذ، أي: بعضها. ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾. قيل: هو مايعتقدون من منفعة الأصنام وشفاعتها[9]. ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيث يضيفونها إلى الأصنام، أو يحرّمون ما أحلّ الله. وقيل: يريد بنعمة الله رسول الله والقرآن والإسلام[10].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من مطر ﴿وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ من نبات ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يملكوه، أو لااستطاعة لهم.

١ـ في «الف»: «فهم فيه سواء».
٢ـ الكشّاف٢: ٤١٩؛ وجوامع الجامع٢: ٢٩٨.
٣ـ جوامع الجامع٢: ٢٩٨.
٤ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٢٩٩؛ والكشّاف٢: ٤١٩؛ والبيضاوي٣: ١٨٧.
٥ـ القمّي١: ٣٨٧.
٦ـ العيّاشي٢: ٢٦٤، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ الخَتَن ـ بالتحريك ـ: كلّ من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأختان؛ هكذا عند العرب. وأمّا عند العامّة فَخَتَنُ الرجل: زوج ابنته. الصّحاح٥: ٢١٠٧ (ختن).
٨ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٩ـ الكشّاف٢: ٤١٩.
١٠ـ جوامع الجامع٢: ٢٩٩.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾: تشركون به أو تقيسونه على شيء. قيل: كانوا يقولون: إنّ عبادة عبيد الملك أدخل في التّعظيم من عبادته[1]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كُنْهَ الأشياء، وضرب الأمثال ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾. قيل: معناه إذا لم يستويا هذا ن مع تشاركهما في الجنسيّة والمخلوقيّة، فكيف يستوي الأصنامُ الّتي هي أعجز المخلوقات والغنيُّ القادر على كلّ شيء؟ ويجوز أن يكون تمثيلاً للكافر المخذول والمؤمن الموفّق؛ أو الجاهل والعالم المعلّم[2]. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لا يستحقّه غيره فضلاً عن العبادة، لأنّ النّعم كلّها منه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيضيفون النّعم إلى غيره ويشركون به.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: وَلَدُ أخرس لا يَفهَمُ ولا يُفهِمُ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الصّنائع والتّدابير لنقصان عقله ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثِقْلٌ وعيالٌ ﴿عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾: على من يلي أمرَه ويعولُه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: حيثما يُرسلْهُ مولاه في أمر ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: بنُجحٍ وكفاية مهم ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ومن كان سليم الحواسّ نفّاعاً كافياً ذا رشد وديانة، فهو يأمر النّاس بالعدل والخير ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهو في نفسه على دين قويم وسيرة صالحة. وهذا المَثَل، مثل سابقه في الاحتمالات[3].

القمّي: الّذي يأمر بالعدل أمير المؤمنين والأئمّة صلوات الله عليهم[4].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غاب منهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ في سرعته

١ و٢ ـ البيضاوي ٣: ١٨٧.
٣ ـ قيل في معنى هذا المثل أيضاً قولان: أحدهما: انّه مَثَل ضَرَبَهُ الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته، ومن لا يؤمل منه؛ وأصل الخير كلّه من الله تعالى. فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة. والآخر: انّه مَثَل للكافر والمؤمن؛ فالأبكم الكافر، والّذي يأمر بالعدل المؤمن «عن ابن عبّاس». وقيل: إنّ الأبكم أبيّ بن خلف، ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون «عن عطاء». وقيل: إنّ الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي، وكان قليل الخير، يعادي رسول الله ﷺ «عن مقاتل». مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٧٥.
٤ ـ القمّي ١: ٣٨٧.

وسهولته ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ : كرجع الطَّرْف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لأنّه يقع دفعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على أن يُحْيِيَ الخلايقَ دفعة، كما قَدَرَ أن أحيا هم متدرّجاً.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ : كي تعرفوا ماأنعم الله عليكم، طَوْراً بعد طَوْر، فتشكروه.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإنّ ثقل جسدها يقتضي سقوطها، ولاعلاقَةَ فوقها ولادِعامَةَ تحتها تُمْسِكُها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ : موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ يعني الخِيَم والمضارب المتّخذة من الأدم[1] والوبر والصّوف والشّعر ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ : تجدونها خفيفة، يخفّ عليكم حملُها ونقلُها ووضعُها وضربُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ : ترحالكم وسفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ : نزولكم وحضركم ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ يعني ماللضّأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني ماللإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ يعني ماللمعز ﴿أَثَٰثًا﴾ : مايلبس ويفرش ﴿وَمَتَٰعًا﴾ : ماينتفع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من الشّجر والجبل والأبنية وغيرها ﴿ظِلَٰلًا﴾ تتّقون به حرّ الشّمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ :مواضع تسكنون بها؛ من الغيران والبيوت المنحوتة فيها. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ : ثياباً من القطن والكتّان والصّوف وغيرها ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ .اكتفى بذكر أحد الضّدّين لدلالته على الآخر، ولأنّ وقاية الحرّ كانت عندهم أهمّ ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني الدُّرُوعَ والجواشِنَ. والسِّربال يعمّ كلّ مايلبس ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: تنظرون في نِعَمه الفاشية، فتؤمنون به وتنقادون لحكمه.

١ ـ ادم ـ بفتحتين وضمّتين ـ: الجلد المدبوغ. المصباح المنير١ : ١٤ (ادم).

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾. قال: «نحن والله نعمة الله الّتي أنعم بها على عباده، وبنا فاز من فاز»[١]. وفي رواية: قال: «يعني ولاية عليّ»[٢].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يشهد لهم وعليهم؛ بالإيمان والكفر. قال: «لكلّ زمانٍ وأُمّة إمامٌ، يبعث كلّ أُمّةٍ مع إمامها»[٣]. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، إذ لاعذر لهم، فدلّ بترك الإذن على أن لاحجّة لهم ولاعذر ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يُسْتَرضَوْنَ. أي: لايقال لهم: أرضُوا ربّكم؛ من العتبى وهو الرّضا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ ثقُلَ عليهم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الأصنام والشّياطين ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ﴾: نعبدهم أو نطيعهم ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني كذبهم الّذين عبدوهم بإنطاق الله إيّاهم في أنّهم شركاء الله، وأنّهم عبدوهم حقيقة؛ وإنّما عبدوا أهواءهم، كقوله "كلاّ سيكفرون بعبادتهم"[٤].

﴿وَأَلْقَوْا﴾: والقى الّذين ظلموا ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾: الاستسلام لأمره وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدّنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وضاع عنهم وبطل ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من انّ لله[٥] شركاء، وأنّهم ينصرونهم ويشفعون لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر.

١ ـ القمّي١: ٣٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي١: ٤٢٧، ذيل الحديث: ٧٧، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام.
٣ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٨؛ والقمّي١: ٣٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مريم(١٩): ٨٢.
٥ ـ في «ألف»: «من دون الله».

القمّي: كفروا بعد النّبيّ وصدّوا عن الوصيّ[١]. ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ النّاس بصدّهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. سبق تفسيره في سورتي البقرة والنّساء[٢]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ بياناً بليغاً. قال: «حتّى والله ماترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لايستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؛ إلاّ أنزله[٣] الله فيه»[٤]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ). قال: «العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضّل»[٥]. ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وإعطاء الأقارب مايحتاجون إليه ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: ماجاوز حدود الله ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ماينكره العقول ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: التّطاول[٦] على النّاس بغير حقّ.

و ورد: في تأويله: «العدل: الشّهادتان»[٧]. وفي رواية: «العدل: محمّد، والإحسان: عليّ، وإيتاء ذي القربى: مودّة الأئمة وإيتاؤهم»[٨]. «والثّلاثة المنهيّ عنها: الأوّل والثّاني والثّالث»[٩]. ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. ورد: «جماع التّقوى في هذه الآية»[١٠].

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ

١ - القمّي١: ٣٨٨، وفيه «وصدّوا عن أمير المؤمنين ﷺ».
٢ - البقرة(٢) ذيل الآية: ١٤٣؛ والنساء(٤) ذيل الآية: ٤١.
٣ - في «ألف»: «أنزل».
٤ - الكافي١: ٥٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ - معاني الأخبار: ٢٥٧، الحديث: ١؛ والعيّاشي٢: ٢٦٧، الحديث: ٦١، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٦ - تطاول عليه: اعتدى عليه. الرّائد١: ٤٠٨(طول).
٧ - القمّي١: ٣٨٨.
٨ - العيّاشي٢: ٢٦٧، الحديث: ٥٩؛ و٢٦٨، الحديث: ٦٣، عن أبي جعفر ﷺ.
٩ - المصدر، الحديث: ٦٢، عن أبي جعفر ﷺ. وراجع: القمّي١: ٣٨٨؛ والعيّاشي٢: ٢٦٨، الحديث: ٦٠، عن أبي عبدالله ﷺ.
١٠ - روضة الواعظين: ٤٣٧، عن النّبيّ ﷺ.

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ : شاهداً ورقيباً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ : من بعد إحكام وفتل ﴿أَنْكَاثًا﴾ . جمع نِكْث بالكسر ، وهو ماينْكَثُ فَتْلُه .

قال : «الّتي نقضت غزلها ، امرأةٌ من بني تيم بن مرّة ، يقال لها : رَيطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن لويّ بن غالب ، كانت حمقاء تغزل الشّعر ، فإذا غزلته نقضته ، ثمّ عادت فغزلته . فقال الله "كالّتي نقضت غزْلها" الآية . قال : إنّ الله تبارك وتعالى أمر بالوفاء ونهى عن نقض العَهْد ، فضرب لهم مثلاً[1]» .

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ : دَغَلاً وخيانة ومكْراً وخديعة ، وذلك لأنّهم كانوا حين عهدهم يضمرون الخيانة ، والنّاس يسكنون إلى عهدهم . والدَّخَلُ أن يكون الباطن خلاف الظّاهر ، وأصله أن يدخل الشّيء مالم يكن منه . ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ يعني لاتنقضوا العهد بسبب أن يكون جماعة ـ وهي كفَرة قريش ـ أزْيَدَ عدداً وأوفرَ مالاً من أمّة ، يعني جماعة المؤمنين . ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ : إنّما يختبركم بكونهم أربى ، لِيَنْظُرَ أتوفون بعهدالله ، أم تغترّون بكثرة قريش وقوّتهم وثروتهم ، وقلّة المؤمنين وضعفهم وفقرهم . ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ . وعيدٌ وتحذيرٌ من مخالفة الرّسول ﷺ .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ : مُسلمة مؤمنة ﴿وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ بالخذلان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بالتّوفيق ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ . تصريح بالنّهي عنه بعد التّضمين ، تأكيداً ومبالغة في قبح المنهيّ عنه ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ عن محجّة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ عليها ، أي : فتضلّوا عن الرّشد بعد أن تكونوا على هدى ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ في الدّنيا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : بصدودكم أو صدّكم غيركم . ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة .

١ ـ القمّي١ : ٣٨٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

قال: «نزلت هذه الآيات[١] في ولاية عليّ والبيعة له، حين أُمروا بالتّسليم عليه بإمرة المؤمنين»[٢].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: يعيش عيشاً طيّباً. قال: «هي[٣] القناعة والرّضا بما قسم الله»[٤]. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾: إذا أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه، لئلّا يوسوسك في القراءة. قال: «تقول: أستعيذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم»[٥]. قال: «الرّجيم أخبث الشّياطين»[٦].

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. قال: «يسلّط والله من المؤمن على بدنه، ولا يسلّط على دينه»[٧]. وفي رواية: «ليس له أن يزيلهم عن الولاية، فأمّا الذّنوب وأشباه ذلك، فإنّه ينال منهم كما ينال من غيرهم»[٨].

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يحبّونه ويطيعونه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾. قال: «يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم»[٩].

١ـ في «ب» والمصدر: «هذه الآية».
٢ـ جوامع الجامع٢: ٣٠٦، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي الكافي١: ٢٩٢، الحديث: ١، مايقرب منه.
٣ـ في المصدر: «إنّها».
٤ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٨٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٥ـ العيّاشي٢: ٢٧٠، الحديث: ٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٦٧ـ٦٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكافي٨: ٢٨٨، الحديث: ٤٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي٢: ٢٦٩، الحديث: ٦٦، ما يقرب منه.
٨ـ العيّاشي٢: ٢٧٠، الحديث: ٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفي القمّي١: ٣٩٠، مع اختلاف يسير.
٩ـ الكافي٨: ٢٨٨، الحديث: ٤٣٣؛ والعيّاشي٢: ٢٦٩، الحديث: ٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بالنّسخ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من المصالح، فلعلّ مايكون مصلحةً في وقت يكون مفسدةً في آخر؛ وهو اعتراض. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾: متقوّل[1] على الله تأمر بشيء، ثمّ يبدو لك، فتنهى عنه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حكمة الاحكام.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾. قال: «هو جبرئيل والقدس الطّاهر»[2]. ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بما يرون في النّاسخ من الصّلاح والحكمة. قال: «هم آل محمّد»[3].

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لحُكْمه.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يضيفون إليه التّعليم، ويميلون قولهم عن الاستقامة إليه ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ غير بيّن. القمّي: هو لسان أبي فكيهة مولى ابن الحضرميّ، كان أعجميّ اللّسان، وكان قد اتّبع النّبيّ ﷺ وآمن به، وكان من أهل الكتاب، فقالت قريش: هذا والله يعلّم محمّداً، علّمه بلسانه[4]. ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾: لا يصدّقون[5] أنّها من عندالله ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾. ردّ لقولهم: "إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ" ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ﴾. نزلت في عمّار بن ياسر حين أخذته كفّار مكّة فعذّبوه، حتّى أعطاهم بلسانه ماأرادوا، "وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ" «فقال له النّبيّ ﷺ عندها: يا عمّار إن عادوا فَعُدْ، فقد أنزل الله عذرك،

١ـ تقوّلَ قولاً: ابتدعَه كذباً. القاموس المحيط٤: ٤٣(قول).

٢و٣ـ القمّي١: ٣٩٠، عن ابي جعفر عليه السلام.

٤ـ القمّي١: ٣٩٠، وفيه: «هذا والله يعلّم محمّداً بلسانه».

٥ـ في «ألف»: «لايصدّقون بها».

وأمرك ان تعود إن عادوا». كذا ورد[١]. ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾: اعتقده وطاب به نفساً. القمّي: هو عبدالله بن أبي سرح[٢]، وكان عاملاً لعثمان بمصر.[٣] ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا﴾: آثروا ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عُذّبوا في الله وأُكرهوا على الكفر، فأعطوْا بعض ماأُريد منهم، ليَسْلَموا من شرّهم، كعمّار ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الجهاد، وماأصابهم من المشاقّ، و«ثمّ» لتباعد حال هؤلاء من حال أُولئك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. خبر «إنّ» الأُولى والثانية جميعاً واحد، ونظير تكرير إنّ ربّك هاهنا في القرآن كثير[٤].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ اي: ذاتها، تحتجّ عنها وتعتذر لها وتسعى في خلاصها لايهمّها شان غيرها ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: جزاء ماعملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لكلّ مَنْ انعم الله عليه، فأبْطَرتْه النّعمةُ فكفَرَ بها، فأنزل الله به النّقمة ﴿قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ لايزْعج[٥] أهلها خوفٌ ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾: واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا

١ـ الكافي٢: ٢١٩، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي الكشّاف٢: ٤٣٠؛ والبيضاوي٣: ١٩٢ مايقرب منه.
٢ـ تقدّمت ترجمته في سورة النّساء، ذيل الآية: ١٣٧.
٣ـ القمّي١: ٣٩١.
٤ـ الانعام(٦): ٥٤؛ والنّحل(١٦): ١١٩.
٥ـ زَعَجَه كمَنَعَه: أقْلَعه وقَلَعه من مكانه. القاموس المحيط١: ١٩٨؛ والصّحاح١: ٣١٩(زعج).

﴿كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾. استعار[1] الذّوقَ لإدراك أثر الضّرر، واللّباسَ لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف.

قال: «إنّ أهل قرية ممّن كان قبلكم، كان الله قد وسّع عليهم حتّى طغوا[2]، فقال بعضهم لبعض: لو عَمَدْنا[3] إلى شيء من هذا النّقيّ فجعلناه تستنجي به، كان ألْيَنَ علينا من الحجارة. قال: فلمّا فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دوابّاً أصغر من الجُراد، فلم تَدَعْ لهم شيئاً خَلَقَه اللهُ إلاّ أكَلَتْه[4] من شجر أو غيره، فبلغ بهم الجُهْدُ إلى أن أقبلوا على الّذى كانوا يستنجون به فأكلوه. وهي القرية الّتي قال الله "ضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً" الآية»[5].

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قد سبق تفسيره[6].

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾. مبالغة في وصف بالكذب، كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولةً، وألسنتهم تَصِفُها، وتعرفها بكلامهم. هذا كقولهم: وَجْهُها يَصِفُ الجمالَ وعيْنُها تصف السّحرَ. ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾. القمّي: هو ماكانت اليهود يقولون "مافي بُطُونِ هذه الأَنْعامِ خالصةٌ لذُكورِنا ومُحَرَّمٌ على أزْواجِنا"[7].

﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

١ـ في «الف»: «اشعار».
٢ـ في المصدر: «كان الله قد أوسع عليهم حتّى طغوا»
٣ـ عَمَدَ إليه: قَصَدَه، المصباح المنير ٢: ٩٢ (عمد).
٤ـ في المصدر: «شيئاً خلقه الله يقدر عليه إلاّ اكله ...».
٥ـ العيّاشي ٢: ٢٧٣، الحديث: ٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي معناه مافي المحاسن (للبرقي) ٢: ٥٨٨، الباب: ١٧، الحديث: ٨٨؛ والعيّاشي ٢: ٢٧٣، الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ ذيل الآية: ١٧٣ من سورة البقرة ٢.
٧ـ القمّي ١: ٣٩١. والآية في سورة الأنعام (٦): ١٣٩.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: مايفترون[1] لأجله منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ورد: «من قال للحلال هذا حرام، وللحرام هذا حلال ودان بذلك، فعندنا يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر»[2].

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: في سورة الأنعام بقوله: "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ" الآية[3]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بالتّحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾: جاهلين غير متدبّرين للعاقبة ﴿ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾: من بعد التّوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لذلك السّوء ﴿رَّحِيمٌ﴾ يثيب على الإنابة.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾. قال: «وذلك إنّه كان على دين لم يكن عليه أحد غيره؛ فكان أُمّة واحدة. قال: وأمّا قانتاً فالمطيع، وأمّا الحنيف فالمسلم»[4]. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. تكذيب لقريش فيما كانوا يزعمون أنّهم على ملّة إبراهيم.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾: لأنعم الله، معترفاً بها. روي: «إنّه كان لايتغذّى إلّا مع ضيفه»[5]. ﴿اجْتَبَاهُ﴾: اختاره ﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ بان حبّبه إلى النّاس، حتّى أنّ أرباب الملل يتولّونه ويثنون عليه، ورزقه أولاداً طيّبة، وعمراً طويلاً في السّعة والطّاعة.

﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: لَمِنْ أهل الجنّة، كما سأله بقوله "وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ"[6].

١ ـ في «الف»: «ماتفترون».
٢ ـ التّوحيد (للصّدوق): ٢٢٩، الباب: ٣٠، ذيل الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الأنعام (٦): ١٤٦.
٤ ـ القمّي ١: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ الكشّاف ٢: ٤٣٩؛ وجوامع الجامع ٢: ٣١٣.
٦ ـ الشّعراء (٢٦): ٨٣.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

قيل: في «ثمّ» هذه تعظيمٌ[١] لمنزلة رسول الله ﷺ، وإعلامٌ بأنّ أفضلَ ماأوتي خليل الله من الكرامة اتّباعُ نبيّنا ﷺ ملّتَهُ، حيث دلّت على تباعد هذا النّعت في المرتبة من بين ساير النّعوت الّتي أثنى اللهُ عليه بها[٢].

ورد: «لاطريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء، لأنّه المنهج الأوضح. قال الله عزّ وجلّ: "ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهيمَ حَنيفاً" فلو كان لدين الله تعالى مسلك أقوم من الاقتداء، لَنَدَبَ أنبياءَه وأولياءَه إليه»[٣].

و ورد: «ماأحد على ملّة إبراهيم إلاّ نحن وشيعتنا، وساير النّاس منها بُرآء»[٤].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. قد سبق قصّتهم في الأعراف[٥].

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾: بالمقالة المحكمة الصّحيحة، الموضحة للحقّ، المزيحة للشّبهة؛ هذا للخواصّ. ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: الخطابات المُقنعة والعبَر النافعة، الّتي لايخفى عليهم أنّك تناصحهم بها وتنفعهم فيها؛ وهذا للعوامّ. ﴿وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بالطّريقة الّتي هي أحسن طُرُق المجادلة؛ وهذا للمعاندين والجاحدين. قال: «يعني بالقرآن»[٦]. «وهذا كقوله سبحانه "وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ"[٧] إلى آخر السّورة، مجادلاً به من جحد البعث بعد الموت، وبغير الّتي هي أحسن، أن تجادل مبطلاً يُورِد عليك حقّاً ليعين به باطلَه، فتَجْحَدَ ذلك الحقّ مخافة أن

١ ـ في «الف»: «التعظيم».
٢ ـ جوامع الجامع ٢: ٣١٣؛ والكشّاف ٢: ٤٣٤؛ والبيضاوي ٣: ١٩٤.
٣ ـ مصباح الشّريعة: ١٥٧، الباب: ٧٤، عن أبي عبدالله ﷺ. وفي «الف» و«ج»: «لندب أوليائه وأنبيائه إليه».
٤ ـ العيّاشي ١: ٣٨٨، الحديث: ١٤٦، عن الحسين بن عليّ عليهما السّلام.
٥ ـ الأعراف (٧): ١٦٣.
٦ ـ الكافي ٥: ١٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ ـ يٰس (٣٦): ٧٨.

يكون له عليك فيه حجّة، لأنّك لاتدري كيف المخلص منه». كذا ورد[١]. قال: «والجدال بغير الّتي هي أحسن محرّم، حرّمه الله على شيعتنا»[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: ليس عليك أن تهديهم ولا أن تردّهم عن الضّلالة، وإنّما عليك البلاغ، فمن كان فيه خيرٌ كفاه البرهان أو الوَعْظ، ومن لاخير فيه عجزت عنه الحيل، فكأنّك تضرب منه في حديد بارد.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾. قال: «لمّا رأى رسول الله ﷺ ماصنع بحمزة بن عبدالمطّلب، قال: اللّهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت[٣] المستعان على ماأرى، ثمّ قال: لئن ظفرت لأمثّلنّ وأُمثّلن[٤]، قال: فأنزل الله الآية، فقال رسول الله ﷺ أصبرُ أصبرُ»[٥]. وفي رواية: «إنّه لمّا رأى مافعل به بكى، ثمّ قال: ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأُمثّلنّ سبعين رجلاً منهم، فنزلت، فقال: بل أصبر»[٦].

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: إلّا بتوفيقه وتثبيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على أصحابك ومافعل بهم، فإنّ الله نقلهم إلى دار كرامته ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

---

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٢٨، ذيل الآية: ١١١، من سورة البقرة؛ والاحتجاج١: ١٤ و١٥، عن العسكري، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٢٧؛ والاحتجاج١: ١٤، عن العسكري، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي «ب»: «حرّم الله».

٣ ـ في «ب» و«ج»: «وإنّك».

٤ ـ في المصدر: «لأمثّلنّ لأمثّلنّ».

٥ ـ العيّاشي٢: ٢٧٤، الحديث: ٨٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي «الف»: «فقال رسول الله ﷺ: أصبر».

٦ ـ القمّي١: ١٢٣. وفي «الف»: «فقال: أصبر».

سورة بني إسرائيل[1]

[مكّيّة، وهي مائة وإحدى عشرة آية][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ يعني إلى ملكوت المسجد الأقصى. قال: «ذاك في السّماء، إليه أُسري رسول الله ﷺ»[3].

وفي رواية: «نظر إلى السّماء مرّة وإلى الكعبة مرّة، ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: ليس كمايقولون: أسرى به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ولكنّه أسرى به من هذه إلى هذه، وأشار بيده إلى السّماء»[4]. ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قال: «أتى جبرئيل رسول الله ﷺ بالبراق، أصغر من البغل، وأكبر من الحمار، مضطرب الأذنين، عينه في حافره، وخطاه مدّ بصره، فإذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه، فإذا هبط طالت يداه وقصرت رجلاه، أهْدَبَ العُرْفِ

١ ـ في «ب»: «سورة الإسراء».
٢ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٧٩، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الأيمن[١]، له جناحان من خلفه»[٢].

وفي رواية: «إنّ الله سخّرلي البراق، وهي دابّة من دوابّ الجنّة، ليست بالقصير ولابالطّويل، فلو انّ الله أذِنَ لها لجالت الدّنيا والآخرة في جرية واحدة، وهي أحسن الدّوابّ لوناً»[٣].

و ورد: «جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله ﷺ، فأخذ واحد باللّجام، وواحد بالرّكاب، وسوّى الآخر عليه ثيابه، فتضعضعت البراق، فلطمها جبرئيل، ثمّ قال: اسكني يابراق، فماركبكِ نبيٌّ قبله ولايَرْكَبُكِ بعده مثلُه، قال: فترقّت به، ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ومعه جبرئيل يريه الآيات من السّماء والارض»[٤]. ثمّ ذكر تفصيل الآيات وفيها أسرار لايعثرعليها إلاّ الرّاسخون في العلم.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾: ربّاً تكلون إليه أموركم.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كثير الشكر. سئل بم سمّي شكوراً؟ قال: «بكلمات بالغ فيهنّ، كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً وإذا أمسى ثلاثاً»[٥].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وأوحينا إليهم وحياً مقضيّاً مبتوتاً. والقمّي: أي: أعلمناهم[٦]. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: وعد عقاب أُولاهما ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ

١ ـ أي: طويلة مرسلة من جانب الأيمن. العُرف: شعر عنق الفرس. أقرب الموارد٣: ٧٦٩(عرف).
٢ ـ الكافي٨: ٣٧٦، الحديث: ٥٦٧، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «عينيه في حافره».
٣ ـ عيون اخبار الرضا عليه السلام٢: ٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٤٩، عن النّبيّ ﷺ.
٤ ـ القمّي٢: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ الكافي٢: ٥٣٥، الحديث: ٣٨؛ والعيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي من لايحضره الفقيه١: ٣٣٥، الحديث: ٩٨١؛ وعلل الشرايع١: ٢٩، الباب: ٢١؛ والقمّي٢: ١٤، مايقرب منه.
٦ ـ القمّي٢: ١٤.

شَدِيدٍ﴾: ذوي قوّة وبطش في الحرب شديد. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «عبيداً لنا»[١].

﴿فَجَاسُوا﴾: تردّدوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: وسطها، للقتل والغارة والسّبي. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾: الدّولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ممّا كنتم. والنّفير: مَنْ يَنْفِرُ مع الرّجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: فإنّ وبالها عليها. قيل: وإنّما ذكر اللّام ازدواجاً[٢] و[٣]. وفي رواية: «فلها ربّ يغفر»[٤]. ورد: «ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه، وتلا الآية»[٥]. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: وعد عقوبة المرّة الآخرة ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: بعثناهم ليجعلوا وجوهكم بادية آثارَ المساءة فيها، فحُذِفَ لدلالة ما ذكره أوّلاً عليه. ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾: وليُهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾: ماغلبوه واستولوا عليه؛ أو مدّة علوّهم ﴿تَتْبِيرًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ نوبة أُخرى ﴿عُدْنَا﴾ مرّة ثالثة إلى عقوبتكم. ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾: محبساً لا يقدرون الخروج منها أبداً. قيل في تفسير الآيات: إنّ الإفسادتين: قتل زكريّا ويحيى. والعلوّ الكبير: استكبارهم عن طاعة الله، وظلمهم النّاس. والعباد أُولي بأس: بخت نصّر[٦] وجنوده، وردّ الكرّة

١ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٩٧؛ وجوامع الجامع ٢: ٣١٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ أي: للمشاكلة مع القرينة السابقة: «لأنفسكم».

٣ ـ البيضاوي ٣: ١٩٧.

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٤٩.

٥ ـ جوامع الجامع ٢: ٣١٨؛ والكشّاف ٢: ٤٣٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ بُخْتُ نُصَّرَ: اصله بُوخْتُ ومعناه إبن. ونَصّر كَبَقَّم: صنم، وكان وُجد ملقاً عند الصنم ولم يعرف له أب، فنسب إليه. وفي رواية: انّه سمّي بذلك، لأنّه رضع بلبن كلبة، وكان اسم الكلب: بخت، واسم صاحبه: نصر. خرّب القدس. راجع: القاموس المحيط ٢: ١٤٨؛ وسفينة البحار ١: ٦٠. وتفصيل الكلام في البحار ١٤: ٣٥١.

عليهم: ردّ بهمن بن إسفنديار أسراءهم إلى الشّام وتمليكه دانيال عليهم، ووعد الآخرة: تسليط الله الفُرْسَ عليهم مرّة أُخرى[1].

و ورد: «إنّ الإفسادتين: قتلُ عليّ بن أبي طالب وطعنُ الحسن، والعلوّ الكبير: قتلُ الحسين، والعبادَ أُولي بأس: قومٌ يبعثهم الله قبل خروج القائم، فلايَدعون وِتْراً لآل محمّد إلاّ قتلوه، ووعد الله: خروج القائم، وردّ الكرّة عليهم: خروج الحسين في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهّب، حين كان الحجّة القائم بين أظهرهم»[2].

وفي رواية: «إنّ العباد أُولي باس هم القائم وأصحابه عليهم السّلام»[3].

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾ قال: «يدعوا»[4]. ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للطّريقة الّتي هي أقوم الطّرق وأشدّ استقامةً. قال: «يهدي إلى الإمام»[5]. وفي رواية: «إلى الولاية»[6].

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. يعني يبشّر المؤمنين ببشارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾: مثل دعائه بالخير ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾.

قال: «إعرف طريقَ نجاتك وهلاكك، كيلا تدعو الله بشيء، عسى أن يكون فيه هلاكك وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك، ثمّ تلاهذه الآية»[7].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

١ ـ البيضاوي٣: ١٩٦ـ١٩٧.
٢ ـ الكافي٨: ٢٠٦، الحديث: ٢٥٠؛ والعيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ العيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ الكافي٥: ١٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في العيّاشي٢: ٢٨٢، الحديث: ٢٤، مقطوعاً.
٦ ـ العيّاشي٢: ٢٨٣، الحديث: ٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ مصباح الشّريعة: ١٣٢، الباب: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: «أمر الله جبرئيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه، فأثّر المحو في القمر خطوطاً سوداء، ولو أنّ القمر ترك على حاله بمنزلة الشّمس ولم يمح[1]، لَما عُرِفَ اللّيل من النّهار، ولا النّهار من اللّيل، ولا علم الصّائم كم يصوم، ولا عَرَفَ النّاس عدد السّنين، وذلك قول الله: "وجعلنا اللّيل" الآية»[2].

﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: لتطلبوا في بياض النّهار أسباب معايشكم. ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ قال: «بمقادير هما»[3]. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ تفتقرون إليه في أمر الدّين والدّنيا ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾: بيّناه بياناً غير ملتبس.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾: عمله وما قُدِّرَ له، كأنّه طير له من عشّ الغيب ووكْرِ القدر. قال: «قدّره الّذي قدّر عليه»[4]. ﴿فِي عُنُقِهِ﴾: لزومَ الطوق في عنقه. قال: «خيره وشرّه معه، حيث كان لايستطيع فراقه، حتّى يُعطى[5] كتابه يوم القيامة بما عمل»[6]. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ هو صحيفة عمله، أعني نفسه الّتي رسخت فيها آثارُ أعماله. ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ لكشف الغطاء.

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ على إرادة القول ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

قال: «يذكر العبد[7] جميع ما عمل وما كتب عليه، حتّى كأنّه فعله تلك السّاعة، فلذلك قالوا: "يا ويلَتَنا مالِهذا الكتاب لايُغادرُ صَغيرةً ولا كَبيرةً إلّا أَحْصاها"»[8].

﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

١ـ كذا في المصدر. وفي «الف» و«ج»: «لم يمسح». وفي «ب»: «لم يمح» بدون الواو.

٢ـ علل الشرايع ٢: ٤٧٠، الباب: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن رسول الله ﷺ.

٣ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ١٢٨، الخطبة: ٩١.

٤ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٢، عن الصادقين عليهما السلام؛ والقمّي ٢: ١٧.

٥ـ في «الف»: «حتّى يؤتى».

٦ـ القمّي ٢: ١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ في العيّاشي: «يذكر بالعبد».

٨ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٣؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿أُخْرَىٰ﴾. التأنيث باعتبار النفس. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يبيّن الحجج ويمهّد الشّرائع، فيلزمهم الحجّة.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: متنعّميها. قال: «أكابرها»[١]. وقال: «أمّرنا، مشدّدة ميمه[٢]، تفسيرها: كثّرنا. وقال: لاقرأتها مخفّفة»[٣]. وفي رواية: «إنّه قرأ: آمرنا»[٤]. على وزن عامرنا. يقال: أمّرت الشّيء وآمرته إذا كثّرته[٥]. والقمّي: كثّرنا جبابرتها[٦]. ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾. يعني كلمة العذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾: أهلكناهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يُدْرِكُ بواطنَها وظواهرَها، فيُعاقب عليها.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾: النّعمة الدّنيويّة، مقصوراً عليها همّته ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾. قيّد المعجّل والمعجّل له بالمشيّة والإرادة لأنّه لايجد كلُّ متمنٍّ مايتمنّاه، ولاكلُّ أحدٍ جميعَ مايهواه، وليعلم أنّ الأمر بالمشيّة. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مطروداً من رحمة الله.

في الحديث النّبويّ: «معنى الآية: من كان يريد ثواب الدّنيا بعمله الّذي افترضه الله عليه، لايريد به وجه الله والدّارَ الآخرة، عجّل له مايشاء الله من عرض الدّنيا، وليس له ثواب في الآخرة؛ وذلك أنّ الله سبحانه يؤتيه[٧] ذلك ليستعين به على الطّاعة، فيستعمله

١ - العيّاشي٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ - في المصدر: «مشدّدة منصوبة».
٣ - المصدر، الحديث: ٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ - مجمع البيان٥-٦: ٤٠٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام. ولم ترد كلمة: «انّه» في «الف».
٥ - في «الف»: «اكثرته».
٦ - القمّي٢: ١٧.
٧ - في «الف»: «يعطيه».

في معصية الله، فيعاقبه الله عليه»[١].

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾: حقها من السّعي، وهو الإتيان بما أُمر به، والانتهاء عمّا نهي عنه، لا التقرّب بما يخترعون بآرائهم. وفائدة اللّام اعتبار النيّة والإخلاص. ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ إيماناً لا شرك فيه ولا تكذيب ﴿فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ من الله، مقبولاً عنده مثاباً عليه. في الحديث النّبويّ: «من أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدّنيا»[٢].

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾: كلّ واحد من الفريقين، نتفضّل عليه بالعطاء مرّة بعد أخرى، نجعل الآنف منه مدداً للسّالف لا نقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعاً. ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾: ممنوعاً، لا يمنع العاصي لعصيانه.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾. يعني في الدّنيا ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ أي: التّفاوت في الآخرة أكثر. روي: «إنّ ما بين أعلى درجات الجنّة وأسفلها مثل ما بين السّماء والأرض»[٣]. وقال: «إنّما تفاضل القوم بالأعمال»[٤]. وفي رواية: «على قدر عقولهم»[٥].

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾. الخطاب لكلّ أحد، أو للرّسول والمراد به أمّته. ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾. يعني: إذا فعلتَ ذلك، بقيتَ ما عشتَ مذموماً على السنة العقلاء، مخذولاً لا ناصر لك. وإنّما عبّر عن ذلك بالقعود، لأنّ في القعود معنى الذّلّ والعجز والهوان. يقال: قعد به الضّعف.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾: وأمر أمراً مقطوعاً به ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا ﴾: بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾

---

١ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠٧.

٢ ـ روضة الواعظين: ٤٣٤؛ والخصال ١: ٢٩٣، ذيل الحديث: ٥٨، وفيه: «فليدع زينة الحياة الدنيا».

٣ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠٧، ولم ترد فيه كلمة: «مثل».

٤ ـ العيّاشي ١: ٣٨٨، الحديث: ١٤٧؛ ومجمع البيان ٩ـ١٠: ٢١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ ـ الكافي ١: ١١، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إنّ الثواب على قدر العقل».

لأنّ غاية التّعظيم لايحقّ، إلاّ لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام. ويجوز أن تكون «أن» مفسّرة، و«لا» ناهية، كما يشعر به بعض الأخبار[1]. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وبأن تحسنوا، أو أحسنوا.

ورد: سئل ماهذا الإحسان؟ فقال: «أن تحسن صحبتهما، وأن لاتكلّفهما أن يسالاك شيئاً، وإن كانا مستغنيين»[2].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾. زيدت على «إن» الشّرطيّة «ما» للتّأكيد. ﴿عِندَكَ الْكِبَرَ﴾: في كنفك وكفالتك ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾. قال: «إن أضجراك»[3]. ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولاتزجرهما. قال: «إن ضرباك»[4]. القمّي: أي: لاتخاصمهما[5]. ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: حسناً جميلاً. قال: «إن ضرباك، فقل لهما: غفرالله لكما، فذلك منك قول كريم»[6].

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾: تذلّل لهما وتواضع ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: من فرط رحمتك عليهما، لافتقارهما إلى مَنْ كان أفقر خلق الله إليهما. قال: «لاتملأ عينيك من النّظر إليهما إلاّ برحمة ورقّة، ولاترفع صوتك فوق أصواتهما، ولايدكَ فوق أيديهما، ولاتقدّم قدّامهما»[7]. ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾: وادع الله أن يرحمهما برحمة الباقية، ولاتكتف برحمتك الفانية ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: جزاء لرحمتهما عليّ، وتربيتهما لي في صغري.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾. قال: «هم التوّابون المتعبّدون»[8].

١ ـ الكافي ٢: ٣٠، ذيل الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢، ٣، ٤ و ٦ ـ الكافي ٢: ١٥٧، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٨٥، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ١٨.

٧ ـ الكافي ٢: ١٥٨، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٨٥، ذيل الحديث: ٣٩؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٠٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٦، الحديث: ٤٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾. قال: «لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل قد عرَفْتُ المسكين، من[1] ذوالقربى؟ قال: هم أقاربك. فدَعا حسناً وحسيناً وفاطمة فقال: إنّ ربّي أمرني أن أُعطيكم ممّا أفاء الله عليّ. قال: أعطيتكم[2] فدك[3]»[4]. وفي معناه أخبار مستفيضة[5]. وفي رواية: «وكان عليّ، وكان حقّه الوصيّة الّتي جعلت له، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النّبوّة»[6].

أقول: لاتنافي بين الرّوايتين، لأنّ حقّ عليّ كان الوصيّة، وحقّ فاطمة وأولادها فَدَك، ولكلٍّ أحدٍ قرابةٌ، وفي قرابته مَنْ له عليه حقّ.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بصرف المال فيما لاينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف. وأصل التّبذير: التّفريق. سئل عن هذه الآية فقال: «من أنفق شيئاً في طاعة الله فهو مبذّر، ومن أنفق في سبيل الله[7] فهو مقتصد»[8]. و ورد: «إنّه دَعا برطب، فأقْبَلَ بعضُهم يَرْمي بالنّوى، فقال عليه السلام: لاتفعل، إنّ هذا من التّبذير، وإنّ الله لايحبّ الفساد»[9].

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: أمثالهم، السّالكين طريقتهم، وهذا غاية

١ ـ في المصدر: «فمن».
٢ ـ في «ب»و«ج»: «اعطيكم».
٣ ـ فَدَك ـ بفتحتين ـ: قرية من قرى اليهود، بينهاوبين مدينة يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة. وهي ماأفاء الله على رسوله، وكانت لرسول الله ﷺ؛ لأنّه فتحها هو وامير المؤمنين عليهما السلام لم يكن معهما احد، فزال عنها حكم الفيء ولزمها حكم الانفال. وقد حدّها عليّ عليه السلام: حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دَوْمَة الجندل، يعني الجوف. مجمع البحرين٥: ٢٨٣(فدك).
٤ ـ العيّاشي٢: ٢٨٧، الحديث: ٤٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ الكافي١: ٥٤٣، الحديث: ٥؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام١: ٢٣٣، الباب: ٢٣، الحديث: ١؛ والعيّاشي٢: ٢٨٧، الحديث: ٤٧،٤٨،٤٩و٥٠؛ ومجمع البيان٥ـ٦: ٤١١.
٦ ـ الكافي١: ٢٩٤، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ في المصدر: «في سبيل الخير».
٨ ـ العيّاشي٢: ٢٨٨، الحديث: ٥٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٩ ـ المصدر، الحديث: ٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الذمّ ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: وإن تعرض عن هؤلاء الّذين امرتُك بإيتاء حقوقهم حياءً من الردّ، لتبتغي الفضل من ربّك والسّعة الّتي يمكنك معها البذلُ، فقُلْ لهم قولاً ليناً وعِدْهُم عدة جميلة. روي: «إنّه كان لمّا نزلت هذه الآية، إذا سئل ولم يكن عنده مايعطي قال: يرزقنا الله وإيّاكم من فضله»[١].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾. تمثيل لمنع الشّحيح وإسراف المبذّر، نهى عنهما وأمر بالاقتصاد بينهما، الّذي هو الكرم والجود. ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾. قال: «نزلت لمّا سأله رجل فلم يحضره شيء، فاعطاه قميصه. قال: فأدبّه الله على القصد»[٢]. وفي رواية: «فنهاه الله أن يبخل ويسرف، ويقعد محسوراً من الثّياب»[٣]. وقال: «المحسور: العريان»[٤]. وفي رواية: «الإحسار: الإقتار»[٥]. وفي أخرى: «الفاقة»[٦]. وفي رواية: «كانت عنده أُوقيَة من الذّهب، فكَرِهَ أن تبيت عنده، فتصدّق بها، فاصبح وليس عنده شيء، وجاء من يسأله فلم يكن عنده مايعطيه، فلامه السّائل واغتمّ هو»[٧]. الحديث.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّعه ويضيّقه بحسب المصلحة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ فيعلم مصالحهم، ومايَنبغي لهم ومالاينبغي.

ورد: «وإنّ من عبادي من لايُصلِحه إلاّ الفقر، ولو أغنيتُه لأفسَده ذلك، وإنّ من

١ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤١١.
٢ ـ الكافي٤: ٥٦، الحديث: ٧؛ والعيّاشي٢: ٢٨٩، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي٢: ١٩.
٤ ـ المصدر؛ ومجمع البيان٥ـ٦: ٤١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي٢: ٢٨٩، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ ـ الكافي٤: ٥٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ الكافي٥: ٦٧، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

عبادي من لايصلحه إلاّ الغنى، ولو أفقرتُه لأفسده ذلك»[١]. وقال: «وإنّي لأعلم بمصالح عبادي»[٢] الحديث.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾. القمّي: مخافة الفقر والجوع، فإنّ العرب كانوا يقتلون أولادهم لذلك[٣]. سئل: ما الإملاق؟ قال: «الإفلاس. ثمّ تلا هذه الآية»[٤].

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: ذنباً كبيراً.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾: قبيحة زائدة على حدّ القبح. قال: «معصية ومقتاً، فإنّ الله يمقته ويبغضه»[٥]. ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾. قال: «وهو أشدّ النّاس[٦] عذاباً. قال: والزّنا من أكبر الكبائر»[٧].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ككفر بعد إيمان، وزناً بعد إحصان، وقتل مؤمن عمداً. ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: تسلّطاً بالمؤاخذة. ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾.

سئل: «ماهذا الإسراف الّذي نهى الله عنه؟ قال: «نهى أن يَقْتُلَ غيرَ قاتله، أو يمثّل بالقاتل»[٨]. وفي رواية: «إذا اجتمع العدّة على قتل رجل واحد، حكم الوالي أن يقتل أيّهم شاؤوا. وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد»[٩].

١ - علل الشرايع ١: ١٢، الباب: ٩، قطعة من حديث: ٧، عن النّبيّ ﷺ، في حديث قدسيّ.
٢ - الكافي ٢: ٦٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، في حديث قدسيّ؛ بالمضمون.
٣ - القمّي ٢: ١٩.
٤ - العيّاشي ٢: ٢٩٠، ذيل الحديث: ٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ و٧ - القمّي ٢: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ - في المصدر و«الف»: «أشدّ النّار».
٨ - الكافي ٧: ٣٧١، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٩ - الكافي ٧: ٢٨٤، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي ٢: ٢٩٠، الحديث: ٦٦، مع اختلاف في اللّفظ.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾. سئل عنه، قال: «و أيّ نصرة أعظم من أن يدفع القاتل أولياء المقتول فيقتله، ولاتبعة تلزمه من قتله؛ في دين ولادنيا»[1].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ فضلاً أن تتصرّفوا فيه ﴿ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ إلا بالطّريقة الّتي هي أحسن، وهي حفظه عليه. ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾. قال: «انقطاع يتم اليتيم الاحتلام، وهو أشدّه»[2]. وفي رواية: «أشدّه ثلاث عشرة سنة والدّخول في الأربع عشرة، احتلم أو لم يحتلم»[3]. ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾. قال: «ثلاثة لم يجعل الله لأحد من النّاس فيهنّ رخصة، وعدّ منها الوفاء بالعهد»[4].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾: بالميزان السّويّ. قال: «هو الميزان الّذي له لسان»[5]. ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وأحسن عاقبة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: ولاتتبع. والقمّي: أي: لاتقل، ولاترمِ أحداً بما ليس لك به علم[6]. و ورد: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة أقيم في طينة خبال أو يخرج ممّا قال»[7]. ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾. قال: «يسأل السّمع عمّا سمع، والبصر عمّا نظر إليه، والفؤاد عمّا عقد عليه»[8].

١ ـ الكافي٧: ٣٧١، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٢ ـ الكافي٧: ٦٨، الحديث: ٢؛ والتهذيب٩: ١٨٣، الحديث: ٧٣٧؛ ومن لايحضره الفقيه٤: ١٦٣، الحديث: ٥٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الكافي٧: ٦٩، الحديث: ٧؛ ومن لايحضره الفقيه٤: ١٦٤، الحديث: ٥٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام،
٤ ـ الخصال١: ١٢٨، الحديث: ١٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ القمّي٢: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ المصدر.
٧ ـ المصدر، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ ـ الكافي٢: ٣٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾: ذا مرح وهو الاختيال. القمّي: أي: بطراً وفرحاً[1].

﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ ﴾: لن تجعل فيها خرقاً لشدّة وطأتك. القمّي: أي: لن تبلغها كلّها[2]. ﴿ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ بتطاولك. القمّي: أي: لاتقدر أن تبلغ قلل الجبال[3].

قيل: هو تهكّم بالمختال، وتعليل للنّهي بأنّ الاختيال حماقة مجرّدة، لايعود بجدوى، ليس في التذلّل[4].

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾. إشارة إلى خصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله و "لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ"[5] ويقال: إنّها المكتوبة في ألواح موسى[6]. ﴿ كَانَ سَيِّئُهُ ﴾: المنهيّ عنه منه ﴿ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾: مبغوضاً.

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾. كرّره للتّنبيه على أنّ التّوحيد مبدء الأمر ومنتهاه، ورأس الحكمة وملاكها. ﴿ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا ﴾ تلوم نفسك ويلومك غيرك ﴿ مَّدْحُورًا ﴾: مبْعداً عن رحمة الله. القمّي: المخاطبة للنّبيّ والمعنى النّاس[7].

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾. القمّي: هو ردّعلى قريش فيما قالوا: إنّ الملائكة هي بنات الله[8]. ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ بإضافة الولد إليه، ثمّ بتفضيل أنفسكم عليه، حيث تجعلون له ماتكرهون، ثمّ تجعل[9] الملائكة الّذين هم من أشرف خلق الله أدونهم.

١، ٢و٣ـ القمّي٢: ٢٠.
٤ـ البيضاوي٣: ٢٠٢.
٥ـ الآية: ٢٢، من هذه السورة.
٦ـ البيضاوي٣: ٢٠٢؛ والكشّاف٢: ٤٥٠، عن ابن عبّاس.
٧ـ القمّي٢: ٢٠، وفيه: «والمعنى للنّاس».
٨ـ المصدر، وفيه: «هنّ بنات الله».
٩ـ في «ب»: «يجعل»، والأصحّ: «بجعل».

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرّرنا الدّلائل وفصّلنا العبر ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ ليتّعظوا ويعتبروا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحقّ.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: لطلبوا إلى مالك المُلك سبيلاً بالتقرّب والطّاعة، كما قال: "يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ".[1]

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. قال: «تنقض[2] الجدر تسبيحها»[3]. وسئل: أتسبّح الشّجرة اليابسة؟ فقال: «نعم، أما سمعت خشب البيت كيف ينقض، وذلك تسبيحه لله، فسبحان الله على كلّ حال»[4].

أقول: وذلك لأنّ نقصانات الخلايق دلائل كمالات الخالق، وكثراتها واختلافاتها شواهد وحدانيّته، وانتفاء الشّريك عنه والضّدّ والنّدّ.

قال: «بتشعيره المشاعر عرف أن لامشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لاجوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لاضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لاقرين له»[5] الحديث.

فهذا تسبيحٌ فطريٌّ واقتضاءٌ ذاتيٌّ نشأ عن تجلٍّ تجلّى لهم فاحبّوه؛ فانبعثوا إلى الثّناء عليه من غير تكليف، وهي العبادة الذاتيّة؛ الّتي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الّذي

١ ـ الآية: ٥٧، من نفس السورة.

٢ ـ تَنَقَّضَ البيت: تشقّق، فسُمِعَ له صوت: القاموس المحيط٢: ٣٦٠(نقض).

٣ ـ الكافي٦: ٥٣١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي٢: ٢٩٣، الحديث: ٧٩، عنه عليه السلام.

٤ ـ العيّاشي٢: ٢٩٤، الحديث: ٨٤، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السّلام، ولم ترد فيه كلمة «لله».

٥ ـ الكافي١: ١٣٩، ذيل الحديث: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ ونهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٧٣، الخطبة: ١٨٦.

يستحقّه جلّ جلاله.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب منكم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ عن الحسّ من قدرة الله تعالى يحجبك عنهم.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ تُكِنُّها وتحول دونها عن إدراك الحقّ وقبوله ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يمنعهم عن استماعه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ غير مشفوع به آلهتهم ﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾: هرباً من استماع التّوحيد ونفرة.

قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزله واجتمعت عليه قريش يجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، ويرفع بها صوته فتولّي قريش فراراً. فأنزل الله في ذلك "وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ" الآية»[1].

وفي رواية: «كان إذا صلّى بالنّاس جهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، فتخلّف من خلفه من المنافقين عن الصّفوف، فإذا جازها في السّورة عادوا إلى مواضعهم، وقال بعضهم لبعض: إنّه ليردّد اسم ربّه ترداداً[2]، إنّه ليحبّ ربّه. فأنزل الله الآية»[3].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: بسببه من اللّغو والاستهزاء بالقرآن. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾: متناجون ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: قد سُحِرَ به، فَجُنّ واختلط عليه عقلُه.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: مثّلوكَ بالسّاحر والشّاعر والكاهن والمجنون. ﴿فَضَلُّواْ﴾ عن الحقّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إليه.

١ ـ الكافي ٨: ٢٦٦، الحديث: ٣٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ في «ب»: «تردّدا».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٥، الحديث: ٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا ﴾: تراباً وغباراً، وانتثر لحومنا ﴿ أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾. على الإنكار والاستبعاد. قال: «جاء أُبيّ بن خلف، فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه ثمّ قال: يا محمّد "إذا كنّا عظاماً ورُفاتاً ءإنّا لمبعوثون خلقاً"؟ فانزل الله تعالى: "قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ"[1]»[2].

﴿ قُلۡ ﴾: جواباً لهم ﴿ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴾.

﴿ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ ﴾ فإنّه يقدر على إعادتكم أحياء. قال: «الخلق الّذي يكبر في صدوركم الموت»[3]. ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ فإنّه على الإعادة اقدر. ﴿ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ ﴾: فسيحرّكون نحوك رؤوسهم تعجّباً واستهزاء. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ فإنّ كلّ ما هو آتٍ قريب.

﴿ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ ﴾. أي: يوم يبعثكم فتنبعثون منقادين. استعار لهما الدّعاء والاستجابة للتّنبيه على سرعتهما وتيسّراً مرهما. ﴿ بِحَمۡدِهِۦ ﴾: حامدين لله على كمال قدرته ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي ﴾ يعني المؤمنين ﴿ يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ أي: يقولوا للمشركين الكلمة الّتي هي أحسن، ولايخاطبوهم بما يغيظهم ويغضبهم ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾: يهيج بينهم المراء والشرّ، فلعلّ المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾.

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ ﴾. قيل: هي تفسير للّتي هي أحسن، ومابينهما اعتراض، أي: يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولايصرّحوا بانّهم

١ ـ يس(٣٦): ٧٨ـ٧٩.

٢ ـ العيّاشي٢: ٢٩٦، الحديث: ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ ـ القمّي٢: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.

من أهل النّار، فإنّ ذلك يهيّجهم على الشرّ، مع أنّ ختام أمرهم غيب لايعلمه إلاّ الله[1].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾: موكولاً إليك أمرهم، تجبرهم على الإيمان، وإنّما أرسلناك مبشّراً ونذيراً، فدارهم ومُرْ[2] أصحابك بالاحتمال منهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وأحوالهم، فيختار منهم لنبوّته وولايته من يستأهل لهما، وهو ردّ لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيّاً، وأن يكون الفقراء أصحابه. ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾.

قال: «سادة النّبيّين والمرسلين خمسة، وهم أُولوا العزم من الرّسل وعليهم دارت الرّحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السّلام»[3].

وفي الحديث النّبويّ: «إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللائمّة من ولدك»[4].

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ أنّها آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير[5] ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾: ولاتحويل ذلك منكم إلى غيركم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطّاعة ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أي: يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة، فكيف بغير الأقرب! ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ كساير العباد، فكيف يزعمون أنّهم آلهة! ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ حقيقاً بأن يحذره كلّ أحد، حتّى الملائكة والرّسل.

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٠٥؛ والكشّاف ٢: ٤٥٣.
٢ ـ في «ب»: «وأمر».
٣ ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ علل الشرايع ١: ٥، الباب، ٧، الحديث: ١.
٥ ـ في «ب»: «كالمسيح وعزير والملائكة».

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾. قال: «هو الفناء بالموت»[١]. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: في اللّوح المحفوظ مكتوباً.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ الّتي اقترحتها قريش ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾: إلاّ تكذيب الأوّلين الّذين هم أمثالهم كعاد وثمود، وأنّها لو أُرسلت لكذّبوا بها، كما كذّب أُولئك، واستوجبوا العذاب العاجل المستأصل، "وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ"[٢]. قال: «سأله قومه أن يأتيهم بآية، فنزل جبرئيل وقال: إنّ الله يقول "وَمامَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالآياتِ" الآية، وكنّا إذا أرسلنا إلى قرية آية فلم يؤمنوا بها، أهلكناهم فلذلك أخّرنا عن قومك الآيات»[٣]. ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ بسؤالهم ﴿مُبْصِرَةً﴾: آية بيّنة ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: فظلموا أنفسهم بسبب عقرها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وإنذاراً بعذاب الآخرة، فإنّ أمر مَنْ بُعِثْتَ إليهم مؤخّر إلى يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم في قبضة قدرته. وقيل: أي: أهلكهم، يعني بشّرناك بوقعة بدر، ونصرتك عليهم، وهو قوله "سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ"[٤] "سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ"[٥]، فجعله تعالى كأنّه قد كان على عادته في إخباره[٦]. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. ورد في أخبار كثيرة: «إنّه ﷺ أري في منامه أنّ بني تيم وبني عديّ وبني أُميّة، يصعدون منبره، يردّون النّاس عن الإسلام القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً»[٧]. وفي رواية: «ينزون على منبره

١ـ من لايحضره الفقيه١: ١١٨، الحديث: ٥٦٢؛ والعيّاشي٢: ٢٩٧، الحديث: ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الانفال (٨): ٣٣.
٣ـ القمّي٢: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمر (٥٤): ٤٥.
٥ـ آل عمران (٣): ١٢.
٦ـ الكشّاف٢: ٤٥٤.
٧ـ الكافي٨: ٣٤٥، الحديث: ٥٤٣، عن أحدهما عليهما السّلام؛ والعيّاشي٢: ٢٩٨، الحديث: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

نزو القردة»[١] . وفي أخرى: «أري في نومه كأنّ قروداً تصعد منبره، فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً، فأنزل الله "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة للناس" ليعمهوا فيها»[٢] .
القمّي: كذا نزلت[٣] . ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ . عطف على الرّؤيا . قال: «يعني بني أميّة»[٤] في أخبار كثيرة[٥] . ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواع التّخويف ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ فيه لطافة لاتخفى .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾

قد سبق تفسيره[٦] .

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ : أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ : فضّلته عليّ، لِمَ فضّلته وأنا خير منه؟! ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ : لأستأصلنّهم بالإغواء، ولأستولين[٧] عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لا أقدر أن أقاوم سكينتهم .

﴿قَالَ اذْهَبْ﴾ : امض لما قصدته . وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سوّلت له نفسه . ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ : جزاؤك وجزاؤهم : ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ : مكملاً .

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ : واستخف[٨] ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ أن تستفزّه ﴿بِصَوْتِكَ﴾ : بدعائك إلى الفساد ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ : وصِحْ عليهم ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ : بفرسانك

١ـ الصّحيفة السّجّاديّة: ٦٥، جملة: ٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن جدّه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وتفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٣: ٥٢.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٢٤، بالمضمون.
٣ـ القمّي ١: ٢١.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٩٧، الحديث: ٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر، الأحاديث: ٩٤، ٩٥، ٩٩ و ١٠٠؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٤٢٤.
٦ـ ذيل الآية: ٣٤، من سورة البقرة؛ والآية: ١١، من سورة الأعراف.
٧ـ في «ألف»: «لأستولنّ».
٨ـ في «ألف»: «واستخفف».

وراجليك، واحشرهم[١] عليهم. تمثيل لتسلّطه على من يغويه، بمن صوّت على قوم فاستفزّهم من أماكنهم، وأجلب عليهم بجنده حتّى استأصلهم. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام، وإنفاقها فيما لاينبغي ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

«فإنّه إذا زنى الرّجل، أو اشترى الأمة بمال حرام، أو ترك اسم الله عند النّكاح[٢]، فإنّ الشّيطان يدخل ذكره حينئذ ثمّ يختلط النّطفتان». كذا ورد[٣].

وقال: «إذا اشتركا فربّما خلق من أحدهما، وربّما خلق منهما جميعاً»[٤].

قال: «ويعرف بحبّنا وبغضنا، فمن أحبّنا كان نطفة العبد، ومن أبغضنا كان نطفة الشّيطان»[٥].

﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيد الكاذبة، كشفاعة الآلهة، وتأخير التّوبة لطول الأمل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾. اعتراض.

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ يعني المُخْلَصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم، يتوكّلون عليه في الاستعاذة منك، فيحفظهم من شرك.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾: هو الّذي يجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: الرّبح[٦] وأنواع الأمتعة الّتي لاتكون عندكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾: ذهب عن خواطركم كلّ من تدعونه[٧] في حوادثكم ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وحده، فلاترجون هناك النّجاة إلّا

١ ـ في «ب»: «فاجسرهم».

٢ ـ في «ب»: «على النّكاح».

٣ ـ الكافي ٥: ٥٠٢، الحديث: ٢، و٥٠٣، الحديث: ٥؛ والعيّاشي ٢: ٢٩٩، الحديث: ١٠٢ و١٠٤، و٣٠٠، الحديث: ١٠٨، بالمضمون.

٤ ـ الكافي ٥: ٥٠٣، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ ـ المصدر: ٥٠٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ ـ في «ب»: «الرّبح».

٧ ـ في «ب»: «من هو تدعونه».

من عنده. وقد مرّ في هذا المعنى حديث في سورة الفاتحة[١]. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التّوحيد، واتّسعتم في كفران النّعمة ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحاً ترمي بالحصباء[٢] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يحفظكم من ذلك.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بتقوية دواعيكم، إلى أن ترجعوا فتركبوه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ كاسراً ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾. قال: «هي العاصف»[٣].

﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب إشراككم، أو كفرانكم نعمة الإنجاء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بالعقل والنّطق، والصّورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، والتّسلّط على مافي الأرض، وتسخير ساير الحيوانات، والتّمكّن من الصّناعات إلى غير ذلك. ورد: «في صورة الآدميّين، إنّها أكرم صورة على الله»[٤].

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال: «على الرّطب واليابس»[٥]. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذّات. قال: «يقول من طيّبات الثّمار كلّها»[٦].

وفي رواية: «إنّ الله لايُكرّمُ روحَ كافر ولكن كرّمَ أرواحَ المؤمنين، وإنّما كرامة النّفس والدّم بالرّوح، والرّزق الطيّب هو العلم»[٧].

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. قال: «من التّفضيل أنّه يرفع بيده إلى فيه طعامه»[٨] «وأنّه خلق منتصباً»[٩].

١ ـ ذيل كلمة «بسم الله».

٢ ـ الحَصْباء: صغار الحصى. المصباح المنير١: ١٦٩(حصب).

٣ ـ القمّي٢: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ القمّي١: ٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥، ٦و٨ ـ الأمالي (للشيخ الطوسي)٢: ١٠٣، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٧ ـ القمّي٢: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ ـ العيّاشي٢: ٣٠٢، الحديث: ١١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: بمن ائتمّوا به، من نبيّ أو وصيّ أو شقيّ.

قال: «بإمامهم الّذي بين أظهرهم، وهو قائم أهل زمانه»[1].

وفي رواية: «إمام دعا إلى هدى فأجابوه، وإمام دعا إلى ضلالة[2] فأجابوه، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء إلى النّار»[3].

وقال: «سيدعى كلّ أناس[4] بإمامهم، أصحاب الشّمس بالشّمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النّار بالنّار، وأصحاب الحجارة بالحجارة»[5].

وورد: «كم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه»[6].

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ مبتهجين بما يرون فيه ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء. والفتيل: المفتول الّذي في شقّ النّواة.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾: أعمى القلب، لايبصر رشده، ولايهتدي إلى طريق النّجاة ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: لايهتدي إلى طريق الجنّة.

قال: «من لم يدلّه خلق السّموات والأرض، واختلاف اللّيل والنّهار، ودوران الفلك والشّمس والقمر، والآيات العجيبات، على أنّ وراء ذلك أمراً أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً»[7].

وقال: «أشدّ العمى، من عمي عن فضلنا وناصبنا العداوة، بلا ذنب سبق إليه منّا؛ إلّا أن دعوناه إلى الحقّ، ودعاه من سوانا إلى الفتنة والدّنيا، فأتاهما ونصب البراءة منّا

١ - الكافي١: ٥٣٦، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ - في «ب»: «إلى ضلال».
٣ - الأمالي (للصدوق): ١٣١، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه «وهؤلاء في النار».
٤ - في «الف» و«ج»: «كلّ ناس».
٥ - العيّاشي٢: ٣٠٣، الحديث: ١١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ - المصدر، الحديث: ١٢٠، و٣٠٤، الحديث: ١٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ - التوحيد: ٤٥٥، الباب: ٦٧، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

والعداوة»[١].

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾: قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستنزال ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: عن حكمه ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾: غير ماأوحينا إليك. القمّي: يعني في أمير المؤمنين عليه السلام[٢]. ﴿وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾: ولو اتّبعتَ مرادهم لاظهروا خلّتك. القمّي: يعني لاتّخذوك صديقاً لو أقمت غيره[٣].

﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾: لَقاربْتَ أن تَميلَ إلى اتّباع مرادهم.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾. قيل: أي: عذاباً ضِعْفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات، يعني مضاعفاً على ماإذا فعله غيرك، لانّ خطأ الخطير أخطر[٤].

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنك.

قال: «إنّ هذا ممّا نزل: بإيّاك أعني واسمعي ياجاره[٥]. خاطب اللهُ بذلك نبيَّه والمرادُ به أمّته»[٦]. وفي رواية: «عنى بذلك غيره»[٧]. وفي أخرى: «إنّه من فريّة[٨] الملحدين

١ - الخصال٢: ٦٣٣، في حديث أربعمائة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه «والعداوة لنا».

٢ - القمّي٢: ٢٤.

٣ - القمّي٢: ٢٤.

٤ - البيضاوي٣: ٢٠٨.

٥ - إيّاكِ أعْني فاسمَعي يا جارَه: أوّل من قاله سَهْل بن مالك الفَزاريّ. وذلك انّه عدل في طريقه إلى النعمان إلى خباء حارثة بن لأم الطائي، فما أصابه شاهداً، فرحبت به أخته، وكانت جميلة نبيلة، ثمّ إنّه افتتن بها، فجلس وهو يترنّم بقوله:

يا أختَ خَيرِ البَدْوِ والحَضارَهْ ... كيفَ تَرَيْنَ في فَتى فَزارَهْ
أصبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطارَهْ ... إيّاكِ أعْني واسْمَعي يا جارَهْ

يضرب في التعريض بالشيء، يبديه الرجل وهو يريد غيره. المستقصى١: ٤٥٠؛ مجمع الأمثال١: ٨٠.

٦ - عيون أخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٠٢، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي١: ١٠، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ - الكافي٢: ٦٣١، ذيل الحديث: ١٤؛ والعيّاشي١: ١٠، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٨ - في المصدر: «من فرقة».

وتحريفهم»[١].

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليُزعجونك[٢] بمعاداتهم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ مكة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني لو خرجتَ لايبقون بعد خروجك إلاّ زماناً قليلاً. القمّي: حتّى قتلوا ببدر[٣]. قيل: وكان ذلك بعد الهجرة بسنة[٤].

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾: سنّ الله ذلك سنّة، وهو أن يُهلك كلّ أُمّة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم. ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تغييراً.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: لزوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: إلى ظلمته. قال: «دلوكها: زوالها، "وغسق اللّيل": انتصافه، وفيما بينهما أربع صلوات»[٥]. ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. قال: «يعني صلاة الفجر يشهده ملائكة اللّيل وملائكة النّهار، فإذا صلّى العبد الصّبح مع طلوع الفجر أثبتت له مرّتين، أثبتها ملائكة اللّيل وملائكة النّهار»[٦]. وقال: «في هذه الآية جمعت الصّلوات كلّهنّ»[٧].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ وبعض اللّيل فاترك الهجود للصّلاة بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فريضة زائدة لك على الصّلوات المفروضة.

ورد: سئل عن النّوافل فقال: «فريضة، ثمّ قال: أعني صلاة اللّيل على رسول الله ﷺ، ثمّ تلا هذه الآية»[٨].

١ ـ الاحتجاج١: ٣٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام، بالمضمون.
٢ ـ أزعجه: أي: اقلعه وقلعه من مكانه. الصحاح١: ٣١٩(زعج).
٣ ـ القمّي٢: ٢٤.
٤ ـ البيضاوي٣: ٢٠٨.
٥ ـ الكافي٣: ٢٧١، الحديث: ١؛ ومن لايحضره الفقيه١: ١٢٥، الحديث: ٦٠٠؛ والتهذيب٢: ٢٤١، الحديث: ٩٥٤؛ والعيّاشي٢: ٣٠٨، الحديث: ١٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تقدّم و تأخّر في العبارة.
٦ ـ الكافي٣: ٢٨٣، ذيل الحديث: ٢؛ والاستبصار١: ٢٧٥، الحديث: ٩٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ العيّاشي٢: ٣٠٩، الحديث: ١٤١، عن الصادقين عليهما السلام.
٨ ـ التهذيب٢: ٢٤٢، الحديث: ٩٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾. قال: «هي الشفاعة»[١]. وفي الحديث النبويّ: «هو المقام الّذي أشفع لأمّتي»[٢].

وقال: «إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي، فيشفّعني الله فيهم، والله لاتشفّعت فيمن آذىٰ ذرّيّتي»[٣].

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾. القمّي: نزلت يوم فتح مكّة؛ لمّا أراد دخولها[٤].

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾. قال: «إنّه دخل يوم فتح مكّة والأصنام حول الكعبة، وكانت ثلاثمائة وستّين صنماً، فجعل يطعنها بمخصَرَة[٥] في يده ويقول: "جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً" "وَما يُبدئُ الباطِلُ ومايُعيدُ"[٦]، فجعلت تنكّب لوجهها»[٧].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: في معانيه شفاء الأرواح، وفي ألفاظه شفاء الأبدان.

ورد: «ماashتكى أحدٌ من المؤمنين شكاية قطّ وقال بإخلاص نيّة ومسح موضع العلّة "وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ" الآية إلّا عوفِيَ من تلك العلّة، أيّة علّةٍ كانت، ومصداق ذلك في الآية حيث يقول: "شِفاءٌ ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمنينَ"»[٨].

١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٤، الحديث: ١٤٨، عن أحدهما عليهما السلام.
٢ ـ روضة الواعظين: ٥٠٠.
٣ ـ روضة الواعظين: ٢٧٣، عن النبيّ ﷺ.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٦.
٥ ـ المِخْصَرَةُ ـ كمِكْنَسَة ـ: مايتوكّأ عليه كالعصا ونحوه؛ ومايأخذه المَلِك يشير به إذا خاطب؛ والخطيب إذا خطب. القاموس المحيط ٢: ٢١ (خصر).
٦ ـ سبأ (٣٤): ٤٩.
٧ ـ الأمالي ١: ٣٤٦، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام.
٨ ـ طبّ الأئمّة: ٢٨، عن أبي عبدالله ﷺ.

وقال: «لا بأس بالرّقية والعودة والنّشرة إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله»[١]. ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لتكذيبهم وكفرهم به.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالصحّة والسعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾: لوى عِطفَه وبَعُدَ بنفسه عنه، كأنّه مستغنٍ مستبدٌّ برأيه. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من مرض أو فقر ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾: شديد اليأس من روْح الله.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾: على ما يُشاكِل حاله في الهدى والضّلالة. قال: «يعني على نيّته»[٢].

وقال: «إنّما خُلِّد أهل النّار في النّار، لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو خُلِّدوا فيها أن يَعْصوا الله أبداً، وإنّما خُلِّد أهلُ الجنّة في الجنّة، لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً؛ فبالنّيات خُلِّدَ هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكلته"»[٣].

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ، وهو مع الأئمّة عليهم السلام، وهو من الملكوت»[٤]. وفي رواية: «خلق من خلقه، له بصر[٥] وقوّة وتاييد، يجعله في قلوب المؤمنين

١ ـ طبّ الأئمّة: ٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي٢: ١٦، الحديث: ٤، و٨٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الكافي٢: ٨٥، الحديث: ٥؛ والعيّاشي٢: ٣١٦، الحديث: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الكافي١: ٢٧٣، الحديث: ٣؛ والقمّي٢: ٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ في «ألف»: «له نصرة».

والرّسل»[١]. وفي أُخرى: «وليس كلّما طلب وُجد»[٢]. وفي رواية: «سئل عنها. فقال: الّتي في الدّوابّ والنّاس، قيل: وماهي؟ قال: هي من الملكوت من القدرة»[٣]. وقد سبق له بيان في سورة الحجر[٤]. وهذه الأخبار إخبار بما يتميّز به عن غيره، وماأبهم في الآية حقيقته، فلامنافاة.

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾. قال: «وماأُوتيتم كثيرٌ فيكم، قليلٌ عندالله»[٥].
وفي رواية: «قال: تفسيرها في الباطن: انّه لم يُؤْتَ العلمَ إلاّ أناسٌ يسير فقال "وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاّ قَليلاً" منكم»[٦].

﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾: ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصّدور ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴾: من يتوكّل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مستوراً.

﴿ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ ﴾: إلاّ ان يرحمك ربّك فيردّه عليك ﴿ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴾.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ في البلاغة وحسن النّظم وجزالة[٧] المعنى ﴿ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾ وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان ﴿ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾.

١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٦، الحديث: ١٦٠، عن ابي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام. وفيه: «يجعله في قلوب الرسل والمؤمنين».
٢ ـ الكافي ١: ٢٧٣، الحديث: ٤، والعيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦١، عن ابي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي: «ليس كما طلب وجد».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦٣، عن أحدهما عليهما السلام، مع تفاوت يسير.
٤ ـ ذيل الآية: ٢٩.
٥ ـ القمّي ٢: ١٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٦ ـ العيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ ـ جَزُلَ يَجزُلُ جَزالةً الشيءُ: عظم؛ واللفظُ: فصح ومتن، الرائد ١: ٥١٢ (جزل).

ورد: «إنّ ابن أبي العوجاء وثلاثة من الدّهريّة اتّفقوا على أن يُعارِضَ كلٌّ منهم ربعَ القرآن، وكانوا بمكّة، وعاهدوا على أن يجيئوا بمعارضته في العام القابل، فلمّا حال الحول واجتمعوا مقام إبراهيم، قال أحدهم: إنّي لمّا رأيت قوله: "يٰأَرْضُ ابْلَعِي مٰاءَكِ وَيٰاسَمٰاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ"[1] كففت عن المعارضة. وقال الآخر: وكذا أنا لمّا وجدت قوله: "فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً"[2] آيست عن المعارضة. وكانوا يسترون ذلك، إذ مرّ عليهم جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السلام، فالتفت إليهم، وقرأ عليهم: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ" الآية. فبهتوا»[3].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرّرنا بوجوه مختلفه؛ زيادة في التّقرير والبيان ﴿لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: من كلّ معنى كالمثل في غرابته ووقوعه موقعاً في الأنفس ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: إلّا جحوداً.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ قال: «عيناً»[4].

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ قال: «أي: بستان»[5]. ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: «أي: من تلك العيون»[6].

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قطعاً. قال: «وذلك أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّه سيسقط من السّماء كسفاً، لقوله: "وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمٰاءِ سٰاقِطاً يَقُولُوا سَحٰابٌ مَرْكُومٌ"»[7]. ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾. قال: «أو تأتي به وبهم، وهم لنا مقابلون»[8]. وفي رواية: «القبيل: الكثير»[9].

١ ـ هود(١١): ٤٤.
٢ ـ يوسف(١٢): ٨٠.
٣ ـ الخرائج والجرائح٢: ٧١٠، الحديث: ٥؛ والاحتجاج٢: ١٤٢.
٤، ٥، ٦و٧ ـ القمّي٢: ٢٧ عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الطّور(٥٢): ٤٤.
٨ ـ الاحتجاج١: ٢٧، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن أبيه عليهم السلام.
٩ ـ القمّي٢: ٢٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ قال: «من ذهب»[1]. ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ قال: «أي: تصعد»[2]. ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ قال: «الصعودك»[3] أي: وحده ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ فيه تصديقك. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تنزيهاً لله من أن يتحكّم عليه أحدٌ، ويأتي بما يقترحه الجهّال ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ كسائر الرّسل، وقد كانوا لايأتون إلّا بما يظهره الله عليهم من الآيات على ما يلائم حال قومهم، وليس أمر الآيات إليّ وإنّما هو إلى الله، وهو العالِمُ بالمصالح، فلاوجه لطلبكم إيّاها منّي.

قال ﷺ بعد تلاوة هذه الآية: «مابعد ربّي عن أن يفعل الأشياء على قدر مايقترحه الجهّال بمايجوز ومالايجوز[4]، "وهَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً" لايلزمني إلّا إقامة حجّة الله الّتي اعطاني، وليس لي أن آمر على ربّي ولاانهى ولاأشير، فاكون كالرّسول الّذي بعثه مَلِكٌ إلى قومٍ من مخالفيه، فرجع إليه يامره أن يفعل بهم مااقترحوه عليه»[5].

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾: ومامنعهم الإيمان بعد ظهور الحقّ إلّا إنكارهم أن يرسل الله بشراً.

﴿قُل﴾ جواباً لشبهتهم ﴿لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ كما يمشي بنو آدم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ لتمكّنهم من الاجتماع به والتّلقّي منه، وأمّا الإنس فعامّتهم عماة عن إدراك المَلَك والتّلقّف[6] منه، فإنّ ذلك مشروط بنوع من التّناسب والتّجانس، وليس إلّا لمن يصلح للنّبوّة.

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٥، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن ابيه، عن رسول الله صلوات الله عليهم. وفيه: «وهو الذهب».

٢، ٣ ـ المصدر: ٢٨، عنه ﷺ.

٤ ـ في المصدر: «ممّا يجوز وممّا لايجوز».

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٥، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن ابيه، عن رسول الله صلوات الله عليهم.

٦ ـ تلقّف الكلام من فمه: حفظه بسرعة. الرائد ١: ٤٤٥ (لقف).

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أنّي رسول إليكم، وأنّي قد قضيتُ ماعليَّ من التّبليغ ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. فيه تسلية للرّسول، وتهديد للكفّار.

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ يهدونه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[1] قال: «على جباههم»[2]. ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: لايُبصرون مايقرّ أعينهم، ولايسمعون مايلذّ مسامعهم، ولاينطقون بما ينفعهم ويقبل منهم، لأنّهم في الدّنيا لم يستبصروا بالآيات والعبر، وتصامّوا عن استماع الحقّ، وأبوا أن ينطقوا به.

﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: كلّما انطفت بأن أكلت جلودهم ولحومهم، زدناهم توقّداً، بأن تبدّل جلودهم ولحومهم متلهّبة متسعّرة.

ورد: «إنّ في جهنّم وادياً يقال له "سعير"، إذا خبت جهنّم فتح سعيرها[3]، وهو قوله تعالى "كُلَّمٰا خَبَتْ زِدْنٰاهُمْ سَعِيراً"»[4]. أي: كلّما انطفت.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: فنفنيهم ونعيدهم، ليزيد ذلك تحسّرهم على التّكذيب بالبعث، فإنّهم لما كذّبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله، بأن لايزالون على الإعادة والإفناء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أو لم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فإنّهم ليسوا أشدّ خلقاً منهنّ، ولاإعادة أصعب عليه من الإبداء ﴿وَجَعَلَ

---

١ ـ أخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، ونسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وأبو نعيم في المعرفة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أنس قال: قيل يا رسول الله، كيف يحشر النّاس على وجوههم؟ قال: «الّذي أمشاهم على أرجلهم، قادرٌ أن يمشيهم على وجوههم». الدّر المنثور٥: ٣٤١.

٢ ـ العيّاشي٢: ٣١٨، الحديث: ١٦٨، مرفوعة، عن أحدهما عليهما السلام.

٣ ـ في العيّاشي: «فتح بسعيرها».

٤ ـ العيّاشي٢: ٣١٨، الحديث: ١٦٩؛ والقمّي٢: ٢٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ : جحوداً.

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ : خزائن أرزاق الله ونعمه على خلقه ﴿ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ﴾ : لبخلتم[1] مخافة النّفاد بالإنفاق ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ : بخيلاً، لأنّ بناء أمره على الحاجة والضّنّة[2] بما يحتاج إليه، وملاحظة العوض فيما يبذل.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ . قال: «هي الجراد والقمّل والضّفادع والدّم والطّوفان والبحر والحجر والعصا ويده»[3]. وفي رواية: «العصا وإخراج يده من جيبه بيضاء، والجراد والقمّل والضّفادع والدّم، ورفع الطّور، والمنّ والسّلوى آية واحدة، وفلق البحر»[4]. ﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ عنها، ليظهر للمشركين صدقك. فهو اعتراض. كذا قيل[5]. ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ موسى ﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ : سُحرت، فتخبط عقلك.

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ : بيّنات، تبصّرك صدقي، ولكنّك معاند ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ : مصروفاً عن الخير أو هالكاً. قابل ظنّه المكذوب بظنّه الصّحيح. قال: «أراد أن يخرجهم من الأرض، وقد علم فرعون وقومه ما أنزل تلك الآيات إلّا الله»[6]. وفي رواية: «علمتُ بضمّ التّاء، قال: والله ما علم عدوّ الله، ولكن موسى هو الّذي

١ ـ في «الف»: «لبخلهم».

٢ ـ الضّنّة ـ بالكسر ـ: البخل. المصباح المنير ٢: ١٢ (ضنن).

٣ ـ الخصال ٢: ٤٢٣، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ قرب الإسناد: ٣١٨، ذيل الحديث: ١٢٢٨، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٥ ـ تفسير الكبير (للفخر الرّازي) ٢١: ٦٤.

٦ ـ القمّي ٢: ٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

علم»[١].

﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: أن يستخفّ موسى وقومه، وينفيهم من الأرض بالاستيصال، أو أرضِ مصرَ ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾: فعكسنا عليه مكره، فاستفززناه وقومه بالإغراق.

﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ التي أراد أن يستفزكم منها ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: مختلطين، ثمّ نحكم بينكم. واللّفيف: الجماعات من قبائل شتّى. قال: «أي: من كلّ ناحية»[٢]. وفي رواية: «لفيفاً يقول: جميعاً»[٣].

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: وماأنزلنا القرآن إلاّ بالحقّ، ومانزل إلاّ بالحقّ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمطيع بالثّواب ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعاصي بالعقاب.

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾: نزّلناه منجماً ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: على مَهْلٍ وتُؤَدَةٍ، فإنّه أيسر للحفظ وأعون في الفهم ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ على حسب الحوادث.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ فإنّ إيمانكم بالقرآن لايزيده كمالاً، وامتناعكم عنه لايورثه نقصاناً ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: العلماء الّذين أوتوا الكتبَ السّابقة، وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النّبوّة، وتمكّنوا من الميز بين المحقّ والمبطل. القمّي: يعني أهل الكتاب الّذين آمنوا برسول الله[٤]. ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله، وشكراً لإنجازه وعده في تلك الكتب، ببعثة محمّد ﷺ على فترة من الرّسل، وإنزال القرآن عليه.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ عن خلف الوعد ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: إنّه كان

١ - مجمع البيان٥-٦: ٤٤٤ والدرّ المنثور٥: ٣٤٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ - القمّي٢: ٢٩، في رواية عليّ بن إبراهيم.
٣ - المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ - القمّي٢: ٢٩.

وعده كائناً لامحالة.

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾. كرّره لاختلاف الحالين، وهما: خرورهم للشكر وإنجاز الوعد[1] حال كونهم ساجدين؛ وخرورهم لما أثّر فيهم من المواعظ، حال كونهم باكين. وذكر الذقن، لأنّه أوّل مايلقى الأرض من وجه السّاجد. والقمّي: فسّر الأذقان بالوجوه[2]. ومعنى اللاّم الاختصاص، لأنّهم جعلوا أذقانهم ووجوههم للسّجود والخرور ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ سماع القرآن ﴿ خُشُوعًا ﴾ لما يزيدهم علماً ويقيناً.

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾: سمّوا الله بايّ الاسمين شئتم، فإنّهما سيّان في حسن الإطلاق. والمعنى بهما واحد ﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: أيّ هذين الاسمين سمّيتم وذكرتم فهو حسن. فوضع موضعه: "فله الأسماء الحسنى" للمبالغة والدّلالة على ماهو الدّليل عليه، فإنّه إذا حسنت أسماؤه كلّها، حسن هذان الاسمان؛ لأنّهما منها. و«ما» مزيدة مؤكّدة للشّرط، والضّمير في «له» للمسمّى. ومعنى كون أسمائه أحسن الأسماء، استقلالها بمعاني التّمجيد والتّعظيم والتّقديس، ودلالتها على صفات الجلال والإكرام.

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ يعني بقراءتها ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾.

قال: «الجهر بها: رفع الصّوت، والتّخافت: مالاتسمع نفسك، واقرأ بين ذلك»[3].

وفي رواية: «الإجهار أن ترفع صوتك تسمعه من بَعُدَ عنك، والإخفات أن لاتسمع من معك إلاّ يسيراً»[4].

و ورد: «إنّه ﷺ إذا كان[5] بمكّة جهر صوته، فيعلم بمكانه المشركون، فكانوا يؤذونه

١ ـ في «ب»: «وهما خرورهم لانجاز الوعد».
٢ ـ القمّي ٢: ٢٩.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ في «ب» و«ج»: «إذ كان».

فنزلت»[١].

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾. القمّي: ولم يذلّ فيحتاج إلى ناصر ينصره[٢]. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾. ورد: «إنّ معنى الله أكبر: الله أكبر من أن يوصف»[٣].

تمّ الجزء الأوّل من الاصفى، ويتلوه في الجزء الثّاني من سورة الكهف إلى آخر القرآن، إن شاء الله العزيز المنّان.



١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٧٥، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٠.

٣ ـ الكافي ١: ١١٧ ـ ١١٨، الحديث: ٨ و ٩؛ والتّوحيد: ٣١٣، الباب: ٤٦، الحديث: ١ و ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

فهرس المصادر[1]

«الاحتجاج». لابي منصور احمدبن علي بن ابي طالب الطبرسي (ق ٦). قم، مكتبة القدس.

«الإرشاد». لابي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣). قم، مكتبة بصيرتي. [بالأوفست عن مطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف].

«الاستغاثة في بدع الثلاثة». للسيّد ابي القاسم علي بن احمد الكوفي (م٣٥٢). جزءان في مجلدٍ واحد، ٨٢ + ٩٢ ص/ النجف الأشرف.

«اسد الغابة». لابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، ابن الأثير. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«أسرار الآيات». لصدرالدين محمّدبن إبراهيم الشيرازي (١٠٥٠). تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٤٠٢.

«الإصابة في تمييز الصحابة». لاحمدبن علي بن محمّد العسقلاني، ابن الحجر (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٨.

«الاعلام». لخيرالدين الزِرِكْلي (١٣١٠ـ ١٣٩٦). الطبعة السادسة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

١ـ يشتمل مصادر الجزئين.

«اعيان الشيعة». للسيّد محسن بن عبدالكريم الامين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ـ ١٣٧١). إعداد السيّد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

«أقرب الموارد». لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني. الطبعة الأولى.

«امالي الصدوق». لابي جعفر محمّدبن عليّ بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (٣٨١). تقديم الشيخ حسين الاعلمي، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠.

«امالي الطوسي». لابي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). إعداد السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. مجلّدان، بغداد، المكتبة الاهلية، ١٣٨٤/ ١٩٦٤م.

«امالي المفيد». لابي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ ٤١٣). تحقيق عليّ اكبر الغفّاري وحسين أُستاد ولي. الطبعة الثانية، قم، المؤتمر العالمي لالفية الشيخ المفيد، ١٤١٣.

«بحار الأنوار الجامعة لدُرَر اخبار الائمّة الأطهار». للعلاّمة محمّد باقربن محمّدتقي المجلسي (١٠٣٧ـ ١١١٠). إعداد عدةٍ من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّدٍ (إلّا ٦ مجلّداتٍ، من المجلّد ٢٩ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م. [بالأوفست عن طبعة إيران].

«بشارة المصطفى لشيعة المرتضى». لابي جعفر محمّدبن أبي القاسم محمّدبن عليّ الطبري (القرن السادس). الطبعة الثانية، النجف الاشرف، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

«بصائر الدرجات». لابي جعفر محمّدبن الحسن بن فروخ الصفّار (٢٩٠). تقديم وتعليق و تصحيح ميرزا محسن كوچه باغي، شركت چاپ كتاب، ١٣٨٠.

«البيان في تفسير القرآن». للسيّد ابي القاسم الموسوي الخوئي. الطبعة الثانية، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٨٥/ ١٩٦٦.

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي

(١١٤٥ ـ ١٢٠٥). ١٠ مجلّدات، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧[١].

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّدبن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). تحقيق عدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، صدر منه حتّى الآن ٢٥ جزءاً، [بيروت]، دار الهداية [بالأوفست عن طبعة الكويت، ١٣٨٥ ـ ١٤٠٩ / ١٩٦٥ ـ ١٩٨٩م].

«تاويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة». للسيد شرف الدين عليّ الحسيني الأسترابادي الغروي (القرن العاشر). تحقيق حسين أستاد ولي، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

«التبيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد احمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«تحف العقول». لحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحراني (ق ٤). تصحيح وتعليق عليّ اكبر الغفاري، الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤.

«ترتيب كتاب العين». ترتيب وإعداد محمّدحسن بكائي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤.

«تفسير ابن جزي». لمحمّدبن أحمدبن جزي الكلبي. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣.

«تفسير أبي السعود» = «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم». للإمام أبي السعود محمّدبن محمّد العمادي (٩٥١). ٩ أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«تفسير البغوي». لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠). بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥.

«تفسير البيضاوي». لأبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٦٨٥). بيروت، دار الجليل.

«تفسير روح البيان». للشيخ إسماعيل حقي البرسوي (م١١٣٧). ١٠ مجلّدات، بيروت،

---

١ ـ كلّما ارجعنا إلى هذه الطبعة ـ لانّ الطبعة المحقّقة لمّا تكمل بعدُ ـ ذكرنا بعد اسم الكتاب: «الطبعة القديمة»؛ تمييزاً بينها وبين الطبعة الجديدة المحقّقة.

دار إحياء التراث العربي.

«تفسير روح الجنان». لأبي الفتوح الرازي (ق ٦). قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤.

«تفسير الصافي». لمحمّدبن مرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتقديم وتعليق الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى، مشهد، دار المرتضى.

«تفسير العياشي». لأبي النضر محمّدبن مسعودبن عياش السمرقندي (ق٣). تصحيح و تحقيق و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي. قم، المطبعة العلمية.

«تفسير فرات الكوفي». لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ق٣). قم، مكتبة الداوري.

«تفسير القرآن العظيم». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). الطبعة الجديدة المصحّحة، ٤ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«تفسير القمي». لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ق ٣ـ٤). تصحيح و تعليق و تقديم السيد طيب الجزائري. الطبعة الثالثة، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤.

«التفسير الكبير» = «تفسير الرازي» = «مفاتيح الغيب». لمحمّدبن عُمَر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦). الطبعة الثالثة، ٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليهم السلام». تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. قم، مطبعة مهر، ١٤٠٩هـ.

«تفسير نور الثقلين». للشيخ عبدعليّ بن جمعة العروسي الحويزي. (م ١١١٢). تصحيح و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلّاتي. ٥ مجلّدات، قم، مطبعة العلمية [بالأوفست].

«تنقيح المقال في علم الرجال». للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ ـ ١٣٥١). الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأوفست عن طبعة النجف الاشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢].

«التوحيد». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م٣٨١). الطبعة الرابعة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«تهذيب الأحكام». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب

الإسلامية، ١٣٦٤هـ ش.

«تهذيب التهذيب». لابي الفضل احمدبن عليّ بن حجر العسقلاني (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دارصادر، ١٣٢٥.

«ثواب الأعمال». لابي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩١.

«الجامع لاحكام القرآن». لابي عبدالله محمّدبن احمد الانصاري القرطبي (م ٦٧١). الطبعة الثانية، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧م. [بالأوفست عن الطبعة السابقة].

«جامع البيان في تفسير القرآن». لابي جعفر محمّدبن جرير الطبري (م ٣١٠). ٣٠ جزءاً في ١٢ مجلّداً، بيروت، دار المعرفة.

«جوامع الجامع في تفسير القرآن الكريم». لابي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ٥٤٨). تحقيق السيد محمد عليّ القاضي الطباطبائي. مجلّد واحد، تبريز، مطبعة مصباحي. [بالأوفست عن طبعة تبريز، الرجب ١٣٧٩هـ].

«جوامع الجامع». لابي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ ـ ٥٤٨). تحقيق ابوالقاسم گرجي. الطبعة الثانية، مجلّدان حتّى الآن، قم، شورى مديرية الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٩/١٣٦٧هـ ش.

«الخرائج والجرائح». لقطب الدين الراوندي (٥٧٣). الطبعة الأولى، قم، مؤسسة الإمام المهدي(ع)، ١٤٠٩.

«الخصال». لابي جعفر محمّدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«دائرة المعارف الإسلامية». لمجموعة من المستشرقين. ترجمة محمّد ثابت الفندي، احمد الشنتناوي إبراهيم زكي، عبدالحميد يونس.

«دائرة معارف القرن العشرين». لمحمّد فريد وجدي (١٣٧٣). الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩.

«الدرّ المنثور في التفسير المأثور». لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). الطبعة الأولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«الرائد». لجبران مسعود. الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦.

«روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». لأبي الفضل شهاب الدين السيد المحمود الآلوسي البغدادي (م ١٢٧٠). ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«روضة الواعظين». لمحمّد بن الفتال النيسابوري (٥٠٨). تقديم السيد محمّد مهدي الخرسان، قم، منشورات الشريف الرضي.

«زاد المسير في علم التفسير». لأبي الفرج عبدالرحمن بن عليّ ابن الجوزي (م٥٩٧). تحقيق محمّدبن عبدالرحمن عبدالله. ٨مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«سعد السعود». لرضي الدين السيّد علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي (٥٨٩ـ٦٦٤). قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«سنن أبي داود». لأبي داود سليمان بن الأشعث السجِسْتاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥). تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد. ٤ مجلّدات، دار إحياء السنّة النبوية.

«سنن البيهقي» = «السنن الكبرى». لأبي بكر أحمدبن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ـ٤٥٨). ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار المعرفة. [بالأوفست عن طبعة حيدرآباد الدكن].

«سنن التِرمْذي». لأبي عيسى محمّدبن عيسى بن سورة التِرمْذي (٢٠٩ـ٢٧٩). تحقيق أحمد محمّد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«السيرة النبوية». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧). تحقيق مصطفى عبدالواحد. بيروت، دار احياء التراث العربي.

«شرح أُصول الكافي والروضة». للمولى محمّد صالح المازندراني (١٠٨١او ١٠٨٦). تعليق الميرزا أبوالحسن الشعراني. تصحيح وتخريج عليّ أكبر الغفاري. طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٢.

«شواهد التنزيل». لعبيد الله بن عبدالله، الحاكم الحسكاني (ق ٥). تحقيق و تعليق محمّد باقر

المحمودي. الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١.

«الصحاح». لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣). تحقيق احمد عبدالغفور عطار. الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤.

«صحيح البخاري». لأبي عبدالله محمّدبن إسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦). تحقيق مصطفى ديب البُغا. الطبعة الرابعة، ٦ مجلّدات + الفهرس، دمشق و بيروت، دار ابن كثير و اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠/ ١٩٩٠م.

«صحيح مسلم». لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١). تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الثانية، ٥ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ [بالأوفست عن طبعته السابقة].

«الصحيفة السجادية الكاملة». تقديم السيّد محمّد باقر الصدر. بيروت، دارالتعارف للمطبوعات.

«طب الائمّة». لأبي عتاب عبدالله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام النيسابوري. الطبعة الثانية، قم، منشورات الرضي، ١٤١١ـ ١٣٧٠ [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ].

«علم اليقين». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). قم، انتشارات بيدار، ١٤٠٠.

«علل الشرائع». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تقديم السيّد محمّدصادق بحرالعلوم. [الطبعة الأولى]، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

«عوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة». للشيخ محمّدبن علي بن إبراهيم الإحسائي، ابن أبي جمهور. تحقيق مجتبى العراقي. ٤ مجلّدات، قم، مطبعة سيد الشهداء.

«عيون اخبار الرضا ـع ـ». لمحمّدبن علي بن الحسين، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح وتذييل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي. الطبعة الثانية، قم، نشر رضا مشهدي.

«غرائب القرآن». لحسن بن محمّد القمي النيسابوري، نظام النيسابوري. ٣ مجلّدات، الطبعة الحجرية، ١٢٨٠هـ.

«الغيبة». لابي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٤٦٠). تقديم آغابزرك الطهراني. الطبعة الثانية، قم، مكتبة بصيرتي، ١٤٠٨.

«فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير». لمحمّدبن عليّ بن محمّد الشوكاني (م ١٢٥٠). ٥ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«فيض القدير». لمحمّد عبدالرّؤوف المناوي. بيروت، دار الفكر.

«القاموس المحيط». لمجدالدين محمّدبن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧). الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.

«قُرْب الإسناد». لابي العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري القمي(م بعد ٣٠٤). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣.

«قصص الانبياء». لقطب الدين سعيدبن هبة الله الراوندي. تصحيح غلامرضا عرفانيان. الطبعة الأولى، رجب ١٤٠٩هـ، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة.

«قصص الانبياء». لابي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ـ ٧٧٤). تحقيق شيخ خليل المسيس. الطبعة السابعة، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

«الكافي». لابي جعفر ثقة الإسلام محمّدبن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب و دار التعارف، ١٤٠١. [بالأوفست عن طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران].

«كتاب العين». لابي عبدالرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. الطبعة الأولى، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥.

«الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التأويل». لابي القاسم جار الله محمودبن عُمَر الزمخشري (٤٦٧ـ ٥٣٨). ٤ مجلّدات، [قم]، نشر ادب الحوزة

[بالأوفست عن طبعته السابقة، ١٣٦٦/١٩٤٧م].

«كشف المهجة لثمرة المهجة». لابي القاسم رضي الدين عليّ بن موسى بن طاووس الحسيني (٥٨٩ـ٦٦٤). قم، مكتبة الداوري [بالأوفست عن طبعة النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م].

«كمال الدين و تمام النعمة». لابي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ اكبر الغفّاري. الطبعة الخامسة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٣/١٤٠٥.

«كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال». لعلاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي (٨٨٨ـ٩٧٥). ١٦ مجلّداً + ١٢ الفهارس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

«لسان العرب». لجمال الدين محمّدبن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ـ٧١١). ١٥ مجلّداً، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٧٦].

«مجمع البيان لعلوم القرآن». لابي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطّبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ٥٤٨). تحقيق الميرزا ابوالحسن الشعراني. الطبعة الخامسة، ١٠ أجزاء في ٥ مجلّدات، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٥.

«مجمع البحرين». لفخر الدين الطريحي (١٠٨٥). تحقيق السيد احمد الحسيني. الطبعة الثانية، طهران، مكتبة مرتضوي، ١٣٦٥.

«المحاسن». لابي جعفر أحمد بن محمّدبن خالد البرقي (م ٢٧٤/ ٢٨٠). تحقيق جلال الدين الحسيني، المحدّث الأرموي. الطبعة الثانية، قم، دار الكتب الإسلامية.

«المحجة البيضاء». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري. الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٨٣.

«مختصر بصائر الدرجات». للشيخ حسن بن سليمان الحلّي (ق ٩). الطبعة الأولى، قم، انتشارات الرسول المصطفى (ص).

«مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول». للعلامة محمّدباقر بن محمّد تقي المجلسي

(١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد هاشم الرسولي ومحسن الحسيني الاميني. الطبعة الأولى، ٢٦ مجلّداً، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ ـ ١٤١١/١٣٦٣ ـ ١٣٦٩هـ ش.

«المستدرك على الصحيحين». لابي عبدالله محمّدبن عبدالله، الحاكم النيسابوري (م ٤٠٥). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المسند». لأحمدبن حنبل (٢٤١). ٦ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«مصباح الشريعة». المنسوب إلى الإمام جعفربن محمّد الصادق(ع) (١٤٨). الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٠.

«مصباح المتهجد». لأبي جعفر محمّدبن الحسن الطوسي (٤٦٠). تصحيح و تقديم و نشر إسماعيل الانصاري الزنجاني.

«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». لاحمدبن محمّدبن عليّ الفيّومي (م حوالي ٧٧٠). جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المعارف». لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦ق). تصحيح و تعليق محمد إسماعيل عبدالله الصاوي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٩.

«معاني الاخبار». لمحمّدبن علي بن الحسين ابن بابويه، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح عليّ أكبر الغفّاري. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦١.

«معجم البلدان». لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحَمَوي (٥٧٤ ـ ٦٢٦). الطبعة الثالثة ٥مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩/١٩٧٩م.

«معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة». للسيّد أبي القاسم ابن السيّد عليّ أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣). الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

«معجم مفردات الفاظ القرآن». للراغب الإصفهاني(٥٠٣). تحقيق نديم مرعشلي. قم، دار الكتب العلمية.

«المعجم الوسيط». لدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبدالحليم منتصر عطية الصوالحي. محمد خلف الله أحمد. الطبعة الرابعة، قم، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ.

«المغازي». لمحمّدبن عمر بن واقد، الواقدي (٢٠٧). تحقيق الدكتور مارسدن جونس. نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥.

«مناقب ابن شهر آشوب». لأبي جعفر رشيد الدين محمّدبن عليّ بن شهر آشوب (٥٨٨). قم، المطبعة العلمية.

«من لا يحضره الفقيه». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق السيّد حسن الموسوي الخرسان. ٤ مجلّدات، بيروت، دار صعب و دار التعارف، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

«النهاية في غريب الحديث والأثر». لأبي السعادات مجدالدين المبارك بن محمّد بن محمّد، ابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦). تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي. الطبعة الرابعة، ٥ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣هـ ش [بالأوفست عن طبعة بيروت].

«نهج البلاغة». (مااختاره المؤلّف من كلام أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين). لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّدبن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ ـ ٤٠٦). تحقيق صبحي الصالح. قم، الهجرة، ١٣٩٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٨٧].

«الوافي». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ ـ ١٠٩١). منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام العامّة. ١٧ مجلّداً حتّى الآن، إصفهان، مطبعة نشاط.



Al-Aṣfā Fi Tafsir Al-Qurān

[The Clearer Interpretation For Qurān]

Al-Mawla Moḥammad Moḥsin
Al-Fayḍ Al-Kāshāni
(1007 - 1091 A.H.)

Islamic Studies and Research Center



The center of publication of the office of Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.

P. O. Box: 37185. 917

Qum, I.R. IRAN. phon no: 742155 - 7 Fax: 742154

Al-Asfā Fi Tafsir Al-Qurān

[The Clearer Interpretation For Qurān]

Al-Mawlā Moḥammad Moḥsin
Al-Fayḍ Al-Kāshāni
(1007 - 1091 A.H.)

Islamic Studies and Research Center

The center of publication of the office of
Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.

P. O. Box: 37185, 917
Qum, I.R. IRAN. phon no: 742155 - 7 Fax: 742154

شابک ۲ _ ۲۵۷ _ ۴۲۴ _ ۹۶۴

ISBN 964 - 424 - 257 - 2